
دعوة الحق
مجلة شهرية تعنى بالدراسات
الاسلامية وبشؤون الثقافة والفكر
تصدرها
وزارة الأوقاف
والشؤون الاسلامية
والثقافة
بالمملكة المغربية
العرش المغربي
في ظلال البعث الاسلامي

العدد الثامن
السنة الخامسة عشرة
صفر 1393
مارس 1973
ثمن العدد : درهم واحد

دعوة الحق

مجلة تصدرها وزارة
عموم الأوقاف والشؤون
الإسلامية بالمملكة المغربية

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالـي :
مجلة « دعوة الحق » ــ قسم التحرير ــ وزارة عموم الاوقاف
الرباط ــ المغرب . الهاتف 10 ــ 308

الاشتراك العادي عن سنة ، والشرفي 30 درهما
فاكثر .

السنة عشرة اعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك في حساب :
مجلة « دعوة الحق » رقم الحساب البريدي 55 ــ 485 ــ الرباط

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55 à Rabat

او تبعث رأسا في حوالة بالعنوان التالي :
مجلة « دعوة الحق » ــ قسم التوزيع ــ وزارة عموم الاوقاف ــ
الرباط ــ المغرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية
والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
في كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :
« دعوة الحق » ــ قسم التوزيع ــ وزارة عموم الاوقاف ــ الرباط
تليفون 10-308 ــ 03-327 ــ الرباط

تهنئة

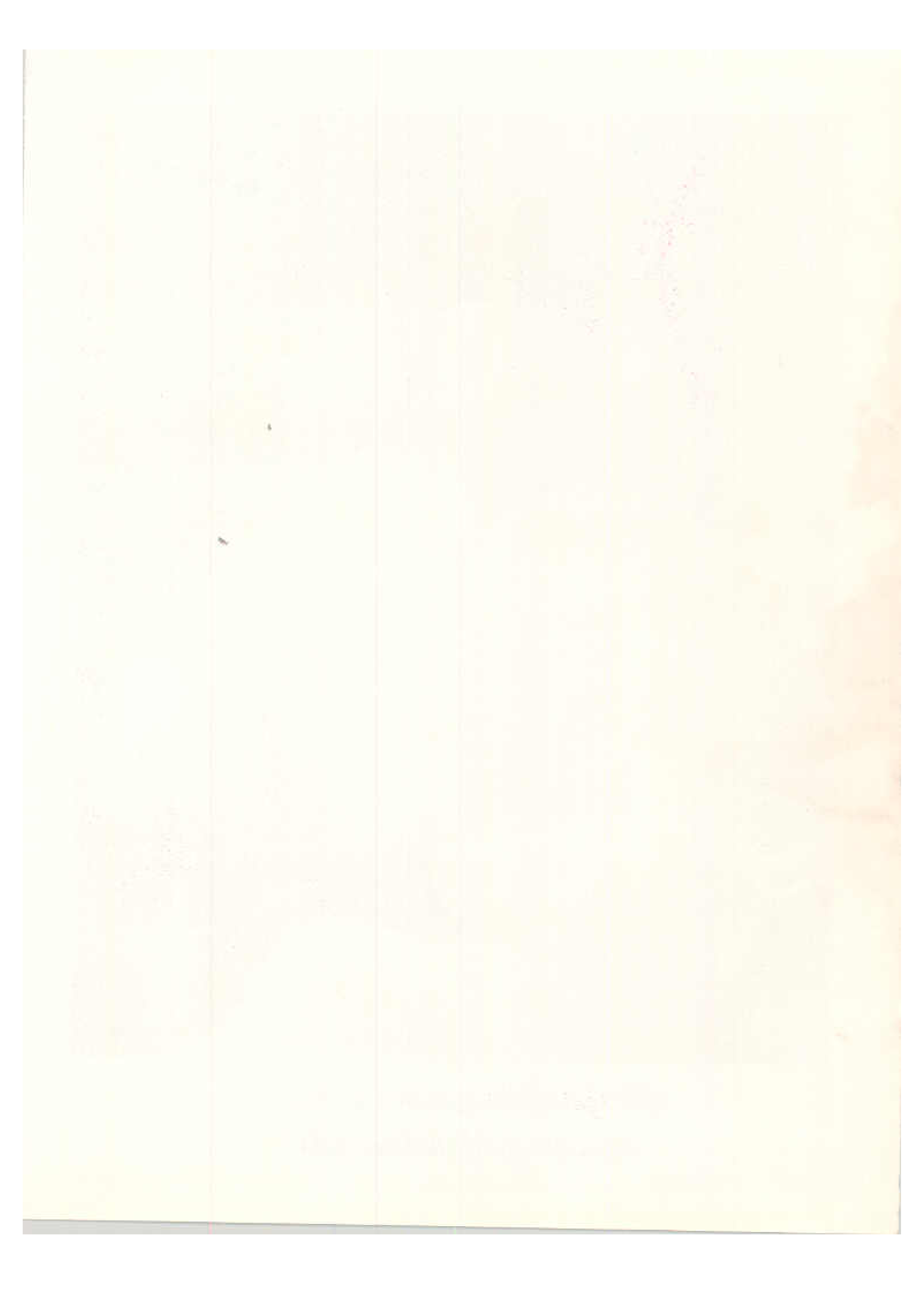
بقلب مفعم بالحب والولاء

تتقدم وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية والثقافة
وأسرة دعوة الحق بأزكى التهاني وأغلى الأماني إلى مقام حضرة
صاحب الجلالة والمهابة أمير المومنين وحامي حمى الوطن والدين
سيد البلاد مولانا الحسن الثاني نصره الله وأيده. بمناسبة الذكرى
الثانية عشرة لجلوسه على أريكة أسلافه المقدسين الأمجاد

وتغتنم هذه المناسبة السعيدة فتضرع إلى الله العلي القدير
أن يديم نصره، وليعز قدره، وليطيل عمره، وليشد أزره، وليوفق
مسعاه، وليسدد خطاه، وليلهمه سبيل النجح والفلاح،
ويحفظه في سمو ولي عهده الأمير الجليل سيدي محمد، وباقي
إخوته الأمراء الكرام وشعبه الوفي، ويحقق على يديه الكريمتين
ما يصبو إليه شعبه من عز ومجد وفخار.



صاحب الجلالة الحسن الثاني نصره الله
باني نهضة المغرب الحديث





أمير المومنين مولانا الحسن الثاني

يخصص لمجلة دعوة الحق حديثا إسلاميا

بمناسبة الاحتفال بعيد العرش في ظل البعث الإسلامي

عندما استقر عزمنا على أن تكون هذه السنة سنة بعث إسلامي. وخاطبنا شعبنا الوفي لننبئه بما اختلج في صدرنا وجال بفكرنا، فإن نيتنا اتجهت في الواقع إلى تأدية أمانة أمام الله سبحانه، وأمام التاريخ، الذي خلد الكثير مما فعله أجدادنا المنعمون في هذا المضمار.. لقد قمنا بتذكير شعبنا، والذكرى تنفع المومنين، بأن المعاملة بالحسنى وطهارة الروح وراحة الضمير هي المحصنات الضرورية ضد الزيغ والانحراف وانفصام حبل التشبث بالمبادئ الأصيلة والقيم الروحية المرعية في هذه البلاد.

وكانت المناسبات منذ خاطبنا شعبنا العزيز لوضع صيغ عملية تفضي بسعينا إلى بلوغ القصد، والوصول الى الهدف. فأبرزنا تصميمنا على وجوب التفكير في إطار الفكر الإسلامي وبلغة الفكر الإسلامي حتى تستنير لجيلنا الحاضر ولأجيالنا المقبلة طريق التوحيد وسبل الحق والهداية.

ولا زلنا نعتبر أنه لن يتأتى ذلك، ولن يؤتي ثماره المرغوبة إلا إذا استطعنا إقناع هذه الأجيال - بماضي الإسلام المجيد عندما كان رائداً للحضارة، وبجسّماً لها بقادته وحكمائه وفلاسفته وعلمائه وآثاره المادية والفكرية..

وبحاضر الإسلام - الذي فرض عليه جمود مفتعل، وتكالب عليه مناوئوه مستهدفين قبل كل شيء إثارة الحيرة في نفوس معتنقيه وإشعارهم بقصوره..

وأخيراً بمستقبل الإسلام الذي سيتمكن من تحطيم كل محاولات الاستعباد الفكري كما حطم مظاهر العبودية الأخرى في الماضي. وسيثبت بالاضافة إلى هذا، وبقوة أكثر مما مضى، بأن أمة الإسلام هي «خير أمة أخرجت للناس»، وذلك بفضل ما تختزنه هذه العقيدة من الحيوية والقوة المتجددتين، وما تدعو إليه من التعامل الشريف، والتحرر المطابق للفلسفة الحديثة في السياسة والحكم، والمحافظة على حقوق الجماعة قبل حقوق الأفراد، وعلى المصلحة العامة قبل الخاصة

لقد كرم الله المسلم - كرمه بأن وضع بين يديه دستور القرآن الخالد، ليقوم، وباستمرار، كحجة على الزيف والفساد والتحريف.

ـ كرّمه بربط قيمته بتقواه، بصرف النظر عن لونه وسلالته.

ـ كرّمه إذ أبعده عن التقليد الأعمى، التقليد الذي يسيء إلى الأصالة ويسمح بالتبعية ويصرف عن طلب الحقيقة.

إن أهم ما يجب أن ينتبه إليه المسلم هو ما تعمد إليه الإديولوجيات الهدّامة في معالجة الأخلاق كشيء مجرد، ومعالجة الإنسان منفصلاً عن الأخلاق، فهذا (الانشطار) هو ما يجب أن نتصدّى له بكل قوانا، لأن الديانة هي العمود الفقري لكيان الإنسان، والأمر أكثر وضوحاً بالنسبة للمجتمع، فلا مجتمع بدون قانون خلقي وشريعة روحانية.

وإذا كان التقدم المادي قد خطا خطواته العملاقة بموجب ذلك التقسيم، أي على حساب القيم الإنسانية، فإنه يسير، ولعله قد وصل الآن، إلى متاهات الضياع، فأصبحت المجتمعات المتقدمة تبحث عن نفسها أو عن نصفها الضائع، وهذا البحث يشكل إحدى معضلات العصر الكبرى، وأبرز أسباب القلق فيه.

وإن أبناء هذه الأمة يعتزون أيما اعتزاز بأن ديانتهم السمحاء المتحررة تولت الدفاع بأمانة عن القيم والمثل العليا، وكانت وما تزال وستظل قوة لخدمة الحق والسلام. وإنهم ليعتبرون أن سلاح اليقين، وسمو النفس وصلابة الإيمان، كل ذلك هو أفضل ما يجب أن تواجه به مشاكل العصر، كما أنهم متأكدون أن بعثاً إسلامياً حقيقياً هو وحده الكفيل، لا بالوقوف في وجه المذاهب الدخيلة فحسب، كما هو واقع الآن، ولكن أيضاً

كقوة فكرية وروحية لا تضاهى من حيث المناعة والتكامل والشمول.

إن المغرب الذي كان طيلة تاريخ طويل، الساهر اليقظ، على تراث الإسلام ومعطياته الحضارية، سيخوض معركة التنمية الخلقية موقناً بأن ذلك يشكل ضماناً لا بديل له للانتصار في معركة التنمية والتقدم.

« ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا »

كلمة العدد

سلام عليكم بما صبرتم

فى ظلال البعث الاسلامي الذى اتخذه القائد الرائد الملهم صاحب الجلالة مولانا الحسن الثاني نصره الله وأيده شعارا للشعب المغربي الاسلامي في سنتنا هذه ، واعلن عنه فى خطابه السامي بمناسبة ذكرى عيد الشباب ، فجعل منه سنة تثقيف وتهذيب ، وتنمية خلقية واجتماعية ، وبعث اسلامي صحيح يتالق وميضه فى جميع البيوت ، ويشع نوره فى حنايا القلوب ، ويتهلل سره فى قسمات الوجوه ...

وفى طلائع الاحتفال ببزوغ عيد المولد النبوي الشريف الذى يلوح سناه فى الافق القريب ، ويهب نسيمه العليل البليل بين الخمائل والربى نشوان يعبق من شـذاه العاطـر ...

وفى أعقاب المهرجانات الفخمة الضخمة التى شهدها المغرب بمناسبة ذكرى الهجرة المحمدية ، واحتفل بها العالم الاسلامي فى جميع فجاج الارض ، ورفـاع المعمور تخليدا لعمل خطير ، وجهاد ظافر نهض به الرسول محمد عليه السلام ، فكان مصدر اشعاع للقلوب المؤمنة ، والعقول الذكية ، والأرواح المتفتحة ...

وفى مواكب فصل الزهور والياسمين ، والورود والرياحين الذي تستيقـظ فيه الطبيعة الانيقة الخلابة من فصل متجهم عابس، الى فصل رائق ناضر بشوش ينعم بالبهاء والصفاء والدفء ، ويبعث النشاط والحركة والحرارة فى جميع الاحياء ، فتنتشي ابتهاجا وسرورا ، وتفيض قلوبها غبطة وحبورا ...

ففي ظلال هذه المعاني للاعياد الاسلامية ، وافيائها الظليلة الهادية التى تحمل معنى الفرح بالحياة الناجحة المتقدمة فى طريقهـا ، السائـرة فى دربها ، والتي جاءت وستجيء أياما سعيدة عاملة تنبه فينا اوصافها القوية ، وتجدد نفوسنـا

بمعانيها وتلهم ارواحنا وعقولنا ووجداننا بمغزاها العميق لنتواصى على الصبر ، ونتعاون على البر ، ونتهادى صنائع المعروف ... يحتفل الشعب المغربي بذكرى عزيزة عليه، اثيرة لديه هي ذكرى جلوس سيد البلاد مولانا الحسن الثاني على عرش اسلافه المقدسين الامجاد ...

— ✻ —

وان احتفال الامة المغربية الوفية بهذه الذكرى العزيزة الغالية التى تتخذها مناسبة لاظهار ولائها واخلاصها وتعلقها بالسدة العالية بالله ، وابراز كوامن الحب والتفاني ، والتعبير عن العواطف الصادقة ، والحماسة السكرى ، والشعور الواثق المطمئن الذي يربطها بالعرش المغربي المجيد برباط وثيق يعلو على تيارات السياسة واهتزازاتها ، والاهواء وتقلباتها ، والاغراض ونزواتها ، وكل من اتبع هواه وكان امره فرطا ...

— ✻ —

وان لهذه الدولة الشريفة التى تربعت على العرش المغربي ما يربو على ثلاثة قرون ونصف قرن فى تاريخنا الطويل ، ومجدنا الاصيل ، صفحات ما زال اشراقها يضيء جوانب الحاضر ، وغياهب المستقبل ، واعمالا بطولية سجلها تاريخ المغرب في صفحات الخلود ، ولاسيما واسطة عقدها النضيد ، هامة الشرف ، وغرة المجد مولانا الحسن الثاني الذى ادخره الله لهذا الشعب البطل العظيم الذي خرج منه ، ونبغ فيه ، واعتمد عليه ، وكافح دونه ، فكان منه موضع القداسة ، وفيه موطن الرجاء ، وعليه محل الاعتماد ..

وان ما يقوم به سيد البلاد من جهود موفقة ، ومواقف حاسمة ، وما يسجله حفظه الله من صحائف مشرقة تقوم على العلم والدين ، والمدنية الانسانية ، والعمل الصالح ، وشمول الامن ، ويقظة العدل ، وقيام القانون لدليل اي دليل على أن الله تبارك وتعالى قد أعطى لهذه الدولة العلوية الشريفة من عوامل البقاء وعناصر الخلود شيئا كثيرا على الرغم مما عرضلها فى كفاحها الطويل ، ونضالها المرير ، وحاق بها من شتى الواجهات ، وتالب عليها من الخصوم والمغرضين ، فكانت تخرج من كل محنة ، وهي اشد وهجا ، واعمق ايمانا ، واعلى هامة ..

لقد قاسى العرش المغربي طوال عهد الدولة العلوية الشريفة ، ومنذ نشاتها ومسيرتها ، وفي ايمان صادق لا تزعزعه الشدائد ، وصبر جميل على المكاره ، وعمل دائب فى نصرة الحق الوانا شتى من الصراع العجيب ضد الاستعمار الواغل الذي تفتحت أطماعه في القرون الاخيرة، وفي ساعة مضطربة، وحالة مبهمة ، وامر مريج لابتلاع الشعوب الآمنة ، والاقطار الضعيفة للنيل منها ، والاجهاز على مقدراتها وطاقاتها ، واحتلال اراضيها وثغورها ، فتظهر من الجهاد والجلاد ، والتفاني لخدمة الوطن والبلاد ما هو فى التاريخ سطر ذهبي خالد ...

— ✻ —

فقد بسط الاحتلال الاسباني نفوذه على ثغور مليلية وسبتة وطنجة والعرائش والمهدية ، كما اشرابت اعناق الانجليز للتدخل فى شؤون البلاد عن طريق ممالاة بعض الامارات القائمة التى كانت تيسر للاجنبي التدخل فى شؤون الوطن والبلاد ....!!

فعند قيام الدولة العلوية كان المغرب مقسما طرائق قددا ، وشيعا واحزابا ، وتتوزع مناطق نفوذه بين الدلائيين فى الاطلس المتوسط والسهول الغربية ، وآل المنظري فى تطوان ، والثائر الخضر غيلان فى بلاد الهبط ، وابي حسون السملالي فى سوس ، فكانت نتائج محاولات امحمد الشريف العلوي فى توحيد درعة وتافيلالت تحت سلطانه كما ان ظهور الرشيد بن الشريف بناحية تازا جعله يسيطر على منطقة نفوذ الدلائيين ، ثم يستولي على تافيلالت ودرعة ثم الاطلس المتوسط ثم على سوس ، وبذلك أتم رضي الله عنه اعادة الوحدة الجامعة للمغرب وأذكى نهضة البلاد بالعلم النافع ، والعمل المنتج ، والقوة المحركة ... ثم توالت الانتصارات تتقدم وتتوالى فى مواكب النصر ، حفاقة الرايات والبنود، تنشد أغاني الشرف ، وأهازيج الحمية مما جعل الشعب قوة معدة للنصر ، مسدودة الاصابة، مهيأة للنضال ...

لقد كانت الدولة العلوية الشريفة لا تخرج ظافرة من معركة الا ابتلتها الاقدار بمعركة أخرى .. وقد كتب الله لها البقاء والاستمرار ، وعقد لها ألوية النصر المؤزر على جميع القوى التى تصدت لها ، واعترضت طريقها حتى انكشف للجميع، ولمن كانت أعينهم فى غطاء ، من هو شر مكانا وأضعف جندا ... فكانت بذلك آية الآيات فى معانقة الاحداث ، ومجالدة الدهر ، ومقارعة الخطوب ...

فاذا لم يومن اليوم بهذا الجهاد انسان ، وتنكر له جاحد ، وغفل عنه لاه ، واستخف به جاهل عنيد ، واستهان به أحمق مافون ...

فباي حديث بعد الله وآياته يومنون ؟

— * —

ان دولة ، كالدولة العلوية الشريفة ، تنهض بهذه الاعباء الجسام ،ويختارها القدر فى فترة عسيرة من حياة الشعوب المستضعفة حيث الاستعمار الكافر فى عز سلطانه ، والاحتلال الاجنبي فى قمة جبروته ، وهو الداء الدوي ، والعلة الفادحة ، والشعوب الاسلامية مضغوطة مكظومة تجأر بالشكوى وتئن تحت ضربات الظلم ، وتستسلم الواحدة تلو الاخرى ، وهي تقاوم فى صبر ومصابرة ، ومقارعة ونضال ، متمردة على الضيم متعنتة على الاحداث ، لهي دولة خليقة بان يسلس لها القياد ، لانها تدبر شؤون الامة ، ومشاكل المجتمع ، رغم صعوبة المسلك، ووعورة الطريق ، بيد حكيمة ، وارادة حازمة ، ورأي موفق ، لها من عناصر البقاء، وحيوية الصمود ما يكفل لها تحقيق ما تصبو اليه الامة من عز ومجد وخلود ...

وان من دلائل عناصر الحياة والاستمرار، والبقاء والاستقرار فى دولة من الدول فى خضم من الاحداث والمشاكل تقتضيها سنة الحياة ويستلزمها ناموس التطور ، فتخوضها فى ثبات وحزم ، وتخطيط ونظام حتى تخرج منها ، وقد تكللت جهودها بالنجاح ، واسفر الكفاح والنضال عن وجه الفوز والفلاح ...

ان القيادة المؤمنة ، والزعامة الرشيدة ، كالحقيقة الناصعة ، فى حاجة أكيدة الى من يؤمن بها، ويعتنقها، ويدافع عنها، ويناضل دونها، ويستميت فى الذب عنها كحاجتها ، أيضا ، الى من ينكرها ويحاربها ويجحدها ، ويتنكر لها ، فهي بأحدهما تثبت وجودها ، وبالاخرى تثبت قدرتها على الوجود والاستمرار ...

فلا غرو اذا راينا الشعب المغربي على اختلاف طبقاته وفئاته ، ونزعاته وميوله يتجه دائما بابصاره الى ملوك هذه الدولة العلوية الشريفة فى مختلف الظروف

والاحداث والملمات والازمات ، فيتبعها عن طواعية واختيار ، ويتأسى بها ، ويمنحها الطاعة على المنشط والمكره ، وينصاع لامرها ، وينزل على حكمها لانه يجد فيها أداة للانصاف ، وعضدا للحق ، وسندا للعدل ، وسبيلا الى المواساة ...

ان العرش المغربي كان دائما ، فى مركز القيادة والريادة معبرا عن ضمير الامة ، ومعربا عن شعورها ، ومنفذا لرغباتها وتطلعاتها واشواقها ، عالما بمواقع الخير منها ، وفاهما لمعنى المجتمع الحديث الذى تعيشه حيث الخواطر مشتركة، والدواعي مستوية ، والنوازع متآزرة ...

خاض كل المعارك ، فانتصر ، وضحى فى سبيل تحقيق السعادة والسيادة للشعب ، فاستجاب له القدر ، وقاد حروبا ضارية مومنة فى مختلف الواجهات ، ومختلف الازمان والازمات ، فنال منتهى الفوز والظفر ...

— * —

وان كفاح العرش المغربي فى سبيل اسعاف الامة المغربية واسعادها حافل بالامجاد والفخار مليء بالمكرمات والبطولات يحفى القلم دون توفيته بعض حقه ، وتضيق مجالات التعبير عن تصوير شطر من حقيقته ، ويكفي أن يستعرض المرء ما قام به أبو النهضة المغربية مولانا محمد الخامس ، افاض الله عليه سجال رحمته ، من جهاد ونضال ، ومواقف حاسمة خالدة ذكرتنا بالاحتمال والصبر الجميل الذى نعت به عظماء الرجال ، ووصف به أولو العزم من الرسل ، فادركت امته ما سعت اليه ، وحققت ما املت ، وفرضت ارادتها على التاريخ ، فعاد من منفاه السحيق ، وبيده الكريمة استقلالها الناجز ، وحريتها السليبة ، وكرامتها المغصوبة ، وعزها المفقود ...

— * —

ولئن كان وارث سره، وولي عهده اذ ذاك بجانبه يشد ازره ، ويشركه فى امره، فهو اليوم يتمم الصرح العظيم، والمجد الاثيل فى تاريخ الوطن المحبوب، فيعلنها فى سنتنا هذه حربا عوانا ضد التخلف والجهل والفقر ، والمخلفات والمركبات والمكبوتات لبناء مجتمع سليم ، وتأسيس مدينة فاضلة فى اطار بعث اسلامي صحيح يقوم على الدين واللغة والعادات المغربية الاسلامية الصحيحة ...

فقد تعهد صاحب الجلالة ، باحاطة واسعة ، وثقافة شاملة ، وادراك قوي ، منابت الثقافة فغذاها بعونه، وارفدها بماله، وبسط رعايته ومؤازرته للنهوض بها، حيث دعا امته، حفظه الله، فى خطابه السامي لعيد الشباب الى تغيير ما بالنفس، وتوجيه الفكر والروح الى القيم العليا والمثل الانسانية الخالدة ، لان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .

وان نفوسنا ستتغير ، وعقولنا ستتجدد ، ونهضتنا ستقوم بفضل همة الملك الشهم الذى يسير فى الخط الاسلامي على النهج الواضح، والعمل الصالح ، والوحدة الجامعة ... وستبلغ هذه الامة الراقية الواعية ، باذن الله ، الى ما قدر لها من الكمال .. لان البناء على غير اساس لا يقوم، والاصلاح بغير ايمان لا يدوم ، والتوفيق بدون عون من الله يأتي بالرزايا من وجوه المكاسب ..

فالصدور باعجازها .. والاعمال بخواتيمها ...

فكل مطلب نادت به الامة ، واستقر فى ضمير الشعب ، وتطلعت اليه الجماعة الا وكان الرائد الاول جلالة الحسن الثاني

هو الباعث عليه ، والمحرك له ، والداعي اليه في الوقت الذى يكون الناس يخوضون في حديث غيره يشتغلون في معارك جانبية ليس لها مساس مما يبدعه نشاط الامة ، ويحققه خيالها ، وتقتضيه مصلحتها ، ويستلزمه تطورها وتقدمها ....

— * —

لقد ارسلها صرخة مدوية ، حفظه الله ، في خطابه السامي الذى دعا فيه الى بعث اسلامي ، استجاب لها المؤمنون الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، ووقعت كالماء العذب القراح من ذي الغلة الصادي حيث وجه، حفظه الله، الامة الى تلقين ابنائها لغتهم العربية حتى لا يتبرأوا من سلفهم ، وينسلخوا من تاريخهم ، ويتحللوا من قيمهم وتعاليمهم ، لانه « اذا كان من الشعب التراخي والاهمال ، وترك اللغة للطبيعة السوقية ، واصفار امرها ، وتهوين خطرها ، وايثار غيرها بالحب والاكبار، فهذا شعب خادم لا مخدوم ، تابع لا متبوع ، ضعيف عن تكليف السيادة ، لا يطيق ان يحمل عظمة ميراثه ، مجتزيء ببعض حقه ، مكتف بضرورات العيش ، يوضع لحكمه القانون الذي أكثره للحرمان ، وأقله للفائدة التي هي كالحرمان (*) » .

يقول صاحب الجلالة الحسن الثاني نصره الله وايده في ذلك الخطاب الذى القاه في هدوء قوي ، وايمان صادق ، وتوجيه سليم ووجهه للشباب في أعياد الشباب :

« وانه ليس من الضروري ان يتحدث الاب مع ابنه او ابنته بلغة اجنبية عوض اللغة العربية ، من الضروري ان الاولاد والبنات لا يرتدون يوم الجمعة الزي التقليدي ، ولا يذهب الابن مع ابيه الى المسجد لاداء الصلاة ، وان تساعد البنت امها في البيت ، او تؤدي الصلاة بجانبها ، اللهم اذا قررنا ان نعيش كاولئك الملفقين : تعبيرنا اوربي .. تفكيرنا ليس مغربيا ولا اسلاميا ، لباسنا ناقص ، وأخيرا يوم نتزوج ونلد .. نلد خليطا لا يمكن ان يعيش في مجتمع منظم ، ولا يمكن أن يعيش الا في مجتمع فوضوي ...

اين ابن رشد ؟ والغزالي ؟ وأبو حيان التوحيدي ؟ هؤلاء المفكرون ؟ اننا نجدهم غير معروفين .. فجميع الافكار — كما نعتقد — تأتينا عن طريق الغرب ، فالافكار كلها .. والتفكير لا يمكن التعبير عنه الا بلغة أجنبية .. كأن الفلسفة والمذاهب ما هي الا وليدة اللغة الاجنبية ..

وفي الحقيقة نحن نحفر قبورنا وقبور اللغة العربية والمدنية الاسلامية بايدينا » .

كلمات حية صافية ، ونطق ملكي سليم نابع من ايمان صادق ، وحب في الشعب ومقدساته مكين ، اذ صادق الحب يملي صادق الكلم ..

هذا مثال واحد من الف ، وعمل رائع وطني مخلص مما يجلي به سيد البلاد ، ويصدع به ، ويعلن عنه ، ويجتهد فيه في غير ما مناسبة ، وفي كثير من خطبه وتوجيهاته بدافع من نفسه ، وباعث من شعوره ، لايقاظ الخامل ، وتنبيه الراقد ، وتحذير الامة من الوقوع في شرك العبودية ، وخطر المسخ والانحلال والضلال ..

— * —

(*) مصطفى صادق الرافعي

وانا من شدة الثقة بالمستقبل ، وقوة الرجاء في الله لنجدد العهد ونؤكده للعرش المغربي ، ونمد قلوبنا وارواحنا لسيد البلاد العالم العامل الكفء ، ونسأل الله العلي القدير أن يؤكد له من اسباب التوفيق والنجاح ، ويعقد له ألوية الظفر والنصر حتى تصدق الاماني ، وتتحقق الظنون ، ويطيل عمره في سبيل تحقيق الخير المحض والكمال المطلق ، وتوحيد الامة ، وضم شتاتها حتى يوقظ الضمائر الغافلة ، ويؤلف القلوب النافرة ، ويستخدم الكفايات العاطلة ، فانه حفظه الله ضمان لهذا الوطن المحبوب ، تتجسم فيه آمال المواطنين وأمانيهم ، وحصن حصين للدفاع عن كرامة الامة ومقدساتها ، والذياد عن وحدتها وصيانتها من العبث والتضليل ، والتخريب ، والتخدير ، وسوء المنقلب ومغبة المصير ...

— * —

ان العرش المغربي كان وسيظل بؤرة لامه تجذب القلوب المؤمنة الصادقة من مختلف الجهات ، ونقطة تجميع موحدة لسائر الطبقات والفئات، ومنارة وضوى تهدي الحائرين المعذبين المكدودين في دجنة الليالي الحالكات .

— * —

فاذا ما احتفل الشعب المغربي في يوم جلوسك ، يا مولاي ، على عرش اسلافك المنعمين الامجاد ، وبكر يفصح عن وجدانه وشعوره في هيام غالب ، وطرب نزوع ، واندفع كالسيل الهادر الى التعبير عن السرور العريض ، والهتاف العالي ، والتصفيق المدوي ، والفرحة الكبرى ، فهو يوم الشعور الواحد في نفوس الجماعة ، وضمير الامة والكلمة الواحدة في ألسنة الجميع :

لأنك جانب القسطاس منها
فتمنع جانبيها أن يميلا (*)

ابقاك الله واعزك ، وأطال عمرك وايدك وحفظك في ولي عهدك المحبوب ، وفي أمتك الوفية ، وشعبك الباسل البطل ...

وسلام عليكم بما تقومون به من جهاد ونضال ، وتضحية وكفاح ، وصبر جميل لا شكاية معه ...

وحيا الله جهودكم الموفقة ، ونضالكم المؤزر ، وعملكم المتصل ، وتطور بلادكم المستمر ، وحركتكم السريعة ...

وسلام عليكم بما صبرتم ...

فنعم أجر العاملين ...

دعوة الحق

(*) النابغة الذبياني

خطاب صاحب الجلالة مولانا الحسن الثاني حول التعليم الاصيلي

التعليم الأصيل .. هو التعليم الأساسي

ترأس صاحب الجلالة مولانا الحسن الثاني نصره الله وأيده في يوم الخميس السادس من ذي الحجة عام 1392 الموافق 11 يناير 1973 بالديوان الملكي جلسة عمل خصصت لدراسة وضعية التعليم الاصيل ...

وحضر هذا الاجتماع الوزير الاول السيد أحمد عصمان ، ووزير الدولة الحاج امحمد ابا حنيني ، ووزير الداخلية الدكتور محمد بنهيمة ، ووزير الاوقاف والشؤون الاسلامية والثقافة الشيخ محمد المكي الناصري ، ووزير التربية الوطنية السيد محمد حدو الشيكر ، ووزير الانباء السيد أحمد مجيد بن جلون ، ووزير المالية السيد بنسالم جسوس ، ووزير الشؤون الادارية الامين العام للحكومة السيد عباس القيسي ، والوزير المشرف على تربية صاحب السمو الملكي ولي العهد السيد محمد عواد ، ومدير الديوان الملكي السيد الداي ولد سيدي بابا ، وكاتب الدولة في التعليم العالي ، وكاتب الدولة في التعليم الابتدائي والثانوي ...

كما حضر هذا الاجتماع عدة شخصيات مرموقة في ميدان التعليم والفكر والثقافة ، وهم السادة : علال الفاسي والاستاذ العميد الرحالي الفاروقي عميد كلية اللغة بمراكش ، ورئيس المجلس العلمي بمدينة مراكش ، ومولاي مصطفى العلوي مدير دار الحديث الحسنية ، والحاج أحمد بنشقرون عضو المجلس العلمي ، ونائب عميد كلية الشريعة بفاس ، ومولاي عبد السلام لمراني رئيس المجلس العلمي بمدينة مكناس ، وعبد الله البقالي المكلف بادارة كلية أصول الدين بتطوان ، والدكتور عبد الله العمراني استاذ بكلية أصول الدين بتطوان ، ومحمد الطنجي نائبا للامين العام لرابطة العلماء ، ومحمد عبد العالي المتوني مدير ثانوية بن يوسف ، ومولاي سعيد العلوي أستاذ بمعهد تارودانت .

والقى صاحب الجلالة في هذه الجلسة التاريخية كلمة توجيهية سامية فقد غير حفظه الله اسم التعليم الاصلي الى الاصيل ، نظرا للاسس الحضارية والثقافية والمقومات الروحية التي طبعت المغرب منذ ان حباه الله بهذا الدين الحنيف ، والثقافة الاسلامية المجيدة القائمة على الكتاب والسنة .. وتناول الكلمة اثرها كل من الاستاذين الرحالي الفاروقي وعلال الفاسي فشكرا صاحب الجلالة على اعتباره وتقديره ورعايته للتعليم الاصلي وحرصه على ان يحتل هذا التعليم المكانة اللائقة بـه .

قال صاحب الجلالة في خطابه السامي :

« ايها السادة :

انا حين كنا نخطط تخطيطاتنا الاقتصادية والاجتماعية والتعليمية لم نكن بغافلين عما يرجع من نصيب وافر في هذا التخطيط للتعليم الاصيل ولا اقول الاصلي واريد ان اسميه بالتعليم الاصيل ، ذلك ان الاصلي يمكنه الا يبقى اصيلا ، ولكن الاصيل يمكنه أن يتمتع بجميع الصفات ، الماضي منها والحاضر ، اعتبارا منا من مخططنا الاقتصادي والاجتماعي لا يمكنه ان يعطي نتائجه ولا يمكن ان يدر علينا بالخير اذا كانت تلك المخططات في مجتمع يتنكر للبيئة المغربية وللاصالة المغربية .

فاللغة العربية لم تصبح لغة عالمية الا بعد ان تعلم العلماء العرب اللغات الاجنبية التى بها ترجموا الى العربية كتب الفلاسفة والمهندسين والحيسوبيين والاطباء الروم منهم والفرس واليونان وما أشبه ذلك .

فاذن نرى ان اللغة العربية لم تكتف بأن تعيش منطوية على قرائها بل لم تتمكن من أن تغزو كأداة للغزو حتى قبلت أن تتعامل وتساير حضارات ولغات اخرى ونحن اذ نريد ان ترجع الى الاصل وخلق علماء. علماء بكل معنى الكلمة نريد أن نجعل من علمائنا علماء مشاركين سواء فى ميدان اللغة العربية أو الشريعة او الآداب ولكن مشاركين كذلك حتى فى المعمعة العالمية التى يخوضها العالم بجانبكم حتى لا يبقوا جانبيين عنا .

ونحن نعلم كلنا ان هذه البيئة وهذه الامة لم تكن قط أمة ولا دولة الا منذ أن دخلها الاسلام ومنذ ان استعملت العربية واللغة العربية كأداة للتعامل بينها وللاشعاع خارج حدودها ولكن علينا أن نرجع الى تلك اللغة العربية ولنرى كيف تمكنت من تلك الوثبة العجيبة التاريخية التى كادت تسمى بولية أسطورية حتى نراها وصلت الى تفر تفتحاتها هي وحدها لم تلتجيء فى ذلك الى جنود مجندة ولا الى جيوش مجيشة ، بل وصلتها وفتحتها وبقيت فيها متمكنة بما اتت به من نتاج ومن تلقيح ومن ابداع .

لذا ارتأينا ان نضع لجنة ترأسها وزير الدولة الحاج امحمد ابا حنيني وكانت تشتمل على وزارة التعليم ووزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية وبعض الموظفين السامين ، ومن لهم خبرة بمشاكل التعليم ومشاكل الثقافة واعطينا الى هذه اللجنة تعليماتنا المدققة حتى يمكنها أن تبرز للوجود برنامجا منسقا منطقيا يفتح أمام كل من اتبعه منافذ شتى لا يمكن أن تكون منافذ للترفيه ولا منافذ هدايا ، ولكن المنافذ التي نحن فى أمس الحاجة اليها وذلك بأن قررنا أن يكون التعليم الاصيل هو التعليم الاساسي لكل مغربي. فاذا أراد أي تلميذ من التلاميذ بعد أن يجتاز مرحلة الشهادة الابتدائية ان يختار الشعبة العلمية مثلا بقيت له ولا بد حصة مهمة جدا الى البكالوريا من العربية.

وهكذا سيمكننا أن نخرج فى المرحلة الاولى أطباء ومهندسين وعلماء فى الرياضيات مطلعين تمام الاطلاع باللغة العربية وفنونها ونحوها واشتقاقها وصرفها والمنقول منها ، ولكن اذا اختار الشعبة الشرعية ، ذلك ان العالم لا بد أن يكون مشاركا فى الشريعة والادب ، واذا هو اختار الشعبة الاصيلة تمكن من ان يتابع دراسته بلغة أجنبية ، ولكن يكون الحظ الاوفر فى دراسته هي اللغة العربية وتكون هذه اللغة هي الاساس .

وهكذا وعلى هذه المرحلة يجتاز البكالوريا المغربية عربية معربة ويلج اذ ذاك الجامعة ويمكنه ان يصبح أستاذا او قاضيا أو محاميا او رجلا يمكنه ان يضطلع بالمهام التى ستخوله تلك الامتحانات او الشهادات التى يكون قد مر بها ولكن هذا اساسا يتطلب أن يكون التعليم الابتدائي تعليما موجها توجيها كيفما كانت الشعبة التى سيختارها التلميذ توجيها عربيا مسلما بحيث لا يمكن ان نتصور أن عالما او أستاذا فى كلية الشريعة او أستاذا فى الحقوق أو قاضيا أنه لا يحفظ القرآن عن ظهر قلب ولا يحفظ المتوازن التى لا مجال له من الرجوع اليها ، ومن الاستدلاء بها ، هذه بعض النظريات وبعض المعالم التى أردنا أن نبرزها في البرنامج الذى وضعناه ، فنحن مصممون العزم على ان نفتح باب الانجاز فى أقرب وقت ممكن ذلك لترميم ما وجب ترميمه من ثانويات وكليات وداخليات . ومن احداث وانشاء ما وجب انشاؤه فى بعض المراكز التى لا تتوفر على هذه المعاهد الاصيلة التى يمكن أن يعم المغرب وتكون شاملة للبقاع المغربية .

وقد أعطينا الى وزرائنا المكلفين بهذه المأمورية الامر ليطلعوكم على جميع المراحل التى سوف يمر بها هذا التخطيط وحتى يعطوكم جميع الايضاحات حول ما يمكن ان يشكل عليكم وحتى يمكن ان يعطوكم جميع التقنينات فيما يخص المال الصالح الاصلح الذى نريد ان يكون مثال هذه الحركة التى نود ان تكون حركة مباركة حيث أنها مبنية على لغة الضاد ولغة القرآن ، وحيث أن أساسها هو اشعاع الاسلام واعطاء الحضارة الاسلامية مكانها المرموق فى هذا الوقت الذى ستجد البشرية نفسها أحوج مما تكون اليه الى اشعاع روحي .

ولنا اليقين لا لاننا مسلمون ولكن لاننا موضوعيون ولاننا نفكر ونقارن ، لنا اليقين بان

الشبيبة العالمية لا المغربيـة ولا الاسلاميـة فحسب ولكن العالمية سوف تجد فى الاسلام والا لم تعتنقه كديانة تلك الشبيبة العالمية ، سوف تجد فيه اذا هو وضح لها وفسر لها مجالا للتفكير واسعة ، ذلك ان الاسلام هو الديانة الوحيدة الذى ترك يد الاجتهاد مفتوحة وهو الذى يطابق ويلائم كل عصر من العصور التى مرت بها البشرية فى تاريخها ، فالدين يسـر وليس بعسر ، والافتاء واسع ، والاجتهاد مفتوح .

ولي اليقين اننا سنعلن كلمة الاسلام والحضارة الاسلامية اذا نحن جعلنا تلك الحضارة وتلك التعاليم فى متناول الجميع .

فيمكن للبعض ان يقول ان هذه الخطوة ليست كافية فلابد من خطوات أخرى .. نعم .. الحيـاة كلها مسيرة مستمرة ، فكل خطوة لا بد ان تتلوهـا خطوة ولكن المهـم هو أن يخطـو الانسـان الخطـوة الاولى واساس هذا كله يرجع قبل كل شيء

وفى الاخيـر اليكم والى اخوانكـم من رجـال التعليم فكيفما كانت البرامج والحصص اذا لم نجد اساتذة اكفاء ولم نهيىء برامج مدققة ولم نجد من يلقن سوف تكون عمليتنـا هذه عمليـة منقوصـة مبتورة .

فعليكم اذن أن تدلونـا على أحسن المناهـج والبرامج وتدلونا على أحسن الاساتذة ، وعلينا نحـن ان نكون فى أقرب وقت ممكـن اكثـر ما يمكـن من الاساتذة وحتى اذا لم نجد الاساتذة اللازمين اذا نحن وضعنا برامج وحددنا كتبا تمكنا اذ ذاك وسهل علينا أن نستدعي الاساتذة من الخارج حيث أنهم سيكونون مدرسين بلغة يعرفونها بالطبع ولكن مدرسيـن فـى اطار محدود الا وهو الاطار الذى يكون قد وضعتـه الامة المغربية والدولـة المغربية ، اطـار يتناسب مع حاضرها ، وعلى مطمـح مستقبلهـا ومـع حقيقتها وكيانها .

واملنا فى الله سبحانـه وتعالـى ان تسيـر اعمالكم سيرا عاجلا ، لا مستعجلا ، ولكن عاجـلا حتى يمكننا ان نخطو الخطوة الاولى ، ونتبع هـذه الخطوة بخطوات وخطوات ان شاء الله .

اعانكم الله وسدد خطاكم .





للأستاذ عبد الله كنون



نادى جلالة الملك المعظم الحسن الثاني نصره الله ، في الخطاب الذى القاه بمناسبة عيد الشباب ، بجعل هذه السنة سنة بعث اسلامي في المملكة ، وقد هلل الناس وكبروا لهذه البادرة الحسنة التى صدرت من جلالته بالمناسبة المذكورة ، لانها جاءت في الابان ، ولان الميادين الاخرى في اعتقاد المومنين ، قد نالت حظها من العناية والاهتمام ، فالتنمية الاقتصادية قد ظفرت بحصة الاسد ، والتعليم لم يقصر عنها ، وكذلك العدل والشؤون الاجتماعية والبناء والتعمير والمواصلات وغيرها ، كلها حظيت من الدولة بمزيد الرعاية ، الا الناحية الروحية ، فان الناس كانوا يؤكلون فيها الى ايمانهم ، وان لم تهمل الحياة الدينية قط ، اذا نظرنا الى قيام الاوقاف بواجبها وفى حدود ممكناتها ، ازاء الموظفين الدينيين واماكن العبادة القائمة والتى تنشأ من جديد .

لكن المطلوب هو هيمنة الدولة على العمل الاسلامي بتنشيطه ، واظهار الشعائر الدينية بايجاب مباشرتها من طرف المسؤولين وعليهم ، وحماية المجتمع من الموبقات التى تهى الشرع عنها بزجر المرتكبين لها وخاصة المجاهرين بها ، ولاسيما ان كانوا متولين ، وتربية الناشئة على العقيدة الصحيحة ، والاخلاق الفاضلة ، وتعظيم حرمات الله ، والضرب على ايدي المفسدين ، ومن يفتنون الناس عن دينهم ويشككونهم فى مقدساتهم ، من دعاة الالحاد ، والمروجين للمبادىء الهدامة ، والمبشرين بالمسيحية المستغلين لسذاجة العوام والاطفال والنساء والطبقات الفقيرة من الشعب ، ومحاربة جميع انواع الضلال سواء منها المستوردة من الخارج او المتوطنة ، كتبرج

النساء وهذه الانواع الفاضحة من اللباس ، وتبذل الشباب وارسال الشعور على طريقة الهيبيين ، وكبدع الطوائف المشوهة لسمعة الاسلام من عيساوة وحمادشة وما ماثلها ، وهذه البهلوانيات المسماة بالفولكلور التي يختلط فيها الرجال بالنساء على اوضاع من الرقص والخلاعة تحرمها الشريعة الاسلامية تحريما باتا ، واخيرا منع القمار بجميع انواعه على الكبار والصغار ومنع الخمر على المسلمين بيعا وتعاطيا لها واحرى مناولتها فى الحفلات الرسمية ولو لغير المسلمين .

ان هذه امثلة فقط مما ينتظره الناس ، لتحقيق البعث الاسلامي الذي امر ملك البلاد ان تكون هذه السنة ، سنته ، والذى ينتظر حماة صادقة وتصميما محكما كالحملات والتصاميم التى وضعت ونفذت فى الميادين الاخرى التى المعنا اليها سابقا . ومن فهم البعث الاسلامي كلاما وخطبا وافكارا شخصية او منقولة من مذاهب وايديولوجيات اجنبية ، كبعض الشباب او القادة الذين يمالئونهم فقد اشتبه عليه الامر وضل واضل .

وبعبارة اوضح ان البعث الاسلامي هو التجديد الذى بشر النبي (ص) بوقوعه كلما ضعف امر الدين وانتكث حبله وزاغ اتباعه عن الصراط المستقيم، وذلك فى حديثه المشهور ان الله يبعث لهذه الامة على راس كل مائة سنة من يجدد لها امر دينها .. ويفهم بعضهم من التجديد ابطال بعض الاحكام وتعطيل بعض الشعائر ، وهو فهم اضل من الفهم الذي الصقوه بالبعث الاسلامي ، فالتجديد باختصار وبدليل شرعي هو ما يفسره احسن تفسير الحديث الشريف الذى يقول : يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ، ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتاويل الجاهلين » وهذا فى الناحية العقائدية والتعليمية ، وفى الناحية العملية هو ما عناه الخليفة الراشد عثمان بن عفان (ض) بقوله السائر : انما يزع الله بالسلطان اكثر مما يزع بالقرآن . ولا يحتمل المقام بيانا اكثر لكل من الحديث وهذا الاثر ، لئلا يسترسل بنا الكلام ونخرج عن الموضوع .

وما نريد ان نقوله هو انه من عجيب الاتفاق تلاقي دعوة جلالة الملك الحسن الثاني الى البعث الاسلامي ، ودعوة جده المولى الحسن الاول ، منذ ما يقرب من قرن ، اي فى نهاية القرن الثالث عشر الهجري ، الى البعث والتجديد للدعوة الاسلامية وعزائم الدين واحكام الشريعة المطهرة والتمسك بالكتاب والسنه والعض عليهما بالنواجذ والتحذير من البدع والمحدثات ، والنواهي والمنكرات ، انطلاقا من حديث التجديد المذكور آنفا .. وذلك فى رسالة عظيمة وجهها الى رعاياه بل الى المسلمين كافة ، واستوعب فيها كل الاوامر والنواهي ومحض النصح لكل مسلم مسلم بما طوقه الله من مسؤولية عظمى وما اوجبه على اتباع هذا الدين الحنيف من النصيحة لخاصة المسلمين وعامتهم .

وهذه الرسالة فى نظرنا يصح أن تكون منطلقا للبعث الذى امر به جلالة الملك حفظه الله ، ودستورا عاما للحركة الاسلامية التى يجب القيام بها فى هذا العصر الذي هوجم فيه الاسلام وغزى فى عقر داره، وفتن المسلمون عن دينهم وتحير الحماة والغير (ضمتين) فى كيفية الدفاع عنه ، وتخبط بعضهم فتبنوا الافكار والمذاهب المستوردة والبسوها لباس الاسلام ليستميلوا الشباب ويرضوا اصحابها ، مع ان الامر اهون من كل ذلك والمحجة بيضاء والدليل قائم ، ولن يصلح آخر هذه الامة الا بما صلح به اولها . فلننظر فى فصول هذه الرسالة ولنتخذها علما من اعلام الطريق ، ومنارا يهتدى به من يريد الاصلاح والبعث الحقيقي للاسلام ، لانها كلها مستمدة من المنبع الصافي الذى لم تعكره فلسفة مادية ولا اديولوجية ملحدة ، وانما هو الوحي والتنزيل والكتاب الذى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والسنة المبينة له المروية عن الصادق المصدوق عليه السلام .

ولما كانت هذه الرسالة العظيمة تستغرق ست عشرة صفحة من الجزء الثاني من تاريخ مكناس للمولى عبد الرحمان بن زيدان ، ولا يمكن تتبع محتويات فصولها لطولها ، فاننا انما نلم الماما خفيفا بهذه الفصول، محيلين من يهمه الامر الى مراجعتها فى الكتاب المذكور .

وهذا نص ما مهد به لها :

« وفى هذه السنة التى هي راس المائة ، وجد صاحب الترجمة رسالة جامعة مشتملة على كثير من المواعظ والاوامر والنواهي والنصائح لجميع بلاد المغرب واشار الى المجدد فى صدرها ونصها بعد البسملة والصلاة » :

(هذه وصية مؤسسة على قواعد شرعية ، ونصيحة دينية ، للولاة والرعية ، صدرت من عبد الله الموفق بفضل الله ، المتوكل عليه في سره ونجواه ، امير المومنين ابن امير المومنين ، (ثم الطابع الشريف بداخله الحسن بن محمد بن عبد الرحمن الله وليه 1291) ايد الله ملكه ، واجرى في بحار اليمن والسعادة فلكه ، وجعل فيما يرضيه اوامره ، ونصر جنده وعساكره .

الى معاشر اهل الاسلام ، وامة النبي عليه الصلاة والسلام ، وفقكم الله وهداكم ، وبركوب سفينة الشريعة انجاكم ، وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

اما بعد فلتعلموا ايها المسلمون ان الله جل جلاله بمقتضى حكمته بعث النبيئين مبشرين ومنذرين ، وناط بهم احكام الشريعة ابلاغا وتبليغا وجعلهم توابا عن سيد المرسلين ، سيدنا ومولانا محمد لبنة التمام ، عليه الصلاة والسلام ، قال مولانا في محكم كتابه المبين : «واذ اخذ الله ميثاق النبيئين » الآية . وكما بعثه الله تبارك وتعالى قام بما حمله من اعباء الرسالة ، وبلغ ما امر بتبليغه وانقذ الامة من الضلالة ، الى ان صار الدين مشيد الذرى ، محكم العرى ، وتبوات خير امة من قصوره حصنا حصينا ، واثره نزل قوله تعالى : « اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا » .

ثم اقام الله من بعده الخلفاء ، والائمة المرضين الحنفاء ، فمهدوه تمهيدا ، وجددوه في كل عصر تجديدا ، واقتفى اثرهم امراء الاسلام السالكون نهجهم الاقوم في كل مقصد ومرام ، فنصحوا لله ولرسوله والمومنين ، وبذلوا مجهودهم في مرضاة رب العالمين ، فاقاموا شريعته حتى لمعت بوارقها ، وشيت باحياء مراسمها بعد ما شابت مفارقها ، الى ان صار الدين غضا طريا ، وقطوفه دانية بكرة وعشيا ، رحمهم الله . وهكذا على راس كل مائة يبعث الله لهذه الامة الاحمدية من يجدد معالم الدين ، ويصقل مرآته من صدا التعمق في بيداء المضلين .

وحيث كانت هذه السنة هي آخر المائة ، وتوفرت دواعي النصيحة بمفتتح راس المائة القابلة لهذه الفئة ، تعين لذلك تنبيه الغافلين وارشاد الضال ، عملا بما كان عليه السلف ، لتكون بعدهم لهم خير خلف ، واداء احق الواجب واخذا بطريق الامتثال ، فقد قال صلى الله عليه وسلم : (الدين النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المومنين وعامتهم .

وعليه فاعلموا ايها الناس ان اول ما يجب على المكلف المتمكن من النظر في الادلة ، معرفة ما يجب في حق الله وفي حق الرسل بالبراهين النقلية والعقلية ، ليخرج من ربقة التقليد ، ويشرق باطنه بانوار التوحيد) .

وبعد فذلكة في امر العقيدة مشتملة على آيات كريمة واحاديث شريفة ، تقول الرسالة :

(الركن الثاني اقامة الصلاة بالطهور واداؤها في وقتها كما امر الله ، اذ هي عماد الدين ، وعصام اليقين ..) الخ .

ثم تقول : (الركن الثالث من مباني الاسلام الزكاة ، وقد قرنها الله بالصلاة في آيات كثيرة ، والرسول في احاديث شهيرة ، فكما ان الصلاة طهرة الابدان ، فكذلك الزكاة طهرة الاموال ..) الخ .

ثم تقول : (الركن الرابع الصيام، الواجب على الانام ..) وتقول : (الركن الخامس حج بيت الله الحرام ...) وتقول اثر ذلك : (وقد كادت ان تترك هذه الدعائم، ولا يوجد سائل عنها ولا حائم ، ونبذت الشرائع عيانا ، وارتكبت البدع اعلانا ، وصار امرها يتزايد في كل حين ، والحق لا ناصر عليه يعين ، قال تعالى (فليحذر الذين يخالفون عن امره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم) . وقد ظهر في الناس من المخالفة لامر الله واتيان ما حرم الله والتفريط في جنب الله والاعراض عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يخشى معه من حلول عقاب الله ونقمته، لولا حلمه وعفوه وسابق رحمته قال تعالى « ولو يواخذ الله الناس بظلمهم » الآية .

ثم تحض الرسالة على التوبة والاستغفار والرجوع الى الله والعمل بالسنة واجتناب البدعة والتاكيد بالخصوص على الولاة بالاستقامة والنظر في مصالح الناس وتقول : « فليبدا العامل بنفسه فيصرفها عن هواها ، ويأمرها بما يامر به سواها ، ولا يمكن ممن يدعو الى طريق البر وهو عنه قد خرج، وانتصب لمعالجة غيره وهو الى من يعالجه احوج ، اذ

بصلاح الولاة تصلح الرعية ، وتستقيم احوالها فـي السـر والعلانية ...»

وبعد ان تشبع الرسالة الكلام فى الحض على العدل وذم الجور والظلم والاتيان بما ورد فيهما من وعد ووعيد ، تنتقل الى الكلام على الامر بالمعـروف والنهي عن المنكر فتقول : (واعلموا ان ما ينزل بنا من الشدائد والمصائب انما هو من عدم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وارتكاب الذنوب ، والاصرار على العيوب ...) ثم تتلخص لذكر بعض المنكرات فتذكر منها استعباد الاحرار وسلبهم حريتهم والتعامل بالربى وفشو الزنى وشرب الخمر ، وتأتي بما ورد فى ذلك من نصوص الشرع الزاجرة .

ثم تعود الى تذكير الولاة بواجباتهم ازاء الشعب ومنها الزام أهل القرى بتعليم اولادهم وتوظيف فقيه يرشدهم الى واجباتهم الدينية وتامين الطرق وضمان العيش الكريم للفقراء والمساكين والضرب على ايدي أهل الفساد ومعاقبة المقتالين النمامين والخائضيـن فيما لا يعنيهـم من الفضوليين والمشيعيـن للفتنـة والداعين للفوضى .

وتختم بالدعوة الى نشر العلم والحـض علـى طلبه ومحاربة الجهل والفساد ، والاستشهاد على هذه المطالب بماورد فيها من الآيات القرآنية والاحاديـث النبوية ، ثم تنتهي بهذه الجمل الدعائية : (الهمنـا الله واياكم الاعمال الصالحات ، وارشدنا لمناهـل الخيرات ، وجعلنا من الذين قالـوا ربنا الله ثـم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) .

هذه هي رسالة جلالة الحسن الاول الى شعبه فى شان تجديد امر الدين ، وما تضمنته من نصائح ومواعظ واوامر ونواهي ، اتينا على ما يشبه رؤوس الاقلام منها ، لنبين تلاقيها مع الدعوة الكريمة التى نادى بها حفيده وسميه جلالة الحسن الثاني فى هذه السنة لجعلها سنة بعث اسلامي ، وتحرك فى ميدان العمل لاحياء معالم الدين ، ونشر لواء الشريعة الخفاق على المسلمين ، والرجوع الى الله عز وجل بالتمسك لكتابه الحكيم وسنة نبيه (ص) لانقـاذ الامـة ممـا تتخبط فيه من ظلمات وشـرور ، وهدايتـها الـى طريق النجاح والفلاح ، فلا استقامة ولا استقرار الا فى ظل الحنيفية السمحة ، ولا نهوض ولا تقدم الا بالمحافظة على مقوماتنـا الروحية التى تدعم كيانتـنـا وتضمن وجودنـا وشخصيتنـا الاسلاميـة العربيـة المغربيـة .

ولذلك فان الاهتداء بهذه الرسالـة القيمـة والاستنارة بنبراسها والعمـل طبق ما تضمنتـه من وصايا ونصائح ، هو خير خطة تتبع للبعث الاسلامي الذى امر به جلالة الملك المعظم فى هذه السنة وفى السنوات التى تليها ، لانها خلاصة مركزة للتعاليـم السامية التى اتى بها الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم ، ومن ابتغى الهدى من غير هذه التعاليم فقد ضل ضلالا مبينا .

وما اجمل ان يتفق الحسنان ، الجد والحفيد ، على هذه الخطة الحسنة للبعث والتجديد فيتصـل الحاضر بالماضي ، ويقوم بناء هذه الامة على اساس متين من هدي الكتاب والسنة ، ويثبت للملا مـن الناس ما حبا الله به هذا البيت النبوي الشريف من حب الخير والنصيحـة والعمـل على ما يرضي الله ورسوله فى الشؤون الدينية والدنيوية على السواء، والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم .

طنجـة ــ عبـد الله كنـون



العرش والتعليم الديني الأصيل، القائم على حقائق التنزيل

للعميد الاستاذ الرحالي الفاروقي

منذ دخلت دعوة الاسلام هذه الديار المغربية عن طريق الانصار من ابناء العروبة الذين حملوا رسالة التوحيد، وشريعة الايمان التي لطفت شعور البرابر، واثرت فى الضمائر والبصائر، وجمعت بين العشائر والعناصر.

منذ ذلك الحين والمغرب يتبوأ مكانة الصدق بايمانه، ويرفع منارة الاسلام بايمانه، فيتفيأ فى ظلاله، ويتقلب في نعمائه، ويجاهد فى سبيله ويهتدي بنوره فى ظلام الجهل، ويحتمي بروحه من ظلال الكفر، وياخذ الحكمة من كتابه، وينهج نهج النبي وأصحابه، باستثناء بعض الهزات او بعض الفترات، التي لا تخلو منها اي دعوة من الدعوات.

وكان القرآن محفوظا فى صدورهم، ومتلوا بالسنتهم، يتدارسون آياته، ويتقاضون بعدالته، ويتجاوبون مع هدايته، وهو النبراس لحياتهم، والدليل لنهضتهم، والمستشار لسياستهم.

وكان عرش المغرب فى اي عصر من عصور تاريخه يتنقل بين الاكارم والاماجد الذين اخذوا بقوة كتاب الله، واقاموا بحق حدود الله، وخدموا بصدق سنة رسول الله، وربطوا حياة الدنيا بحياة الاخرى، واحتاطوا على المصالح الصغرى والكبرى، وعملوا على توحيد الشعب وتقوية الاواصر، وسجلوا بجهادهم الناطق المفاخر والمآثر.

وكانت الرابطة بين العرش والشعب من امتن الروابط واقوى الصلات التي تفرض الطاعة والاستجابة للامر بالمعروف، والعدالة فى الحكم والامانة فى التصرف، كما تفرض سياسة متناسبة ومتجاوبة — للتغلب على ما يحدث من المشاكل، وما يطرأ من الزلازل —، وليقوم الناس بفصل مشاكلهم، وحل معاضلهم، متجنبين مواضع النقص فى حياتهم، ومتباعدين عن الخطأ المتكرر فى تجاربهم، وبذلك كان الوضع سليما والاتجاه مستقيما تحظى فيه لغة القوم بالاهمية، والاسبقية فى المعارف الاسلامية، وفى المعارف الانسانية، وفى سائر المصالح الادارية، ويتحكم قانون الشريعة فى حياتهم ومراكز أمنهم، ومحاكم قضائهم، لان الشريعة من صميم العقيدة، التى تجعل الانسان متصلا بربه وقائما بحقه.

وكان التعليم الديني او التعليم الاصيل موضع همة وعناية عند جميع الذين اعتلوا منصة هذا العرش الكريم باعتباره حافظا للشرائع والمعتقدات، وجامعا للشمل والشتات، وداعيا الى كريم الصفات، فاجتمع الشعب المغربي على عرش الكتاب والسنة، واصطبغ بصبغة الله ومن احسن من الله صبغة ؟ واندفع فى حياته متعلقا بالعرش على هذا القياس لمعالجة السياسة والتربية، وشؤون الاجتماع والتنمية، فى اطار التعاطي للثقافات الحية، والتعرف على الحقائق العلمية.

ولكن لما مر الاستعمار المشئوم من هذا البلد المؤمن المسلم استبدل قيمه بقيمنا، وأوضاعه باوضاعنا، وما لبث ان استقبل حياة لا تمت بصلة الى حياتنا، فاستيقظ الشعب واتصل بعضه ببعض

وخاض معركة لا هوادة فيها ، وكان قائدها هو العرش ولما اشتدت المعركة وحمي الوطيس فر الاستعمار بباطله، ومضى الى سبيله ومركزه، بعد ان خلف من ورائه تركة سوداء ، اخذنا بها خطأ وغلطا ، او ضعفا وكسلا .

وعند ذلك بدانا ننحرف عن مادة الدين ، وجادة اليقين ، ووضعنا انفسنا موضع غيرنا ، ولبسنا جلدا ليس بجلدنا ، فضعفت المدرسة الاسلامية ، وظهرت المدرسة العصرية ، وتبدل العرف ، وساء السلوك ، واصبح بعض الشباب يشك في وجود الله وينسب الاحداث الى الطبيعة ، ونعق كل ناعق ببدعته ، وفتن كل فاتن بفتنته ، ولا ريب ان ذلك كان نتيجة حتمية لتنحية المدرسة الاسلامية عن الميدان ، والان وبعد ان تضعضعت المدرسة الاصلية وترعرعت الفلسفة الالحادية ، فهل الى خروج من هذه الازمة الخلقية ، والحيرة الفكرية ، والحريات الشنيعة ، والتيارات البشيعة التي تركت الحياة تتنافى مع اصلها ، وتتناقض في نفسها — فهل الى خروج من سبيل — وهذا سؤال يشغل بال كل متبصر ، يريد الخير للوطن الاسلامي المتحمس .

ويعلم الله ان العلاج من هذه المضايق يكمن — في العزيمة على الرجوع الى النظام الاسلامي وسلوكه الطيب الذي في امكانه ان ينقذ العالم باسره ، ويجعل الحياة تتفتح بين يديه ، من دون تشدد ولا ترخص ، ومن غير تكالب ولا تظالم من شانه ان يثير القلق والغضب — وفي بعث مدارس التعليم الاصيل الذي يعبر عن حقائق التنزيل ، واصلاح مناهجها وهياكلها ، وتجديد اساليبها ووسائلها ، لتمثل ما كان على حقيقته ، ولتشكل ما يكون على صورته ، ففي العودة الى ذلك المعين الصافي والنظام الكافي — استصلاح القلوب واستنقاذ الشعوب ، من دوافع الغرور ونوازع الشرور — وتقرير المصير باستقلال اللغة والتفكير — ورسم طريق النمو والنهوض ، وتخطيط المذهب في نطاق السمو والصعود .

والعقل الراجح يقضي ان يشمل الاصلاح الضروري سائر المعاهد والكليات كيفما كانت اختصاصاتها واتجاهاتها ، وما من شك ان العقل جعله الله للدين سنادا ، وللدنيا عمادا ، فاوجب سبحانه التكاليف بكماله ، وجعل الدنيا مدبرة باحكامه ، والعاقل اقرب الى الله من الجاهل وقد ثبت من حكم الله في كتابه انه يخلل الاحكام بالمواعظ الجليلة ، والوصايا الجميلة لتتعظ الامة وتحتل مقاما اعلى في حياتها ، وتنهض نهوضا سليما بطبيعتها .

على ان هذا التعليم من شانه ان يطلق الحركات ويشبع الرغبات في حدود ما يفتقر اليه الانسان من انواع التغذية اللازمة وذلك غذاء الروح وهو العمل الصالح وتقوى الله العظيم ، وغذاء الجسم وهو ما طاب وحل من النباتات والحيوانات ، وغذاء العقل وهو العلم والمعرفة بسائر وجوهها ، وهذا الغذاء الاخير مفضل على الغذائين الاولين اذ به تمهد الطريق اليهما ويقتدر المرء على اتقانهما والتمكن منهما ، فضلا عما يستفيده من رفعة الشان وحسن الحال ، في المبدا والمئال .

ومن المفيد ان نشير الى ان الدولة الاسلامية لا تصح نهضتها ولا يتم حظها الا اذا قامت على اساس العلم والدين الخالي من الخرافات ، والبدع والضلالات، ومن ثم نرى الملوك عامة وملوك الدولة العلوية خاصة يعقدون الضمائر على العناية بشؤون العلم والدين ويشجعون اهلها ويبشرون ، لمحاربة داء الجهل والشقاء ويصححون الاوضاع ويصلحون لاعداد حياة الخير والهناء ، وقد حفظ التاريخ ان مرابع العلم ومراجع الدين في دولة المولى اسماعيل كانت زاهرة ورائجة حتى ذهب الناس كل مذهب وقويت المدارك والمطالب واتضحت حجج العلم والدين اتضاحا ، وافتضحت شبهات الجهل والنفاق افتضاحا ، ومن هناك اتجه رحمه الله الى جمع النوادر والدفاتر ونسخها، وبذل كل نفيس بسخاء في تحصيلها، فكانت خزانته تضاهي خزانة بغداد او تزيد ، وكان لحفظة القرآن في عهده الشريف سنة خاصة يتميزون بها عن غيرهم ، وهي ان يركب كل من حذق القرآن فرسا في موكب تصحبه الموسيقى في الشوارع التي يقطعها ، وهذا من الهمة العالية بالتعليم الاسلامي الذي وطأ حياة المسلمين ، ورفع مقامهم في العالمين ، وحفظ اخلاقهم وافكارهم من غوائل الملحدين ، وطوائف المتمردين .

وكان اول من اسس نظام التعليم واحيا رواسم العلم ، وبين ما يدرس من الكتب والعلوم ، وحث على دراسة كتب الاقدمين لصحتها ووضوحها وقلة حشوها هو المولى محمد بن عبد الله العلوي ، فلقد اشتهر رحمه الله بذلك المنشور ، الذي نشره سنة 1203 ليطلع عليه الجمهور ، وكذلك المولى عبد الرحمن بن هشام الذي يعتبر المؤسس الثاني للنظام ، فقد اظهر رحمه

الله اهتماما بالغا فى اصلاح طريقة التعليم والتدريس، ورتب الدروس اليومية ، وعين الحصص الزمانيـــة ، وطلب الى المدرسين الاقتصار على البيان والافادة ، وما يحصل الملكة من دون زيادة ، واصدر فى ذلـك ظهيرا شريفا بتاريخ : 1261 .

وهذا مولانا الحسن الاول كان له ادراك خاص فى حركة التعليم وتشجيع اهله،واحياء معالمه وبعث آثاره، ومن ذلك انه كان يرتب عطاء خاصا لكل من يحفـظ مختصر الشيخ خليل المالكي فى الفقه رحمـــه الله ويمليه عن ظهر قلب علاوة على ادراجهم فى سلـك الطبقة الرابعة من العلماء ، كما كان يصدر الظهائــر الشريفة بالتوقير والتعظيم لمن يستحق ذلـك مـن الشرفاء والعلماء تقديرا لمناصبهم العلمية ومزاياهـم العلمية ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : انزلوا الناس منازلهـم .

وفى عهد المولى عبد العزيز كانت العناية بطلبة العلم قائمة ، وكان رحمه الله يوفر لهم ظروف الطلب والعمل ليقبلوا على تعاطي العلم بجد ونشاط ، وكان صحيح البخاري وشفاء القاضي عياض رحمهمـــا الله تعالى يدرسان كل يوم بالضريح الادريسي ويتولى ذلك جلة العلماء ممن يقع عليهم الاختيار .

وفى أيام المولى عبد الحفيظ ارتفع مقام العلم والعلماء ، واحيا رحمه الله ما كان مفقودا من الكتـب بالطبع ، وشجع العلماء على التأليف بالنفع .

ولما اعتلى العرش المولى يوسف بن الحسن توجهت همته الى اصلاح الحالة العلمية بالقرويين فعالجها ونظر فيها نظرا سديدا حيث وضع العلماء فى مراتبهـم ، وابعد الدخلاء عن مواضعهم ، وامر رحمه الله بانشاء مجلس تحسيني ينظر فيما تتحسن به حالة التدريس والتعليم من سائر الجهات التربوية والاقتصادية .

اما المولى محمد الخامس فقد ولى وجهه شطر هذا التعليم مومنا بالدين القويم والصراط المستقيم ، وجاريا على سنن اسلافه المتقين الذين اسسوا صروح المكارم ، وشيدوا المعاهد والمعالم ، ولكن كان نظره رحمه الله ادق ، وفكره اعمق ، اذ شمل الاصلاح كلا من جامع القرويين وجامع ابن يوسف ، ورسم بالظهير الشريف المطول كل ما هو ضروري من الاصلاحات ، وتناولت نصوصه جميع الصور والجزئيات ، فحصر المدرسين فى ثلاث طبقات ، ووضع المواد والكتـب وقرر الحصص والاوقات ، وحدد الرواتب والمراتب ووضح طريق الامتحانات ، واشار الى تركيب المجلس الاعلى ، ولجنة الامتحان ، وهيئة الاشراف ، وشروط الترشيح ، مما دل على عناية شاملة لشؤون التعليـم وظروف التدريس ، واعطى رحمه الله قيمة خاصـة لهذا التعليم وأشرف عليه بنفسه ، وحض على حفظ القرآن واستظهاره ، واكتساب الثقافـة العربيـة الاسلامية ، التي قوامها الكتاب والسنة النبوية .

ولقد راى القريب وسمع البعيد، ما حدث فى تاريخ المغرب الجديد ، من مكرمات ومعجزات بقيادة هذا الملك الصالح ، والامام الناصح ، قدس الله روحه، ونور بنوره ضريحه .

وانما اعدنا الى الذاكرة هذه المقتطفات التاريخية لنشير الى أن الدين الاسلامي فى هذا البلد لا يعدم من ينصره ولا من يبعثه اذا نابه ضعف أو أصابه حيف حسبما رمزنا الى ذلك فى سيـرة اولئـك الملـوك السابقيـن .

وهذا ملكنا الحالي امير المؤمنين مولانا الحسن الثاني الساهر على مصالح الدين والدنيا لما أحس وعلم ما اصاب هذا التعليم من الظلم والطغيان ، والغبـن والنقصان ، الذي منعه من متابعة رسالته ، وعاقه عن اداء مهمته ، وذلك بواسطة العلماء الذين جهروا بمـا بييت لهذا التعليم فى الخفاء ــ استدعى حفظـه الله جماعة منهم بتاريخ : 11 يناير سنة 1973 ــ للمذاكرة والمشاورة معهم فى هذا الشان ، ولاطلاعهم على مـا اتخذه من الاجراءات العاجلة ــ وبعدما عرض أعزه الله الخطة التي ارتآها للنهوض بهذا التعليم وتقوية مادته وتوسيع جهاته حفاظا على وجوده كأساس لتاريخ هذا البلد وحضارته ، وبعد ان اخبر انه سماه بالتعليـم الاصيل نظرا لاصالته الذاتية من حيث استمـداد مقوماته من الكتاب والسنة ــ امر باجتماع العلماء مع اللجنة التي عهد اليها بدراسة قضايا هذا التعليم ، والوقوف على مراكزه ومدارسه ، وتصنيف حاجاتـه وضرورياته ، ــ لمناقشة البرامج والمناهج الجديدة وما يتبعها من الاجهزة اللازمة ، والاطر الصالحـة ، وفعلا الفت اللجان لمتابعة عملها وتنسيق جهودهـا ، وهذا شيء تاريخي ينبغي ان يذكر ويشكر .

ونسال الله سبحانه ان يكتب لصاحب الجلالـة هذه المبرة فى ميزان حسناته ، وان يجعلهـا مـن محاسن ذخيرته ، وان يتمم هذه النعمة ، لتستقـر سياسة هذا التعليم وتزدهر تعاليمه ، وترتفع معالمه ، وانها لبشارة خير وبداءة عمل انجازا لما كان أعلن عنه

جلالته فى ذكرى عيد الشباب من أن هـــذه السنـــة ستكون سنة بعث اسلامي ، وان البرامج التربويـــة ستراجع على طريقة التعاليم الاسلامية ، واننا لننتظر كذلك أن ترجع الحياة الى مجراها الطبيعي ، ومستواها الانساني ـ وما ذلك ببعيد عن همة من يحسن التصرف بالثقافتين ، ويجمع فى الحياة بين النهضتين ، فنراه يشتغل بعمليات الـسدود ، لتطوير الارض وتوفيـــة الحظوظ ـ ويفتح الباب على مصراعيه للوفود ، لصالح التنمية وتقوية النفوذ ، كما نراه يرفع المساجد ويحدث بدار الحديث ، ويشيد للقوم مدارس العلم الحديث .

وان ملكا تحصن فكره وتصحح قصده ، وتمدد نفعه ، وجعله الله عمودا للاسلام لجدير ان يكون خير من يحفظ الرسالة ، ويضمن الاصالة ، ويدفع الضلالة، ويعيد للدين شبابه ، وللتعليم اعتباره ، ويوثق روافده، ويقوي شواهده ، وذلك فصل الخطاب ، وانما يتذكر اولوا الالباب ، والحمد لله فى الاول والآخر ، وهـــو سبحانه الاول والآخر .

مراكش : الرحالي الفاروق



صورة اللجنة المنظمة للحفلة الشعبية الكبرى التى اقيمت لاول مرة بمدينة مراكش احتفالا بعيد جلوس جلالة السلطان سيدي محمد بن يوسف رضي الله عنه على عرش آبائه الاشراف العلويين .



للدكتور عبد الهادي التازي

> مخطوطة فريدة فى العالم الاسلامي انتقلت من غرناطة الى فاس ثم تحولت فى ظروف غامضة الى بلاد الحرمين ومصر والشام وانتهت الى اسطامبول عاصمة العثمانيين ، ومنها اقتناها احد رجالات طرابلس الغرب حيث وصلت اخبارها الى السلطان العالم الواصل المولى سليمان الذي عهد الى سفير له خاص فى ليبيا باشترائها من الشيخ (بوطبل) ، وقد تم الشراء فعلا ولم يحل دون وصول المخطوطة للمولى سليمان الا نشوب حرب بين ولاة الجزائر وباي تونس حمودة باشا ... وكان آخر العهد بها افادة تؤكد انه انتهت لمكتبة واحة الجغبوب ... ولما سفرت لبلادي فى تلك الديار عقدت العزم على البحث عن الكتاب ... وقد وفقني الله لاكتشاف امره فاسهمت بذلك فى مجهود قام به سفير لنا سابق منذ زهاء قرنين من الزمان ...
>
> د. عبد الهادي التازي

حينما ظهرت بالمملكة المغربية نسخة من المجلد الاول الموافق للخمس الثاني من الاصل للجامع الصحيح للامام ابي عبد الله البخاري بخط يد الحافظ ابـي عمران موسى ابن سعادة الاندلسي ، اهتزت رحـاب المجالس الاكاديمية بالعمل الجليل الذي قام به الاستاذ ليفي بروفنصال مدير معهد الدروس العليا انذاك (1) . والحقيقة ان النـسخة المشار اليها – وقد عثر عليها بخزانة جامع القرويين الكبرى (2) – تعتبر من

---

(1) Publication Tome XIX - Imprimerie « Française et Orientale » - Chalon-sur-Saône - Le 31 juillet1920 - Librairie Orientaliste, Paul Geuthner, 13, rue Jacob V.P., 1928.

(2) لصحيح الامام البخاري منزلة كبرى لدى المغاربة .. وعندما اسس السلطان المولى اسماعيل جد الاسرة العلوية الجيش المغربي اعطاه اسم عبيد البخاري ، وقد اتى الاسم من ان العاهل المغربـي عندما تم له تنظيم الجيش المذكور من نحو مائة وخمسين الفا ، جمعهم واحضر مخطوطة من صحيح الامام البخاري وخطب فى ضباط الجيش : « انتم وانا عبيد لسنة رسول الله المجموعة فى هذا الكتاب، فكل ما امر به نفعله وكل ما نهى عنه نتركه وعليه نقاتل .. وطلب اليهم اداء اليميـن على البخـاري فعاهدوه ، ثم انه امر بالاحتفاظ بتلـك المخطوطة وبحملها عند الحروب امام الجيش تيمنا بها وتبركا، فلهذا يحمل الجيش المحيط بالعاهل المغربي الى الان اسم « البواخر » او عبيد البخاري ، ومن هنا ايضا اثرت قراءة صحيح البخاري بالقصور الملكية فى الاشهر الحرم .. ومن هنا كذلك فانه لا تخلو خزانة فى مسجد من المساجد دون ان تجد فيها مجلدات صحيح الامام البخاري ولا بد فى بعض البيوت من وجود مخطوطات من البخاري الى جانب المصحف الكريم يتبارى فى كتابتها الوراقـون وفى تحليتهـا الصائغون ، وقد فتحت عيني فى البيت على نسخة تبتدىء هكذا : « اخبرنا الحافظ ابو علي حسين ابن محمد بن فيارة الصدفي رضي الله عنه قراءه مني عليه بداية حرسها الله الخ » . وهي من نسخ السيد عبد الخالق بن عبد القادر برادة فرغ من نسخها يوم الاحد 8 ربيع الثاني عام 1310 . المنزع اللطيف (مخطوط) بالخزانة العامة ص 392 الناصري : الاستقصا 7ر41 – التازي – امير مغربي فى ليبيا (تحت الطبع) التازي : تاريخ القرويين (مسجـد العبادسة) .

الاهمية بمكان لان رواية ابن سعادة ظلت معتمد المغاربة اجمعين بنفس اعتماد المشارقة على رواية اليونيني(3) وقد اتى هذا الاهتمام من كون ابن سعـادة روى عن الصدفي عن الباجي عن ابي ذر عن شيوخه الثلاثة عن الفربري عن البخاري ، فبينه وبين الامام خمس وسـائـط ...

هناك فعلا مميزات طبعت المغاربة عن غيرهم من المشارقة في شتى المجالات ومختلف الميادين (4) ونحن نرى هنا ايضا اعتماد البلاد المغربية بما فيها طرابلس وتونس والجزائر والمغرب الاقصى والبـلاد الاندلسية ، كلها تعتمد في رواية البخاري على رواية ابي عبد الله الصدفي وليس على رواية تقي الديـن اليونينـي ...

وقد تحدث صاحب مقدمة المخطوطة المذكورة عن النواحي التي جعلت من رواية ابن سعادة روايـة مفضلة عن غيرها من روايات الامام البخاري ونسخه المنتشرة في بلاد الاسلام .

وكان ابرز مرجع ومؤثر لها على ما سواها انها نسخت من نسخة شيخه وصهره (5) الحافظ ابى علي الصدفي التي طاف بها في الامصار وسمعها وقابلها على نسخ شيوخه بالعراق ومصر والشام والحجاز والاندلس ولا شك ان اصلا كهذا ـ في التداول وتناول الايدي ـ لا يعدله في الصحة شيء ، وبالاضافة الى هذا فقد كان الصدفي يتوفر على نسخة من الصحيح مقروءة على ابي ذر الهروي ، وابو ذر اخذ عن تلاميذ الفربري الذي كان يمتلك نسخة للصحيح بخط البخاري (6) .

والحقيقة ان سائر المرجحات التي ذكرت مـن اجل تزكية نسخة ابن سعادة وتعزيز جانبها كانت في معظمها ، ان لم نقل كلها ، تفسيرا للارتباط الوثيـق بنسخة الصدفي ، وان تلك اعتمدت على هذه ومنهـا استمدت قيمتها وقوتها .

وعندما يشيد القاسيون باسم «النسخة الشيخة» التي نقلوها عن مخطوطة ابن سعادة يذكرون في اعتزاز كذلك اسم الحافظ الصدفي على انه الذي قيم نسخة ابن سعـادة (7) .

---

(3) هو الحافظ ابو عبد الله محمد بن عبد الله الملقب بتقي الدين من سلالة جعفر الصادق اليونيني، حنبلي المذهب ، ولد في يونين ، واشتهر وتوفي في بعلبك ، وكان مقربا من ملوك عصره كالاشرف والكامل، وله معهما ومع غيرهما اخبار .. وهو ابو قطب الدين موسى المؤرخ . البداية والنهاية 13ر227 ـ ذيل طبقات الحنابلة 2ر269 ـ 273 شذرات الذهب 5ر294 .

(4) سمعنا كثيرا عن اختيار هؤلاء مثلا للمذهب المالكي وعقيدة الاشعري بينما كان الامر يختلف عن ذلك في الديار الشرقية ، وسمعنا اختيار المغاربة لتلاوة القرآن برواية ورش (ت 190) وسمعنا عن ان المغاربة اتخذوا لهم لون البياض رمزا للتعبير عن الحداد مثلا بينما ظل المشارقة يتحللون بالسواد في مثل هذه المناسبات .. هناك في التاليف طريق لهؤلاء غيرها عند الآخرين ، وفي استعمال الارقـام كذلك دابنا هناك على ارقام غير التي استمـر عليها الاخرون .. وحتى (الابجدية) كان للمغاربة فيها ترتيب غير الذي كان للمشارقة ..

(5) ورد في رسالة كتبها ابو علي الصدفي لابي محمد الركلي مقدمة من الشرق : « وان تفضلت بمجاوبتي فالى دانية يدفع الى بني سعادة وهم من اهل بلنسية جبرها الله تصاهرت الان معهم لمعنى لا يمكنني ذكره وربما علمته من موصل كتابي ، وذلك اني قدمت دانية باثر ما جرى علي في البحر في الفرق فبالغ القوم في اكرامي لمعرفة كانت تقدمت بيني وبين احدهم بالاسكندرية فقدر الله هذا الامر » التنويـه والاشادة بمقام رواية ابن سعادة للكتاني .

(6) الفتـح 2 ص 255 .

(7) اشتهرت «النسخة الشيخة» على انها البديل الوحيد لنسخة ابن سعادة ولهذا نرى الملوك يعتمدون عليها عند تعويض ما ضاع من ابن سعادة ، وقد اصدر السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن ظهيـرا بتاريخ 20 جمادى الاولى عام 1288 جاء فيه : لما كان الاصل من الجامع الصحيح للامام البخاري المنتسخ بخط الحافظ ابن سعادة محبسا بخزانة القرويين وضاع منه الخمس الاول وبحثنا عنه اشد البحث فلم يوجد امرنا بانتساخ آخر بدله من النسخة المعروفة بالشيخة المنتسخـة من الاصـل المذكور وهذا هو المكتوب عليه : والحقناه بباقي اجزاء الاصل المذكور في التحبيس وحوزناه ليد قيم الخزانة المذكورة . مرآة المحاسن ص 49 .

ويعتبر الامام الصدفي فعلا معلمة من معالم رواة الحديث وحفاظه في العصور الاولى للاسلام ، وقد تيمن مختلف المؤلفين والمؤرخيــن - في القديــم والحديث - بالكلام عن ترجمته وعن سيرته ونزاهتــه ومركـــزه (8) .

ولعل اشمل تعريف واوفاه بالحافظ الصدفي هو ما قام به علمان عظيمان من اعلام التاريخ والحديث ..

ونعني بهما القاضي عياض الذي خصه بكتابــه (المعجم) ضمنه اخباره واخبار شيوخه الذين بلغوا الى نحو مائتي شيخ (9) ... كما نقصد الى المحدث ابن الابار الذي آثره هو الآخر بمعجم ثان من نوع آخر تناول فيه ذكر تلامذة الحافظ الصدفي .

واذا كانت الاقدار قد حرمتنا من معجم عياض عن شيخه (10) ، فانها لحسن الحظ وضعت بين يدينـــا المعجم الحافل الذي عنى بجمعه ابن الابار (11) .

وقد ذكر فيه ثلاثمائة وخمس عشرة شخصية من كبار رجال المعرفة كلهم تتلمذوا الحافظ الصدفي .

وان القاء نظرة عاجلة على المعجم تكفي لاخذ فكرة عن تلك « المعلمة » التي تنتسب اليها مخطوطة ابن سعادة، فانها فعلا لائحة طويلة لجمهور عظيم من كبار المفكرين والمحدثين والسياسيين والمسؤولين كانوا في كل مزاياهم مدينين لشرف الاتصال بذلك الرجل الكبير .

ومع ذلك فانه لمن المفيد ان نتلمس اخبار هذا الاستاذ الجليل من خلال بعض المصادر التي عنيت بالحديث عنه وبخاصة مخطوطة الغنيـــة للقاضـــي عياض (12) مجملين القول ومقتصرين على المهــم : هو القاضي الحافظ ابو علي الحسين بن محمـــد بن فيرة (13) بن حيون (14) الصدفي المعـــروف بابن سكـــرة (15) ..

اصله من سرقسطة من قرية على اربعة اميـــال منها كانت تعرف بمنزل محمود ، بالثغر الاعلى .

ومولده بحاضرتها في نحو اربـــع وخمسيـــن واربعمائة 16) اخذ عن شيوخها، ودرس على مقرئيها وسمع من ابي الوليد سليمان بن خلف الباجي ، وابي محمد ابن فورتش (17) ، وابن الصواف ، وابن سماعة وغيرهـــم .

---

(8) تذكرة الحافظ 4 ص 50 للذهبي - كتاب الصلة لابن بشكوال رقم 327 - بغية الملتمس للضبي - الديباج لابن فرحون ص 108 - نفح الطيب 1 ص 365 للمقري - ازهار الرياض الجزء 3 ص 151 - 152 - 153 - 154 - مرآة المحاسن للفاسي ص 49 - 50 .

(9) الفهـــارس المجلـــد 2 ص 110 .

(10) عني كثير من العلماء المغاربة بالبحث عن معجم عياض هذا ، وقد ذكر الاستاذ العابد الفاسي محافظ الخزانة الكبرى للقرويين في تحقيقه عن الغنية لعياض ، قال ان المعجم لا يوجد على ظهر الارض .

(11) طبع في مدينة مجريط بمطبعة روخس سنة 1885 م وقد حلاه البروفيسور فرانسيسكو كوديـــرا بمقدمة مفيدة ، وقد اعاد طبعه بالأوفسيط الاستاذ قاسم الرجب صاحب مكتبة المثنى ببغداد .

(12) اعتمدنا ثلاث نسخ مخطوطة للغنية ، فيها اثنتان محفوظتان بالخزانة العامة بالرباط تحـــت رقـــم 1732 / د وتحت رقم 1807 / د اما الثالثة فهي ملك خاص للاستاذ عبد الكريم ابن الشيخ المدنـــي الحسني من علماء مدينة الرباط ...

(13) بكسر الفاء وتسكين الياء وتشديد الراء Ben Fierro وهاء ساكنة ، ويرى ابن فرحون في الديباج ان هذه الكلمة عجمية وانها تعني الحديد ، و ضبطها بكسر الفاء وكسر الياء مشددة وضم الراء كذلك مشددة ، وربما كتبوها فياره .

(14) حيون مصغر يحيى على نحو ما يقال في سعدون وبدرون .

(15) بضم السين وتشديد الكاف مؤنث سكر .

(16) في ابن شنب عند دراسته حول الشخصيات التي تضمنتها اجازة الشيخ عبد القادر الفاسي ان المولد كان سنة 452 (6 يبراير 1060 - 26 ينايـــر 1061) .

(17) في ازهار الرياض 3 ص 153 ابو محمد عبد الله بن محمد ابن اسماعيل .

ودرس في بلنسية تحت اشراف ابي العبـــاس العـــذري (18) .

ثم سمع بالمرية من ابي عبد الله محمــــد بـــن سعدون القروي وابي عبد الله ابن المرابط وغيرهما ، وقد رحل الى المشرق فاتح المحرم من سنة احدى وثمانين واربعمائة (27 — مارس 1088) (19) فلقي بقايا شيوخ افريقية بالمهدية ...

ولقي بمصر ابا اسحاق الحبال مسند مصر الذي اعطاه اجازة ، والقاضي ابا الحسن علي بن الحسيـــن الخلعي وابن مشرف وابا العباس احمد بن ابراهيـــم الرازي وغيرهم ...

كما لقي بالاسكندرية ابا القاسم مهدي بن يوسف الوراق وابا القاسم شعيبا بن سعيد وغيرهما .

كما لقي بمكة ابا عبد الله الحسين بن علي الطبري امام الحرمين وابا بكر الطرطوشي وابا عبد الله الجاحظ وغيـــرهـــم .

ولقي بالبصرة ابا القاسم ابن شعبة وابا يعلـــى المالكي وابا العباس الجرجاني وجماعة اخرى .

وسمع بواسط من ابي المعالي محمد بن عبـــد السلام الاصبهاني (20) وغيره ، ودخل بغداد يـــوم الاحد السادس عشر من جمادى الاخيرة لسنة اثنتين وثمانين واربع مائة فاطال الاقامة بها خمس سنين كاملة وسمع من عدد من محدثيها ابي الحسن الطيوري ، وابي الفضل احمد بن الحسن ابن خيرون مسند بغـــداد ، وابن البطر واليانياشي ، وابي محمد رزق الله بن عبد الوهاب التميمي وابي الفوارس طرد بن محمد الزينبي ، وقاضي القضاة ابي بكران والامام ابي بكر الشاشـــي وابن فهد العلاف وابن ايوب البزاز ... ودرس الفقه والاصول على الشاشي ، ولقي جماعة من الخراسانيين الحجاج كالامام أبي القاسم بن شافور البلخي ، والقاضي أبي محمد الناصحي الرازي ..

واخذ بالانبار عن ابي الحسن بن الاخضـــر (21) الخطيب ... ثم رحل عنها جمادى الاخيرة سنـــة سبع وثمانين واربع مائة .

ودخل الشام فسمع بها من الشيخ ابي الفتـــح نصر بن ابراهيم المقدسي وابن الفرج سهل بن بشر الاسفرايني وغيرهما .

وعندما عاد الى الاندلس في صفر من سنـــة تسعين واربعمائة (22) (18 — 1 — 97 — 15 — 2 — 997) رحل الناس اليه من كل صوب وكثر الآخذون عنـــــه ...

ثم ارتحل الى مدينة سبتة كرتين فاخذ عنـــه اذ ذاك جماعة من المشايخ والاصحاب كان من ضمنهم القاضي عياض كما يحكي هو نفسه (23) .

وقد استوطن مدينة مرسية وسمع منه جمهور كبير من الناس كان فيهم من هو في عداد شيوخه ، ومن سمع هو منه ، ذي قبل ، كابن داود المقري وغيره ، وذلك لمعرفته بعلم الحديث والقيام عليه وحفظـــه لاسماء الرجال ومعرفته بقويهم من ضعيفهم ، الى ما امتاز به من متانة دين وخلق حسن وصيانة للامانة ..

وقد ولي القضاء بمدينة مرسية سنة خمـــس وخمسمائة ايام حكم امير المؤمنين علي بن يوسف بن تاشفين ، فحمدت سيرته وقويت في الحق شكيمته الى ان استعفى فلم يعف ، وهنا اختفى عن الانظار عددا من الشهور الى ان قبل طلبه بمساعدة عبد الله اللخمي سنة ثمان وخمسمائة (24) فتوفر على ما كان بسبيله

(18) ابن شنـــب رقـــم 91 .

(19) المقري : ازهار الرياض 151 .

(20) ابن شنب : Ibn Cheneb : Etude sur les personnages mentionnés dans l'Idjaza du Cheikh.

(21) ابن شنب : Ibn Cheneb : Abdelkader El Fassy, 1907.

(22) يذكر ابن شنب ان ذلك تم 470 ويتأكد انه خطأ راجع ازهار الرياض عن رحلته للشرق 3 ص 152 .

(23) كان من تلامذة الصدفي في المشرق الشيخ صا بر واخوه ابو المعالي محمد بن يحيى القرشي وابو محمد ابن عيسى وابو علي بن سهل .

(24) ورد لدى ترجمة عياض انه اي عياض رحل مر قرطبة الى مرسية فقدمها في غرة صفر سنة 508 وابو علي الصدفي قد استخفى قبل ذلك بأيام ووجد الرحالين اليه قد نفذت نفقات بعضهم وفيهم مـــن ابتدأ كتابا لم يتمه فاخذ اكثرهم في الرجوع الى مواطنهم وتربص بعضهم ، فمكث هو بقية صفـــر وشهر ربيع الاول لا يقع له على خبر سوى الظن بكونه هنالك . ابن الابار : المعجم ص 204 — المعجم رقـــم 279 — 294 .

من الاسماع والتفقه .. وطلب بعد ذلك لقضاء اشبيلية فامتنع ولم يخرج اليها حتى توفي (25) .

وقد خرج للغزو سنة اربعة عشرة وخمسمائة مع الامير ابي اسحاق ابراهيم ابن يوسف ابن تاشفين وممن كان في الصحبة القاضي أبو عبد الله بن الفرج وحضر يوم قتندة (Cutanda) بالثغر الاعلى يوم الخميس لست بقين في ربيع الآخر من السنة المذكورة (24 ربيع الاول 514 = (23 يونيه 1120) وحقت على المسلمين الدائرة فكانا ممن فقدا رحمهما الله وختم لهما بالشهادة وكان القاضي يومئذ من ابناء الستين (26) . ويحكي القاضي عياض في الغنية انه خرج اليه ذات مرة في المحرم سنة ثمان وخمسمائة فوجده في اختفائه لكنه قصده كرة اخرى فسمع عليه « خيرا كثيرا » على حد قول عياض الذي استرسل بفضل بعض ما سمعه : الصحيحان : البخاري ومسلم والشهاب وكتاب الجامع للترمذي ، وكتاب الشمائل للترمذي كذلك ، وكتاب رياضة المتعلمين للاصبهاني ، وكتاب الناسخ والمنسوخ وكتاب الاستدراكات على البخاري ومسلم وهو كتاب التتبع ايضا للدارقطني وكتاب الإلزامات له كذلك ، وكتاب الاربعين للاصبهاني والاربعين للحسن بن سفيان وكتاب أوهام الحاكم في المدخل لابن سعيد ، وكتاب مشتبه الشبه وكتاب المؤتلف والمختلف لابن سعيد ايضا ، وكتاب الاشارة للباجي ، وكتاب آداب الصحبة للسلفي ، وجزءا عوالي الشريف ابي الفوارس وكتاب أسامي شيوخ البخاري جمع احمد بن عدى ... وكتاب الجرح والتعديل للباجي وكتاب العلل الكبير للدارقطني وكتاب السنن له كذلك وكتاب تلقين المبتدى لابن نصر وكتاب الهداية والارشاد للكلاباذي وكتاب التاريخ للبخاري وشرح ابن الانباري ...

علم من اعلام المعرفة على عهد المرابطين انعكست على آفاقه العلمية كل على تلك اللقاءات التي تمت له مع اقطاب المعرفة في المغرب والمشرق .

ولهذا فان فضله على الثقافة الاسلامية بالديار المغربية والاندلسية امر لا يقبل المناقشة (27) .

وقد ورد في الديباج قال ابو علي الصدفي لبعض الفقهاء : خذ الصحيح فاذكر اي متن اردت تدقيقه اذكر لك سنده ، واي سند اردت اذكر لك متنه ...

وكانت الكرامة المتجلية في حياة الامام الصدفي انه كان مع كثرة مشاغله ووفرة اعماله يعتمد على خط يده هو في كتابة « العلم الكثير » ، وفي كتابة الاجازات العلمية لطلبته التي كان منها ما زكى به نسخة البخاري لابن سعادة التي كانت خزانة القرويين تحتضنها .. ونسخة جامع الترمذي لابي الفضل مبارك التي كانت بخزانة الجامع الاعظم بمدينة تازة (28) .

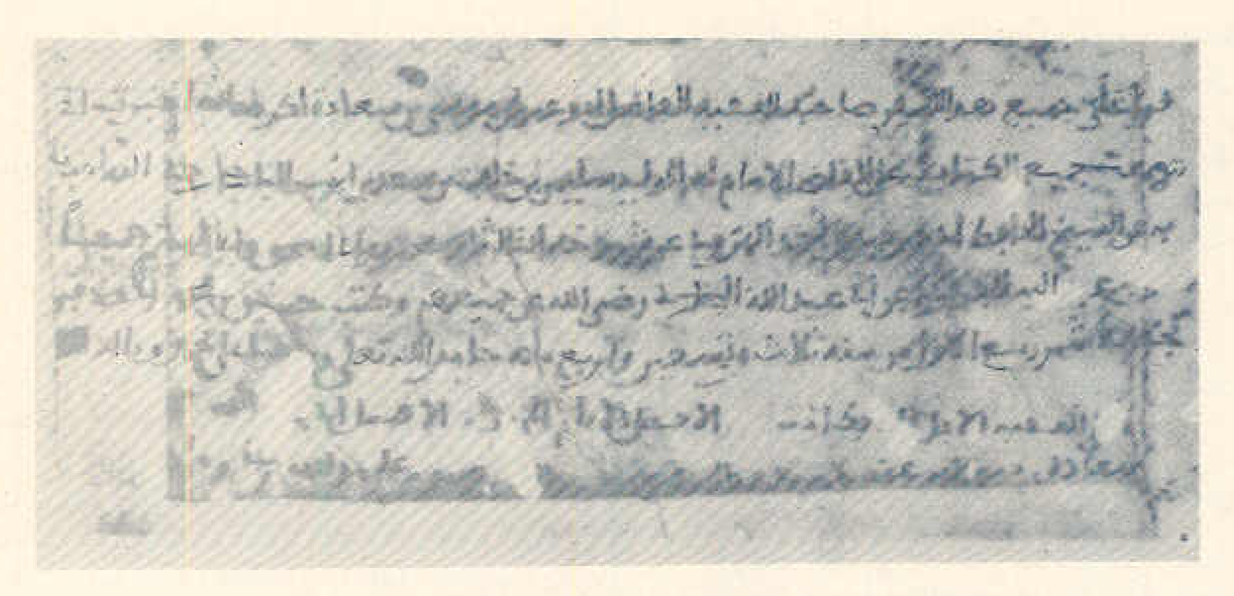
---

(25) كان للحافظ الصدفي مركز مرموق جدا لدى دولة المرابطين ، وقد كان استاذا لابي اسحاق ابراهيم ابن يوسف بن تاشفين المعروف بابن تاعياشت باسم امه التي شيدت بفاس مسجدا كان معروفا باسمها . وقد كان وليا على مرسية من قبل أخيه ابي الحسن علي بن يوسف امير المغرب ، ويروي ابن الابار عن ابي بكر بن ابي ليلى ـ وكان كاتبا للصدفي ـ قال : كنت يوما عند القاضي ابي علي الصدفي اذ جاء وزير ابن تاشفين فقال ان الامير ابا اسحاق يريد ان يسمع عليك الحديث ، يعرض له بالمشي اليه ، فقال له : لهذا جلست ! فكرر عليه فاجابه بمثله لكنه لم يلبث بعد الالحاح ان اسعف الطلب وانتقل الى امارة اشبيلية ... وهنا تشفع للامير في رد املاك ابي محمد ابن العربي المعتقلة على ابنه القاضي أبي بكر فتم ذلك كما استقر ابو علي هنالك... ابن الابار ـ المعجم رقم (40)

(26) يقول عياض: ما وقفت على خبر الامير ابي اسحاق بعد نكبته عام 515 الا ما ذكره ابن صاحب الصلاة في تاريخه انه قتل وفل عسكره ، هذا وقد ذكر ان عدد القتلى من المتطوعة في هذه الوقعة عشرون الفا. المقري : الازهار 3 ص 154 .

(27) كان الشيخ الامام مع كل هذا شخصية مرح ونكتة ودعابة ، وقد روى عنه في هذا الباب ان فتى من طلبته اسمه يوسف كان يلازم مجلسه ، نظيف الملبس معطر الرائحة ، غاب لمرض الم به ولما ابل عاد الى المجلس وقبل افضائه اليه سبق اريج ريحه فقال الشيخ : « اني لاجد ريح يوسف لولا ان تفندون ... ازهار الرياض 3 ر 153 .

(28) الفهارس 2 ر ص 110 ـ 111 ـ 112 ـ 113 .



من خط الحافظ الصدفي على الورقة الاولى من ابن سعادة وفيه :

« قراء على جميع هذا السفر صاحبه الفقيه الفاضل أبو عمران موسى بن سعادة اكرمه الله اخبرته اني ـ سمعت جميع الكتاب على القاضي الامام ابي الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن ايوب الباجي رحمه الله اخبرنا ـ به عن الشيخ الحافظ ابي ذر عبد بن أحمد الهروي عن شيوخه الثلاثة ابي محمد وابي الهيثم جميعا ـ عن ابي عبد الله الفربري عن ابي عبد الله البخاري رضي الله عن جميعهم وكتب حسين ابن محمد الصدفي ـ بخطه في شهر ربيع الاول من سنة ثلاث وتسعين وأربع مائة حامدا الله تعالى مصليا على محمد وآله . »

نسخـــة الصدفـــــي :

وقد كان مما حرره بخطه الجميل الجيد الضبط صحيح الامام البخاري في سفر واحد كان يتوفر عليها هو وبها كان يسترشد سائر كبار تلاميذته يعتبـــرون الاهتداء بها من ضروريات الاشتغال بالحديث . . .

وقد حسب الناس ان نسخة الصدفي ضاعـت نهائيا فيما ضاع بسقوط الاندلس ، وغدا الكلام عنها غير ذي موضوع ، ومع ذلك فان احدا من المهتميـن بالحديث الشريف لم يغفل اسم الصدفي والبحث عن تراثه وخاصة من المغاربة الذين يعتبرون روايته على انها الرواية الجديرة بالاعتبار .

وقد اكد الرئيس الشيخ المدني ابن الحسني في (مسك الختام لصحيح الامام) في مخطوطته « مفتاح الصحيح » (29) وقوف الحافظ ابن حجر على نسخة الصدفي ونقله من خطه بهوامشها وأورد لفظه في ذلك من المواضع التي ذكرها من فتح الباري (30) . . .

وقد كان الشيخ المدني في صدر من ردد صدى اكتشاف بعض المغاربة للنسخة الاصلية التي بخـط الصـــدفـــــي (31) .

(29) كان كتاب الشيخ هذا اول اختتام له على صحيح الامام البخاري املاه بمدينة الرباط عام 1341 والكتاب محفوظ في مكتبة ولد المؤلف الخاصة . ص 12 .

(30) ورد في رحلتي للناصري والفاسي انهما وقفا معا بخط السخاوي على قوله : ولقد اعتمد على هذه النسخة شيخنا الحافظ بن حجر حالة شرحه للجامع الذي سماه فتح الباري . . . على ما ياتي .

(31) الفهارس ـ 16 شوال 1346 ، الجزء الثاني ص 110 ـ الكتاني : التنويه والاشادة بمقام رواية ابن سعـــادة .

ويتعلق الامر بافادة العلامة أبي عبد الله محمد بن عبد السلام الناصري الدرعي (22) بمناسبة رحلتـــه الثانية عام 1211 (1797 – 1798 م) الى البقـــاع المقدسة المسماة (الرحلة الصغرى) واجتماعه في ليبيا بالعلامة الشيخ احمد بوطبل (33) .

قال اثناء كلام له عمن لقيه بطرابلس :

« ... وممن بقي بقيد الحياة ممن كنت اجتمعت به في الرحلة الاولى الشاب الارضى الدين الخير أبو العباس احمد أبو الطبل به عرف فقام وقعد في الاكرام وهش وبش وكان على ساق في قضاء اوطارنا وكلفناه بتلقين الورد الناصري بهذه البلاد اذ انعدم بها الملقن بعد ابن مقيل واولاده ، بارك الله فيه ونفعه ونفع به . ثم قال بعدما انشده قطعة في (البابغا) ما نصه : ومن الكنوز التي وقفت عليها بيد ابي الطبل المذكور نسخة من صحيح الامام ابي عبد الله محمد بـن اسماعيـــل البخاري في مجلد بخط الحافظ ابي علي الصدفـــي شيخ القاضي عياض قال (اشتراها بثمن بخس – في عدة كتب بمدينة اصطنبول ، وراودته على بيعها عازما على اعطائه مائة دينار ذهبا فيها فامتنع ويأبى الله الا ما اراد وما هي الا مضيعة بهذه البلدة وقد كانت تداولتها الايدي بالاندلس ومصر في سالف القرون ، وعليها من سماعات العلماء عياض ممن دونه الى الحافظ ابن حجر العجب ، وكتب عليها الحافظ السخاوي ما نصه :

هي الاصل الذي يعتمد عليه ويرجع عند الاختلاف اليه ، ولقد اعتمد عليها شيخنا الحافظ أبو الفضل بن حجر حالة شرحه للجامع الذى سماه فتح الباري . وعليها ايضا ما نصه لكاتبه ابن العطار في الشيخ الامام الحافظ ابي علي حسين بن محمد بن عيسى الصدفي كاتب هذا البخاري ، وهو شيخ القاضي عياض صاحب كتاب الشفاء رضي الله عنهم .

قد دام بالصدفي العلم منتشـــرا
وجل قدر عياض الظاهر السلف

ولا عجيب اذا ابـــدى لنـــا دررا
ما الدر مظهره الا من الصدفـــي

وقلت ايضا في سيدنا ومولانا قاضي القضـــاة برهان الدين ابن جماعة الكناني الشافعي أدام الله أيامه واعز احكامه وقد حملت له هذه النسخة لمجلســـه بالصالحية في العشر الاول من رجب الفرد سنة اثنتين وثمانمائة فنظر فيها وقال :

لو كتبت واضحة بخط حسن وقوبلت على هذه لكانت احسن فان كاتبها رجل جليل القدر رضي الله عنـــه :

راى البخاري بخط الحافظ الصدفي
قاضي القضاة امام النيل والسلـف

---

(32) قال الكوهن في فهرسته لدى ترجمة شيخه الطيب بن كيران : واجازه حسبما اخبرني بـــه بعض الثقات خاتمة الحفاظ بالديار المغربية الامام المحدث أبو عبد الله سيدي محمد بن عبد الســـلام الناصري الدرعي المتوفي شهر صفر عام 1339 وقال في طلعة المشترى : كان علامة اديبا فقيهـــا محدثا حافظا فاضلا لم يات بعد الشيخين في آل ناصر من هو اعلم منه ، قرأ بفاس على شيوخهـــا كالشيخ جسوس والشيخ التاودي والشيخ بناني والحافظ العراقي وابي العباس الشرايبي والفقيه السجلماسي ، عباس بن ابراهيم التعارجي : تاريخ مراكش الجزء 5 ص 189 . عبد الهادي التازي : ليبيا لدى الرحالة المغاربة مجلة المجمع العلمي العراقـــي 1970 ص 10 .

(33) هو ابو العباس احمد بن ابن زيد عبد الرحمن بن ابي طبل الطرابلسي من شيوخ سيدي محمد بن علي السنوسي على ما ورد في اجازة الطريقة السنوسية ونعته صاحب الفهارس بالامام المسند المعمـــر المعروف بالطبولي الضرير يروي عن محمد بن محمد الصادق ابن ريسون وعمر بن علي الحسانـــي الطرابلسي ، والصعيدي والحفني والدردير ومرتضى الزبيدي والدسوقي ومحمد الكانمي وغيرهـــم وممن اخذ عنه الفقيه السيد حسين المدعو حسونة ابن محمد بن الحاج حسونة الدغيسي الازرومليـــي الطرابلسي الحنفي الوارد على فاس سنة 1246 والمتوفي باسطامبول عام 1258 . وقد توفي سنـــة 1254 تقريبا والطبول – قبيلـة من قبائل اورفلة اولاد محمد ابي طبل المتوفى سنـــة 987 والمدفون بورفلة بوادي ابن وليد وكان من اصحاب الشيخ عبد الســـلام الاسمـــر . الفهارس للكتاني جزء 1 ص 353 – الطاهر الزاوي – أعلام ليبيا ص 29 – 308 – اجازة الطريقة السنوسية ص 29 .

جمال واسطة العقد الثمين لـــــه
ولا عجيب بميل الدر للصــــــدف

اه . قال مقيد الرحلة سامحه الله : وقد قلت في ذلك وان لم اكن هنالك :

هذا سماع الامام الحافظ الصدفي
بخطه وعليه رونق الصــــــدف

تداولته يد الحفاظ من خلـــــف
عن سالف فرماه الدهر بالتلـــف !

وموجب قول ابن جماعة ما ذكر ان خط الصدفي اندلوسي (كذا) رقيق غير منقوط الا انه يشكل المشكل على عادته وعادة بعض الكتاب ، نعم عليها تصحيحات واختلاف الروايات ورموز وتخريجات لا ينتفع بها الا الماهر في الفن المتدرب على الروايات انتهى بلفظـــه ومن خطه المبارك (34) .

وبعد تسجيل هذا الحديث عن مخطوطة الصدفي في (رحلته الصغرى) عاد ابن عبد السلام الناصري في مخطوطته المعنونة بكتاب المزايا فيما حدث مـــن البدع بأم الزوايا (35) .

وقد افادنا الشيخ الناصري في هذا النص ان الغيرة حملته على ان لا يسمح بترك هذا التراث الكبير ضائعا في طرابلس وان يخبر بوجوده السلطان المولى سليمان عاهل المملكة المغربية المعروف بهوايته لنوادر المخطوطات ... قال :

« ... ولقد عثرت على أصل شيخه (أي شيخ ابن سعادة) الحافظ الصدفي الذي طاف به البلاد ، بخطه بطرابلس في جزء واحد مدموج لا نقط به اصلا على عادة الصدفي وبعض الكتاب الا ان بالهامش فيــه كثرة اختلاف الروايات والرمز عليها وفي آخره سماع عياض وغيره من الشيخ بخطه وفي اوله كتابة ابـــن جماعة الكناني والحافظ الدمياطـــي وابن العطـــار والسخاوي قائلا : هذا الاصل هو الذي ظفر به شيخنا ابن حجر العسقلاني وبنى عليه شرحه الفتح واعتمـد عليه لانه طيف به في مشـــارق الارض ومغاربهـــا : الحرمين ومصر والشام والعراق والمغـــرب فكـــان الاولى بالاعتماد كرواية تلميذه ابن سعادة . ولقد بذلت لمن اشتراه ــ في عدة كتب ، من اهل طرابلس المغرب من اصطنبول بثمن تافه ــ صرة ذهب فأبى من بيعـــه وبقي ضائعا في ذلك القطر ولا حول ولا قوة الا بالله ، ثم حملتني الغيرة والمحبة على ان ابلغت خبره لامامنا المنصور ابي الربيع سيدنا سليمان بن محمد ادام الله ملكه وانجح أمره ، فوجه اليه حسبما شافهنـــي به ، الف مثقال او ريال ، الشك مني ، فاجابه من هو بيده: **انه يقدم به لحضرته (36) وما منعه الا فتنة الترك فيما بين تونس والجزائر** .. (37) ثم لما طال الامر اعـــاد الكتب بذلك ، والى الآن لم يظفره الله به ولقد داعبته ذات مرة قائلا : على سماع الصدفي المذكور : وماذا لمبلغ هذه الخصلة ؟ فوعدني ــ ووعد الملوك تحقيق ــ انه ان ظفر به جرد منه فرعا واعطاني احدهمـــا على اختياري ! وكان من مدح ابن العطار له عليه بخطـــه ما نصــــه :

قد دام بالصدفي العلم منتشرا * البيتيـــن

قال ابن العطار : وقلت ايضا في سيدنا ومولانا قاضي القضاة برهان الدين ابن جماعة الكناني الشافعي ادام الله ايامه واعز احكامه وقد حملت هذه النســـخة لمجلســـه بالصالحية في العشر الاول من رجب الفرد سنة اثنين وثمانمائة ، فنظر اليها وقال : لو كتبـــت

(34) عباس بن ابراهيم ــ تاريخ مراكش 5 ر ص 189 .

(35) اعتمدت على النسخة التي توجد في ملك الاستاذ محمد ابراهيم الكتاني قسم المخطوطات بالمكتبة العامة بالرباط ، وقد اورد هذا الكلام عند ذكر البدعة الثالثة عشرة ص 28 ــ 29 .

(36) يظهر من هذا النص ان السلطان المولى سليما ن تملك النسخة المشار اليها من صاحبها بعد دفـــع الثمن وانه لم يبق الا التحويز الذي منعت منه الاشتباكات الجزائرية التونسية .

(37) كان الباشا علي باي يتجرع من ولاة الجزائر ما يستفزه ولما توفي علي باي وتولى ابنه البـــاي حمودة باشا ارادوا ايضا استفزازه فلم يحتمل الضيم فعزم على حربهم بعد سنة 1216 ، وفي هذه المـــدة احتبس الغيث فوجه بابي اسحاق ابراهيم الرياحي سفيرا الى السلطان مولاي سليمان سنة 1218 ، وبعد التجاء الحاج مصطفى انقليز الى تونس اشتدت الازمة وسافرت المحلة لقسطنطينة يوم السبـــت 15 قعدة سنة 1221 (24 يناير 1807) ابن ابي الضياف : ج الثالث ص 37 .

نسخة واضحة بخط حسن وقوبلت على هذه لكانت احسن ، وقال اليها ، فان كاتبها رجل جليل القدر :

راى البخاري بخط الحافظ الصدفي * البيتين

قال مقيده عفا الله عنه : وقلت انا فى ذلك وان لم اكن من اولئك :

هذا سماع الامام الحافظ الصدفي * البيتين

وممن افاض فى وصف هذه النسخة الفقيه المدرس ابو العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد ابن الشيخ ابى محمد عبد القادر الفاسي فى رحلته الحجازية بتاريخ 1211 فقد ورد فيها ما نصه (38) ابتداء من صفحة 316 الى 324 .

قال : وقفت بمحروسة طرابلس ، صانها الله تعالى ، على نسخة من البخاري فى سفر واحد) نحو من ستة عشر كراسة ، وفى كل ورقة خمسون (39) سطرا من كل جهة ، وكلها مكتوبة بالسواد لا حمرة بها اصلا ، وهي مبتداة بما نصه : بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد نبيه ، كيف كان بدء الوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعند تمام كل حديث صورة هـ ولا نقط بها الا ما قل جدا ، وبآخرها عند التمام ما صورته :

آخر الجامع الصحيح الذي صنفه أبو عبد الله البخاري رحمه الله ، والحمد لله على ما من به ، واياه اسأل ان ينفع به . وكتبه حسين بن محمد الصدفي من نسخة بخط محمد بن علي بن محمود مقروءة على ابي ذر رحمه الله وعليها خطه ، وكان الفراغ من نسخه يوم الجمعة الحادي والعشرين من المحرم عام ثمانية وخمسمائة والحمد لله كثيرا كما هو اهله وصلواته على محمد نبيه ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا .

وعلى ظهرها كتاب الجامع الصحيح من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وايامه ، ابي عبد الله البخاري رضي الله عنه على الخطيب

تصنيف ابي عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم البخاري رضي الله عنه ، رواية ابي عبد الله محمد بن يوسف الفربري عنه رحمه الله لحسين بن محمد الصدفي .

اوقفني على هذه النسخة المباركة محبنا الفقيه الناسك ذو الاخلاق الحسنة سيدي الحاج احمد بوطبل ، وذكر لي حفظه الله انه اشتراها من اصطنبول ، وحيث اشتراها اجتمع علماؤها وقالوا له : اخليت اسطنبول ! ومكتوب على ظهر هذه النسخة المباركة ما نصه :

للامام قاضي القضاء ابي عبد الله محمد بن عبد الحق بن سليمان . . . مصنف . . .

جميع احاديث الصحيح الذي روى
البخاري خمسة وسبعون فى العد

وسبعة آلاف تضاف وما مضى
الى مائتين عد ذلك اولو الجد (40)

وبعد البيتين المذكورين اجازة الشيخ نجم الدين عبد الرحيم بن عبد الوهاب بن عبد الكريم بن الحسين ابن رزين ، وعليها اجازات اخرى لكثير من الشيوخ المعتبرين ، ونص بعضها :

قرا جميع هذا الكتاب الجامع على الفقيه الاجل الحافظ الامام ابي علي حسين بن محمد الصدفي رضي الله عنه محمد بن اسماعيل بن حسين الجمحي ، وكان الفراغ منه فى عقب ربيع الاول من سنة عشرة وخمسمائة والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله وسلم . وعليها ايضا اجازة الصدفي المذكور للقاضي عياض فى جملة من الفقهاء بسماعهم له فى المسجد الجامع بمرسية ، وعليها ايضا ما صورته بخط جيد فى غاية الاتقان .

الحمد لله قرات بعض هذا الجامع الصحيح للامام

---

(38) اعتمدت على نسخة للمؤلف فى ملك الاستاذ السيد محمد العابد الفاسي محافظ الخزانة الكبرى التازي — ليبيا لدى الرحالة المغاربة ، مجلة المجمع العلمي العراقي 1970 .

(39) لا ننسى ان نسخة ابن سعادة تحتوي كل ورقة فيها على اثنين وعشرين سطرا فقط .

(40) فى الصفوة لدى ترجمة ابي مهدي الثعالبي (رض) حول عدد احاديث البخاري ما نصه :

وعده احاديث البخاري خالصا * من العود والتكرار الفان مع خلف
وزد عشرة من بعدها وثلاثة * اضفها اليها تنج من شبه الخلف

الصالح الامام ابي جعفر أحمد بن ولي الله الخطيب الصالح الامام العالم الزاهد ابي عبد الله محمد بن ابي جعفر احمد بن يوسف الهاشمي الطنجالي ، وحدثني به ابقاه الله عن جده الامام ابي جعفر المذكور اجازة عن الامام ابي عبد الله محمد بن عبد العزيز بن سعادة الشاطبي (41) وابي الحطاب بن واجب عن الامام ابي عبد الله محمد بن يوسف بن سعادة الرابع عشر ممن تسمى فى الطبقة الثانية ، بخط ابي عامر ابن المستعين بالله عبد الرحمن بن احمد بن هود ، تحته بسماع ابن سعادة على الامام كاتب هذا الاصل ابي علي الصدفى بسنده فيه واجاز رضي الله عنه لي ولبني الثلاثة أحمد وشقيقه محمد ومحمد المكي بلي ؟ القاسم — وفقهم الله جميع ما تجوز لي روايته بشرطه . وهذا السند من هذا الطريق اعلى ما يوجد اليوم على وجه الارض ولله الحمد ، وتناولته من يده رضي الله عنه وذلك بمدينة غرناطة المحروسة فى الثامن لجمادى الاولى عام اربعة وخمسين وسبعمائة وكتب محمد بن احمدبن محمد ابن مرزوق التلمساني ، وبعده : ما ذكر من القراءة والاجازة والمناولة صحيح كما ذكر، وخطه سطر ؟ وكتب احمد بن محمد بن احمد الهاشمي الطنجالي ، وفى تاريخه .

وعلى ظهرها ايضا : هذه النسخة جميعها بخط الامام ابي علي الحسين بن محمد الصدفي شيخ القاضي عياض وهي اصل سماع القاضي عياض عليه كما تراه فى الطبقة المبينة فى الورقة المقابلة (42) لهذه وهي الاصل الذي يعتمد عليه ويرجع عند الاختلاف اليه ولقد اعتمد عليها شيخنا الحافظ أبو الفضل ابن حجر حالة شرحه للجامع الذي سماه (فتح الباري) والله الموفق .

وعلى ظهرها ايضا بخط حسن لكاتبه ابن العطار فى الشيخ الامام الحافظ ابي علي حسين بن محمد بن عيسى الصدفي كاتب هذا البخاري وهو شيخ القاضي عياض صاحب كتاب الشفا رضي الله عنهم أجمعين .

قد دام بالصدفي العلم منتشرا ❋ البيتين

وقلت ايضا فى سيدنا ومولانا قاضي القضاة برهان الدين ابن جماعة الكناني الشافعي ادام الله ايامه واعز احكامه وقد حملت اليه هذه النسخة لمجلس حكمه بالصالحية فى العشر الاوائل من شهر رجب الفرد سنة اثنتين (43) فنظر فيها وقال لو كتبت نسخة واضحة بخط حسن وقوبلت على هذه لكانت احسن ، ومال اليها ، فان كاتبها رجل جليل القدر رضي الله عنه .

راى البخاري بخط الحافظ الصدفي ❋ البيتين

وكان وقوع هذين البيتين ارتجالا بالمجلس بحضرة الشيخ سالم الاسكندري لا غير .. (44) الدين محمد بن قاسم حاجبه ، وعبده فرج رقيق ياقوت رضي الله عنهم وغفر لنا ولهم ولوالدينا ووالديهم ولجميع المسلمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا وحسبنا الله ونعم الوكيل ، الى غير ذلك من الاجازات وخطوط الاشياخ والكتابات يعلم ذلك من يقف على النسخة المذكورة كما وقفت عليها ولله الحمد بدءا وعودا .

ومن جملة ما سطر بآخرها بعد كتابات بخط الصدفي المذكور ما صورته :

الحمد لله ترجمة الامام الصدفي كاتب هذه النسخة : هو الحسين ابن محمد بن فيره بن حيون بن سكرة الحافظ أبو علي الصدفي السرقسطي الاندلسي ذكره ابن عساكر فى تاريخ دمشق ، وابن العديم فى تاريخ حلب وابن النجار فى تاريخ بغداد والقاضي عياض فى مشيخته والذهبي فى الحفاظ وتاريخ الاسلام ، وابن بشكوال فى الصلة وابن فرحون فى الطراز المذهب وغيرهم وانه كان عالما بالحديث وطرقه عارفا بعلله ورجاله بصيرا بالجرح والتعديل مليح الخط جيد

---

(41) وجد على هامش المخطوطة طرة هكذا : هذا هو التحقيق فى هذا السند لا كما زعم بعضهم من سقوط ابن سعادة الاول . قاله ابن مرزوق . تم ما وجد .
(42) فى الهامش طرة هكذا : اشارة الى اجازته المشار اليها قبل ...
(43) فى الهامش : طرة (لم يدر) وقد علمت انها سنة ثمانمائة من نقل الناصري .
(44) فى الطرة : أكلته الأرضة .

الضبط كثير الكتابة حافظا لمصنفات الحديث ذاكرا لمتونها ــ واسانيدها قائما على الصحيحين وجامع ابن عيسى الترمذي (45) مات شهيدا فى ربيع الاول من سنة اربعة عشر وخمسمائة وبآخرها ايضا بخط الصدفي المذكور التعريف بالبخاري وذكر بعض فضائله رضي الله عنه (46) .

— ◆ —

لقد عرفنا ــ من خلال نقول الرحالة ــ كيف انتقلت مخطوطة الحافظ الصدفي من اسطنبول الى طرابلس ، ويبقى علينا ان نعرف كيف تم انتقالها من الاندلس الى بلاد العثمانيين .

نعتقد ان هناك مرحلة اخرى قطعتها المخطوطة .

فلقد وصل الكتاب من الاندلس الى المغرب والى مدينة فاس بالذات وهناك قضى ردحا من الزمان على ما يظهر قبل ان يتحول الى اسطنبول .

وهكذا فكما كان الشأن فى عدد من المخطوطات التي حملت الى العاصمة سواء بطريق الفداء او طريق المجاملة ، كان الشان كذلك فى كتاب الصدفي .

لقد ظل هم الملوك المغاربة مركزا على انقاذ ما يمكن انقاذه من ذلك التراث الذي وقع بأيدي القشتاليين .

قرانا عن الثلاثة عشر حملا من انفس الكتب بما فيها « كتب الحديث » التي اهداها (صانش) الى العاهل المغربي يعقوب بن عبد الحق المريني بمناسبة هدنة 15 ربيع الاول عام 684 (47) .

وقرانا عن سفارات السلطان المولى اسماعيل لملك اسبانيا من اجل الحصول على اكبر عدد ممكن من مخطوطاتنا الاسيرة هناك (48) .

ولهذا فلا يبعد ان تكون لكل تلك المساعي علاقة بوجود الكتاب بفاس بالذات .

على ان هناك مسلكا آخر يمكن ان يكون الكتاب اخذه فى الالتحاق بالمغرب وهو الطريق العائلي ، فنحن نعلم انه توجد بفاس منذ القرن السادس الهجري اسرة تحمل اسم (ابن حيون الصدفي) وقد اشتهرت من بينهم شخصية كبيرة هو ابو مروان عبد الملك بن حيون (ت 599) الذي كان يسكن بدرب شرقي جامع القرويين ، هذا الدرب كان يحمل اسم درب الغماري لكنه لم يلبث ان اصبح منسوبا لابن حيون كما عرف منهم القاضي الحيوني (ت 687) قاضي فاس المشرف على القرويين (49) .

وقد اشتهر ابن حيون بالاعمال الاحسانية الكبرى وبأياديه الكبرى على جامع القرويين (50) .

---

(45) هناك طرة : كان رحمه الله له مصنفات جليلة وأكره على القضاء فوليه ثم اختفى حتى اعفى واستشهد

(46) يذكر الفاسي ايضا : واوقفني سيدي الحاج احمد المذكور ايضا على اختصار الفتوحات المكية للشيخ ابن عربي الحاتمي فى اجزاء احدهما بخطه رضي الله عنه وعنا به ، واوقفني ايضا ، حفظه الله وجزاه عني خيرا ، على خط الفخر الرازي وتبركت بالجميع وتمسحت به سائر جسدي حقق الله آمالنا ووددت ان لو لقيته عند قدومنا على محروسة طرابلس لاشفي بعض الغليل بالكتب التي عنده فان له ولوعا بالكتب ولم يقض الله بملاقاته الا عند عزمنا على السفر من طرابلس والله يفعل ما يشاء.

(47) ابن خلدون : ج 7 ص 21 ــ الاستقصا 3 ر ص 62 ــ 63 .

(48) ابن زيدان : الاتحاف 2 ص 64 ــ 65 .

(49) يؤثر عنه انه عطل اسراج الثريا الكبرى تقشفا وقال : اننا لا نعبد النار وانما نعبد الله . القرطاس ــ طبعة فاس ص 42 .

(50) اسرة ابن حيون الموجودة الى الآن تحمل كذلك لقب الصدفي حسبما اوقفني عليه الاخ الاستاذ قاسم ابن حيون فى الرسوم القديمة ، وقد اكد كتاب (بيوتات فاس فى القديم) ان درب بن حيون ينسب لابن حيون الذي حبس الرباع على جامع القرويين وغيرها .. وهو اندلسي من اسرة العلامة الحافظ حسين بن فيره الصدفي شيخ القاضي عياض .. وقد دفن بيسار المار من زقاق الماء بباب عجيسة ... التازي : تاريخ جامع القرويين الكبير .

ومن المعقول جدا ان تكون المخطوطة قد صارت الى بنت الشيخ الحافظ خديجة (51) سيما وقد كانت على جانب كبير من الاعتزاز بتراث والدها، وربما يكون الكتاب قد انتقل لفاس بواسطة احد السادة من الذين لهم صلة بالسيدة الصالحة : ابنها مثلا (52) .

ومن فاس انتقلت الى اسطانبول عن طريق وفادة علمية او سفارة سياسية ، فقد كان هناك جسر يربط بين المغرب وبين الآستانة وبخاصة ايام السعديين .

ولهذا فمن المحتمل ان ينقل الكتاب للعثمانيين بطريق ما من الطرق .

وامامنا عدة امثلة لمثل هذه التنقلات التي تمت اواخر السعديين فقد ورد المستشرق كوليوس (1032 هـ) ضمن بعثة هولاندية ايام السلطان زيدان، فكانت له فرصة لاقتناء عدد من المخطوطات الثمينة كان منها كتاب ابن بكلارش يوسف ابن اسحاق فى الطب الذي الفه حوالي (500 هـ) للمستعين بالله بن محمد ابن هود والذي ما تزال شذرات منه بخزانة القرويين الى الان بعنوان (المستعيني) ، وكان منها تاريخ ابن صاحب الصلاة المؤلف اواخر القرن السادس الذي لا يوجد منه على ظهر الدنيا ــ فيما نعلم ــ الا نسخة واحدة فى مكتبة اكسفورد (53) .

فهل نستغرب بعد هذا انتقال المخطوطات من بعض الجهات الى البعض الآخر ؟

— ◆ —

ومنذ صدور تلك الافادات عام 1211 انقطعت الاخبار عن مخطوطة الصدفي .. وهكذا لم تكن هناك من نتيجة تذكر للبذل الذي قدمه السلطان المولى سليمان الى الشيخ ابي العباس احمد بوطبل .

ولا بد ان يكون الاستاذ الامام محمد ابن السنوسي (54) (ت 1276 هـ) قد سمع بحديث المخطوطة عندما كان مقيما بمدينة فاس طالبا للعلم فيما بين عام 1236 ــ 1245 ومتصلا برجالات الدولة

---

(51) ترجمها ابن الابار فى تكملة الصلة ص 747 هكذا : خديجة بنت ابي علي الصدفي نشأت صالحة زاهدة حافظة للقرآن وتذكر كثيرا من الحديث ، تكتب وتطالع .. تزوجها صاحب الصلاة بمرسية عبد الله بن موسى بن برطلة فولدت له أبا بكر عبد الرحمن وغيره وتوفيت بعد التسعين وخمسمائة وقد نيفت على الثمانين .. وكلمة صاحب الصلاة تعني وزير الاوقاف ، وقد احتفظت اللغة الاسبانية بالكلمة (Zabazala) ابن الابار : معجم اصحاب الصدفي ص 226 .
ابن صاحب الصلاة : تاريخ المن بالامامة نشر عبد الهادي التازي ، بيروت 1964 ص 16 .

(52) ترجم ابن الابار لابن برطلة زوج خديجة مذكرا انه من تلامذة الصدفي وانه رحل عام 510 لاداء فريضة الحج سمع بالاسكندرية من ابي عبد الله الرازي وابي الحسن بن مشرف وابي بكر الطرطوشي وابي طاهر السلفي ، كان من اهل النباهة والنزاهة ، انجب مع بنت الشيخ ابنه ابا بكر عبد الرحمن .. المعجم ص 226 رقم 206 .

(53) التازي : تاريخ القرويين (الكبير) ، دراسة حول تاريخ المن . مجلة المجمع العلمي العراقي 1964 ص 248 ــ 249 .

(54) ابو عبد الله محمد بن علي المعروف فى مسقط راسه بابن السنوسي قائد الطريقة السنوسية ، ولد بمستغانم (الجزائر) ولم يلبث ان التحق بفاس من عام 1236 الى 1245 حيث اخذ يدرس بجامعة القرويين على علمائها الاعلام ، وقد تصوف على يد القطب الشيخ عبد الوهاب التازي واخذ عن الشيخ ابن ادريس كما اخذ بمدينة سلا عن الشيخ احمد السدراتي ، ومولاي العربي الدرقاوي ، واجازه من علمائها الشيخ حمدون بن الحاج والشيخ عبد الرحمن العراقي ، ثم رحل الى المشرق ولكنه ظل على صلة برجال القرويين من فاس يجيزهم ويستجيزهم ، واقام اخيرا فى الجبل الاخضر برقة (ليبيا) حيث كان له الفضل الاكبر فى تصفية النفوس وتوحيد الصفوف لمقارعة الاجنبي ، له عدة مؤلفات ، ادركه اجله بواحة الجغبوب على مقربة من طبرق ، وله فيها مشهد جلبت ابوابه من كابل بافغانستان دفن معه فيه ابنه محمد الشريف ، اما ولده الثاني المهدي والد الادريس فقد دفن فى الكفرة . شكيب ارسلان : حاضر العالم الاسلامي 1 ر 277 ــ دائرة المعارف الاسلامية ج 12 فهرس الفهارس 2 ر 374 ــ 375 . ص 292 عبد الهادي التازي : امير مغربي فى ليبيا .

الذين كان على رأسهم الملك العالم العامل أبو الربيع سليمـــان (55) .

ويظهر لي ان اسم الشيخ بوطبل عرف من لدن ابن السنوسي فى فاس قبل ان يتلمذ عليه عند اختياره المقـــام فى ليبيـــا .

وانا على مثل اليقين من ان تعرف الامــام ابن السنوسي على شيخ طرابلس كان فرصة ثمينة مكنت الامام من حيازة المخطوطة سيما وقد عرف عنه ولوعه الزائد بجمع الكتب ، وخاصة منها كتب الحديـــث ، وانتساخها واقتنائها من الاماكن البعيدة حسبما يدل على ذلك ما تبقى من خزانته العظيمة التي تحتضنهـــا اليوم واحة الجغبـــوب (56) .

بيد ان الذي ضاعف من سوء ظـــن المهتميـــن والباحثين ما تعرضت له الاراضي الليبية من غـــزو اجنبي متلاحق ماحق اتى على معالمها وقضـــى على ملامحها واضطر معه بعض القادة السنوسييـــن الى هجرة البلاد فى اعقاب نضال طويل مرير .

ولما احتل الطليان مدينة طرابلس عام 1329 هـ (57) (1911 م) تقدم للجهاد على رأس المؤمنين الشيـــخ الماجد السيد احمد الشريف بن محمد الشريف ابن سيدي محمد السنوسي (58) وكانت منازلات شديدة بين الفريقين لا لين فيها ولا هوادة .

وقد كان كتاب الصدفي لا يفارق المجاهدين فى حلهم وترحالهم يتبركون به ويتيمنون ويرجعونه الى مكتبته بعد اداء واجبهم .

وفى يوم من تلك الايام اشتدت حملات الطليان على البلاد وتقدموا بخطواتهم الى قلب المدينة حيث اخرجوا جميع ما في المكتبة من المخطوطات وجمعوا بعضها على بعض وكان من ضمنها كتاب ابن سكرة ، وبينما الجند فى نشوة من نصرهم يتهيأون لالهـــاب النار اذا بالمؤمنين يكرون عليهم كرة افسدت عليهـــم خططهم وقذفت بهم بعيدا الى الوراء وكان ان انقذ الله طرابلس بسبب الغيرة على هذا التراث !

ولما وقعت ليبيا اخيرا امام تحالـــف القـــوى الاوربية الخارجية اصبح من المؤكد ان نسخة الحافظ الصدفي لقيت حتفها ، فاما ان تكون قد ضاعت فيما ضاع من آثار واما ان تكون انتقلت الى احدى المكتبات الاوربية فى عداد التحف المنهوبة .

لكن اشارة وردت على مدينة فاس بواسطة احد طلبتها الذين تم لهم لقاء بالمشرق مع السيد احمـــد الشريف السنوسي ، تبشر تلك الاشارة بأن « الاصل المذكور بخط الصدفي موجود ضمن كتب السيـــد المشار اليه .. واكدت هذه الاشارة رسالة بخط يده تذكر بالحرف « ان نسخة البخاري التى بخط الصدفي عندي فى الكتب التي بجغبوب يحفظها الله » (59) .

— ◆ —

لا اذكر باي نية ذيلت مقيداتي حول هذه النسخة المنشودة فى يوم من ايام ثاني الاشهر الحـــرم (23 شعبان 1376 هـ الموافق 25 مارس 1957 م) ، لا ادري كيف ذيلتها بهذه الكلمة « زر الجغبوب » ! هل كنت انوي! حقا زيارة الجغبوب ؟ ام انه كان تعبيـــرا يوحي بأن الموضوع انتهى . !

وحينما اخذت – بعد عشر سنوات – أستعـــد لاختيار ما يصحبني من اوراق ووثائق وذلك عندمـــا

(55) احسان عباس : الحركة السنوسية ص 50 .

(56) من ذلك انه لما سمع بأن قاضي فاس أبا محمد عبد الهادي بن عبد الله العلوي شرح تيسيـــر ابن الديبع : تيسير الوصول الى جامع الاصول فى مجلدين لابن الديبع حافظ اليمن ومؤرخه) كتب له عليه حتى نسخ له ... وقد كان مكتوب ابن السنوسي ما يزال بيد ابنه مولاي ادريس عندما الف صاحب فهرس الفهارس كتابه ، المجلد الثالث ص 309 .

(57) الزاوي – اعلام ليبيا ص 5 3.

(58) احمد الشريف هذا ولد بالجغبوب ليلة الاربعاء 27 شوال سنة 1290 هـ (1873 م) مجاهد مناضل لا تقرع له قناة .. وقد هاجر الى المدينة المنورة فتوفى بالمدينة المنورة بتاريخ 14 قعدة عام 1351هـ (11 مارس 1933) وصلى عليه صلاة الغائب بفاس من طرف الوطنيين المغاربة يوم الجمعة ثانـــي محرم 1352 موافق 28 ابريل ، وقد حضرت هذه الصلاة غلاما مع والدي .

(59) فهرس الفهارس 2 ص 110 – 111 .

حظيت بشرف تمثيل بلادي بتلك الديار كان فى صدر ما حملته تلك التقاليد ...

وفى اثناء حديث خاص مع الملك الادريسي ابن المهدي بمدينة طبرق صيف 1967 وحديث آخر معه فى ربيع 1968 بمزرعته فى ضواحي طرابلس تكرر الحديث حول مخطوطة الحافظ الصدفي التى ظللت اعتبرها راجعة للخزانة الملكية المغربية .

وقد شعرت برغبة العاهل الملحة فى ان يتمكن من استجلاء الحقيقة حول الكتاب المذكور ، وتفضل فوجه الدعوة الي لزيارة الجغبوب للوقوف على الخزانة العلمية وكنت منذ اتصالاتي الاولى برجالات العلم فى البلاد لا افتأ مرددا حديث هذا المخطوط .

وفى هذا الصدد قمت بزيارات متكررة الى مكتبة الاوقاف ومكتبات اخرى كان فيها ما هو خاص باصحابه

وقد جمعتني الصدفة يوما باحد المشايخ من اهل الفضل وطيب المعشر ، وكان ذلك يوم 27 مارس 68 بطرابلس ، فعلق لي على الاستفسار بان اكد انه يعرف وجود الكتاب فى الجغبوب فعلا ، وانه كان قبل ذلك بخزانة الاوقاف بطرابلس ...

وكان هذا مما شجع الرغبة الى التفكير فى القيام بزيارة (الواحة) سيما بعد ان يئست من الحصول على المنشود بالعاصمة ...

وقد وصلتها يوم الاحد 22 ابريل 1968 (60) وكانت فرصة نادرة بالنسبة الي ان اقف على هذه المجموعة المهمة من المخطوطات التي يتناول اكثرها علوم التفسير والحديث والنحو والفقه ، كما كان فيها ايضا جانب يتعلق بالطب والتوقيت والتاريخ (61) .

---

(60) جريدة (الرائد) الطرابلسية بتاريخ 26 ابريل 1968 — جريدة طرابلس الغرب 12 — 8 — 68 19 .

(61) كانت جولة ممتعة فى هذه الدواليب الثمانية ، وفى الصناديق الاخرى .. وان اول ما يثير الانتباه حقا ان خمسة وسبعين فى المائة منها بخط مغربي ، وان جل تلك المخطوطات ان لم اقل كلها لا بد ان تجد فيه تحشية او توقيفا بخط الامام السنوسي رحمه الله ، ومعظمها وضع عليه ختمه : « فيض الفتح القدوسي السيد محمد بن السيد علي ابن السنوسي » وفيها ما كان بالزاوية الصحابية بمدينة درنة : وقفت هنا على مخطوطة لابي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله المقري بعنوان كتاب البدور فى تراجم الكتب ، وكتاب مجمع البحرين تاليف الشيخ القتني ، والثالث من كتاب عارضة الاحوذي لابن العربي ، ورحلة العياشي فى مجلد واحد ، وقد استرعت بعض المقاطع اللطيفة فيها نظر الامام السنوسي مثل تكارم اهل مصر فيما بينهم بشراب البن اي القهوة التى ليست بطعام ولا بدواء ولا شهوة !! ، وشرح لطيف للشيخ الدليمي الشهير بالوزازي على الزقاق .. وفتوى الشيخ علي التسولي عن حكم من دخل تحت الذمة الكافرة ، وفتوى ابي عبد الله بن قطية عن سؤال فى حكم الهجرة من الارض التي تغلب عليها الكافر ، **وكتاب اجلاء اليهود الفاجرة** لابن ابي الرجال ، وصرف الهمة فى تحقيق معنى الذمة ، والنصف الاول من الذخيرة للقرافي ، وعيون البصائر على الاشباه والنظائر فى الفقه الحنفي ، وفيها مخطوطات متعددة للشيخ زروق ، وفى الكتب (طرد الضوال والهمل عن الكروع فى حياض مسائل من العمل لعبد الله بن ابراهيم العلوي وهو بخط الشيخ محمد المختار بن الامين بن المختار بن سيد الامين ، وبعضها بالفارسية حول التصوف ، وفيها الامالي لتعلب ، ومخطوطة تتضمن الجواب عن خمسة اسئلة لابي الحسن بن عبد الستار البغدادي الخضار نزيل الحجاز على سبيل المجاز .. ومن المخطوطات المعتنى بها الدرر المرصعة باخبار اعيان درعة لسيدي محمد بن موسى بن محمد الناصري الدرعي ، وقد استهل بذكر نسب السلطان المولى اسماعيل ... ومجموع يتضمن بعض تآليف سيدي احمد بن ادريس كرسالته كيميا اليقين وتفسيره للضحى وسورة الم نشرح ولسورة التين والزيتون وشرحه لحديث (المعرفة راس مالي ...) وهنا رسالة تاريخية مقحمة ضمن مجموع شرح المعلقات من النساخ الوسطي ! انشاها الى خليفة بغداد الملقب بالناصر لدين الله احمد بن الحسن بن الحسن يحثه على ارسال العساكر الى اليمن لحرب الامام المنصور بالله عبد الله بن حمزة ، وذكر فيها شيئا من مناقب الامام علي .

ومناقب شهد العدو بفضلها ❋ والحق ما شهدت به الاعداء =

وقد كان علي أن أتصفح زهاء الالف مخطوط بحثا عن ابن سكرة شيخ ابن سعادة ! هذه النسخة الفريدة من صحيح الامام البخاري التي كان السلطان المقدس مولانا سليمان تاق للحصول عليها بالشراء من حاضرة طرابلس والتي اجمعت المصادر على انها لا تقدر بثمن.

كانت ساعات متواصلة في العمل وكانت في البداية ملذة الا انها في الاخير اخذت تثاقل عندما اوشكت على النهاية ولم اعثر على كتاب للصدفي .

وبعد كثير من السؤال وبعد كثير من البحث طلبت الوقوف على اوراق توجد في درج كانت تتعلق بسير المكتبة ، وهكذا زودني الشيخ ... بوصل كان فيه كل ما كنت أرجوه لانه وضع اصابعي على المفتاح ..

لقد علمت منه ان النسخة استعيرت منذ 18 شتنبر من سنة 1956 بمناسبة الذكرى المائة لوفاة الامام ابن السنوسي دعى الى مهرجان كبير حضره رجال العلم من معظم الجهات ، وكان في المدعوين فضيلة الشيخ الفاضل بن عاشور جدد الله عليه الرحمات ، واظنه كان بصدد تأليف في الحديث الشريف وحيث انه يعرف المركز المظيم الذي تحتله مخطوطة الصدفي فقد استعارها لتدقيق المقابلة .

وقد جاء في التوصيل الذي كتبه ووقعه ما يلي :

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

بنغازي في 11 صفر 1376 موافق 18 شتنبر 1956 .

توصل الموقع أسفله محمد الفاضل ابن عاشور من السيد ناظر مكتبة الاوقاف لبنغازي بنسخة صحيح

= السلام عليك ايتها المغاني المقدسة بالاكياس، المطهرة من الادناس ، المحلاة بأفضل لباس ، المستحقة ؟ لخلفاء بني العباس ، المتارج عرفها ونشرها ، السائر مع الملوك ذكرها ، وظل العزة الرضية ومفرش ؟ السجود المباركة النبوية .

ومغنى أمير المؤمنين وداره	❊	ومنها عماد الملوك قر قراره
تخيرها المنصور دارا فحلها	❊	واوطنها من كان حقا تجاره
هي الروضة الفناء والربوة التي	❊	تخيرها قدما فصار خياره
وفيها امير المؤمنين محمد	❊	وخير شعار الموسرين شعاره ؟
وتهمل في اكناف دجلة جيله	❊	ويضرب فوق الشط منها مضاربه الخ
يا رب امعني لطيف في معالمها	❊	تراه عين عما ؟ الافكار قد حجبا

يروي لبغداد ان العلم متجرها ؟؟

وهناك مجموعة من الكتب الطبية تضاهي كتاب الادوية المفردة للغافقي الذي اكتشف بطرابلس منذ سنوات : كنز العلوم والدر المنظوم في فن الطب لمؤلف مجهول وقد اختصره في خمسة ابواب ، وبه تعليقات وتوقيفات جد طريفة وذات صلة كبيرة بالطب الحديث .. وقد خيط مع هذا كتاب آخر في الطب فيه عشر مقالات وثلاثة وسبعون فصلا كان منها فصل خاص بعلاج الهزال وعلاج البدنة أيضا ... وهناك كتاب ثالث آخر في الطب اسمه الاعلام لعلي بن عبد الصادق العبادي نسبا الجبالي لقبا ... وكتاب الداء والدواء لابن القيم ... وهنا ريحانة الالبا وزهرة الحياة الدنيا لشهاب الدين الخفاجي الذي يتناول ايضا فيها جانبا من المغرب ... وكتاب لباب الالباب في تحرير الانساب لمحمد بن احمد التواتي .. هذا الى عدد من المؤلفات في التوقيت وأدواته : الاسطرلاب ، انصاف الدوائر ، المزاول ... وديوان (شيخنا) سيدي حمدون بن الحاج .. وكتاب الفصوص لمحيي الدين بن العربي .. ومجموع بعنوان أسانيد المغاربة فهرست ابن غازي ، والشيخ عبد القادر والكوهن ، والعميري وابن سودة ، والبناني .. لكن فقد من المجموع ابن غازي والكوهن والبناني .. ومن محتويات الخزانة نسخة من الانجيل طبعت بباريز منذ عام 1837 . واتمنى ان تسمح لي الفرص بتقديم وصف ادق ترتيبا واكثر شمولا لكل تقييداتي في هذه الرحلة الى الجغبوب والتي تلتها .. جريدة طرابلس الغرب عدد الاحد 18 يناير 1953 .

البخاري المخطوطة عدد 2159 لحملها معه الى تونس لتبقي لخزنة المكتبة العبدلية بجامع الزيتونة الاعظم لتصحح عليها نسخة الصحيح ثم توجه الى مقرها الاصلي مع الشكر الجزيل والسلام .

(التوقيع)

وهكذا اختصرت الرحلة وعدت فور الحصول على المرغوب للراحة في طبرق حيث اخذت طريقي في الصباح الموالي الى البيضاء لاطير منها الى طرابلس عبر بنغازي ...

وقدوة بالشيخ ابن عبد السلام الناصري الذي كان انشد البيتين الماضيين عندما عثر على النسخة لاول مرة ، نظمت كذلك على الوزن والقافية :

(هذا الكتاب الذي تاق الملوك له
من خط فخر الرواة الحافظ الصدفي

رعته زاوية الجغبوب في كنف
فصانها الله في عز وفي شرف !)

— ◆ —

لقد افاد توصيل الشيخ ابن عاشور (62) ان المخطوطة كانت في مكتبة بنغازي ، وهو ما ذكره محافظ مكتبة الجغبوب مؤكدا ان كل ما كان هناك تحول الى الواحة بما في ذلك الخروم والاوراق التي وجدت من بينها التوصيل المذكور ، وهكذا يكون الكتاب ظل متنقلا بين طرابلس وبنغازي والجغبوب حسب امن المنطقة وذلك زيادة في الحفاظ عليه ...

لقد كنت اتصور جيدا الفرحة التي تملكت الملك الادريس وهو يتلقى بشرى العثور على مخطوطة كانت مطمح الامراء والعلماء ...

ولكني لم اكن اتصور انه سيصدر امره الى شخصية كبرى في الدولة لتاخذ طريقها ــ اظن في طائرة خاصة ــ الى تونس من اجل التاكد من وجود المخطوط !!

لقد طلب الي ان اقدم اليه وصفا مدققا للكتاب من خلال ما كتبه الرحالون المغاربة ، فكان لي شرف ارضاء الطلب الذي ختمته بتاريخ 17 ربيع الاول 1388 (13 يونيه 1968) بهذه العبارات :

« ... واذا كان لي من نصيب يذكر عند الله في احياء هذا الكتاب فان الفضل الاكبر والمأثرة الجلى كانت للذي اظهر من جليل الاهتمام بهذا التراث ما عرف به المسلمون الاوائل ... »

ومن طريق المصادفات ان مقدم المبعوث الخاص صادف وجود السيدة ام كلثوم في زيارة فنية لتونس فتحدث بعض الناس بأن الهدف من وصول المبعوث الليبي هو توجيه الدعوة لكوكب الشرق من اجل احياء ليالي في طرابلس وبنغازي !

نعم لم يعد السفير الا وقد فتح الله عليه ، فرجع ومعه ذلك التراث الذي كتب له ان يتنقل مرة رابعة وخامسة من برقة الى تونس ومن هذه الى طرابلس ..

وفي جلسة خاصة مع العاهل في بيته المتواضع بالبيضاء افتر ثغره وتهللت اساريره للكسب العظيم الذي قال : انه يفوق بالنسبة اليه اخبار اكتشاف حقول النفط ! مضيفا الى هذا انه يعتبر المغرب جديرا بهذا المخطوط .. وانه هو وحده الذي يستحق شرف امتلاكه ، ليس فقط لان السلطان المولى سليمان كان اشتراه من مالكه ، ولكن ايضا لان سفير جلالة الملك الحسن الثاني توفق في تقفي آثار هذا الكنز الثمين .. وتعبيرا من العاهل الفاضل عما غمره من مسرة تكرم فآثرني باجازة على طريقة المشايخ القدامى وكانت تحمل توقيع (محمد ادريس المهدي السنوسي) وتاريخ ثلاثين جمادى الاولى 1388 (25 غشت 1968) وعندما قدمت لمقامه تقييما للمجهود الذي قام به بعض المستشرقين عندما نشر جزءا من نسخة ابن سعادة الذي هو تلميذ الصدفي .. لم يتردد في أن يعرب عن مشاعره في أن اقوم بمثل العمل بالنسبة لنسخة الصدفي حتى يتسنى توزيع نسخ من المخطوط ، بعد نشره ، على كافة الملوك والرؤساء المسلمين في سائر جهات الدنيا على نحو المأثرة التي قام بها الملك الحسن الثاني عاهل المملكة المغربية عندما قدم للمسلمين

---

(62) في حديث الشيخ ابن عاشور عن « النسخة الشيخة » بمناسبة بحثه حول التوامة بين فاس والقيروان ، لم يشر للحديث عن نسخة الصدفي مجلة المغرب دجنبر 1965 يناير 1966 .

مصحفه الفريد المجيد . وقد وعدت بانجاز المقدمة التي احلي بها صدر المخطوط . .

وبالرغم من ان الواجب نادى الى أرض الرافدين من جديد ، فقد ظللت وفيا بالوعد الذي قطعتـــه على نفسي واستمررت على مراسلة العاهل فيما يخص هذا الكتاب الجليل ، وقد علمت انه أي المخطوط أخذ الى محل اقامة الملك بطبرق ، ولما عزمت على الالتحـاق ببغداد كان فى النية ان اعرج على تلك الديار من اجل اخذ اللوحات اللازمة لكن الادريس كان قد تحول الى غرب البلاد فى تفقدات داخلية .

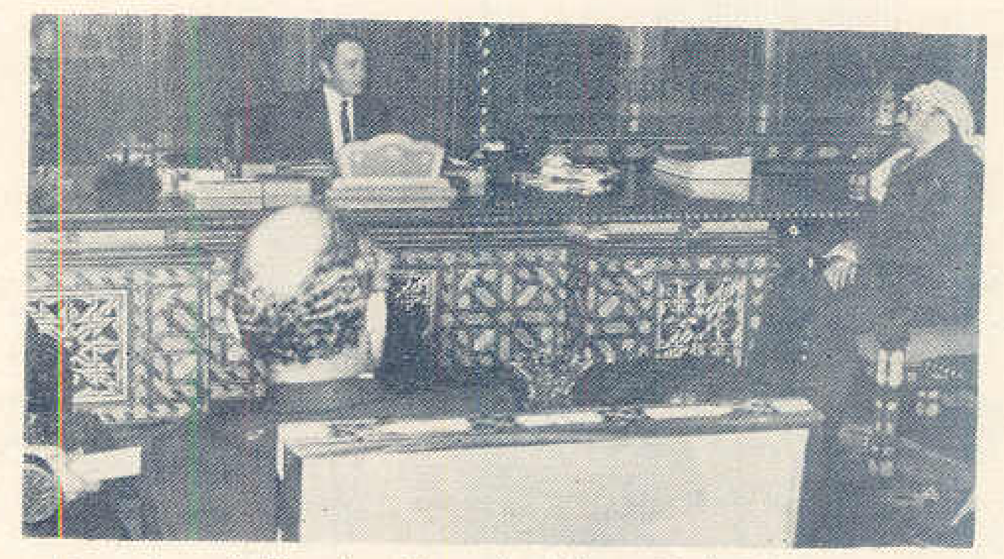
واغلب الظن ان المخطوط ما يزال بطبرق وانه لم يصحب الملك فى رحلته الاخيرة التى انتهت بمقامـه فى الاسكندريـــة .

وبعد فقد رايت اليوم من الامانة للتاريخ والشفاء للنفس ان اتعجل بتحرير هذا التعريف ولو اني كنت آمل ان أتمكن ـ على الاقل ـ من نشر عدة لوحـــات للمخطوطة توضيحا لها وتبيينا . . . وذلك فى انتظار الالتفات الى ذلك التراث الذي كان كعبة كبار العلماء واعيان الحفاظ فى الاندلس وبلاد افريقيا والمغرب . . . ذلك التراث الذي لاذ بالمغرب بعد سقوط الاندلـــس وسار فى رحلة الى اسطامبول على ان تحتضنه رفوف طرابلس ويوجه سلطان المغرب لمالكه الــف مثقـــال فتحول ظروف عصيبة دون وصول المخطـــوط الى حاضرة فـــاس .

د. عبد الهادي التازي







استقبل جلالة الملك الحسن الثاني في يوم 20 — 1 — 73 السيد ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية الذي كان مرفوقا بالسيدين ابو يوسف وابو مروان وعضوي اللجنة التنفيذية للمنظمة المذكورة وممثليها في الرباط.

وجرت هذه المقابلة بحضور السيد احمد عصمان الوزير الاول والحاج امحمد باحنيني وزير الدولة ووزير الخارجية بالنيابة والدكتور محمد بنهيمة وزير الداخلية .

وفي اعقاب المقابلة التي استمرت ساعة وربع أدلى السيد ياسر عرفات بالتصريح التالي :

« لقد تباحثت مع جلالة الملك الحسن الثاني حول وضعية عامة تخص القضية الفلسطينية والموقف العربي وكذلك حول مؤتمر وزراء الدفاع وتنسيق الجهود في الدول الاسلامية والافريقية .

وقد وجدت من صاحب الجلالة كعادته كل تفهم وايجابية وخير .

وليست هذه أول مرة نصادف فيها مثل هذه المواقف فهو يعتبر قريبا للثوار والمجاهدين الفلسطينيين وقريبا للشعب الفلسطيني الذي يمر في هذه المرحلة بظروف دقيقة حيث الهجمة عليه هجمة شرسة وهو يمارس القتال منذ مشروع روجرز وحتى الآن بشكل قوي‌و أنا متجشم خيرا من هذه المقابلة .



ذات يوم من ايام طلب العلم بمصر ــ القاهرة ، قصدت دار المرحوم الدكتور محجوب ثابت التي كانت بجوار « بيت المغرب : مقر البعثة العلمية » فوجدت عنده ثلة من الادباء والعلماء من أصدقائه ، وما كان اكثرهم !

وتفضل رحمه الله بتقديمي للحاضرين ، وعقب قائلا : احد احفاد الادارسة الذين اسسوا بالمغرب ملكهم العتيد ، وخلف من بعدهم خلف دوخوا البلاد وقادوا العباد ، واليوم يحتل الفرنسيون بلاده ..

وانبرى احد الحاضرين وقال : ان كثيرا من علماء الجغرافيا يعتبرون بلاد المغرب جزءا من بلاد أوربا ... ولم افهم ساعتئذ من هذه الجملة شيئا الا انها تبرير لحالة الاحتلال التي اشار اليها الدكتور ثابت ، فما كان الا ان اجبت بأن المغاربة من جهتهم يعتبرون بعض بلاد أوربا جزءا لا يتجزأ تاريخيا من بلادهم .. وفهم الحاضرون المقصود ، وتدخل الدكتور محجوب ثابت رحمه الله فحول مجرى الحديث .

أتيت بهذا لاثبت من جديد ما قلته منذ قديم من ان صلة المغرب بالشمال كانت وثيقة تاريخيا ، وثوق صلته بالشرق . ولعل هذه الصلة بجانبيها الحربي والسلمي مضافا اليها ما يمتاز به المغرب من خصائص ومزايا طبيعية واجتماعية ، ومن كرم الضيافة ، هي التى كانت تلفت أنظار الاوربيين فيؤمه العدد العديد منهم طوال عهوده التاريخية ، ويقصدونه اما مختارين وبملء حرياتهم ، واما فارين من جور حكامهم او من وجه العدالة في بلادهم ، واما يأتونه اسرى حرب مكبلين مغلولين فلا يلبثون ــ ان لم يقع فداؤهم ــ ان يمن عليهم فينعموا بالحرية المنشودة .

وقبل النفاذ الى العصر العلوي الذى تقتضي المناسبة التركيز عليه ، اود ان اعود قليلا الى الوراء ، لتتبين معالم الطريق الى الامام ، ويزداد الموضوع اتضاحا :

في أواسط القرن الثالث عشر الميلادي (1246) كتب البابا انوسنت الرابع من مدينة ليون Lyon الى الخليفة الموحدي المعتضد بالله ابي الحسن السعيد على بن ادريس المأمون بن يعقوب المنصور ، يوصيه خيرا بالمسيحيين الذين في خدمته ، ويسأل عما اذا كان من الممكن ان يخصص لهم العاهل المغربي مدنا أو حصونا معينة ليحتموا بها او ليتركوا بها زوجاتهم واولادهم في الوقت الذي يكونون فيه ــ حسب قوله ــ يحاربون أعداء الامير ، وفي مقابل الاستجابة لهذا المطلب ، يعد البابا ملك المغرب بأن يبذل من جهته كل المساعي الحميدة والتسهيلات الكنسية .

هل اجاب العاهل المغربي على مطلب البابا بالنفي ؟ ام هل اهمل الجواب كلية ؟ هذا ما لا نستطيع التأكد منه الآن ، غير أننا نعرف أن البابا المذكور قد

اعاد الكرة فكتب سنة 1251 الى خلف المعتضد بالله وهو المرتضى أبو حفص عمر ، يقدم له عرضا مماثلا لما فعل مع سلفه ، غير ان البابا هذه المرة يضيف تهديدا بأنه اذا لم يستجب المرتضى لمطلبه ، فانه سيعمل على منع المسيحيين من التوجه الى المملكة المغربية ، ويحرم دخولها على اتباع كنيسته .

ويبدو ان النتيجة كانت سلبية كذلك ، فلم يقع اي رد فعل ملموس ، لا من جانب العاهل المغربي ولا من جانب البابا ، وان الحالة ظلت على ما كانت عليه، لذا نجد البابا نيقولاس الرابع يكتب سنة 1290 رسائل ويوجهها مباشرة الى الفرسان والمحاربين الذين يخدمون فى المغرب او تلمسان او تونس ، يحثهم فيها على الاستمساك بعقيدتهم المسيحية وعلى التشبث بها فى هذه البيئات الاسلامية . ويقال ان فارس «قصص كانتربرى» التي هي من عيون الادب الانجليزي والتى الفها ابو الشعر الانجليزي جيوفرى تشوسر، وصور فيها حياة العصر تصويرا دقيقا، كان قد خدم فى مدينتي الجزائر وتلمسان .

ويغلب على الظن ان هذه الرسائل البابوية كانت معنية فى الدرجة الاولى ببقايا اسرى معركة الارك Alarcos الشهيرة التى وقعت بالاندلس بين الموحدين والاسبان فى 9 شعبان 591 هـ ـ 19 يوليه 1194 م ، اولئك الاسرى الذين يذكر صاحب روض القرطاس ان عددهم كان « اربعة وعشرين الف فارس فامتن عليهم امير المومنين واطلقهم بعدما ملكهم ليكون له بذلك الامتنان اعلى يد عليهم ، فعز فعله ذلك على جميع الموحدين وعلى كافة المسلمين ، وحسبت له تلك الفعلة سقطة من سقطات الملوك » (روض ، ص 162) ، وقد ندم المنصور اواخر حياته على ما فعل ، ولكن حيث لا ينفع الندم .

ونغض الطرف عن التسلسل التاريخي وتعقب الحوادث لنصل بسرعة الى العصر العلوي : الى عهد عبد الله (الاول) بن اسماعيل لنطالع قصة من اغرب القصص واشدها اثارة للدهشة والاستغراب ، قصة جديرة بان تكتب من جديد لتقرا رواية او لتمثل مسرحية على الخشبة او الشاشة ، قصة مغامر اوربي يدعى الدوق ريبردا .

ولد فى اسرة نبيلة من الاسر الهولندية ، ولما بلغ مبلغ الرجال تقلد منصبا ديبلوماسيا هاما فمثل بلاده فى البلاط الاسباني ، وبعد اختياره الجنسية الاسبانية صارت له الاهلية لتولي المناصب العليا فى البلاد ، فتولى رياسة الوزارة فى عهد فيليب الخامس . غير انه لم يلبث أن عزل بسبب من غروره وخداعه للحكومة الاسبانية ، وقذف به فى غيابات السجن .

وبمساعدة احدى الحسناوات الاسبانيات ، تمكن من الفرار من سجنه بمدينة سيكوفيا Segovia وقصد انجلترا ومن بلاد جون بول هذه استاجر سفينة واتى بها الى المغرب ليدخل فى خدمة السلطان مولاي عبد الله ، وليصبح فيما بعد وزيره وقائد جيوشه .

وعلى الرغم من حمايته لليهود الذين اتخذ منهم وكلاءه التجاريين ، فانه لم يكن مدينا لهم باي جزء ولو بسيط من القوة التى استشعرها ، وعرف عن طريقها كيف يضفي على نفسه ذلك السمت الذى يوحي بالشجاعة والمهابة .

كانت ترافقه فى غدواته وروحاته « الحسناء القشتالية » التى ساعدته فى الهرب من السجن ، وكان يوزع هباته وابتساماته يمينا وشمالا ، ويعلن دائما ان عدوه الوحيد هو عدو المغاربة فيليب الخامس ملك اسبانيا . كان يملك موهبة عجيبة فى صنع الاصدقاء ، وكان له وصيف شديد الاخلاص له ، غير ان هذا الوصيف فقد حياته آخر الامر وهو يزاول مهمة التجسس فى سبتة . حاول ريبردا ان يستخلصه من قبضة الاسبان ، غير ان محاولته لم تجد نفعا ، وذهبت مساعيه ادراج الرياح .

احاط ريبردا نفسه بحرس من عشرين شخصا ذوي جنسيات مختلفة: انجليزية وهولندية وفرنسية، كانوا قد ارتدوا عن دينهم القديم واعتنقوا الاسلام ، وكانوا مخلصين له ، راغبين فى الدفاع عنه حتى الرمق الاخير . ويقول البعض : انه استطاع ايضا أن يكتسب عطف السلطانة والدة السلطان ، الامر الذى جعله يحوز رضى العاهل المغربي حتى النهاية .

اصيب ريبردا بداء النقرس ، ومع ذلك ظل قادرا على اعادة تنظيم الجيش المغربي ، وعلى قيادته بنفسه ليهاجم به سبتة او وهران . وكان شديد السطوة ، قوي الشكيمة ، كثير الحفاظ على النظام لدرجة ان اي ضابط خالف النظام او تردد فى تنفيذ الاوامر الصادرة اليه ، فان جزاءه كان الموت لا محالة. وكان ينفذ احكام الاعدام فى الحل والترحال ، ذلك انه فيما يقال كان ينصب المشنقة حول معسكره ، وكان يشنق عليها كل من تسول لهم انفسهم ان

يقترفوا جرائم السلب والنهب او الغش والخداع أو خيانة البلاد واهانة اهلها .

كان يزور بنفسه مراكز طلائع الجيش والنقط الاستراتيجية الهامة . وكرجل قوي لم تكن يد لتستطيع ان تمسه بشر، وكما كان يعرف كيف يكسب الاصدقاء ، كان كذلك يعرف كيف يجعل كل شخص قابله يعتقد ان ريبردا فى خدمته للسلطان انما كان يخدم ذلك الشخص نفسه . ولعل هذا هو السبب فى النجاح الذي صادفه فى حياته بالمغرب .

ان هذه الاعمال السياسية والعسكرية التى كان يزاولها ريبردا فى المغرب ، لم تكن لتحول بينه وبين التجارة ، ذلك انه كان موهوبا فى جمع المال كما كان موهوبا فى جمع الاصدقاء . لقد استطاع ان يتعامل مع اليهود الذين اتخذ منهم وكلاءه وجواسيسه فى آن واحد ، وبوساطتهم استطاع ان يقوم بتجارة واسعة لعل المغرب لم يستفد منها كثيرا لانه كان يحتفظ دائما باكبر نصيب من ثرواته التجارية فى الخارج : اما فى انجلترا واما فى هولندا التى يمتلك بها عقارات واموالا ، وكان مغامراته العديدة جعلته يؤمن بانه فى المغرب ربما كان عابر سبيل فقط .

ولم يبرز ريبردا فى الشؤون السياسية والعسكرية والتجارية وحدها ، بل زاول الشؤون الدينية على نطاق واسع ايضا ذلك انه كان بحكم المولد والتربية رومانيا اي من أتباع الكنيسة الكاثوليكية الرومانية ، ثم أصبح بعد ذلك بروتستانتيا ثم رومانيا مرة اخرى ثم مسلما . ولم يكتف بهذا — وليته فعل — بل انه سعى اواخر حياته لكي يؤسس دينا جديدا يضم شمل المسلمين والمسيحيين واليهود اجمعين ، ويظهر انه لم يكن جادا فى سعيه اذ لم يكن مقتنعا بصلاحية مشروعه الجديد ، او ان الفشل كان حليفه ، لذا نراه يموت مسيحيا على الرغم من دفنه — كما قيل — فى مقبرة للمسلمين !

وتتوالى على المغرب الفتن والحروب الداخلية، مع تلاعب جيش عبيد البخاري وتدخل رؤسائه فى السياسة ، فيعزل السلطان مولاي عبد الله لآخر مرة ، ويعزل معه الوزير ، وحينئذ ينسحب ريبردا نحو تطوان ثم نحو طنجة التى بدا كأنه يفكر فى التحصن بها ، والحيلولة دون ان يمسك بتلابيبه فيها اعوان سلطان المغرب الجديد ، غير انه سرعان ما سحب جيشه وعقد سلاما مع سيد البلاد عن طريق مال وفير دفعه . وهكذا نجد هذا المغامر الاوربي يلبس لكل حال لبوسها ، مما يدل دلالة واضحة على انه كان انتهازيا كبيرا .

ولا يلبث المرض ان يستفحل امره ، فيتغلب على ريبردا ويقهره فى النهاية ، فيبعث الى مدينة مكناس فى طلب قسيس كي يشهد وفاته ، وليمنحه قبل ذلك العفو والغفران ! ويقدم القس بالفعل ، فيقوم بالطقوس الدينية المعهودة ، وتطوى الى الابد آخر صفحة من صفحات حياة ريبردا المثيرة .

وفى عهد محمد (الثالث) بن عبد الله ، نجد هذا العاهل — وقد عزم على القيام باصلاحات وتجديدات — يفتح باب المغرب ازاء الفنيين الاوربيين واليد العاملة الماهرة ، فقصد بلاد المغرب المهرة فى كل فن ، وكان فيهم من أرسلتهم حكوماتهم ، وكان فيهم المهندسون المعماريون والبناؤون والنجارون والطلاؤون والبستانيون من بلاد السويد والدنمارك ، كما قدم آخرون الى المغرب ، فارين من الخدمة العسكرية فى بلادهم ، وارتدوا عن دينهم واعتنقوا الاسلام . ويقال ان عددهم كان ثمانمائة ايبيري (اسباني وبرتغالي) وخمسون ومائتا فرنسي . ومن هؤلاء الف السلطان حامية مدينته الجديدة الصويرة ، وجعلهم محل ثقته ، لانه — فيما يروى — تعرضت حياته ذات مرة للخطر فانقذت بفضل هؤلاء. وفى خلال حكم محمد الثالث كان اسكتلندي يدعى عمر ربان سفينة من سفن الجهاد فى البحر .

وفى القرن التاسع عشر نجد عدد الاوربيين الذين كانوا يخدمون البلاط المغربي قليلي العدد نسبيا، ونجد عدد الذين كانوا يعتنقون الاسلام منهم فى تناقص مستمر . يقدر بعض مؤرخي مجموع الاجانب المقيمين بالمغرب فى هذا العهد بخمسمائة فقط ، خمساهم هم الذين اعتنقوا الاسلام وثلاثة اخماسهم ظلوا مسيحيين ، ولذا لم يكن مسموحا لهم بالاقامة الا فى طنجة و فى تطوان او فى العرائش او فى الصويرة .

ويقول البعض الآخر ان الاجانب الذين كانوا بالمغرب فى هذه الفترة ، واعتنقوا الاسلام ، كانوا ستمائة بين فرنسيين واسبانيين سبق ان فروا من سجون بلادهم ووجدوا ملاذا لهم فى هذه البلاد ، فاستخدموا فى الحرس السلطاني او ارسلوا الى اكوراي جنوبي مكناس .

وعندما اوشك القرن التاسع عشر على الانتهاء، اصبح المسيحيون الذين يخدمون بالمغرب ، لا يعدون العشرات منهم الكونت جوزيف دي ساولتي de Saulty الذى فر فى شبابه رفقة زوجة رئيس له بالجيش الفرنسي بالجزائر كان يحمل رتبة كومندار ، ومنهم القائد الانجليزي ماكلين Maclean الذى ظل محتفظا بدينه ، وشغل لعدة سنوات وظيفة مدرب الجيش والمستشار العسكري لدى البلاط المغربي .

ويظهر ان وجود هذا الضابط الانجليزي بالمغرب اثار غيرة فرنسا ، فبعثت هي بدورها بعثة عسكرية فرنسية وجعلتها فى الظاهر تحت تصرف السلطان وفى خدمته ، بينما كانت فى الواقع مفروضة على المغرب فرضا . وحذت كل من اسبانيا وايطاليا حذو فرنسا فى هذا الشأن ، فأرسلت كلتاهما بعثتها العسكرية الى المغرب ، بيد ان البعثة الاسبانية لم يطل امدها فسرعان ما غادرت ، بينما الايطالية ظلت مكلفة بدار الصنعة اي بمصنع الاسلحة فى فاس . وفى السنوات الاخيرة من القرن 19 كان مستخدما بطنجة بدرجة قائد اسكتلندي مدرب للجيش ، ومهندس من جبل طارق ، كما كان بالرباط مهندس عسكري الماني وظل بها عدة سنوات يصنع البطاريات المنسوبة لصاحبها الذى Krupp لمدافع كراب أسس فى Essen بالمانيا أكبر مصنع للمدافع فى العالم حيث كان يشغل 20 الف عامل .

واخيرا نشير الى البحارة الاجانب الذين كانوا يشتغلون فى السفن المغربية المعنية بالجهاد فى البحر .

تطوان ـ الدكتور عبد الله العمراني



حول قضيّة التعريب

للاستاذ محمد محيي الدين المشرفي

لقد وصف القرن التاسع عشر حقا بانه قرن الاستعمار الحديث حيث نزحت خلاله طائفة من الدول المتقدمة ماديا وتكنلوجيا الى الاستحواذ على مناطق شاسعة، ومدت نفوذها على امبراطوريات واسعة املا فى ضمان مورد لها لا ينضب من المواد الخام، وايجاد منافذ تحتكرها لتصريف انتاجها الصناعي، تلك هي الدوافع الحقيقية التى حملت الدول المصنعة الآنفة الذكر على تسليط نفوذها على هذه الشعوب الضعيفة، وان كانت تعلن فى الظاهر ان الذى دفعها الى مد يدها لتلك المناطق انما هو رغبتها فى مساعدتها على النهوض باعبائها والعمل على تمدينها وتحضيرها .

ومهما يكن الامر فقد امتد العمر بالاستعمار خلال العهود الاولى من القرن الحالي، وكان المغرب من بين البلاد الحرة التى ابتليت بازاء هذا النوع من الاستغلال منذ عام 1912 حتى اراحته عن كاهلها بعد كفاح مرير، واستشهاد وصبر كان مضرب الامثال للامم المومنة بكيانها وكرامتها، وذلك عام 1956 بقيادة المغفور له الزعيم الاكبر جلالة الملك محمد الخامس — قدس الله ثراه، وجعل الجنة مثواه .

ومن منطق الامور — والاستعمار يتقن المنطق ويعرف اين وكيف يستعمله — ان يعمل جاهدا على تثبيت اقدامه حيث يحل، ومن سبله الى ذلك ان يحرم اهل البلاد المغلوبة على امرها من تكوين الاطارات وخاصة منها ما كان فنيا، وان يجعلهم يستشعرون الحاجة اليه ويطلبون معونته فى اخص شؤون معاشهم وهما منه بأن فى ذلك ما يوهن العزائم ويضعف الهمم فى مناهضته .

كما يعمد الاستعمار فى هذا السبيل الى الغزو الثقافي يدعم به السيطرة السياسية والاقتصادية، وغايته من ذلك ان يلون الافكار والعقائد، وينحرف بالعواطف والاتجاهات حتى يحقق له فى البلاد المنكوبة به قدما راسخا بواسطة التغلغل فى عقول الناس وافكارهم وقلوبهم .

وهكذا ترد الشعوب المستعمرة الى حالة من الاتكال المادي والروحي بحيث يصعب عليها بمرور الوقت ان تخلص نفسها من هذه الشبكة الخبيثة التى احكمت حلقاتها بدقة متناهية .

وكان المغرب حتى اوائل القرن العشرين بلدا حرا مستقلا، لم تدنسه أيدي الغاصبين، بحيث استعصت قناته على الغزاة والطامعين كيفما كان مشربهم، وكانت عروبته و تزال بفضل الله والقائمين بأمره من سلالة هذه الدولة العلوية نقية اصيلة فى شكلها وجوهرها حتى راحت تؤثر فى غيرها قبل أن تتاثر بما حولها من الشعوب . فلم يجد المستعمر — وقد دانت له بلادنا بصورة مؤقتة — الا ان يشفع ذلك بالسيطرة الثقافية، يحاول بذلك ان يطمس تراثا اجتماعيا عربيا عميق الجذور، هو جماع جوهر المغرب روحا وترابا، فيحل محله ثقافة اجنبية، يفرضها بخيله ورجله، ثم يذهب به الوهم الى انه بذلك سيفلح فى تغيير النفوس من داخلها وأعماقها.

ان القضية المنطقية الاولى التى يجب ان لا تعزب عن الاذهان هي ان المغرب بلد عربي مسلم ولا يمكن ان يكون غير عربي مسلم ، ومن ثم فمن المحتوم الذى لا فكاك منه ان لا يستقيم امره الا على النهج العربي الاصيل .

— * —

من هذا كله يبدو أن التعريب مشكلة نشأت وترعرعت خلال نصف قرن من الزمان ، وهي فى الوقت عينه مشكلة الساعة التى لا مناص من مواجهتها فى حزم باتر وابتكار يفضي بنا الى حلول فى هذا الميدان مبنية على اسس سليمة متينة .

هذه الوثيقة التى اخذنا على انفسنا تحريرها حول قضية التعريب يمكن اعتبارها عرضا موضوعيا للحلول المقترحة فى الموضوع سواء ما كان منها يوحي بالتعريب الشامل الناجز او التعريب الجزئي فى مضمار التعليم ، وسنذكر فى السياق الحجج المؤيدة والمفندة لكل من هذه الحلول ، ثم نردف ذلك برأينا مشفوعا بمختلف الوسائل والادوات المعينة على تحقيق الحل المجدي ، ولنختم الآن هذا القسم التصديري من وثيقتنا هذه بموجز للدوافع التى تحتم التعريب بصورة طبيعية موضوعية وابتكار الوسائل المؤيدة الى تحقيقه ، فنقول ان التعريب عملية ضرورية حتمية تقتضيها طبيعة تراثنا القومي واوضاعنا كمجتمع عربي له كيانه ووجوده ، وله ماضيه ومفاخره ، وله كرامته وعزته ، ثم انه ضرورة محتومة لمواجهة هذا الاقبال المنقطع النظير على التعليم فى هذا العهد الحسني الزاهر ، مع الاقتناع باستحالة مواجهة هذا الاقبال من الدارسين والمتعلمين اعتمادا على الاساتذة الاجانب وحدهم ، لاسباب كثيرة ليس هذا مقام شرحها والتعليق عليها . وهو ضرورة محتومة وخاصة فى التعليم الابتدائي الذى ترمي الى تكوين المواطن العارف ببلاده المخلص لها ، والواقع ان جميع البلاد الحرة تأبى ان تجعل هذا التعليم الشعبي ذا الاثر البعيد فى ارساء قواعد وطنية ابنائها وقوميتهم نهبا لمؤثرات ثقافية دخيلة ، ذلك انه تعليم يجب ان يكون وان يبقى بالنسبة لنا عربيا مغربيا خالصا لا تشوبه شائبة ، وليس ادعى الى الدهشة والعجب من ان تترك البلاد ناشئتها — كما يلاحظ ذلك فى بعض البلدان الاخرى — عرضة لتوجيه اجنبي يتولاه غرباء يعملون على تشكيل طبائع المواطنين الصغار فيها على نحو لا يتفق مع أصول تلك البلاد الثقافية وروح مجتمعها وآمالها فى الحاضر والمستقبل .

وبعد ، ما هي يا ترى انواع التعريب الذى لا يزال موضوع نقاش واخذ ورد فيما يرجع الى الصورة التى يجب ان يكون عليها ؟ يقسم المختصون وذوو المعرفة فى هذا الميدان مسألة التعريب الى قسمين اثنين : تعريب جزئي وتعريب شامل ، الا ان الذين لا يقنعون بهذ النوع او ذاك يردفون هذا التقسيم بنوع ثالث يطلقون عليه اسم التكوين المزدوج ، فلنمعن النظر فى كل من هذه الحلول لنرى ما لها من مزايا وما تجره وراءها من عيوب ومساويء ، وذلك بعقلية مجردة ، لا تحزب فيها ولا تحامل على طائفة دون اخرى ممن يميلون الى هذا اللون او ذاك من التعريب .

فاما التعريب الجزئي، فيقصد به ذلك التعريب الذى يعطي النصيب الاوفر من ساعات الدراسة للغة الاجنبية على حساب لغة البلاد التى تقنع من مجموع نصاب الدراسة بالقدر القليل ، والواقع انه لا زال التعليم فى بعض البلدان الافريقية حتى الآن يأخذ بهذا النوع من التعريب . ولمؤيدي هذا النوع من التعريب حججهم فى تحبيذه والاشادة بمنافعه : من ذلك قولهم بأن تعليما هذا نهجه يفتح امام المواطنين آفاقا للاطلاع على النتاج الثقافي الاجنبي الذى ما كانوا ليتعرفوا عليه لو انهم كانوا يجهلون اللغة الاجنبية التى ابقوا عليها . ومن الحجج التى يعتمدها اصحاب هذا الراي قولهم بنقص الاطارات الفنية المهياة تهيئا كافيا لتدريس المواد العلمية باللغة العربية ، ومنها ايضا افتقاد العربية للمصطلحات والتعبيرات العلمية الدقيقة الدالة على مقومات العلوم الحديثة ومظاهر الحضارة المتقدمة .

ويقول معارضو هذا الضرب من التعريب ان فيه حكما جائرا على اللغة العربية بالعقم والجمود ، كما ان فيه حكما باتا على العربية بأن تبقى على حالها الذى تصوره عليها من لا يؤمنون ايمانا بحيويتها وقابليتها للتطور والنمو ، ومعنى ذلك ان يبطل الاجتهاد ، ويتوقف نمو العربية ويسود اليأس ويحكم على لساننا القومي بالعدم . هذا فضلا عن ان الصغير الذى يشب وقد تلون عقله وقلبه بلون ثقافة اجنبية ينزع الى الالتصاق بها ، والاعتزاز بلغتها ، والاستهانة بلغة آبائه وجدوده ، فيقرا ما يراد له ان يقرا من نتاجها وادبها وعلمها ، وينحرف كما يراد له

ان ينحرف عن جادة السلف ، ثم يفقد ثقته وايمانه بماضيه ، ويزج بنفسه فى مضمار ثقافة هو عنها بالاصل والعقل غريب ملفوظ ، وعندئذ تكون النتيجة الحتمية امتداد الحياة بجيل بل بأجيال فى هذا البلد الذى اختار هذا اللون من الثقافة والاتجاه لا يشعرون بشعور ابناء وطنهم ، ولا يؤمنون الايمان الكافي القوي بماضي هذا الوطن وامجاده ووجوده المتميز . وعند ذلك يحدث التفكك الاجتماعي ويفتقد التضامن الروحي والتكامل الفكري كما تضمحل وحدة الاتجاهات والمشارب والآمال والاماني ، وكل ذلك لا بد أن يحيق ضرره بمجموع كيان الوطن الذى يفضل استعمال اللغة الاجنبية على لغته الاصلية .

اما التعريب الشامل وهو الانموذج الذى نصطفيه لبلادنا فقد تم بالفعل فى بعض البلدان العربية التى توصلت بعد الجهد والعناء الى تعريب مؤسساتها التعليمية جميعها بما فى ذلك الابتدائية والثانوية وحتى العالية ، بعد ان كانت اللغة الاجنبية هي لغة التعليم في الثانوي والعالـي على الاقل . اما عندنا فلا يزال التعليم الثانوي الرسمي مفرنسا والمعتقد ان تعريبه سيتعقد بمر السنين اذا ما بقي على ما هو عليه ، بل سيصبح من المستحيل تحويل التدريس فيه الى اللغة العربية اذا لم تؤخذ الاحتياطات اللازمة من الآن لاعداد الاطر المعربة بصورة تبعث على الاطمئنان . وقد سبق لنا ان اشرنا بتفصيل — فى غير هذا المكان — الى السبل التى يتحتم اتباعها رغبة فى الوصول الى تعريب موفق شامل يتصل مفعوله بالمجتمع والادارة والمؤسسات التعليمية ابتداء من لغة عربية خصبة حية متطورة لا تفنى ولا تزول .

والسؤال الذى يتبادر الى الذهن ، قبل كل شيء ، هل هو من الخير أن تطبق عندنا كما وقع ذلك عند غيرنا هذا النوع من التعريب المعروف بالتعريب الشامل ؟ وهذا السؤال موضوع خاصة بالنسبة للتعليم الثانوي لان التعليم الابتدائي ، فى المغرب ، قد تم تعريبه وأعطى المشرفون عليه الدليل على ان اللغة العربية كسائر اللغات الحية اداة طيعة صالحة لتلقين الصغار جميع ما تحتويه برامج المدارس الابتدائية من علوم وفنون مختلفة .

كان علينا وقد آلت مقادرنا الى ايدينا ، ان ننظر فى ميراث العقود الخمسة السابقة ، وان ندبر شأنها بما توحيه الحلول المنطقية لمشكلاتنا ونصب اعيننا على اصولنا التى لم تهن ولم تضعف رغم مقاومة الجاحدين ، بل بقيت على سلامة جوهرها الثمين . ولذلك استطعنا ان نحقق خلال سنوات قلائل بعد استقلال منجزات فى كل الميادين — وفى ميدان التربية والتعليم على الاخص — اقتضت من بلاد اخرى لها ما لنا من الاوضاع عشرات السنين . وصرنا نزيل شيئا فشيئا ما علق بشخصيتنا من عناصر دخيلة باعتبارنا بلدا عربيا اسلاميا ، هذا مع الاقرار باننا نقدر حق قدرها ضرورة دراسة اللغات الاجنبية وحتى اللغات الميتة كاللاتينية واليونانية وغيرهما . وقد يبدو لاول وهلة ان مشكلة الثقافة الدخيلة يمكن ان تزول بعصا سحرية بين عشية وضحاها ، ولكن الامر اعقد من ان ينجز بواسطة قرارات متيسرة او احكام متعجلة .

— * —

والواقع ان الذين يريدون ارهاق قوى الاحداث بارغامهم على الاخذ بلغتين اثنتين خاصة فى السنوات الاولى من حياتهم انما يثقلون كاهلهم بدون جدوى ، ذلك ان عقل الصغير الدائب على حب الاستطلاع والتعرف على الاشياء بدافع فطري يعتريه لا محالة نوع من البلبلة كلما تعددت الالفاظ الدالة على تلك الاشياء او المفاهيم الاخرى المتصلة بها ، ويترتب على هذا التعدد اضطراب فى التفكير وتدخل فى المعاني وغموض فى الفهم والادراك ، وبالتالي فلا يستطيع الطفل ، وقد توزعت قواه ، ان يجيد لغة الغير ان هو اخلص فى تحصيلها .

اما الازدواجية التي يفكر فيها بعضهم كحل وسط لمعالجة مشاكلنا اللغوية ، فقد تصح بالنسبة لشعب صغير او ضعيف وفى نطاق محدود كما وقع ذلك بالنسبة الينا فى عهود الاستعمار الماضية . يضاف الى ذلك « ان الابحاث النفسية واللغوية دلت كلها على ان الولد الذي يزاول اكثر من لغته القومية، وهو دون العاشرة ، تضعف طاقته الاستيعابية فتتفرقط قواه ، ولا يعود قادرا على حصرها . ذلك انه يتارجح بين لغتين ، ولغة الام لا تقبل ضرة تحت سقف بيتها — واحدة يتكلمها بصورة تلقائية ، وواحدة يتكلمها بجهد فى اللسان والفكر مما يضيع عليه وقتا كبيرا ، ويجعله يتذبذب بينهما ... وهكذا يتوزع الولد بين امتين ، بين تاريخين بين عبقريتين، اذ لكل انسان عبقرية خاصة » .

وبناء على ما تقدم فلا يمكن او ينتظر من طفل عربي مثلا أن يجيد تحصيل لغة اجنبية حتى يصبح كاهلها فى طلاقتهم ، انما يستطيع – وهذا المقصود من تعلمها – ان يكون على دراية كافية بها ، تؤهله لان يجني خير ثمراتها بما تمكنه معرفة تلك اللغة من الاطلاع على ما يرغب فيه من علومها وفنونها وآدابها لمصلحة قومه وبلاده ونفسه بل ولفائدة لسان بلده ذاته . اما ان يحلم فى ان يصبح ذات يوم من الكتاب العباقرة فى تلك اللغة الاجنبية او مفكريها فذلك ما لا يتأتى ابدا كما تدل على ذلك البراهين العقلية والمنطقية والنفسانية فى كثير من بقاع الارض .

ولا يخطرن على بال احد ان الكنديين الذين يتكلمون – كما هو معروف – الفرنسية والانكليزية او السويسريين الذين يستعملون ثلاث لغات هي الفرنسية والايطالية والالمانية ولا سكان منطقة الالزاس بفرنسا . وهم يتكلمون معا الفرنسية والالمانية يمكن اعتبارهم دليلا على ان فى استطاعة المرء ان يلم الماما كاملا باكثر من لغة واحدة ، ذلك ان الذين يتتبعون بالدرس النزيه الوضع اللغوي فى هذه البلدان كلها يرون بكامل الوضوح انه بالنسبة لكل محيط لا بد ان تكون الغلبة للغة معينة على اخرى ، فالكندي مثلا الذى يتحدث الانكليزية بطلاقة فى منطقته الخاصة يستطيع كذلك أن يتكلم اللغة الفرنسية بصورة عابرة فقط . لكنه لا يمكنه ان يلم بها الماما من يمكنه ان يكون من كتابها المرموقين ، وما قيل فى الكنديين يقال فى سكان سويسرا ، بمعنى انه لابد فى كل من مناطقها الثلاث من طغيان لغة معينة على اللغتين الاخريين : فالمنطقة المجاورة لايطاليا يتحدث اهلها الايطالية بصورة فائقة ويستطيعون مع ذلك استخدام الفرنسية والالمانية فى مقالاتهم اليومية دون ما يطمعون فى ان يكون لهم شاو بعيد فى اي منهما ، كما ان سكان الالزاس يستعملون الالمانية والفرنسية على حد سواء فى التعبير عن شعورهم وافكارهم وما يتصل بحياتهم اليومية بصفة عامة عادية لا تعطي الافضلية للغة على اخرى . وهو دليل على صحة ما قيل من ان وجود لغتين او اكثر تتقاسم افكار طائفة من الناس وشعورهم هو عدم تفوق هؤلاء جميعا فى لغة واحدة ، واكبر دليل على ذلك هو انه لا نجد كاتبا عبقريا واحدا يمكن ان ينتسب الى احدى هذه المناطق التى يتكلم اهلها لغتين او اكثر . ومن اجل هذا كله ينبغي معالجة الوضع اللغوي المرتبك الذى يوجد عليه بلد ما من حيث وضعه اللغوي بكامل الاحتياط والتدبر حتى لا تزداد وضعية البلد المذكور من الوجهة اللغوية خطورة بالنسبة لما هو عليه .

وتزداد مشكلة التعقيد الناشىء عن الازدواج اللغوي حينما تضاف الى اللغتين الاوليين ، اللغة الاصلية واللغة المكتسبة . لغة ثالثة يتعلمها الطفل فى الواقع ويغفل عنها اصحابها هذا الراي ، ونعني بها لغته الدارجة التى يحصلها فى الدار وفى الشارع ، وهي لغة تختلف قليلا او كثيرا عن لغته القومية الفصحى ، وتختلف بالطبع اكثر من ذلك عن اللغة الاجنبية التى يطالب بتعلمها . فتصبح العقدة من ثم اعصى واعتى ، ويبذل الطفل المسكين مجهودا كبيرا اذا تكلم او فكر فى سعيه لاختيار المعنى المناسب واللفظ الملائم من وسط مجموعة من الالفاظ المضطربة فى ذهنه . وما اجدر ان يبذل هذا المجهود ويقضي ذلك الوقت فى التفكير البناء الخلاق لا فى التنقيب والبحث عن الالفاظ فيما اختزنته ذاكرته. ثم ان تعلم الطفل للغة اجنبية على قومه واهله لا يعني فى الحق والواقع مجرد تحصيل مفردات وتعبيرات جديدة ، بل ان وراء المفردات والتعبيرات صبغا وتشكيلا عقليا ووجدانيا لمصلحة اللغة الجديدة واهلها وثقافتها وتاريخها ، مما يتعارض مع الهدف المتوخى من تكوين المواطن الواعي المخلص فى هذه المرحلة الاولى من التعليم . والغريب ان الاجانب لا يكلفون انفسهم عناء تعليم ابنائهم لغة غير لغة بلدهم الا ان تكون لهم مصلحة فى ذلك ، ويكونوا قد وطدوا الطريق من قبل لاقرار لغتهم الاصلية فى العقول على اساس متين ، ثم ان المدارس عموما تجعل اللغة الاجنبية فى تلك البلاد اختيارية هذا بالنسبة للتعليم الثانوي طبعا . فياخذ التلميذ منها طوعا ما يراه لنفسه ويراه اهله ويدع ما لا يريد ، اما فى المرحلة الابتدائية فلا يدور بخلدهم البتة ان يرهقوا ابناءهم تحت مجهود يؤدي بهم الى تعلم لغتين اثنتين فى آن واحد ، الا ما كان فى بعض الحالات النادرة والنادر لا حكم له كما يقول الفقهاء .

وقد اثبت علماء الاجتماع اللغوي ظاهرة الصراع بين اللغات وخاصة اذا اجتمعت فى صعيد واحد او تجاوزت او تيسرت لها اسباب الاتصال . ويقول المستشرق الشهير الاستاذ ماسنيون Massignon فى هذا الصدد انه اذا وجدت لغتان فى بلد ما ، فلابد من اضمحلال واحدة منهما يوما من

الايام ، والحق ان الصراع في سبيل البقاء قانوني في التطور يصدق على كل الحالات .

وغني عن البيان ان الانتصار لا يتم الا بعد امد طويل لا يخرج المنتصر من معاركه على الحالة التي كان عليها من قبل . فاللغة التي يتم لها الغلب لا تخرج سليمة من هذا الصراع ، مثلها كمثل امة دخلت حربا ضروسا وخرجت منها منتصرة تجر وراءها ما تجر من آثار من جراء شدة الكفاح وعنف المقاومة، وهكذا فان طول احتكاك اللغة الاولى باللغة الاخرى يجعلها تتأثر بها في بعض مظاهرها وبخاصة في مفرداتها واساليبها وحتى الالفاظ الاصيلة للغة الغالبة ينالها بعض التحريف في السنة المحدثين من الناطقين بها ، اي المغلوبين لغويا ، فتختلف بعض الاختلاف في اصواتها ودلالاتها واساليب نطقها عن صورتها الاولى .

— * —

من كل ذلك ندرك ما يحدث بلغة بلد من البلدان وقومها من خطر يهددها اذا تهاون اهلها في المحافظة على لغتهم وصيانتها من الغزو الثقافي الذي قد تعلنه عليها لغات قريبة منها ، يسعى اهلها في ان يطمسوا معالم اللغة الاخرى ويحاولوا القضاء عليها ، معتمدين في ذلك على ما يتمتع به الشعب المحظوظ من تقدم حضاري مرموق .

ومع ذلك كله فلابد من ان نذكر للقارىء الكريم، في هذا المقام ، ان المعارضين في التعريب الشامل الناجز انما يستندون الى حجج اوردناها في الفقرات السابقة ، ومنها ما يتعلق بنقص الاعداد الكافي لمواجهة مطالب هذا الانقلاب اللغوي نظرا لعدم توفرنا على الاطارات اللازمة في الوقت الراهن والكتب المناسبة ، ثم هناك تخوفات تنبعث من خشية هؤلاء المعارضين مما قد يجره هذا الانقلاب من قلقلة واضطراب لا يمكن مداركة نتائجه بالوسائل التي نتوفر عليها حاليا فضلا عن الخسارة الثقافية الكبرى التي ستترتب عن الانصراف دون روية عن ثقافة وحضارة عاليتين الى تحقيق خطة التعريب في جميع مراحل التعليم من اجل دوافع عاطفية ينبغي الا تدخل في الاعتبار كلما كانت مصالح الشعب في الميزان .

اما التكوين المزدوج الذي سبقت الاشارة اليه فيعتبر من طرف بعضهم محاولة للتعريب سابقة عن التعريب الشامل الذي عالجناه في الفقرة التي انتهينا منها الآن ، ويظهر انه حل وسط يأخذ بكلا الرأيين ولا يدع لاحدهما اسبقية على الآخر ، فهو يقرن الاهتمام بلغة البلاد باهتمام مماثل باللغة الاجنبية ، ويسير على استحياء ، تدفعه الى ذلك الحاجة الى اصطناع الروية والحكمة وتجنب العجلة بغية مواجهة نصف قرن مضى — بالنسبة الينا من التبعية اللغوية — بما ينبغي من الاناة والتدرج ، لاسيما وان الاطار الفني ينقصنا ، والكتاب العلمي يعوزنا ، واللغة ما زالت بحاجة الى تطور ونهوض يؤهلها لمسايرة ركب الحضارة الراكض .. اما معارضو هذا النوع من التعريب فيقولون بانه يدعي حكمة زائفة ، ويستند الى مقدمات فاسدة ويفسح — وهو يدري اولا يدري — في عمر الغزو الثقافي الاجنبي ، فيزيده رسوخا وتمتينا حتى تغدو ازالته صعبة او مستحيلة ، ويوهن من خطى البلاد نحو التعجيل بالتحرر الثقافي بدعوى الحكمة والاناة من اجل سلامة الخطى ...

على ان اللغة العربية ليست ، والحمد لله ، قاصرة او عقيمة كما قدمنا ، ولنا في حاضرها وتاريخها في العصور الوسطى خير دليل وابلغه ، فلابد لها ، والحالة هذه ، من ان تتبوأ في المجتمع المغربي المركز اللائق بها كلغة تخاطب وتعليم وعلم وفن وادب ، ولنا في تجربة كثير من البلاد العربية اسوة حسنة ، فقد ننسى احيانا أن تعريب تعليمها من قاعدته الى قمته بفضل ازدهار حركة الترجمة والتأليف فيها دفع الى ان اللغة اصطنعت لها الفاظا وتعابير عن طريق التعبير والاشتقاق والاستعارة مما زاد في ثورتها وضمن لها اسباب الحياة والتطور مع عجلة الحياة ، ومما يجب التأكد منه هو انه لن يكون للغة العربية هذا المصير في بلادنا حتى يقبل كافة المعلمين والاساتذة على تدريس جميع المواد العلمية والفنية بدون استثناء بواسطة اللغة العربية، مستفيدين من اعمال المجامع اللغوية والمراكز المهتمة باللسانيات . ولا شك ان هذه الالفاظ التي يعتمدها الاساتذة والمعلمون من تلك المجامع ستنصهر شيئا فشيئا في بوتقة الحياة العلمية ، ثم تتكيف وتتبلور حتى تعود تعبر عن مفاهيم محددة واضحة نتيجة الضغط الذي يقع عليها بالطبع من طرف المجتمع متى كان هذا المجتمع مجتمعا صاعدا متطورا ، واغلب الظن ان الالفاظ الصالحة التي تواتي الذوق السليم لابد ان تبقى وتروج وتحيا ، اما الاخرى فانها تذهب الى بطون الكتب والمعاجم تستقر فيها حتى تكتب لها

الحياة مرة اخرى او تذهب مع الرياح الاربع ، « فأما الزبد فيذهب جفاء ، واما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض » .

— * —

عند هذا الحد من البحث يتأكد علينا ان نتساءل عن الوسائل الحقيقية التى تعين على التكوين العربي السليم ، والجواب ان اولى هذه الوسائل وسائل نفسية ، هي التى ترمي بالتأكيد الى بعث الثقة بلغة البلاد والايمان بها فى صدور كافة الناس وخاصاتهم على اختلاف مشاربهم واتجاهاتهم ، مع اليقين بأنها تحمل فى طيها اسباب الحياة والنمو والازدهار ، وانها قابلة للتطور وملاحقة الركب الحضاري فى يسر .

لكن لكي نصل الى هذا الحد من اليقين لا بد ان نشن حملة تعريبية فى كل مكان ، حملة شاملة تتصل بجميع الاوساط والميادين ، عن طريق المحاضرات والمناقشات والمناظرات فى الاندية والمجتمعات والمحافل رسمية كانت أو غير رسمية . ولابد مع ذلك من ان نزيد فى تشجيع الجرائد والمجلات ومساعدتها على الظهور والانتشار ، كما انه يجب ان نعمل على تنشيط حركة التأليف والترجمة والنشر والاعلام باللغة العربية فى جميع مجالي الفن والعلم والادب ، ذلك ان الثقة والايمان واليقين حوافز تزيل الجبال ، ونحن بحاجة الى مثل ذلك للتغلب على جملة من العقبات والعراقيل ، بعضها وليد خيال سقيم لا يثبت امام ذوي الهمم العالية .

فنستخير اذن بالله ولنقدم ، دون وجل ، معتمدين على من ثقتنا بيده ، وعلى ايماننا وانفسنا وماضينا وتراثنا وخيرة من سبقونا فى هذا المضمار لنحقق نجاحا ملموسا تراه الاعين وتدركه العقول .

وهناك وسائل بشرية ومادية يتعين الاعتماد عليها قبل ان نكون واثقين من تحقيق عملية التعريب تعريبا صالحا لا غبار عليه ، من ذلك ضرورة اعداد الاطارات الفنية من المعلمين والاساتذة الاكفاء وتزويد معاهد التعليم فى مختلف مراحلها ، واخصها بالذكر المرحلة الاولى ، بالكتب المناسبة فى كل علم وفن وادب ، وان نوفر له الوسائل السمعية البصرية التى تتيح للمعلمين استثمار الدروس لفائدة التلاميذ .

وقد نضطر الى ان نستخدم فى كتبنا العربية بعض الالفاظ والتعبيرات المستعارة من لغات اجنبية، فليس يضيرنا هذا شيئا كثيرا ما دامت تكتب وتشكل فى صورة عربية خالصة . فالاستعارة كانت وما زالت ظاهرة ملموسة فى تفاعل اللغات الحية وليس فيها ما يشين . فقد اخذت العربية فى العصور الوسطى عن الفارسية والهندية واليونانية واخذت الانكليزية عن الفرنسية واللاتينية والالمانية وهكذا .. وفى اثناء هذه العمليات يتعين على المختصين واللغويين ان يضعوا القواميس والمعاجم بناء على البحث والاشتقاق والاستعارة والتعريب بغية توحيد المصطلحات ، فينظمون لنا المادة من جهة بينما تكون عمليتهم الاخرى ، عملية التعريب ، سائرة من جهة اخرى ، ذلك ان الحياة دائرة لا تقف ولا تتلكأ ، داب الحياة النشيطة العارمة . وذلك معناه ايضا انه لا سبيل الى ان ننتظر حتى يتم وضع المعاجم المضبوطة ويتفق الراي على المصطلح العربي السليم مائة بالمائة ، فيتوقف الركب كله وتضعف الهمم . بل رب لفظة انعقد الراي على سلامة اصولها اللغوية ، تطلق بين الناس وترسل فى مجتمعاتهم ومحافلهم ، فتنفر منها الاذواق ويأباها الفهم والذوق السليم ، فلا تلبث ان تترك وتهمل وتصبح نسيا منسيا تحت رماد الاهمال، معنى ذلك ان يستمر الباحثون المتخصصون فى اللغة من جانبهم باخلاص وحماس ، وان يساوق ذلك نهضة تعريبية شاملة هادفة لا تتوقف ، وبذلك سنعطي للغة العربية كسائر اللغات الحية المكان الذى يجب ان تحتله فى جميع مرافق الحياة كأداة وعلم وادب وفن .

— * —

ومع ذلك فنحن مطمئنون على مستقبل اللغة العربية فى كل بلد عربي وفى بلدان المغرب العربي على الاخص ولا نخاف مزاحمتها من طرف اية لغة او لهجة قد تلتقي معها على صعيد واحد، ما دمنا متشبثين بها ، عاملين على استخدامها ونشرها باعتبارها اصدق سجل بتاريخ شعوبنا واوضح معبر عن مظاهر حياتنا الاجتماعية والاقتصادية .

الرباط ــ محمد محيي الدين المشرفي



للأستاذ عبد المجيد بن جلون

ذهبت نفسه حسرات على الايام التى كان يرفع فيها كيس القمح بيد واحدة ويحمله الى داخل المنزل ، ويثير الرعب فى اشد القلوب ثباتا ، واصلب النفوس عودا ، ويقضي حياته فى المشاكل وخوض حلبات المقاتلة والعراك .

اجل ، لقد بات عمي مكوار أخيرا فى ارذل العمر ، وهو يجيب اليوم اجوبة مختلفة على كل سؤال يوجه اليه عن سنه ، لانه لا يعرف متى ولد ، فقد آتى الى هذه الدنيا فى الايام التى لم يكن يحسب فيها للانسان حساب ، ولذلك كان ميلاد المرء لا يدعو الى الاهتمام بحيث تستخرج به شهادة ميلاد ، فان عم مكوار يخال انه فى مثل قدم السماء والارض ، وانه لا اول له لطول الزمن الذى قضاه فى الحياة ، وتبدو له ايام طفولته وشبابه وكهولته بعيدة ، بعيدة لكثرة ما تراكم عليها من الاسابيع والشهور والاعوام ، بل انه لا يذكر مطالع شيخوخته فقد اصبحت هي ايضا بعيدة بعيدة . .

وحينما تختفي قوة الانسان الجثمانية لا يجد بدا من ان يستعيض عنها بقوة اخرى ، وخصوصا اذا كانت تلك القوة الجثمانية قد صرفت طاقتها فى اسباب العراك والخصام التى كانت تذهب فى كثير من الاحيان الى حد العناد والتحدي والاعتداء ايضا ، اما القوة التى استعاض بها الشيخ الطاعن فى السن قوته الماضية فكانت تتمثل فى سخريته اللاذعة التى بات يستخدم فيها لسانه وعينه ووجهه وحركة كتفيه وذراعيه وبدنه جميعا .

قال عم مكوار لنفسه بعد ان تامل ما آلت اليه امور الحياة فى مرارة ساخرة :

تالله انها لفاجعة ، احفادي وابناء احفادي وربما ابناء ابنائهم يجرون فى الشوارع كالابالسة ، لا يرهبون رصاصا ولا مدفعا ولا طائرة ، والعم مكوار قابع هنا فى بيته كأن لم يرفع يده بالامس . . . ويقتحم عليه الجنود عقر داره ليفتشوا غرفها ويتلفوا اثاثها ويفزعوا سكانها ، والعم مكوار لا يأتي حراكا ، وانما يقلب عينيه بين الجنود واسلحتهم ويتامل ما هم فيه من جهد ، فاذا علت وجهه بسمة ساخرة نظر اليه احد الجنود شزرا فعاد العبوس الى وجهه سريعا وهو اكثر سخرية من البسمة الزائلة . . .

ان فى تلك الزوابع التى كانت تسير امامه وفى أثره اجيالا بعد اجيال قد تحولت الى صوت خافت ابح ونظرات منطفئة ، وخطوات متهالكة ، وعزم كسيح .

فماذا بقي فى الحياة مما يستطاب ؟ شيء واحد . السخرية . فلولا السخرية وحدها لانقطعت اسبابه باسباب الحياة ، فقد استعاض عم مكوار بقوتها عن كل سلطان ونفوذ وقوة . .

فكيف يعمد الغلمان الى قوة سواعدهم لمنازلة هؤلاء الغزاة الفاتحين ، ولا ينازلهم هو بالقوة الباقية التى يعتز بها ، ولما لم يسعفه الرد اخذ يتساءل : اليست هذه بلاده كما هي بلادهم ؟ اليس هو اولى بالدفاع عنها منهم لانه مدين لها بالحياة كل هذه الادهر الطويلة ، ثم اليس من الخجل ان يلزم عقر داره والمعركة دائرة على اشد ما تدور المعارك احتداما وقوة . . ؟

هذه هي الخواطر التي كانت تعتمل في صدر الشيخ وهو يغادر المنزل الى الشارع بخطواته البطيئة الواهنة . ووقف عند الشارع مدة متوكئا على عصاه الطويلة وهو يخشى ان يسقط من فرط الوهن .

في هذه الاثناء مر به غلام يحمل سلة كبيرة فلم يتمالك الشيخ ان دعاه اليه حتى اذا ما اقترب خاطبه بصوته الخفيض :

ــ الى اين انت ذاهب يا غلام ؟ (فقد اصبح يهتم بكل حركات افراد هذا الجيل الشيطاني الذي اعتاد أن يدعوهم بالابالسة) .

ــ الى السجن يا جداه .

ولما كان كل عمل يأتيه هؤلاء الافراد غير مفهوم لاول وهلة تساءل الشيخ في دهشة :

ــ تسعى الى السجن على قدميك حاملا زادك ولا ريب ؟

ــ بل انه زاد اخي يا جداه ، لقد سمحوا لنا اليوم لاول مرة منذ ستة اشهر بأن تحمل اليه طعاما، وانت تعرف أن تناول طعام السجن وحده لمدة ستة اشهر مما يوهن العظم وينخر الشباب ..

ففغر الشيخ فاه في سخرية من هذا الغلام الذي يتحدث عما يوهن العظم وينخر الشباب ، وهو في ميعة الصبا ... فهل تراه يزعم لنفسه انه بلا ذات الشيخوخة ..؟

ولم يتمهل الغلام وانما تابع سيره في جذل ليحمل الطعام الى اخيه السجين ، ويراه لاول مرة منذ اعتقل في مسجد المدينة .

ذلك ان السلطة الفرنسية في المدينة المغربية الصغيرة قررت اخيرا أن تكون رحيمة .. وان تسمح لعائلات المسجونين بزيارتهم بعد هذه المدة الطويلة ، ولعل مما دعاها الى ذلك اطراد فترة التوتر ورغبتها في عودة المياه الى مجاريها بعد ان تم ما رمت اليه من ابعاد السلطان محمد بن يوسف من البلاد ، فلن يكون غيرها الكاسب من وراء عودة الاشياء الى طبيعتها فيسود الهدوء وتطمئن الانفس ، وينسى الرجل الكبير في منفاه .

قال الشيخ مخاطبا نفسه في اصرار وفضول :

بماذا يفضلني هذا الولد . انا ايضا سأذهب الى السجن . فلعل ان يكون من بين نزلائه شيخ في مثل سني لا اخ له سواي ..

ولم يكن من اليسير على عم مكوار ان يصل الى مكان السجن خارج المدينة بالرغم من انه كان غير بعيد . ولكن عم مكوار اذا قرر شيئا فلا احد يستطيع ان يصده عن قراره ، بالرغم من الدبيب الذي طال ، والتوقف الذي تعدد تمكن اخيرا من ان يقترب من السجن .

رأى هناك جمهورا غفيرا قد تجمع حول البوابة الحديدية الضخمة ذات القضبان الهائلة ، ولما اقترب من الجمهور استطاع ان يتبين ساحة كبيرة من ورائها بوابة ضخمة اخرى ، وبين البوابتين ازدحم الحراس والجنود .

اعتمد الرجل على عصاه واخذ ينتظر مع الوقوف وقد سخر من معاملة الانسان معاملة الحيوان ، ولكنه تأثر بالرغم من سخريته ، ان الحيوان ، ولكنه تأثر بالرغم من سخريته ، ان الحيوان يوضع في القفص لخطورة فتكه ، اما هؤلاء المساكين فانهم يوضعون في الاقفاص لشدة حبهم .. انهم يحبون بلادهم وملكهم ، ولكن لا لزوم للتعجل وسنرى .

وفتح باب صغير وخرج منه ضابط مدجج بالسلاح وهو يأمر الناس بأن يصطفوا في طابور ويحملوا ما معهم من طعام تمهيدا لتقديمه الى المسجونين بالدور ، في الساحة التي تقع امامهم ، فاهتز العم مكوار اهتزازة خفيفة وهو يكتم ضحكة مريرة ، واخذ يسعى الى مكانه من الطابور .

ثم اخذ يتتبع ما جرى بعين يقظة .

فرأى بالرغم من كلال بصره على الجانب الآخر من الساحة عند البوابة الاخرى جمهورا غفيرا آخر ، فقال لنفسه ان وضعيتهما واحدة ، فمن المعتقلون يا ترى نحن او هم ؟..

وواصل تتبعه للحوادث .

كان الرجل من الزوار عندما يأتي دوره يتقدم الى الحارس الشرس ويهمس اليه باسم الشخص

المطلوب الى وسط الساحة فيتقدم اليه زائره ثم يحييه ويقدم اليه ما حمله من طعام ، ثم بعد ذلك يعود كل واحد منهما الى مكانه .

وكان الحراس الثلاثة يرفعون اصواتهم بالاسم عاليا فى صلف وقوة حتى يذكروا الجانبين بباسهم وطغيانهم .

وهنا خطرت لعم مكوار فكرة ارتج لها صدره بضحك مكتوم ، حتى ان الناس التفتوا اليه فى استغراب . فما عرفوا ان فى مثل هذا المكان ما يدعو الى الضحك ، ولكن معظمهم عرفه فزال عنه الاستغراب .

ودلف الشيخ فى الطابور ، وهو يكظم ضحكه فى جذل بالغ وكان جذله يزداد كلما ازدادت الاصوات المنادية بالاسماء ارتفاعا ، وكان اطمئنانه يتضاعف كلما اقترب دوره .

عرف انه مقدم على عمل خطير ولكن ظرافته والاثر الذى سوف يتركه ودقة احكام خطته هونت من كل خطورة ، وماذا عساهم فاعلون ؟ يقتلونه ؟ انهم لن يستطيعوا بقضهم وقضيضهم ان يحرموه من اكثر من اسابيع او شهور من كل ما بقي له فى الحياة على وجه اليقين .

وتمكن فى آخر الامر من ان يسيطر على على الضحك ويصطنع الجد والتاثر ويبالغ فى اظهار الضعف والوهن والانهيار ، ولكنه لم يتمكن من ذلك الا قبل ان يأتيه دوره مباشرة .

تقدم الى الحارس مطاطيء الراس ذابل العينين واهن الاطراف ، وهو يتوكأ على عصاه فى جهد ، ثم رفع واخذ يضيق ما بين عينيه الذاويتين متفرسا فى وجه الحارس ، كأنه يتأمله دون ان ينبس ، فساد الناس الوجوم واخذوا يترقبون تصرفات الشيخ .

قال الحارس :

ـ هلم ، ما اسم السجين الذى تطلبه ؟

فقال الشيخ بصوت خافت شديد البطء ، وهو يفتعل ضعف الذاكرة .

ـ اسم الشخص الذى اطلبه ..؟

نعم ، ما اسمه ؟

ـ أسرع ايها الشيخ فان الوقت يضيق .

وهناك امتعض الشيخ كأنه يستهجن نسيانه ، ثم اشرق وجهه بغتة كأنه تذكر ، واردف :

ـ تذكرت يا ولدي .

اسمه ... اسمه ... يحيى بن يوسف .

ـ ما اسمه ؟

ـ يحيى بن يوسف ... يحيى بن يوسف ... يا ولدي

فرفع الحارس الاول صوته بأعلى ما يستطيع، كما لو ينتقم من ضعف صوت الشيخ .

ـ يحيى بن يوسف !

ورد الثاني .. يحيى بن يوسف !

ورد الثالث :

يحيى بن يوسف !

وهنا شده حراس السجن ، اذ لم يخرج من الصفوف السيد يحيى هذا ، وانما خرج منها شيء آخر اشبه بالرعد، وهو هتاف المساجين وهم يرددون على اثر صوت الحارس الثالث :

يحيى بن يوسف !

فرد الزوار برعد مماثل

يحيى بن يوسف !

وتعالت الاصوات من كل مكان ، يحيى بن يوسف ، فبهت الحراس دون ان يعرفوا ما يجب عليهم أن يعرفوه .

اما الشيخ فقد استغل الفوضى التى سادت الجموع على اثر تردد هذا الهتاف العظيم ، فتسلسل وهو يعتمد على عصاه الطويلة ودب دبيبا الى المدينة ، وكان يتوقف من آن لآخر ليرسل نفسه على سجيتها فينفجر بضحك لم يتمتع بمثله صدره منذ زمن بعيد .

الرباط ـ عبد المجيد بن جلون

صفحة مجيدة من تاريخ الدولة العلوية المجيدة

للأستاذ أبي العباس أحمد التيجاني

منذ تأسست هذه الدولة الكريمة ، وهي سائرة سيرها الطبيعي المطرد على الخطة التي رسمها لها مؤسسوها وبطبيعة الحال فان هذه الصفحة التي اكتبها في الموضوع تكون مقصورة على الملوك الثلاثة الامجاد الذين تشرفت بخدمتهم ومجالستهم مولاي يوسف ونجله محمد الخامس الذي ترك الناس حيارى في التمييز بين هذين اللغزين : هل شمس وجوده وهي طالعة اشد ضياء أم شفقها بعد غروبها الذي بقي يتلألأ غرة ومجدا لا تبليهما الايام ، ثم الحفيد صاحب الجلالة الملك الحالي الحسن الثاني الذي أصدق ما يدعو له به الداعي ان يحفظه للوطن وان يحفظ لسانه للاسلام .

1) الملك الاول مولانا يوسف :

ساقتني فاتحة الالطاف الى المثول بين يديه في عام 1921 فكان اول ما سمعته منه قدس الله روحه: قيل لي انك تحفظ القرآن ، فأجبت : نعم ، فاني من بلاد هي مهد الزاوية التيجانية الذائعة الصيت ، والزاوية في عموم القطر الجزائري لا تعقل بدون قرآن فهش في وجهي وابتسم ابتسامة خفيفة . وبعد ان القى علي بعض الاسئلة في القرآن قال لي ما لفظه باللغة الدارجة : (الله فين كنت أنت ديالنا واحنا ديالك) .

فبقيت من ذلك التاريخ ادخل لديه بصفة مترجم صحبة خليفة المستشار المسيو « مرشا » الذي اختارني للترجمة عنه لانه كان بصدد ترجمة الرسائل المخزنية ويتوقف علي دائما .

مما لفت نظري بوجه خاص اثناء مزاولة الاشغال انه رحمه الله جعل رائده العام في علاقته مع القوم تغليب جانب الملاطفة واللين كأنه يصب كمية من الماء على جمرهم ليكسر من حدتها يظهر ذلك من الابتسامات اللطاف التي تلوح منه من حين لآخر هذه حاله ما دامت الامور جارية جريها العادي حتى اذ مست بما هو من كيان الاسلام كالقضاء ورجاله ورجال العلم أو واحد من كبار العمال ، فهناك نرى منه وجها غير الذي عهدناه واستمرت الحال هكذا بين زعزع ورخاء وشدة ورخاء ، الى عام 1925 وحرب الريف اذ ذاك قائمة على ساق في هذه الحادثة تجلى للعيان طابع الوراثة في جلالته في كمال استدارته وشرح الحال باختصار :

ان الاقامة العامة على انتهاز الفرصة للدخول في حرب الريف لتقتطع لنفسها طرفا مما يسمى منطقة الشمال فقالت للخطابي : انت في حرب مع اسبانيا ومن المحتمل ان يستطير شررها للمنطقة المجاورة لذلك نطلب منك ان تساعدنا على انشاء بعض التحصينات على ضفة ورغة الموالية لكم تكون كفطاء لنا ، فامتنع الخطابي من قبول هذا الاقتراح ورد عليه بعبارات كأنها شرح للمثل العربي : « العبد ان اطعمته

الذراع طمع فى الكراع » . قرات هذا فى احـــدى الرسائل التي ترجمتها وفى الاثناء انهزم الجنـــرال الاسباني سلفستر ودخلت فرنسا للحرب كأن الظن عند رجال الاقامة العامة ان الحرب تخمد نارها على فور اشهار الحرب من طرف فرنسا وغاب عنهم قول القائل :

يا من يحدث ان الحرب قد خمـدت
نيرانها لا تصـدق كـل مبتـــدع

فما المدافع فى الدنيـا بساكتـــة
ما دام فى كل نفس قائد الطمـــع

وفعلا اتسعت دائرة الحرب واشتد اوارهــــا واصبحت طلائع جيش الخطابي تقترب من ضواحي فاس وانقطع طريق القطار بين المغرب والجزائر فى ناحية تازة يشهد لصدق هذا وصحته فى الجملة ان احد كبار الضباط الفرنسيين قال للاخ المرحوم سي المعمري وكنا فى مكتب واحد بقرب مكتب المستشار مارك : « لا ندري انحن نحارب فى الريف رجـــالا امثالنا أم نحارب العفاريت . **بهذا اللفظ** عندما نعتقـد اننا هزمناهم ونتهيأ للسير الى الامام اذا بالبنـــادق تتكلم من ورائنا وعن يميننا وشمالنا من وراء كـل اكمة » ساعد على ذلك طبيعة البلاد الجبلية ، بينما الحرب تدور رحاها بين الشعاب والجبال رات فرنسا ان الموقف موقف جد فاوفدت مندوبا عنها فى شخصية الجنرال بيتان وهو لا زال اذ ذاك لم يصل لرتبة مشير.

توقعا لوصوله اعتزمت الاقامة العامة على تدبير خطة احتياط لتغطية خيبتها وبيان ذلك ان المستشار كلفني بمرافقة نائبه المسيو مارشا والذهاب الى جلالة السلطان لنلتمس منه ان لا يحرك المسائل السياسية مع مبعوث الدولة بيتان وليقتصر ان سئل عن شيء من هذا القبيل على الجواب بأن له ادارات خصوصية فى هذا الشأن .

وفعلا ذهبت انا ونائب المستشار ودخلنا لقبة الاقتبال ، فشرحت القضية لجلالة السلطان وبينت له ما تلتمسه منه الاقامة العامة وهو ان لا يحرك مسألة سياسة مع مبعوث باريز . **ماذا كان الجواب ؟**

التفت الي وقال لي : **قل للمسيو مارشا هذا موش كلام ،** غاية ما يمكن لي ان اساعد عليه هو ان لا نبدا انا الاول بالكلام فى السياسة ، ولكن اذا سالني عن شيء من هذا القبيل **التروغ ليس من شان الملوك لابد ان اجيبه بما عندي . امام هذا الجواب المسكت** لم يسع خليفة المستشار الا قبوله ، ثم بادر الـى الهاتف لاعلام الاقامة فسلمته هي ايضا ونزلت علـى حكم الواقع ، وفى المساء رجعنا للميعاد المعـين لمبعوث باريز فاجتمعنا به أمام الملك فأخذ من حينه يسأل بوجه عام عن العلائق بين الجالية الفرنسية واهل البلاد ومصارفة المراقبين وغيرهم من الولاة للسكان فاجابه الجناب العالي بأن الامور لا بأس بها فى الجملة ثم فتح (بيتان) الكلام الذي جاء لاجله فقال: ان التقارير التي ترد على حكومة باريز فى قضية حرب الريف غير مقنعة لذلك اوفدتني لاستقي الحقيقة مـن المنبع من جلالة السلطان ، فأجاب رحمه الله على البديهة بما لفظه : « ابن عبد الكريم احنا فتشنا فيه حاول المفاهمة مع الاقامة مرارا ، وارسل نوابا عنه حاملين لرسائل ، ولكن ادارة الاستعلامات لم تقتبلهم، وتردهم على اعقابهم على لسان القبطان شستونـي هذا الذي فى علمي ، وهذا الذي اتيقنه ، ثم زاد يقول: **«ان سياسة فرنسا لا تعجبني جاءت على خلاف ما كنت اظن** .. كان فى نيتي ان المغرب بلاد خصبة، فيها الانهار والمياه كثيرة وانتم معشر الفرنسيين لكم خبـــرة بالفلاحة ؛ وعندكم الالات العصرية ما ليس عندنا كان فى الظن ان تصرفوا عنايتكم الى الارض الموات ، وياما اكثر البور عندنا فاذا بالادارة تعمد الى الاراضي التي طوعها اهلها منذ زمان يحرثونها ابا عن جد فتنتزعها من الاهالي وتدفعها للمعمرين ؛ فكيف يحبكم اهـل البلاد واكثر من هذا بلغني ان اراضي فى دكالة وعبدة بها قبور اجداد أهلها انتزعت منهم) . فالتفت الـى بيتان وقال لي : قدم تشكراتي مع احترامي لجلالـة السلطان على هذه الثقة التي منحني ، وقابلني بها ، واكد لجلالته اني ساكون ترجمانه الامين لدى حكومتي وقل له : ان ما اخبرني به هو الذي اعتقده انا منـذ زمان لان الغالب من المعمرين هم شتات من حـوض البحر المتوسط من اسبانيين ويونانيين ومالطيـين وايطاليين لا يبالون بسمعة فرنسـا ارتفعـــت او انخفضت الذي يهمهم ويشغل بالهم هو تعمير جيوبهم وملفاتهم جميعا عندنا بباريز وحتـى المعمرين الفرنسيين فيهم وفيهم ؛ على هذا الحوار تفرق الجمع وطلب بيتان الخروج وودع جلالة الملك ، اليس فى الجواب الذى اجيبت به الاقامة العامة فى البدايـــة واجيب بيتان فى النهاية ما يتلمح فيه المؤرخ ميزة الملك وصدق لهجته .

انتقل الصولجان من بعده الى نجله الابر محمد الخامس الذي سبق لي في هذا المقال ان لقبته **طالوت وآية ملكه** ميل شمس الاستعمار الى جهة الغروب هذا اصدق تعريف يسجله له التاريخ .

لاحت لي بوادر يوم كنت استاذا له ، وان نفحة من العناية عينته للوراثة وشرح الحال باختصار : اني تشرفت بمرافقة الموكب الملكي عام 1926 الى عاصمة الجنوب مراكش ، العام الذي زوج فيه الملك السالف الذكر انجاله الامراء ومن بينهم سيدي محمد خرجنا من الرباط في منتصف الليل في سيارة الحاجب فركب الحاجب الى جانب السائق وركبت انا مع الاميرين مولاي الحسن سيدي بابا وسيدي محمد في وسط السيارة ، عندما جاوزنا الصخيرات التفت الي الحاجب وقال لي : طريق مراكش طويل والليل طويل اسمعونا شيئا من القرآن ، فافتتحنا القراءة من سورة آل عمران الى ان وصلنا الى آخر سورة النساء فلاحظت في سيدي محمد دوام التيقظ عند الوصول للآيات المتشابهة كأنه لا يرضى ان تلوح علامة ضعف في حفظه تلكم كانت حاله طول التلاوة ، ويشبه هذا ما كنت شاهدته منه اثناء الدروس ، فكان من معه من الامراء تظهر منهم المجازفة والمبالغة في وصف الاشياء ورواية الاخبار وكان دائما يرد الاشياء الى نصابها ، فتبين لي انها غريزة فيه ، وقلت في نفسي في ظل هذا النجل يجد الملك مقيله وبعد جلوسه على العرش وعقد البيعة له في فاس ولسان حال المستشار النائب على الاقامة اغمض عيني على القذى معناه ان اسناد الملك لسيدي محمد كان قذى في عينيه ، وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة ، اقول بعد جلوسه على العرش بأعوام قلائل عهد الي اعطاء دروس للاهل داخل القصر بعد ان افضى الفقيه الي هذا السر : « عندي كلام نقوله لك على سبيل السر ، الحبل اخذ يضطرب مع القوم ، احس من نفسي اني من عدوة وهم من عدوة اخرى والاتفاق معهم ان لم يكن مستحيلا فهو بعيد وصعب ، وكلما وقع سوء تفاهم بيني وبينهم يتغير الجو في القصر تستولي الحيرة والهم على الاهل فاطلب منك ان تقرا معهم ما فيه تقوية لايمانهم وثقتهم في اللهبالعربية او الفرنسية تلتمس ذلك من كتب السيرة وكتب التاريخ الفرنسية الزمان في تطور والاحوال الى تبديل وستجد فيهم من يساونك ويسهل عليك الامر لان فيهم من يحفظ الكثير من القرآن .

فشرعت في العمل وكان سبقي في هذه المهمة المرحوم السيد اقصبي بصفة مدرس في العبادات ومن ذلك الحين وانا ارى منه من حين لاخر ما ينم على شيء وقر في صدره وهو اشتغال باله بالاسلام ومصيره من ذلك انه جاءني يوما في اثناء الدرس عام 1948 وقال لي : « الفقيه الفرنسيون يعملون عملهم في الجزائر يخدمون مصلحتهم ونحن ايضا نخدم مصلحتنا ، عندكم في الجزائر جمعية العلماء تقاوم على قدر جهدها وحالها ، ثم ناولني غشاء يحتوي على تبرع جزيل وطلب مني تبليغه للجمعية اعانة لها وهذا التبرع تكرر منه مرارا فيما بعد ، ثم زودني قدس الله روحه وبدل سيآته حسنات بورقة حمراء على اني من حاشية القصر كنت اسافر بها مجانا في القطار ويرحم الله القائل : « من كان في عمل الله كان الله في عمله» فكنت كلما اخرجتها في محطة وجدة لرجال الامن والديوانة صحبة الجواز عجلوا الاشارة الي بالمرور من غير تفتيش لما يلوح على الورقة من الهيبة .

ومن غريب الاتفاق انني يوم سافرت في الموكب الملكي مع الجناب العالي بالله مولاي الحسن كان الذي صلى بنا الجمعة الاولى هو السيد عبد اللطيف القنطري امام جامع كتشاوة الذي كانت الحكومة حولته كنيسة ثم انقلبت موجة الزمان ورده الاستقلال جامعا كما كان وهذا الامام هو الذي كان يدفع الي التوصيلات عند قبض التبرعات في مركز الجمعية وبحضور مديرها المرحوم السيد العربي التبسي ، هنا محل لذكر نكتة لها قيمتها بعد تمام الصلاة ، قمت الى الامام وقدمته لجلالة الملك ، وقلت مولاي هذا الذي صلى بنا هو الذي كان يدفع الي التوصيل عند دفع التبرعات ها نحن اليوم ادخلنا تلك التبرعات للمحافظة الالهية في محراب اعظم المساجد والظن في الله ان يبدل سبحانه السيآت حسنات اليس في هذا اقوى دليل على ان الغائب العزيز كان يشغل باله مستقبل الاسلام ومصيره وهذا في وقت لا ذكر فيه للاستقلال وابعد شيء تصور امكانه في الجزائر ولكن الملوك نظريتهم على نسبة مسؤوليتهم ينظرون الى النهايات ، والنهايات هي بيد الله ؛ « واليه يرجع الامر كله » « الا الى الله تصير الامور » ان الخالق اعطى للمخلوق البدايات واستأثر بالنهايات .

وصلت الآن بك ايها الكريم الى ميقات حجة الاستقلال ، وشرح الحال على قدر ما يسع المقام : في عام 1951 ظنت الاقامة العامة ان عهد الحماية نضجت ثماره وحان قطافها معناه في نظرها ان الجالية

الفرنسية يحق لها ان تقاسم أهل الوطن فى الجنسية المغربية وانه من الحط من قدرهم ان يعتبروا اجانب ويهون قلب الوضعية كون الاقامة على راسها مشير له هيبته ونفوذه فرسم منهاج لهذه الغاية وقدم لملك البلاد فاجتمع المجلس الوزاري تلو المجلس ووقع الاخذ والرد فى أمر المنهاج الملك قدس الله روحه يرفض بتاتا لكل ما من شانه ان يدخل تغييرا جوهريا يمس بكيان المملكة المغربية بصفتها دولة لهـــا شخصيتها الرسمية كبقية دول العالم الامر الذي لــم تساعد عليه الاقامة وحيث وصل الامر الى هذا الحد، بيتت ما بيتت فى شأن الملك ظنا منها ان العراك يبقى يدور بين المقيم والملك لا يخرج عن هذه الدائرة ، ظهرت هذه النية وهذا التبييت فيما سياتي قريبـــا فالمهم ان البت فى هذا الخلاف هو فى ان يوقع جميع الوزراء على التقرير الذي يجاب به المقيم وكذلك كان فدفع التقرير بعد التوقيع عليه للسيد المعمري الواسطة الرسمية بين القصر والاقامة وبعد مضي ما يزيد على الساعتين سمعنا مولى الوضوء يقول بصوت جهوري: سي المعمري جاء فنهض النجل المعد للوراثة بسرعة وبمجرد ما التقت العين مع العين ولى مدبرا وهـــو يقول لجلالة والده : « المعمري راه جاء يبكي ، هذا الامر يهمنا قبل كل احد وأكثر من كل احد اطاب الذهاب الى المقيم لاعرف ما هنالك وانا ما نعرفش نبكي » فاجابه الوالد : الله يوفقك .

فمد من حينه يده الى الهاتف وطلب مديـــر الديوان المدني بالاقامة المسيو « فين » وقال له هذا مولاي الحسن ، اريد الملاقاة مع المقيم فلا يتركني انتظر فاجاب المدير : هو فى انتظاركم ، فتوجه بسرعة للموعد وبقينا فى انتظار رجوعه .

هنا وجب فتح فسحة بين قوسين لتلخيص مذاكرة مع جلالة الملك هي روح هذا الموقف الخطير وهـــي لما كنا فى انتظار سي معمري سالني الملـــك : اش ظهر لك يا الفقيه فى هذه القضية ؟ فكان جوابـــي : مولاي ان لله سننا فى خلقه فى الامم وفى الافراد وهي الابتلاء لعل ساعة الابتلاء دقت على المغرب وعلى ملكه فقاطعني قدس الله روحه بقوله : « كانك يـــا الفقيه كاشفت على سر من اسراري » . ثم امر احد الخدام بأن ياتيه بكناش عين له موضعه ، فجـــاء الخادم بالكناش ففتحه رحمة الله عليه وهو يناجيني : من اليوم الذي اخذ الحبل يضطرب مع القوم البهت جمع بعض من الايات القرآنية التي تثبت قدمـــي وتزيدني رباطة جاش وناولني الكناش فأخذت اقـــرا البعض من الايات وهي : « ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأســـاء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنـــوا معه متى نصر الله » ؟ « أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين » « الم أحسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا ويعلم الصابرين » « ولنبلونكم حتى نعلـــم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم » الخ ... من الآيات المحكمات التي مؤداها ان السنن الالهية فى البشر تدور على الابتلاء .

فتيقنت عند ذلك ان ممثل الاسلام فى العـــراك القائم محـــوب بالعناية الالهية .

فنطق بعض الحاضرين : هذا يقوله لسان القوة ونحن لا قوة لنا ، هل عندنا ما عند الخصم مـــن طائرات واساطيل ومدافع وو .. فرد عليه جلالته بنوع من الامتعاض : المغرب وصل ليدي وله شخصيتـــه بين الدول لا أرهن مستقبله ، اي باس ان اجيب القوم: بيني وبينكم صك الحماية انا لا ادخل عليه تغييرا وانتم كذلك لا تدخلون عليه تغييرا والحكم للمستقبل . فلـــم اتمالك وقلت للملك : صلتي بكم وبوالدكم المنعـــم وكوني مدرسا بالقصر يخولني الحق فى الكلام للرد على ما سمعت من الملاحظات : فقال لي : قل ما بدا لك انت واحد من اهل الدار . فقلت للحاضرين : الملك بين ميثاقين : ميثاق بينه وبين الله بنص قوله عز من قائل: واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به اذ قلتم سمعنا واطعنا » معناه اذا قلنا سمعنا واطعنا فقد ارتضينا الاسلام دينا وبذلك انعقد الميثاق بيننا وبينه سبحانه والميثاق الثاني البيعة التي فى عنقه بيعـــة العلماء والشرفاء بحكم قوله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود » والبيعة عقد واذا كان الشعب اليوم رعيته فمعقد خصومه القول الفصل هو فى قوله سبحانه : فقاتل فى سبيل الله لا تكلف الا نفســـك ، بريء ذمتك ولا عليك عسى الله ان يكف باس الذين كفروا والله أشد باسا واشد تنكيلا ، فقاطعني جلالة الملك وقال لي : هكذا يكون وعليه القى الله ، على هذا انفض المجلس ولما طال بي الانتظار لرجـــوع النجل استأذنت فى الذهاب وقلت للجناب العالـــي : مولاي من صرف الكيد عن يوسف، يصرفه عن ابن يوسف فقال : آمنت احسنت احسنت .

وما دمنا فى سورة يوسف كان فرحي عظيما اذ جاءتني البشرى فى صباح الغد 21 فبراير 1951 بان

النجل اطال الله عمره نجح فى وساطته وان الاقامة العامة رضخت لقبول الجواب بعد ان رأته موقعا عليه من طرف جميع الوزراء وفى ذلك اليوم نفسه نشر البروتكول .

ثم خبا مصباح المقيم ونبت الربيع على اسمه لكن مع بقاء الجمر تحت الرماد الى أن انبعث اشقاها الجنرال كيوم فاستأنف الكرة اخذا بالثار للشرف العسكري فى النكبة التي نكبها فى شخص سلفه ودبر امر ابعاد الملك لجزيرة مدغشقر وما درى ان الهجرة ستأتي بالفتح وهكذا يدبر المدبر والقضاء يضحك .

الملك الثالث النجل الاسعد :

تاريخه لا يزال فى حكم المقدمة ، حسب الشعب للثقة به والاطمئنان كل الاطمئنان اولا لما جاء عنوانا لهذه المقدمة ، وهو قوله : انا ما نعرفش نبكي . وقوله لمدير الديوان المدني بالاقامة : أريد الملاقاة مع المقيم ولكن لا يتركني انتظر . كلتا اللهجتين من خصائص الملوك ، فالمشاهدة اقوى دليل : مشاريع تنجز وأوراش تفتح فى كل ما يتوقف عليه بناء المجتمع فى الحسيات والمعنويات على السواء وكيفما كان الحال فان المسؤولية عظيمة حكم الزمان بأن رقمها القياسي جاء على نسبة الرقم القياسي للشهرة التي تركها والده المنعم غاية ما الهمت الدعاء به اليه هو ان يحفظه سبحانه للوطن وان يحفظ لسانه للاسلام وبهذا الكتاب المسطور أؤدي زكاة نصاب ما عندي من اخبار هذه الدولة المجيدة ولعل فيما تمت به من خدمتها يوم جلل الخطب القصر ما يشهد لي يوم تشهد الارض على كل احد بما عمل على ظهرها ويرحم الله ابن دقيق العيد قاضي قضاة مصر فى عصره الذي يقول : ما حكمت حكما حتى هيأت جوابي عليه يوم الوقوف بين يدي الله .

الرباط — ابو العباس احمد التيجاني





ان الباحث فى نشأة الدول عليه أن يرجع بنظره الى ابعد الاسباب فى سقوط الدولة التى نشأت على انقاضها الدولة الفتية ثم يلقي بنظره الى الاسباب المتصلة والظروف المواتية .

وهكذا اذا حاولنا ان ندرس (كيف نشأت الدولة العلوية) فعلينا ان نرجع اولا الى الاسباب البعيدة التى مهدت للاسباب القريبة .

الاسباب البعيدة فى انقراض دولة ونشوء اخرى يجب ان تلتمس فى آخر ملك قوي اخنى الدهر على دولته ، ولهذا نحاول ان نلتمس هذه الاسباب فى ايام ابي العباس المنصور الذهبي . ولعل هذا القول فيه غموض ، ولكنه عند دارسي التاريخ واضح جلي . فمن اراد ان يدرس اسباب انحطاط دولة الامويين عليه ان يلتمسها فى هشام ، وكذلك الامر فى العباسيين عليه ان يمعن فى ايام المعتصم ، وفى الدولة القزنوية فى ايام محمود ، وفى العثمانية فى ايام سليم الثالث ، وفى الادارسة فى ايام المولى ادريس الاصغر ، وفى المرابطية فى اواخر ايام يوسف ابن تاشفين . وفى الموحدية فى ايام يعقوب المنصور ، وفى المرينية فى ايام ابي الحسن . وهكذا يكون صنيعنا واضحا اذا التمسنا اسباب ضعف الدولة السعدية فى ايام عاهلها العظيم المنصور الذهبي ، فلكل شيء سببه . والدولة كالفرد ، سنة الله فى الكون ، فما بعد الشباب والكهولة الا الشيخوخة .

لكل شيء اذا ما تم نقصان
فلا يغر بطيب العيش انسان

نعم ان الدول تختلف بطول الاعمار وقصرها كما تختلف الافراد فى ذلك ودولة بني العباس مثلا كانت اسباب انهيارها ستلتمس فى ايام عظيمها هارون الرشيد ، ولكن الخلاف بين ابنيه الامين والمأمون جعل هذا الاخير يبعث فى كيانها روح الحياة الشابة بما رفدها به من روافد خراسان القوية التى قامت على اكتافها الدولة العباسية اول ما قامت . ولهذا تاخرت اسباب المصير الى ان كان المعتصم فكان ما كان مما هو معروف فى كتب التواريخ ...

المنصور الذهبي

المنصور الذهبي فى الدولة السعدية بمثابة قسطنطين الاكبر فى الدولة الرومانية ، كلاهما كان ملكا عظيما وكلاهما كان يسبغ على مركزه شيئا من القداسة الالهية ، وكلاهما كان فاتحة شيخوخة فى دولته . وهكذا قد جمعت بين العاهلين صفات تلتمس فى تاريخ حياتهما . ومهما يكن فاننا نريد ان نلقي اضواء على ما سبق ان ادعيناه من ان عوامل تدهور الدولة كانت بادرة فى ايام المنصور رحمه الله. واهم تلك العوامل ما ياتي :

ا ــ الظرف الذى بويع فيه المنصور لم يكن ظرف استقرار للدولة، فقد بويع على اثر انتصار السعديين فى معركة وادي المخازن فكان القائمون بهذه البيعة هم المحاربين ، وليسوا اهل الحل والعقد من وجوه الامة وعلمائها . ولهذا لم يكن المنصور فى مركزه بالمطمئن عليه ، واول ما تمثل ذلك فى مطالبة الجيش له بارزاقهم بعدما اغمدوا سيوفهم من معركة وادي المخازن . وكان الامر سيفضي الى شر لولا ان المنصور استطاع بدهائه ان يسكتهم . وثاني ما تمثل ذلك فى محاولة ثورتهم عليه وقد مرض فطال مرضه ، ولكن ابا عبد الله محمد الطبيب بذل فى تهدئتهم مجهودا يشكر فأرجيء بذلك الانفجار ..

ب ــ فتح السودان ولو انه صرف قوات هذه الجيوش الى ما يشبعها ويلهيها عن التمرد الا انه فتح على الامة وبالا بهذا الذهب الذى ذهب بعقول الناس، صحيح ان الذهب هو اعصاب الدولة ولكن الدولة التى تعرف كيف تستغله وتنظم به شؤونها خير تنظيم . اما الدولة التى تصهره سبائك لحليها وزخرفة قصورها والانقطاع الى ملذاتها فتلك دولة بشرها بالخراب وبئس المآب .

نظم المنصور جيشه وزينه بالملابس المزخرفة بعد ما افاض على دولته الذهب . نظمه لا بالطرق المعروفة فى تنظيم الجيوش ، واعده لا بالمعدات الحربية التى يدفع بها فى نحور اعدائه فى الداخل والخارج ، ولكنه نظمه ليسير به فى مواكب الموالد والاعياد واعده بالكسي والقلانس الحمراء والخضراء ، وقعد به وقد اسكرته نشوة النصرين ، فانقطع الى ملذاته، واغلق عليه ابواب قاعته التى صرف فى تنميتها وصب الذهب فى جدرانها ست عشرة سنة وجلب اليها الرخام من ايطاليا مقابل وزنه سكرا . وما احلى السكر للانسان اذا لم يجرع معه صابا ! .

ج ــ الظلم مرتعه وخيم ، كان المنصور عسوفا لا يتورع فى اراقة الدماء واخذ الناس بالسلاسل والاغلال ، وكان يصم اذنه عن كل شكاية تصله بظلم عماله . فكا لهذا اثر سيىء فى نفوس الرعية حتى مالت عنه بقلوبها ويئست فى دولته من صالحها ، فركنت الى الخمول وتعلقت بأسباب من ظنت فيه المأمول ...

د ــ الضرائب وهي التى ما كان يستسيغها المغرب ولو انها شيء مألوف عند غيره ؛ خصوصا اذا كانت فادحة يئن من وطأتها الشعب . وهذا ما كان فى ايام المنصور ، فبالرغم من ان خزائنه كانت مفعمة بالذهب الا انه وظف على الرعية ضرائب اخرجت مرارتها ، فسادها التذمر ونادت بالويل والحرب ...

هـ ــ الوباء والمجاعة طال بهما الامد فى عهد المنصور فهلك الناس واختل ميزان الدولة ، وتفاحشت الاسعار ، فضاق الناس زيادة على ما بهم من ضيقة وفسدت النفوس وفقدت الثقة وتهالك القائمون بالامر على ما بيد غيرهم . ولم ينج حتى المنصور نفسه من نتيجة هذا الظرف المشؤوم ؛ فقد خانه ولي عهده المأمون واستنصر أو حاول ان يستنصر عليه بأعدائه ، لولا ان تفادى به قبل ان يتعشى هو به ؛ فقبض عليه ، ثم كانت نهاية المنصور نفسه أن فتك به الوباء الذى فتك بغيره :

و ــ الاتراك كانوا شجى فى حلق المنصور ورعبا فى قلبه ؛ فكان دائما منهم فى حذر خصوصا عندما شاهد ما هدد به فى ايام السلطان مراد الثالث من ثل عرشه ، فطاطا لهم راسه ، واعتذر عما تسبوه ظاهرا اليه وظلوا يتربصون به الدوائر ، ولم يكن من البساطة بمن تمر عليه هذه الحيلة ؛ ولكنه اتجه الى السودان لاجل التوسع والاستغلال وتمكين مكانته فى حساب الاتراك . ومع هذا فالحذر منهم لم يزاوله طيلة حياته ، وكان هذا مما حذا به الى ان يحتفظ بجيشه بجانبه ولا يغادر عاصمته الا لماما ..

ز ــ توزيع المملكة على اولاده فى حياته كان له اثر سيىء ، فلقد استطاع كل من بيده ناحية ان يجعل منها شيعته وعدته فى الوقت المناسب . وكان بين هؤلاء الاولاد حب مفقود ، وحسد اسفر فيما بعد حينما بويع احدهم بفاس وآخر بمراكش ، ودارت رحى الحرب فذهبت الدولة ادراج الرياح بينهم .

ح ــ الزوايا كان لهانفوذ فى الشعب . ولقد احس المنصور بهذا الخطر على دولته فبعث الى بعض اصحابها من يقضي عليه القضاء المبرم ؛ ولكنه لم يوفق فى مهمته. ثم ازداد نفوذ الزوايا حتى طغى فى الزاوية الدلائية التى طوحت بهذه الدولة كما يأتي :

هذه الاسباب هي اهم الاسباب البعيدة التى كانت نتائجها هذه الاسباب القريبة .

— * —

لما اختفي دور المنصور عن مسرح الحياة ، كانت البراكين قد قذفت بحممها ، فهذه الابناء والاحفاد تتحارب وتتطاحن ، وهذه الاتراك تعرض على المتحاربين العون ؛ وهذا صاحب قشتالة يحتل الموانيء مثل العرائش والمهدية . وهذه جالية الاندلس ممالئة للعدو ، ويفتى فيها بالقتل . وهؤلاء الصلحاء تضطرب فى هذا الهرج والمرج ، فتتهم مرة بانها الذين يتوسم فيهم الناس الخير يشمرون عن ساعدهم . فيام كل منهم حوله من يدفع العدو عن عن بلادهم . وهؤلاء الطامحون وقد تظاهروا بالجهاد فاجتمع الناس حولهم ثم طلبوا الملك فملكوا ، وكان بينهم ما بين الملوك من حروب. وهذا الشعب المسكين خائف ، جائع عار حائر ، فان ، يشخص ببصره الى من ينقذه فلا يجد الا الامواج المتلاطمة والنيران المندلعة ، لقد خيبت ظنونه الايام وصدمته الحوادث بالمحن . فها هو يتهافت على من يؤمل فيه الخلاص هؤلاء اولاد المنصور وابناء عمه واحفاده المتنازعون ، على هذا يكون المنقذ ؟ ربما ، ولكن هو هو قد فر او سقط فى الميدان ، فليكن خصمه ! وهكذا . . وها هو الدلائي وابو الحسن السوسي وابو محلي ويحيى الحاحي والعياشي وغيرهم كل هؤلاء لهم اطماع ، وكلهم ادعى لنفسه الملك ولقي من بايعه فملكه . فكانت الفوضى ضاربة الاطناب وخرت الدولة السيئة الحظ تحت أقدام اهل الدلاء .

اهل الدلاء والدولة الشريفة

فضل هذه الزاوية لم ينكره التاريخ فلقد لعبت هذه الزاوية دورا هاما فى حركة التعليم بالخصوص، على حين ان كانت سوق العلم كاسدة ايام السعديين. ولكن نشاطها لم يقف عند هذا الحد بل تعدى الى النشاط السياسي . وربما تكون هذه الزاوية معذورة فى هذا التعدي للظروف الآنفة الذكر ، ولكن هذا يهمنا الآن . والمهم انها جابهت الدولة السعدية فى آخر ايامها وناصبتها العداء كغيرها ، وبارزتها فانتصرت عليها واستولت على ما كان فى يدها ، وهناك كانت دولتنا الفتية فى مستهل ميلادها . .

هذه العائلة الشريفة لم يكن اول ظهورها فى معترك المجد فى هذه الايام ، بل كان ذلك ايام المرينيين حيث ضعفوا ايام ضربات البرتغال القاسية، فاحتسب حياته المولى علي ، المعروف بالشريف ، وجاهد فى سبيل الله . ولم يقف عند الجهاد فى بلاده بل توجه الى الاندلس فكانت له مواقف حاسمة ، ثم رجع الى وطنه سجلماسة فكاتبه اهل غرناطة يستنجدونه برسائلهم وقصائدهم وزادوا على ذلك ان وعدوه بالمبايعة والتزام طاعة الملك . ولكنه زهد فى ملكهم . كما زهد فى اهل فاس ــ وقد سبق له ان عاش بين ظهرانهم ــ حينما وعدوه بتوليته عليهم !. .

ظلت هذه العائلة مرموقة فى وطنها سجلماسة ، وكانت الدولة السعدية تتقرب اليها وعلى راسها ابو العباس احمد المنصور ، ولكنها لم تابه لهذا التقرب.

ومهما يكن فان هذه العائلة كانت موفورة الجانب معظمة من اهل سجلماسة ، والقي فى روعها انها ستملك حينما كان جدها المولى علي بن يوسف ابن علي الشريف السابق فى حياة ابيه قد مسح ظهره ، وهو طفل ، بعض الصلحاء وقال لاصحابه : ماذا يخرج من هذا الظهر من الملوك والسلاطين !!. .

كان بدء الظهور ان حصلت بين هذه العائلة وبين اهل تابو عصامت عداوة ، فاستصرخ الشريف بابي الحسن السوسي واستصرخ اهل تابو عصامت باهل الزاوية الدلائية وذلك سنة 1043 . وما ادرك اهل تابو عصامت ما بين الشريف وابي الحسن السوسي من صداقة حتى انحازوا الى ابي الحسن وتوددوا اليه سعيا فى افساد ما بينه وبين الشريف. واخيرا نجحوا فى مسعاهم ففسد ما بينهما ، ولم يكن من ابنه المولى محمد الا ان حكم السيف فى رقابهم ، وكان هذا اول تحقيق لما قاله الحسني ، وآمن به الشريف فقر بما فعله ابنه عينا .

ولكن ابا الحسن احتال على الشريف حتى قبض عليه وحمله الى السوس معتقلا ، ففداه ابنه بمال كثير واطلق سراحه .

ومن ثم ضاعف ما كانت عنده من عزيمة واستمال الناس اليه واستغل ما كانوا يحسونه من ظلم عمال ابي الحسن فيهم ، فثار بهم فى سجلماسة، واخرج ابي الحسن فبايعه اهلها ملكا عليهم سنة 1.056 . ثم صمم على اخذ درعة فانتزعها من يد ابي الحسن ، فعظم امره وشاع ذكره . ولم يكن من اهل فاس الا ان كاتبوه طالبين مجيئه اليهم ومبايعين له بالملك ، كما فعل عرب المغرب . فاقبل حتى دخل (فاس الجديد) منسلخ جمادى الثانية سنة 1.059 فبايعه اهل فاس الجديد والقديم. وظل هناك الى ان التحم به اهل الدلاء فجلوه عن فاس وتوجه الى

وطنه سجلماسة وبقي فى ملكه مقتصرا عليها وعلى درعة . الى ان ثار عليه اخوه المولى الرشيد ، وانتهي القتال بينهما بقتل المولى محمد تاسع محرم سنة 1.075 وتولية المولى الرشيد .

لما ولي المولى الرشيد كان كأخيه ذا همة عالية فلم يرض لنفسه أن يجتزيء بسجلماسة ودرعة . وتوجه الى تازا فاقتحمها ثم الى فاس وكانت اذ ذاك قد اقتسمها الثوار ، ففي كل ناحية منها قائم وصائح، فكان ابن الصغير حامي الاندلس ومن انضاف اليهم وكان امر فاس الجديد فى يد رجل يدعى بالدريدي، فاستولى عليها المولى الرشيد فى ذي الحجة سنة 1.076 .

هناك رأى ان يضرب ضربته القاضية على اهل الدلاء ثم على الشبانة الذين كان لهم شأن ايضا كما كان لغيرهم مما سبق ، فبدأ بأهل الدلاء فكسر دلوهم ، ثم ثنى بالشبانة اصحاب مراكش فانتزع منهم مدينتهم ومن هناك توجه الى سوس وتوغل فيه فتم له بذلك تمهيد المغرب او كاد ، وتوفى رحمه الله فى الحادي عشر من ذي الحجة سنة 1.082 .

ثم بويع اخوه المولى اسماعيل وهو بفاس واليا عليه فنهض بأعباء الدولة وعد المؤسس الحقيقي لها حيث ضبط الامور وقضى على محاربيه وخضد شوكة الثوار واخمد انفاس من حدثته نفسه بالخروج عن ربقة الطاعة ، فدان له المغرب كله واتسعت رقعته حتى تخوم السودان ، وارجع المهدية والعرائش واصيلا وطنجة الى حظيرة المملكة المغربية .

وبالجملة فالمولى اسماعيل ومآثره تصافحك بها هذه الدولة الشريفة اول ما به تصافح .

تطوان ـ محمد بن تاويت



طريق الوحدة ـ صاحب الجلالة الملك المعظم يشارك بيده الكريمتين المتطوعين فى بناء الطريق الرابطة بين كتامة وفاس

الصف المرصوص

للشاعر المدني الحمراوي

بك الزمان قرير العين مبتهج ... وبالرضى والمنى يعلو له هزج

عمت بشائره ، راقت مباهجه ... كانها فرحة انى بها فرج

دنيا لها مرح يميلها طربا ... والليل ـ كاليوم ـ لا تخبو له سرج

وانما هي افراح يهيم بها ... شعب ، بميمادها مستبشر بهج

فالهم منقبض ، والغم منزجر ... على كآبته قد اغلقت رتج

والبشر منطلق ، يختال مغتبطا ... وسحره بقلوب الشعب ممتزج

ببيعة الحسن الثاني غدا طربا ... ومن مفاخره يزهو ويبتهج

وفي قلوب الورى آذانها نغما ... به انتشى شعبه ، وهاجت المهج

فالمغرب الحر قد رنت معازفه ... وكل قلب بما توحيه يختلج

اعياده عقدت ازهى مواسمها ... فان تشأ مرحا فامرح ولا حرج

وكيف لا ؟ وهلال المجد معترض ... ببيعة الحسن الثاني ومنبلج

سر النجابة في انوار غرته ... يلوح مؤتلقا يبدو له بلج

وبشريات النبوغ بين امته ... لسانها بحلاه هاتف لهج

ودولة المجد قد ابدت مسرتها ... لما علت بسعود نجمها درج

ابدت صبابتها بمن تهيم به ... ومن على منهج الامجاد ينتهج

ومن بهمته قد خاض لجتها ... فلم تثبطه امواج ولا خلج

هو الفتى قمة الامجاد غايته ... وعن مناه خطوب الدهر تنفرج

يمشي الى غاية العلياء مبتدرا ... فلا تصده أوعار ومنعرج

ما زال بالامل المنشود يرصده ... حتى بدا مشرقا يعلو له وهج
قد جاء ساحته يعنو لهمته ... فصار فى زمرة الانصار يندرج
فالارض قد لبست من يمنه حللا ... والشعب فى عيشه المخضر يندمج
فى كل ناحية سعي ومأثرة ... وكل نهج الى الانماء منتهج
ودولة الحسن المنصور صاعدة ... تمتد كالموج قد وافى به ثبج
تاريخه حدث فى الدهر منفرد ... قد عطر الارض من انبائه ارج

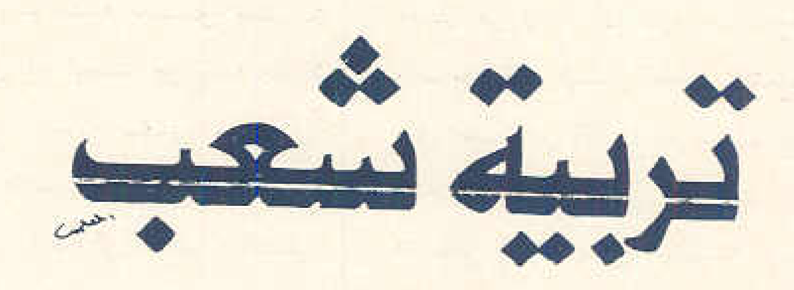
— * —

يا دولة الحسن الحسناء انت لنا ... امن ، فلا فاقة تخشى ، ولا رهج
امنية طالما ابدت تمنعها ... حتى اتى ، فأتى فى ركبه الفرج
ايامه متعة الدنيا وزينتها ... كأنما هي فى تاريخنا حجج
وهذه آيها بالعز ناطقة ... وكلنا بعلى امجادها غنج
فبوركت طلعة بيمن غرتها ... صارت جوانحنا بالبشر تعتلج

— * —

مولاي ! شعبك لا تخبو حماسته ... ولن تضلله الغوغاء والهمج
ولن تميل به الاهواء داعية ... الى مذاهب بالآفات تمتزج
ولن يزعزعه التدجيل من نفر ... يحدو بهم أرب مستقبح سمج
فالشعب ملتزم بالعهد مرتبط ... وفى جوانحه الاخلاص مختلج
يجيب بالطاعة الحمساء مبتدرا ... ولا يغامر فى زيغ ولا يلج
فانت فى سره روح يعيش بها ... وفى وجودك كل الشعب مندرج
كيان وحدته بالعرش ملتحم ... وانت والشعب صف ليس ينفرج
فانما الحسن المحبوب موهبة ... وسيرة ليس فى تدبيرها عوج
ورائد من بني الزهراء مؤتمن ... له لواء من التاييد منتسج
فصنه يا واهب الاحسان فيه، وصن ... شبليه ، تفديهما من شعبه مهج
محمد ورشيد طاب غرسهما ... فالفرع بالاصل موصول ومزدوج
وعشت مولاي بالتأييد منتصرا ... وسالمتك شهور الدهر والحجج

الرباط ـ المدني الحمراوي



تربية شعب

للأستاذ احمد عبد الرحيم عبد البر

يا رب هب لي من البنيان ما اعبر به عما يكنـــه قلبي من حب واجلال .

انها أطيب الآمال يتقدم بها الشعب المغربـــي **سرا واعلانا :**

في السر نناجي أنفسنا بدوام السعد ، وتمـــام المجد ، والتمكين في الارض ، وتأبيد الملك ، والتأييد والنصر لجلالة الملك العادل العالم الشريف العلوي مولاي الحسن الثاني .. أبي محمد ... امير المؤمنين . فترتفع اكف الضراعة الى الله ان يحقق الآمـــال . وتتحول خواطر النفس الى دعاء وابتهال . ويشعـــر القلب بيقين أن الدعاء مستجاب .

وفي العلانية نتمسك بأهداب العرش ، معتزين بجلالة الملك العادل ، في اجلال وتوقير متحفزين الى العمل الجاد المتواصل ، لتنفيذ التخطيط الرشيد ، الذي تقر به عين جلالة الملك ، ويسعد به الشعب كله .

في عيد العرش السعيد اقدم هديتي الى الشعب الوفي : نبراسا من هداية الله في كتابه الكريـــم الى الامة الاسلامية ، وقبسا من ضوء الرشاد يوضح لنـــا طريقنا ويعرفنا بمكانتنا لنعتز بديننا عقيدة وسلوكا ..

وقد عرفنا عن مليكنا المحبوب أن احسن مـــا يسره وتقر به عينه هو نصرة الاسلام . والعز والسيادة للامة الاسلامية .

اما المدح والثناء ، اما كلمات الشكر وعبارات الدعاء ، اما الاعجاب بصالح الاعمال والخلق العظيم ، اما تعداد المكارم والمفاخر ، فذلك كله واجب . ولكن له موضع آخر حتى لا تزاحمنا المآثر الكريمة عـــن تقديمي لهديتي الى الشعب المغربي في عيد العرش السعـــيد ..

قال الله تعالى : (كنتم خير امة **أخرجت** للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) — من سورة آل عمران .

جاء التعبير بلفظ (اخرجت) بالفعل المبنـــي للمجهول . فمن هو المخرج الفاعـــل ؟ وما معنـــى الاخراج هنا ؟ — قال الراغب الاصفهانـــي في كتابـــه المفردات : تقول خرج الرجل من الدار — أي برز من مقره . وخرج الرجل عن طبعه وحاله فاذا صار الفعل اخرج فاكثر ما يقال في الاعيان .

1) قال الراغب : **والاخـــراج** بمعنى التكوين للانسان خلقا وتسوية ورعاية . قال الله تعالى : (والله **اخرجكم** من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا) — من سورة النحل . وقال : (هو الذي خلقكم من تراب ، ثم مـــن نطفة ، ثم من علقة ، ثم **يخرجكم** طفلا) — من ســـورة غافر — فهذا الاخراج طفلا جاء بعد تكوين وتربية . وما بين طور العلقة وطور الطفولة اكثر من ثمانية شهور .. يكون فيها التكوين والتربية والتصويـــر والتنميـــة .

والاحياء بالروح التي هي سر من اسرار الله .. ولا يقدر على كل ذلك الا الله وحده .

2) وفي النبات اخراج : بمعنى التربية المناسبة في طقس ملائم ، ومكان خصب ، ورعاية وتنمية ، وتلقيح واخصاب . وزوجية مطردة لقانون نظام الحياة في النبات . قال الله تعالى : (وأنزل من السماء ماء ، **فاخرجنا** به **أزواجا** من نبات شتى . كلوا وارعوا انعامكم ان في ذلك لآيات لأولي النهى) - من سورة طه - فنظام الزوجية في النبات على اختلاف انواعه **تربية ، وعناية** . ولا يقدر على ايجاد ذلك الا الله وحده .

وقال الله تعالى : (وآية لهم الارض الميتة احييناها، **واخرجنا** منها حبا فمنه يأكلون ، وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب وفجرنا فيها من العيون ليأكلوا من ثمره ، وما عملته ايديهم ، افلا يشكرون ؟ ، سبحان الذي خلق **الازواج** كلها : مما تنبت الارض ومن انفسهم ، ومما لا يعلمون) - من سورة يس ..

فاخراج الحب من النبات ليس كاخراج الكتاب من الخزانة ، وانما هو الفن ، والزمن ، والمكان . **ونعمة الايجاد من الله عز وجل وعمل الانسان في الخدمة** والعلم والتعلم ، والعمل وبذل الجهد ، والمحافظة ، والحراسة ، ومنع الآفات ، والتعاون ، والتفع والانتفاع ، والسلعة والسوق . فهو **الاخراج** تربية وتنظيما .

3) وفي الامة : جاء **الاخراج** بمعنى بناء الشعب وتنشئة جيل صالح في امانة وقوة ، وبذل وتضحية ، وثبات على المبدأ ، وجهاد النفس قبل جهاد العدو . شجاعة في الحق ، وسمع وطاعة ، وعدل واحسان . دين ودولة ، ومودة متبادلة ، وغيرة على الوطن ، ورعاية للصالح العام - الفرد للمجموع والمجموع للفرد - قائد ماهر وشعب مطيع . همة عالية في وقار وحشمة . ويقظة كاملة (تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) . ولما كانت الميزة الكبرى والعلامة الواضحة للامة الاسلامية هي يقظة الشعب لبعضه قدم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر - ولان كثيرين من اهل الكتاب يشاركوننا في الايمان بالله . هذا هو **الاخراج** بمعنى تكوين الامة ، وتأسيس الدولة في قيادة حازمة ، وهذه هي رسالة الانبياء . **وورثة الانبياء** : اهل الحل والعقد العلماء أهل التسيير والتنظيم الحكام الحكماء . اهل الغنى والثروة الاسخياء . وقال الله تعالى : (الر كتاب أنزلناه اليك ، **لتخرج** الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد) - من سورة ابراهيم .

فهذا خطاب الله للنبي محمد صلى الله عليه وسلم ليؤدي رسالته بعمل هام ، وهو **اخراج** الناس من ظلمات الجهل والفكر الى نور العلم والايمان .

وذلك العمل هو مبنى الرسالة ، ومسيرة الجهاد والصبر الطويل ، والحلم الواسع ، والتحمل الكثير ، والتربية الحكيمة والرعاية الكاملة .

فهذا اخراج منظم لا كالاخراج من الحجرة ، هذا تحويل متسق لا كتحويل مجرى النهر . انه ابدال من وحشية الى مدنية، ومن شريعة الغاب الى شريعة الله.

وليس ذلك **الاخراج** من الظلمات الى النور فكرة خطرت للرسول (ص) من ذات نفسه ليصلح بين الناس، وانما هو (باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد) .

واستغرقت عملية هذه المهمة ثلاثة وعشرين عاما من حياة الرسالة ، انه العمل الاهم حتى بلغ الرسالة وادى الامانة . وكون امة هي خير امة اخرجت للناس.

ومن المعلوم ان تأدية الرسل لرسالاتهم تكوين لعقول واعية ، وبصائر نيرة ، وتنشئة للرجال ، واعداد للابطال الذين يورثون مجدهم لاولادهم واحفادهم . قال المرحوم احمد شوقي :

ارايت أعظم او اجل من الذي
يبني وينشيء انفسا وعقولا ؟

ومع ذلك فلا بد من نظام المتقابلات : استجابة .. واعراض . نصر .. وهزيمة . فرح وحزن . أولياء .. واعداء . فاذا جاء النصر شكروا الله شكرا جزيلا . واذا تداولت الايام بهزيمة صبروا صبرا كثيرا . قال الله تعالى : (ولقد ارسلنا موسى بآياتنا ان **أخرج** قومك من الظلمات الى النور وذكرهم بأيام الله . ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور) - من سورة ابراهيم .

ارايت التعبير بصيغة المبالغة في الصبر والشكر **(صبار شكور) !**

ان قيادة الشعوب ينجح فيها كل صبار شكور - والايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر .

انه المنهج القويم تسير عليه لتكون اتباع النبي محمد صلى الله عليه وسلم .

انها الرسالة العامة : ومن لوازمها الصبر والشكر فى مبالغة وباستمرار فكذلك الرسالة الخاصة . ولكل منا رسالة خاصة فى عمله . وفى اسرته . وفى مكانته من المجتمع حتى لا يدخل العدو من مكان حراسته .

4) ان فى تعبيرنا السائد كلمة **الاخراج** بمعنى التنظيم ، والتنسيق ، تقول : **اخرجت** المطبعة كتابا منظما فى تبويبه وفهرسته . وتقول : هذه القصة اخرجها فلان فى (فيلم) سينمائي . بمعنى وضع كل شخص من اشخاص الرواية فى مكانه الملائم ليقوم بدوره احسن قيام — ونظم الضوء ، والملابس ، والمناظر ، والحوار ، والنتيجة —

فالله عز وجل يخرج المؤمنين من الظلمات الى النور بالوحي والتأييد والتوفيق والايجاد والامداد . والمعونة بالنصر لكل من اتبع الحق (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور) — من سورة البقرة .

والرسول صلى الله عليه وسلم يخرج الناس من الظلمات الى النور تنفيذا لامر الله : بالتربية الحكيمة . والقدوة الحسنة . ووضع الرجل الصالح فى المكان الصالح : هذا يقود الجيش ، وهذا يسبح الله .

والشعب يستجيب لما يحييه . ويمتثل الارشاد والتوجيه . لا اثرة : ولكن الى الايثار اقرب. لا معارضة: ولكن تذكر الحسنات والسيئات . لا استبداد : ولكن طب وعلاج . لا غيبة : ولكن النصيحة مواجهة فى رفق. لا سيطرة : ولكن (رحماء بينهم) .

وبذلك تكون كأسلافنا الصالحين : خير امة اخرجت للناس .

فما معنى (كنتم خير امة اخرجت للناس) ؟ اذا رجعنا الى المعاني السابقة لوجدنا ان المعنى المناسب هو : كنتم خير امة تداركها الله بالوحي والرسالة . وبذل الرسول لكم كل جهده فى تربيتكم وتكوين الامة ، واستجاب الصحابة حين دعاهم الرسول لما يحييهم حياة طيبة سعيدة وتضافرت جهودهم لتأييد الحق . واتحد هدفهم فتسابقوا اليه سباقا شريفا . واتفقوا على عمليات البناء للامة : كل واحد فى مكانه الملائم له ولمؤهلاته ، يؤدي دوره ويشجع رفيقه ، ويساعد الضعيف .

وابتعدوا عن الانانية ، وبذلوا كل ما يستطيعون فى انجاح الصالح العام . ولذلك جاء الفعل فى الآية مبنيا للمجهول (اخرجت) ليشمل عناية الله بالوحي والتأييد ، وسلوك الرسول صلى الله عليه وسلم فى جميع الشمل وتنشئة الجيل الصاعد القوي الامين . واستجابة الامة فى كل ما يصلح الفرد ويسعد المجموع.

(كنتم خير امة) كنتم فى اللوح المحفوظ — فى علم الله — خير الامم وافضلهم ، وكنتم فى الكتب المنزلة على الانبياء السابقين خير امة . وقد نوه الله بشأنكم ، واوحى الى الانبياء ثناء عليكم فيه ذكركم وشرفكم . فاللائق بهذا ان لا تبطلوا على انفسكم هذه الفضيلة .

والمنتظر منكم ان لا تزيلوا عن انفسكم هذه الخصلة المحمودة .

والواجب عليكم ان يحافظ الخلف عن ميراثه من اسلافه الصالحين .

(كنتم) فليست المسألة فعلا ماضيا وانتهى . وما هي بذكر لتاريخ كان ، وانما هو السير على الدرب الذي سار عليه الناجحون الفائزون .

سئل عمر بن الخطاب عن معنى هذه الآية فقال : هي فى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن كانوا معه ، فاعملوا مثل اعمالهم تكونوا خير امة ، ولو كان كما تريدون لقال الله انتم خير امة .

وقال كثير من المفسرين : وجدتم وخلقتم حال كونكم خير امة اخرجت للناس فكان السلف الصالح خير امة فى الوجود بالنسبة الى الامم القائمة وقتذاك.

وقال بعضهم : كان بمعنى صار — والمعنى : وصلتم باتحادكم وترابطكم الى قمة المجد . وبلغتم بأعمالكم كمال الرشد المطلوب من الامة الناهضة فصرتم خير امة اخرجت للناس — وفى هذا المعنى ارتباط بالآيات السابقة حيث اطفأ الانصار نار الفتنة فى حفرتها حين اراد يهودي الايقاع بين الأوس والخزرج باثارة حزازات قديمة كانت قبل الاسلام فكانوا سريعي الرجوع الى الحق . ولم يتمادوا فى الباطل .

وقد قال علماء التربية : العبقرية هي التغلب على الصعاب ، وتدارك الاخطاء .

وعلى كل : فهذه الآية شهادة من الله عز وجل للنبي محمد (ص) ومن اتبعه من المؤمنين الصادقين فى زمن نزول هذه الآية : **بانهم أمة** .. وبانهم خير امة ، وبانهم جماعة لهم اصل يربطهم اليه باحكام واتقان وتعاطف متبادل ، وتراحم متبادل ، وبانهم كالام الرحيمة تحنو على اولادها .

ويجمعهم دين واحد ، وهدف واحد ، فى لغة مشتركة ، وقوميتهم هي الاسلام .

وبذلك تحقق لهم ارقى ما تصبو اليه النظم السياسية الحديثة . واستجاب الله بهم دعاء سيدنا ابراهيم وسيدنا اسماعيل حيث قالا : (ربنا واجعلنا مسلمين لك ، ومن ذريتنا امة مسلمة لك ..) — من سورة البقرة .

(خير امة اخرجت للناس) : خيرنا لانفسنا وللناس ، ووظيفتنا اصلاح انفسنا والاشراف على اصلاح الناس — روى البخاري عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قرا هذه الآية وقال : خير الناس للناس .

وهذا المعنى يتفق مع الآيات الكثيرة مثل (والكاظمين الغيظ ، والعافين عن الناس) — من سورة آل عمران .

(واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل) — من سورة النساء .

ولا غرابة فى ذلك ، ففى الآية من سورة الاعراف يأمر الله النبي باعلان ذلك والاعتراف به (قل يا أيها الناس : اني رسول الله اليكم جميعا) .

اما بعد : فأرجو ان اكون قد أحسنت الاختيار بتقديم هذه النصيحة المخلصة هديتي الى الشعب المغربي الوفي : مشاركة مني معهم فى اظهار الولاء والاعتراف بالفضل الاعظم ، والمنة الكبرى ، وابتهاجا بهذا العيد الميمون سائلين الله عز وجل ان يزيد جلالة الملك قوة وتاييدا ، وان يديم عليه نعمة التوفيق لكل خير ، وان ينصره نصرا عزيزا مؤزرا ، وان يبارك الله فى ولي العهد سيدي محمد والاسرة الملكية الطاهرة ، وان يجزي الله الشعب المغربي احسن الجزاء على ولائه واخلاصه للعرش العلوي المكين ، وان يديم الله بركة العترة النبوية :

فى الملك والسيادة ، والعز والسعادة .
فى الحكم العادل ، والتوجيه الرشيد .
فى القيادة الموفقة الحازمة . فى العلم والعمل .
فى النهضة بالامة الاسلامية .

فى البعث الاسلامي الى العمل الذي صلح به اول امر هذه الامة ..

فى الاهتمام بأمر المسلمين شرقا وغربا ، شمالا وجنوبا .

فى الاخذ بيد الضعفاء .. ورفع مستوى اهل الوسط الى ما هو ارقى .

سيدي جلالة الملك : الحسن الثاني : الله مولاك، الله ناصرك ، الله يرعاك ، الله حافظك .

(فالله خير حفظا وهو أرحم الراحمين) .

الرباط — احمد عبد الرحيم عبد البر



سنة بعث إسلامي

للأستاذ محمد الطنجي

يعيش المغرب الآن سنة البعث الاسلامي الذى اعلن جلالة الملك انه سيكون شعار هذه السنة فرجعت الى الخطاب الملكي الكريم الذى اعلن فيه جلالته الحاجة الى بعث اسلامي فوجدته ذا اهمية كبرى فاخترت بمناسبة عيد العرش ان اسجل بعض الارتسامات من ذلك الخطاب والامل الباسم الذى يرجو المسلمون عموما وعلماء الدين خصوصا تحقيقه من تنفيذ محتواه فأقول مستعينا بالله .

كان خطاب جلالة الملك أيده الله فى عيد الشباب الماضي 1972 ذا طابع اسلامي وتربية روحية ، ونقد كريم وجيه لبعض الاوضاع الفاسدة ، وتخطيط حازم للسير بهذا الشعب المغربي الوفي لتحقيق المثل العليا. فيه غرر من الحكم ، خفيفة على اللسان ، ثقيلة فى الميزان ، لانها تتعلق بمصير امة وتربية اجيال على الاخلاق الكريمة التى بعث الله جلت قدرته خاتم النبيئين عليه السلام لتتميمها ، وقد شعر جلالة الملك بوزنها القيم العظيم وهو يسطرها آملا تحقيقها اذ يقول حفظه الله : وأنا اشعر أن كلامي هذا سيجد الصدى الحسن فى قلب وذهن كل مغربي لانني اشعر وحاستي السادسة تشعر على أن جميع الناس فى حاجة الى بعث اسلامي ، وتجديد اسلامي ، وحركة اسلامية » .

نعم يا صاحب الجلالة جميع الناس فى حاجة الى بعث اسلامي ، وبه صلح اسلافنا الاولون وسادوا العالم بصلاحهم وزكاء نفوسهم وموافقة شريعتهم للفطرة الانسانية ، ولذلك قال المخلصون ممن جاء بعدهم تلك الكلمة الجامعة لطرق الاصلاح : لن يصلح آخر هذه الامة الا بما صلح به اولها ، تصديقا لقول الرسول (ص) تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله .

ومن اجل الحفاظ على التراث الاسلامي وحضارته والتعريف باساطين فلاسفته استاء جلالته من تغذية الشباب بخصوص الفلسفة الغربية وحدها دون التعرف على اقطاب الفلسفة الاسلامية ودراسة نظرياتهم والتعرف على احوالهم حيث قال : من المفروض ان نعرف بالمفكرين المسلمين ، فاننا لا نعرف بهم ، ونجد الشاب يدرس فلسفة كانط ولايبنز وسبنسر وهيوم وآخرين ويترك جميع فلاسفتنا الحقيقيين ابن ابن رشد والغزالي وابو حيان التوحيدي » .

مسؤولية الوضع الغير الطبيعي

وقد تعمق جلالته فى دراسة الوضع فوجد ان المسؤولية ملقاة على ثلاثة ميادين :

الاول : البيت والاسرة .

والثاني : المدرسة والاستاذ وبرامج التعليم .

والثالث : الشارع والملاهي غير المحمودة .

ومن المعلوم ان المدرسة والاستاذ وبرامج التعليم بيد المسؤولين فى الحكومات المتعاقبة وبيد جلالتـه تعيينها ، وقد بدات معالم اصلاح اوضاع هذا الميدان تلوح فى افقه الواسع فاستبشر المسلمون خيـرا وخصوصا علماء الدين الاسلامي بأمر جلالته بمراجعة برامج التعليم عموما وتخصيص التعليم الاصيل بمزيد العناية وتغذية التعليم العصـري بالمـواد الدينيـة والاخلاقية بصفة خاصة وتكونت لجنة خاصة لهـذا الفرض وتفضل جلالته فاجتمع بالعلماء والمسؤولين عن التعليم فكان التوجيـه فى المستـوى اللائـق الصالح وستكون النتائج غاية فى الاهمية بحول الله كما استبشر الشعب المسلم بما وقع من التعريـف والتنويه بمبدا التاريخ الاسلامـي بمناسبـة العـام الهجري الجديد على المستوى الحكومي والشعبـي والاقليمي ، ونرجو ان تتواصل هذه البشرى بتنظيف الميدان الثالث ميدان الشارع والملاهي غير المحمودة كما يسميها جلالته فتتكون الشرطة الاخلاقية لتراقب الشوارع والنوادي وشواطيء السباحة وتحرسها مما ينافي قوانين الاخلاق الاسلامية التى يحرص حفظـه الله على تربية الاجيال على احترامها فى نفس هذا الخطاب الكريم .

كما نؤمل ونرجـو ان تصـدر الاوامر المولويـة بفرض حصار قوي اصالح الاخلاق الطيبة على جميع اجهزة الاعلام والثقافة من صحـف وكتب واذاعـة وتلفزيون حتى توجه هذه الاجهزة الجمهـور وجهـة الصلاح والخير وتساهم فى تربية مختلف الطبقات الشعبية التربية الاخلاقية المرغوب فيها .

على انه قد سبق لجلالة الحسن الثاني توجيه فى التربية الدينية لشباب المغرب وشاباته اذ امر باقامة الصلاة التى تنهى عن الفحشـاء والمنكـر فى جميع المدارس ولكن غلب تيار الاهمال على هذا الامر الديني المولوي الكريم ومنه يجب ان يبتديء البعث الاسلامي الجديد الذى عزم على تنفيذه ، كما كـان امر حفظه الله النسـاء والاوانس بلبـاس الحشمـة والمروءة والتخلي عن تبرج الجاهلية وتعرية الاجساد الناعمة باللباس المعروف بالمينجب واشباهه ، ولكن تيار الشهوات ورغبة النسـاء والاوانـس فى اظهـار مفاتن الجسد تخطى الرغبة الكريمة فاحتاج الامـر لتدخل السلطة لمنع لباس العري بين الامة المغربية ذات التقاليـد الاسلاميـة العريقـة حفاظا علـى الآداب الاسلامية وخلق الحياء فى المجتمع، وحيث لم تتدخل السلطة بقي الحال على علاته ، وكذلك الشأن فى اظهار المفاتن مع اختلاط الجنسيـن فى المسابـح وشواطيء البحار ايام الصيف مما يهيج الغرائـز ولا يترك مجالا لفائدة الدعوة الى عدم تبرج الجاهليـة حيث اننا قد جاوزنا حـدود المروءة والحشمة بكـل اصرار وعناد قد يقول المتحذلقون ان الرقابة هـذه تنافي الحرية الشخصية .. وجواب هؤلاء ان الحرية الشخصية اذا لم تكن فى اطار المروءة والفضيلة تلحق الانسان بالحيوان فى اتباع غرائزه دون مبالاة .

وفى نفس ميدان الشارع والملاهي غير المحمودة ايضا انتقد جلالة الملك تعاطي شرب الخمـر جهـارا حيث قال : وكما تعلمون فاننا كنا فى وقت ما نخرج الى الشارع وكنا طلبة اذ ذاك نشاهد اخواننا المسلمين فى المقاهـي وامامهـم كؤوس من القهـوة وعصيـر الفواكه .

اما اليوم فان الخمر تشرب علنا ، وهكذا نرى اننا ان لم نرب ابناءنـا على احترام قوانين الاخـلاق الاسلامية بل هناك من يـرى والـده فى الشـارع يتعاطى المحرمات » .

امام هذه المظاهر السيئة المشاهدة اعلن جلالة الملك شدة الحاجة الى بعث اسلامي جديد ..

والواقـع ان البعـث الاسلامـي تحتاجه اشد الاحتياج كل الاقطار الاسلامية التى اخذت التيارات تلعب بشبابها وحتى بمقدساتها فكان من المناسب ان تقع دعوة الاقطار الاسلامية كلها الى عقد مؤتمر يكون شعاره العام البعث الاسلامي وحده حتى يراجع فى هذا المؤتمر كل قطر اسلامي موقفه من تعاليم الاسلام واصوله فى العقيدة وتطبيق تشريـع الاسـلام فى المعاملات كلها على اختلاف انواعها وما ينبغي تطبيقه من حدوده واحكامه بالتدريج وما ينبغي تحويره من العادات والتقاليد المتصلة بالاسلام وما يجب منعه من بدع ومحدثات سواء فى العبادات او العادت وهذا معنى التجديد الذى ورد فيه الحديث الشريف عن الرسول عليه السلام : يبعث الله على راس كل مائة سنة من يجـدد لهذه الامـة امر دينهـا ، وكما قال الرسول ايضا فى حديث آخر : يحمل هذا الدين من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين .

والمهم هو الوفاء بما يتعهد به كل قطر من الاقطار الاسلامية لان العمل هو المهم فى ميدان الاصلاح دون الاقوال ، وخصوصا فى تنفيذ الجزئيات التى تنص عليها هذه الشريعة ، او يتفق عليها العلماء المجتهدون لانها من المصالح التى تقضي الشريعة بمراعاتها .

اما الكليات فقد لا يجد المسؤولون صعوبة فى الاتفاق عليها لعمومها وقبولها للتخصيص والتأويل فى بعض افرادها لظروف وملابسات قد تحتف بها .

والغاية والهدف الاسمى من هذا البعث الاسلامي هو الحفاظ على مباديء الاسلام والثبات عليها الذى هو الطريق الوحيد لاستقرارها ونجاح اصلاح المجتمع بواسطة تطبيقها وتحقيقها .

وقد علمنا الرسول الثبات على المباديء مهما كانت الحال بحيث لا يمكن التحول عنها ولو فرض او وقع المستحيل فقد حاول المشركون ارضاء الرسول ليكف عن الدعوة الى توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له ، فقال عليه السلام تلك الجملة الرائعة لعمه ابي طالب : « والله يا عم لو وضعوا الشمس فى يميني والقمر فى يساري على ان اترك هذا الامر ما تركته حتى يظهره الله او اهلك دونه » .

فاستمر الرسول رغم مكر المشركين واذايتهم له يؤدي ويبلغ رسالة ربه بكل شجاعة وقوة عزم وثبات فى مختلف الاحوال حتى تحقق وعد الله باظهار دينه .. ونجد هذا الثبات والعزم والحزم تخلق به خلفاؤه الراشدون حتى كان عهد الرسول وعهدهم خير القرون الذى طبقت فيه الشريعة الاسلامية تطبيقا تاما كاملا كما اخبر الرسول عن ذلك بقوله : خير القرون قرني .. الحديث . فصدق التاريخ كلمته حتى مرت اربعة عشر قرنا ولم يوجد زمن ظهر فيه الحق واندحر الباطل كزمانه عليه السلام ، فهذا ابو بكر الصديق رضي الله عنه ثبت فى وجوه المرتدين من العرب بعد وفاة الرسول وفى وجه الممتنعين من اداء الزكاة وان التزموا القيام بما سوى ذلك من اركان الاسلام فصمم ابو بكر على قتالهم جميعا قتال المرتدين وقتال مانعي الزكاة التى هي احد اركان الاسلام وذلك فى وقت ذهول المسلمين لهول فقدان الرسول الذى تم اجتماع الامة العربية كلها حوله ووقت اضطراب الاحوال فى شبه الجزيرة العربية ، ففي هذه الحال ثبت ابو بكر فى موقفه الصارم من الحفاظ على وحدة الامة وفرض احترام شريعة الاسلام وتطبيقها بجميع اركانها وقال تلك الجملة الخالدة : « والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه لرسول الله لقاتلتهم عليه » .

فحافظ على وحدة الامة بهذه الصرامة القوية فكان النصر حليف الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه .

وهذا عمر بن الخطاب فى قوته فى الحق والثبات على المبدا والحكم بالعدل لا تأخذه فى الله لومة لائم عاش ناصرا للحق والعدل حتى ضرب المثل بعدله وكان يهيب بتنفيذ الحق فى الحكم اذا ظهر وجهه جاء فى رسالته القضائية المشهورة الى ابي موسى الاشعري قوله : وانفذ اذا تبين لك فانه لا ينفع التكلم بحق لا نفاذ له ، فبين للمسلمين قاطبة ان اصدار الحكم يكون بسرعة اذا ظهر وجهه دون بطء ولا مطل وان تنفيذ احكام القضاء هو الذى يتقاضى من اجله المتقاضون ، دون اصدار الاحكام وعدم تنفيذها كما هو الحال عند بعض الامم اذ بتنفيذ الاحكام تحفظ حقوق المواطنين وتحفظ هيبة القضاء الاسلامي .

وهذا الخليفة الراشد عثمان بن عفان يبين ان الكثير من الناس يرتدعون بالقوة والسلطة عما لا يحل وعما لا يجمل تعاطيه اكثر مما يستقيمون بالتربية الدينية والوازع النفسي الذى هو اثر لهذه التربية حيث قال : ان الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن.

واما الخليفة الراشد الرابع علي بن ابي طالب كرم الله وجهه فقد ضرب الرقم القياسي فى تنفيذ الحق كيفما كان الحال وذلك منذ صغره وخصوصا عندما بويع له بالخلافة حيث لم يرد ان يمهل الولاة الذين لم يرض سلوكهم فعجل بعزلهم حتى تعصب البعض وكانت الحروب التى هزت اركان الامة الاسلامية فى وقعة صفين واضرابها ، وكانت له مزايا تضيق هذه النظرة الخاطفة عن التعرض لها وكان حاله مع معارضيه بني امية ، كما قال بعضهم: قلوب الناس معه وسيوفهم مع بني امية ، لانه يمثل الحق والفضيلة فى ابهى صورها .

وقد سئل عبد الله بن عياش : لم كان صغو الناس الى علي ؟. فقال لسائله : يا ابن اخي : ان عليا عليه السلام كان له ما شئت من ضرس قاطع فى العلم ، وكان له البسطة فى العشيرة ، والقدم فى

الاسلام ، والصهر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، والفقه فى السنة ، والنجدة فى الحرب ، والجود في الماعون .

وفى وصف ضرار له جاء قوله فى علي كرم الله وجهه : يعظم اهل الدين ، ويقرب المساكين ، لا يطمع القوي فى باطله ، ولا ييأس الضعيف من عدله »

وبهذه المواقف الخالدة رأت الامم التى فتح هؤلاء الصالحون المصلحون اراضيها واقطارها المثل الانسانية العليا التى تحلم بها وتطمح نفوسها اليها مطبقة فى سيرتهم واعمالهم واقوالهم فاختارت تلك الامم الاسلام دينا لها بعد ان كان الكثير من اهلها يؤدي الجزية والخراج وهو على غير دين الاسلام فرافق الفتح الروحي لقلوب تلك الامم الفتح الباهر لاقطارها حتى اذا تقاص ظل الخلافة الاسلامية عن تلك الامم بقيت على دين الاسلام لا تبغي به بديلا ولا ترضى عنه تحولا فنمت بذور الاسلام الطيبة فى الامم شرقا وغربا حتى صار عدد المسلمين الآن يناهز السبعمائة مليون وان فقدت هذه الملايين الروح الاسلامية القوية والتضحية فى سبيلها التى كانت لاسلافهم فاحتاجت من جديد الى بعث اسلامي يحيي فيها روح العزة والشمم ، ويوقظ فيه الشجاعة والهمم .

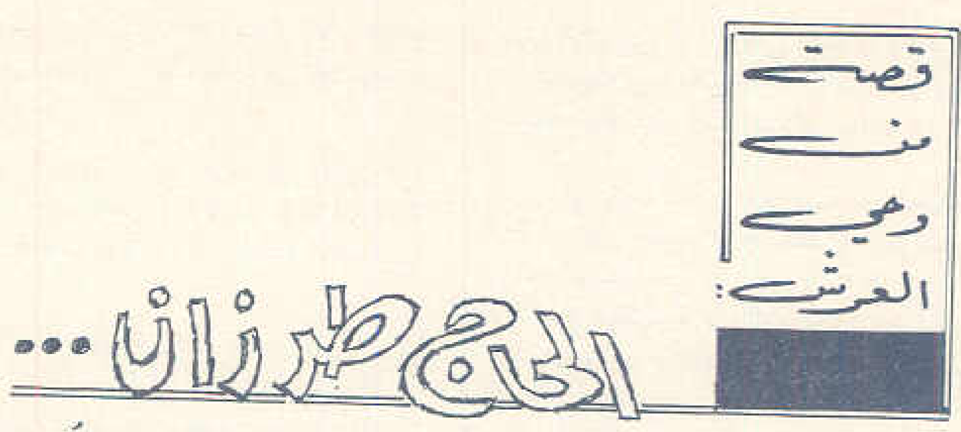
وحول هذه الروح والعزيمة القوية يتساءل جلالة الملك فى ذلك الخطاب الكريم بقوله : كيف يمكن ان نربي ابناءنا على الايمان بالفكرة والعقيدة الا اذا توفرت فينا نحن الآباء والامهات والمربين والاساتذة عزيمة قوية على بعث اسلامي جديد » .

ثم يقول مخبرا بما عليه من مسؤولية وواعدا بالقيام بكل التزاماته بصيفته الكريمة : علينا ان نراجع تربيتنا فى بيوتنا ، علينا ان تراجع البرامج والمناهج التعليمية فى المدارس ، علينا ان نفتح ملاعب للشبان ودور للثقافة وخزانات ، ونعرض عليهم الافلام ونساعدهم على ملء اوقات فراغهم لضمان نجاح تربيتهم ، الى ان يقول :

فلنجعل اذن شعبي العزيز من السنة المقبلة سنة تهذيب وتربية وبعث اسلامي بالمعنى الصحيح وبالفلسفة الاسلامية الصحيحة ، ليست تلك الفلسفة المتزمتة ، بل الفلسفة المتفتحة ، الواعية لضرورة الوقت والمطابقة لكل ضرورياتنا » .

وان المثقفين والمخلصين المصلحين لا يرجون من اصلاح الوضع الا ماسجله جلالة الملك نفسه فى هذه الكلمة الصريحة فى اسعاف الشعب المغربي المسلم بامانيه وتحقيق آماله من اكبر قائد رائد فى هذه البلاد وفق الله امير المومنين لما فيه خير الاسلام وعزة اهله .

الرباط ــ محمد الطنجي



للاستاذ أحمد زياد

كان عريض المنكبين ، يتوسطهما راس كبير الحجم ، تلتصق به اذنان كبيرتان مفرطحتان ، ويقوم فى وسطه انف افطس ، وعضلات مفتولة ، ابرزها يدان يعتبرهما قبض وبسط ينضبطان بخطوات رجلين لا تستطيع اليسرى منهما الخطو الا اذا اذنت لها اليمنى ، فتصعد من تاثير خطوهما جاذبية آلية نحو الراس ليلتفت مرة ذات اليمين واخرى ذات الشمال وعند كل التفاتة من الالتفاتتين تبدو نظرة شزراء من عينين سوداوين تشوبهما خضرة بظلال من لون ازرق ، وترتفع حنجنة تارة تكون هادئة معتدلة وتارة اخرى تعلو وهي متطرفة ثائرة ، وذلك فى حالة ما اذا لم تلتفت الانظار الى السيد بوشعيب وهذا هو الاسم الاصلي ، اما الآخر فهو الذى صار علما له بالغلبة طرزان .

ورغم ما يبدو في معالم هذه الصورة مع ايحاء بالرعب والخوف . على اقل تقدير ، فان السيد بوشعيب كان على العكس من ذلك سمحا وديعا لطيفا بشوشا وهي صفات لا يتجرد عنها او لا يتناساها الا فى حالة من حالات المعارك او الطوارىء .

والسيد طرزان من مواليد مدينة ازمور او مدينة مولاي بوشعيب الرداد — كما كان يطلب من الغير ان يسميها ، نزح الى مدينة الدار البيضاء فى اواخر الثلاثينات ، ونزح اليها وهو يحمل سمات جسمانية لشاب يصلح لان يكون ملاكما جيدا ، وبالفعل فان تلك السمات دفعته الى اقتحام ميدان الملاكمة ، فاخذ يجرب حظه فيه وسرعان ما اظهر نجابة بل ونبوغا فى هذا النوع من الرياضة ، ثم سرعان ما اخذ يقتحم حلبات الصراع فىمباريات مع الملاكمين الصاعدين ، ثم سرعان ما اخذ تفوقه يزداد ويتسع وانتصاراته تتوالى على خصومه ، وكانت الضربة القاضية هي القاضية فى كل مباراة يجريها السيد بوشعيب طرزان ، فكان مما لا بد منه بد ان يتردد اسمه كثيرا ويذيع فى المدينة وعبر احيائها المختلفة ، وكان مما لابد منه بد ان يلفت اليه الانظار ، بشجاعته بل ويرغمها ارغاما ، الى الالتفات اليه كلما مر بحي من الاحياء وحصل الشرف لهذا الحي بمرور السيد طرزان فى احدى طرقاته او دروبه ، حتى اصبح العذارى ، وهن يومئذ ما زلن قيد الحجاب يتسابقن الى النوافذ ليظفرن بنظرة ولو من خلال شقوقها من هذا البطل العضيل والوسيم .

وبمرور السنوات اخذت حالة السيد بوشعيب تزداد بسطة فى الرزق على قدر ما كانت يداه تزداد بسطة فى توجيه الضربات القاضية لخصومه العديدين .

ولئن كانت المباريات التى كان يجريها حينا بعد حين تتارجح من حيث ريعها بين حالتين من الصعود والهبوط ، بتحكم من الرواد الزبناء فان منازلة مع خصمه العتيد اليهودي « حاييم لافورس » كانت دائما تجري على مستوى يمكن تشبيهه بما يعار اليوم من اهمية لمباراة فرايزر وهوفمان ومحمد علي وغيرهم من ابطال الملاكمة اللامعين ...

ولقد ابى مريدو « حاييم » هذا ومناصروه ومحبوه من ابناء قومه الا ان يضيفوا الى اسم حاييم صفة « لا فورس » التى تعني ما تعنيه من قوة وشدة بأس .

والواقع ان «حاييم لافورس» كان بالفعل كتلة من لحم وعظام يصعب على اي ملاكم ومهما بلغت درجاته

فى المهارة ان يزحزح صاحبها الا ان السيد بوشعيب طرزان استطاع مرارا أن يزحزح « لافورس » ويتفوق عليه ولكن باحصاء النقط فقط .

والفضل فى ذلك — على حد تعبير السيد طرزان — يعود الى « رضاة الوالدين » ومع هذا التفوق فان بوشعيب ظل طموحا الى ان ينتصر على « لافورس » بالضربة القاضية ، لا ليهزمه فقط ، ولكن ليثأر لفلسطين ، كما كان يحلو ان يعلق على ذلك ، وكان للسيد طرزان بوشعيب آراؤه فى السياسة الخاصة ، وهو لم يومن ابدا بهزيمة الالمان ، كما ان من رايه ان هتلير ما يزال مختفيا فى جزيرة واق واق ، وهي جزيرة لا توجد الا فى خريطته هو التى توجد فيها القارات طبقا لما نسمعه من كتاب « بدائع الزهور فى وقائع الدهور » ، وان عقد الحماية عقد مزور سرقوا الطابع السلطاني ووقعوه ، وبما أنني كنت من الزبناء الاوفياء للمقهى الذى كان قد فتحه السيد طرزان بعد ان فتح الله عليه بواسطة لكماته القاضية ، فقد لاحظت انه متغيب عن المقهى ولمدة يومين ، ولما سألت عنه قيل لي : انه ذهب الى رؤية الوالدين وزيارة مولاي بوشعيب الرداد قبل مقابلته الحاسمة مع خصمه العتيد حاييم لافورس ، وهي مقابلة كان يتطلع الى ان ينتصر فيها عليه بالضربة القاضية ليحقق بذلك حلما طالما راوده وليقدم الدليل على تضامنه مع فلسطين.

وبهذه المناسبة جرى حوار فيما بين بعض الزبناء مع ابناء حي « للا تاجة » وسكته وكانت مائدة الحوار تضم الفقيه المدني المؤذن والامام والحزاب ، والخياط السيد حسن ، والسكليس ابراهيم وصاحب الامتياز فى المقهى ، أبا محمد ، بتشديد الباء من فضلكم ، وتناول الحوار موضوع المباراة الحاسمة ، فادلى كل برايه ، فالفقيه المدني كان يرى إن السيد طرزان تقف معه رضاة الوالدين وانه لا محالة منتصر ، بينما يرى السيد حسن الخياط ان خصمه ثقيل الحجم يمكن أن ينيش عليه بالضربات ، الا انه من الصعوبة بمكان اسقاطه على الارض بواسطة الضربة القاضية ، اما نظرية ابراهيم السكليس ، فانها كانت تتسم بنوع من تكنولوجية ذلك الوقت فالجسم ذو الحجم الكبير لا اهمية له ، وانما المهم هو الصنعة والدقة فى تصويب الضربات .

ثم انتقل المحاورون الى موضوع آخر كان هو موضوع «عيد العرش» ذلك ان الثلاثة ورابعهم السيد طرزان كانوا يؤلفون لجنة مكلفة بالتزيين وجمع الاكتتابات اللازمة لذلك .

وخلال احاديثهم دخل المقهى المقدم « الرامي » وهو مقدم الحي الذى كان ينظر اليه نظره متحفظة خصوصا وانه كان من المقربين الى الكومندار حاكم سيدي بوسمارة ، فامسكوا عن الكلام ، وكانما ادركهم صباح شهرزاد ، فسكتوا عن الكلام الغير المباح ... وكان المقدم « الرامي » يعلم هو ايضا موقف الجماعة فيه فلم يزد على ان تبادل معهم السلام ، ثم استعجل ابا محمد بتحضير كاس من الشاي لياخذه ويعود الى مركز المقاطعة .

وكان من عادة السلطات الاستعمارية ان تكون نشيطة فى مثل هذه المناسبة فى استراق السمع ومحاولة استكشاف ما يجري من استعداد للاحتفال بعيد العرش ، الا ان الوطنيين كانوا من جهتهم يضعون التراتيب فى سرية تامة بحيث لا يعلم تفاصيلها سوى المكلفين الخصوصيين الذين كانوا يكونون فى كل حي من الاحياء هيئة اركان حرب .

ومع ان الرفاق الثلاثة كانوا قد اتفقوا على معالم الخطة ووسائل تنفيذها فان امر البث فيها بصفة نهائية كان يتوقف على تأشيرة الحاج طرزان وعليه فلابد من انتظار عودته .

وتشاء الصدف العجيبة ان يكون موعد مقابلة الحاج طرزان مع خصمه العتيد ، فى ليلة عيد العرش اي فى ليلة السابع عشر من شهر نوفمبر .

وعاد الحاج طرزان بعد غيبته دامت اسبوعا كاملا ، عاد وهو مزود مرة اخرة برضاة الوالدين ، وببركة الولي الصالح بوشعيب الرداد ، وعاد ليواجه المهتمين ، وليقوم بدوره الواجب في القضيتين ، فكان عليه اذن ان يستعد للعراك فى الحلبتين ، قضى صباح يومه فى التدريب ثم رجع فى المساء لتحضير اجتماع هيئة اركان الحرب المكلفة باعداد حفلة عيد العرش فى هذه المقاطعة ، وما ان دخل الحاج طرزان الى مقهاه حتى لاح له ظل المقدم الرامي بقامته الفارعة وجبته البزيوية المخططة ، وكان من عادة المقدم الرامي ان يرتجف كلما وقعت عيناه على الحاج طرزان ، وكان اخشى ما يخشاه هو ان يضطر الى مصافحته لانه كان لا يسحب يداه من هذه المجاملة الا بعد ان تكون اصابعه قد التصقت مع بعضها ولكانها خرجت من آلة ضاغطة بادر المقدم الرامي الى افشاء السلام بقوله :

ـ مساء الخير اعمي الحاج .

ـ مساء الخير يا عزرائيل .

ـ اتق الله يا عم الحاج .. انا لست عزرائيل.

ـ ان لم تكن انت هو فانت ابنه .

ـ عزرائيل لا ابن له يا عمي الحاج .

ـ ومن اخبرك بذلك .

ـ هذا ما ورد في الحديث الشريف .

ـ اسكت قبحك الله انت تعرف الحديث الشريف ، انت لا تعرف سوى حديث الكومندار .

ـ اتق الله يا عم الحاج .

ـ سنحتفل بعيد العرش في هذه المرة ايضا ، وان لم يعجب الكومندار الحال فليشرب البحر .

ـ اخفض صوتك يا عمي الحاج ، فأولاد الحرام كثيرون والله العظيم .

ـ يا عمي الحاج انني معكم بقلبي ، وبودي ان اشاركم ولكن الله غالب !..

آه يا بياع ؟ والله لا اتق بك .

ـ اتق الله يا عمي الحاج ، الاسلام في القلب .

ـ قالوها قبلك ، يا عمي الرامي .

وهكذا انتهى هذا الحوار بين الحاج طرزان والمقدم وهو حوار تعودا عليه وعلى لهجته معا منذ سنوات ، منذ ان فتح الحاج طرزان مقهاه وتولى الرامي وظيفة مقدم الحي .

وفي المساء انعقدت هيئة اركان الحرب، المكلفة بمهمة الاعداد والاشراف على معالم الزينة بعيد العرش ، قال الراوي وجرى خلالها حوار هذا ملخصه :

ـ الفقيه المدني : دعيت اليوم بواسطة المقدم الرامي الى مقابلة الكومندان ، وهب الثلاثة الواحد تلو الآخر ليقول : وانا كذلك وآخرون ، وكان اول سؤال وجهه الي هو : الى اي حزب انتمي ؟ فاجبته بانني انتمي الى حزب « سبح » وقد انتفض غاضبا وقال : كيف ؟ اتسخر مني ؟ فقلت جازما يا مسيو روسو هذا هو الواقع .

كيف لا تسخر مني وانت تسمي حزبا لا اعرفه وانا الخبير بأسماء الاحزاب السياسية كلها واتجاهاتها وزعمائها بل وخباياها ، فهناك حزب الاستقلال ، وحزب الشورى والاستقلال ، وحزب الوحدة ، ولا يوجد حزب يحمل هذا الاسم الذي ذكرته فقدم لي تفسيرا عن حزب « سبح » هذا .

ـ المسألة بسيطة يا مسيو الكومندار انه حزب متكون مني ومن مجموعة من الفقهاء الذين يقومون بتلاوة القرآن صبحا وعشيا وفي يوم الجمعة من كل اسبوع ، وبما ان القرآن يتكون من ستين حزبا فقد قررنا ان نطلق على هيئتنا اسم حزب « سبح » تمييزا لها عن هذه الاحزاب التى ذكرها السيد الكومندار ، فهمت هذا يا سي عبد الله ، والسيد عبد الله هذا كاتب في مركز المقاطعة وهو الذى يتولى القيام بدور الترجمان فيما بين الكومندار ، والتفت الكومندار الى الترجمان السيد عبد الله وساله هل سمعت باسم هذا الحزب يا مسيو عبد الله .

ـ لا ابدا ، لم اسمع به الا الآن .

ـ اذن فسجله في قائمة الاحزاب ، أما أنت يا هذا فانني أعرف انك « احنش » الا انني سوف اظل لك بالمرصاد .

طيب ، والآن فانني احذرك من قضية ما يمكن ان تقوم به من أعمال ان البعض من سكان هذا الحي يدعون التجار الى الاحتفال بعيد العرش وعدم تعليق الراية الفرنسية ، الى جانب الراية المغربية فحذار ان تكون من هؤلاء الدعاة المشوشين ، هيا انصرف الى حال سبيلك . والتفت الفقيه المدني الى ابراهيم السكليس وقال : وانت ماذا قال الكومندار ؟ نفس السؤال الا انني صرحت له بحقيقة انتمائي فاكتفى بان وجه الي نفس التحذير، وانت ياسي حسن ؟
ـ نفس السؤال ، اما عن انتمائي فقد اكتفيت بالقول انني مغربي .

ثم جاء دور الحاج طرزان فارتسمت على وجهه ابتسامته المعهودة التى الف الناس ان يتصوروا فيها او تصور هي البهم تعابير ساخرة ، وقال بتؤدته المعهودة :

ـ حتى انا دعاني الكومندار اليه ، الا انني لقنته درسا لا ينساه ـ وقد تلفظ الحاج طرزان هذه الجملة بفرنسية ملاكمة ـ فبعد ما ان وضع علي

نفس السؤال واجبته بأنني انتمي الى حزب الملاكمين ضحك وقال :

ـ اوتنكر كلما حل عيد العرش الا وكنت من السباقين الى الاشراف على حفلات هذه المقاطعة ؟ فقلت نعم : وما فى ذلك ؟

ـ فقال : اولا تعلم ان عيد العرش هذا لم يعد « فيجطة » وانما اصبح مناسبة لتحدي السلطة العمومية ؟

قلت واية سلطة تعني ، فالسلطة هي السلطان وممثلوه ، فكيف يمكن ان تتحدى السلطة السلطان وهي التى تسمح بالاحتفال بعيد العرش وتشارك فيه وفى كل سنة اراكم يا سيادة المراقب تطوفون على الحفلات بصحبة الباشا والخليفة والمحتسب والمقدم الرامي كذلك .

ـ قال : ليس هذا ما اعنيه بالضبط ، انما اعني ان هنالك مشاغبين ، وارجو الا يكون من بينهم من يتخذون من هذه الحفلات مناسبة لالقاء الخطب والتنديد بسلطات الحماية .

قلت انا لم اسمع شيئا من هذا التنديد وكل ما اسمعه هو ان الخطباء ان كانت هنالك خطب تمجد المغرب ودولة المغرب ، وتطالب بسيادة الدولة المغربية افهذا هو الذى تسميه سيادتك تحديا ؟

ـ قال : انني لم ارسل فى طلبك لاجري معك حوارا سياسيا وانما لكي انبهك واحذرك الى ان الرايات المغربية لا بد وان تكون بجانبها الرايات الفرنسية ، وبما ان لديك مقهى عموميا فانني اتمنى الا تخالف هذا الامر الذى اصبح معه مضطرا الى اتخاذ التدابير اللازمة .

ـ قلت يا سيادة المراقب اريد ان اسالك سؤالا فهل تسمح ؟

فقال : « اليزي » اي تكلم ، فقلت هل لفرنسا « درابو » اعني راية ، قال نعم : قلت وهل ترفعونه فى عيدكم الوطني 14 جويي ، قال : ايه نعم ، فقلت وهل يلزمكم ان ترفعوا رايتنا مع رايتكم ؟.. قال: انتم محميون ، ونحن حماة لكم ، فانتم ملزمون برفع رايتنا ، اما نحن فحماة اقوياء .

قلت يا سيادة المراقب ان القول ليس كل شيء خذني مثلا : انني ملاكم قوي صرعت اكثر من خصم بالضربات القاضية، واحيانا باتيني زكام بسيط او قرحة بسيطة ، فلم اعد كما يسموني طرزان وانما اصبح قزان ، فقال دعنا من هذا كله وتدبر ما قلته لك عن الراية ، هنا يمكنك ان تتصرف فقمت وانصرفت وخلال خروجي التقيت بالمقدم الرامي فتبعني وحياني مسلما دون ان يمد يده لمصافحتي خوفا على اصابعه ، ثم قال لي : انه مجرد تخويف.

فقلت : ومن اخبرك بأنني كنت موضوع تخويف، فقال اعرف ذلك بحكم الحرفة ، فقلت الله يعفو عليك منها حرفة ياسي الرامي .

والآن ما العمل ؟.. فأجاب الثلاثة : وما رايك انت ؟..

رايي ان نزيد فى التحدي ..

فانبرى صوت الفقيه المدني قائلا : انني ارى يا سي بوشعيب ان تؤخذ الامور بحكمة وحسن تدبير .. فما كان من الحاج طرزان الا ان انتفض انتفاضة عبرت عن شدتها يد يمناه مقبوضة وقال :

ـ يا ايها الفقيه كلما تحدثنا معك فى موضوع، الا واكثرت علينا من استعمال الحكمة وحسن التدبير ؟ القوة بالقوة يا فقيه ولوح بيده اليمنى المقبضة بصورة سرعان ما اطلقت لسان الفقيه بتلاوة قل اعوذ برب الفلق . ويتدخل ابراهيم السكليس فقال : ان حسن التدبير يمكن ان يكون فى بعض الظروف نوعا من سلاح القوة . اما حسن الخياط فكان رايه يتلخص فى وجوب وضع خطة يقع الاتفاق عليها وعلى كيفية تنفيذها ؟ فعقب ابراهيم السكليس على ذلك بقوله : لدي خطة ؟ فبادر الثلاثة : وما هي ؟..

ـ سنتظاهر برفع الرايات الفرنسية على ابواب المتاجر والمقاهي ، حتى اذا اقبل الليل تسللت جماعات يجري تنظيمها للقيام بهذه المهمة ، فى جوف الليل لنزعها من جميع الاماكن .

فقال الفقيه المدني : انها حقا خطة الا انها تتطلب الحكمة والاتزان وحسن التدبير .. فانتفض الحاج طرزان مرة اخرى وبده اليمنى مقبوضة مرة اخرى وصاح فى وجه الفقيه : ارجعت الى قاموسك

الفقهي ؟ فرد الفقيه قائلا : ان الفيران قد استطاعت ان تخرب سد مارب بالحكمة وحسن التدبير .

فرد الحاج طرزان بقوله : هذا زمن الرجال وليس هو زمن الفيران كفانا تخريفا ، يا فقيه ، والتفت الى ابراهيم واين هي هذه الجماعات انها موجودة فى كل درب ، وفى كل حي ، وكل ما تحتاج اليه هو ان نتفق على كيفية التوزيع والتوقيت .

ـ وهل لديك برنامج معين فى الموضوع ، قالها الثلاثة بصوت واحد .

نعم : ان وافقتم على المبدا فاتركوا لي امر التنفيذ ، ولن يكون الا ما يسركم ، فقال الحاج طرزان انني اوافق واتحمل المسؤولية باسمك يا ابراهيم ، ثم التفت الى الفقيه ابن المدني : هذا هو حسن التدبير سوف تتسلل الجماعات لواذا الى الاحياء والدروب طبقا للخطة المرسومة وسيكون معها زراويط على سبيل الاحتياط ، ولم الزراويط ؟ ، قالها الفقيه بن المدني بانفعال شديد ، فرد عليه الحاج طرزان بقوله : هنالك وقت للكوازيط وآخر للزراويط ، هل فهمت، ثم داعبه بضربة خفيفة على كتفه رفع الفقيه يده اليها ليتلمس مكانها ، وتكلم ابراهيم السكليس : وما جد فى الامر فى قضيتك ومباراتك مع جاييم لافورس .

ـ الامور تسير وستجري المقابلة مساء يوم 19 نوفمبر واذا تحققت لي امنية الضربة القاضية فان هذا العيد سيتحول الى عيدين ، اليس كذلك يا فقيه ؟

ان لعلم الملاكمة اصله ، وكل فن يعرفه اصحابه ، وعلى كل حال عليك بحسن التدبير يا سي بوشعيب، بهذا، رد الفقيه، فعقب الحاج طرزان على ذلك قائلا : حسن التدبير ، حسن التدبير ، الا تعرف غير هذه اللغة ؟ ورفعت الجلسة ، وما ان خرج الاربعة من غرفة صغيرة داخل المقهى حتى لاحظوا المقدم الرامي وهو يتظاهر بالتفرج على الشارع باحدى عينيه بينما تقوم الاخرى بحراسة باب الغرفة ، وامامه كوب من الشاي ، ولكأنه فى ذلك الوضع الذى صوره الشاعر العربي فى قوله :

ينام باحدى مقلتيه ويتقي
باخرى المنايا ، فهو يقظان نائم

فما ان وقعت عيناه معا على الجماعة حتى بادر قائلا : مساء الخير يا سي بوشعيب ، فرد الحاج طرزان : ببرود واقتضاب : « السلام على من اتبع الهدى ، ثم ودع بقية افراد الجماعة وعاد الى غرفة العجائب والاسرار ، كما كان يسميها ، زبناء المقهى ورواده .

وفى صباح يوم سابع عشر من شهر ابريل تشكل موكب المراقب الكومندار ، للقيام بحركة تفتيشية فى احياء المدينة فلاحظ خلال جولته ان بعض المتاجر لا تعلق سوى راية فرنسية واحدة الى جانب اربعة مغربية ، فما كان منه الا ان اخذ يساوم اصحابها على زيادة اثنين او واحدة على الاقل ، وكانت النتيجة على حسن المتخاطبين ، فمنهم من اذعن ، ومنهم من راوغ ومنهم من وعد خيرا ، ولم تنته هذه الجولة الا بعد غروب الشمس وحلول المساء .

وفى جوف ليل بهيم تتخلل ظلماته لمعات من نور ظل قمر يحاول الظهور على استحياء دب افراد الجماعات المكلفين بنزع الراية الاجنبية وتوزعوا هنا وهناك متسللين زاحفين مارقين قافزين وكأنهم سرب من الغزلان يطاردها الصياد .

وفى خلال ساعات معدودات كانت العملية قد تمت كما رسمها عضو هيئة اركان الحرب ابراهيم .

وما ان صحت المدينة من نومها حتى كانت الرايات الحمراء الخضراء منصوبة وحدها ولكان الجان مر من هنا كما قيل ، وكان من الطبيعي ان يتطاير الخبر الى الكومندار ، الا ان اتخاذ اجراء مغاير فى غمرة الافراح كان يشكل تدبيرا لا تحمد عواقبه باي حال من الاحوال ، فلم يكن بد من ان سرها المراقب فى نفسه الى ان يمر اليوم .

وبالفعل فان سلسلة من بطاقات الاستدعاء قد وزعت فى ذلك اليوم على عدد من الوطنيين .

وفى اليوم التاسع عشر كانت هناك مبارزتان يواجههما الحاج طرزان ، واحدة مع جاييم لافورس والاخرى مع المراقب .

وكان الترتيب الزمني يقضي بممارسة الاولى، ففي الساعات الاولى من صباح ذلك اليوم توجه الى مقر القاطعة حيث وجد اكثر من عشرين شخصا

واقفين وجميعهم كانوا على موعد مع الكومندار ، وكان الحاج طرزان من السابقين الاولين لمقابلة المراقب ، ودارت الاسئلة حول عملية « الثورة البيضاء » التي اطاحت بالرايات الفرنسية في الليلة السابقة ، فكان شعار الجميع « قدم الميم ترتاح » يعني ما رايت ، ما نظرت ، ما عملت ، ما عرفت الى اخر المترادفات ، وسمح للمدعوين بالانصراف الى ان يقع النظر في القضية من جديد ، وانصرف الحاج طرزان الى اعداد المبارزة الثانية ، باخذ قسط من الراحة والاستجمام . . وفي المساء كانت المساق تلتف بالساق امام سينما « مدينة » - بالميم المكسورة - من فضلكم ، والاعناق تشرئب نحو كوة بطاقات الدخول .

وحلت الساعة الحاسمة ، وقرعت الاجراس . وابتدا الصراع داخل الحلبة يحيط به جو صاخب من الصياح والهتاف ، وجرت عملية جس النبض بتبادل الضربات فيما بين الخصمين، ثم اشتد وطيس المعركة في الشوطين الثالث والرابع ، وفي الخامس اخذت رجلا حاييم لافورس تزيغ وتزيغ واخذ ذلك الجسم الهائل يتمايل فتتمايل معه اصوات المتفرجين، وخلال لحظة خاطفة وبضربة من اليمنى اعقبتها اليسرى انبطح حاييم لافورس ، وكانه ثور صرع بعد شدة هياج واخذ حكم المباراة يعد الحساب : واحد اثنان ثلاثة اربعة الى ان اتم العشرة ، فلم يظهر على حاييم ، اي اثر لبقية من الفورس وبادر الحاج طرزان الى رفع يده ، وهو يردد : عاش المغرب ، عاشت فلسطين .

وخرج الحاج طرزان من الباب الخلفي للسينما متبعا بالهتافات ، لقد حقق امنيته الغالية بفضل رضاة الوالدين وبركات المولى بوشعيب الرداد .

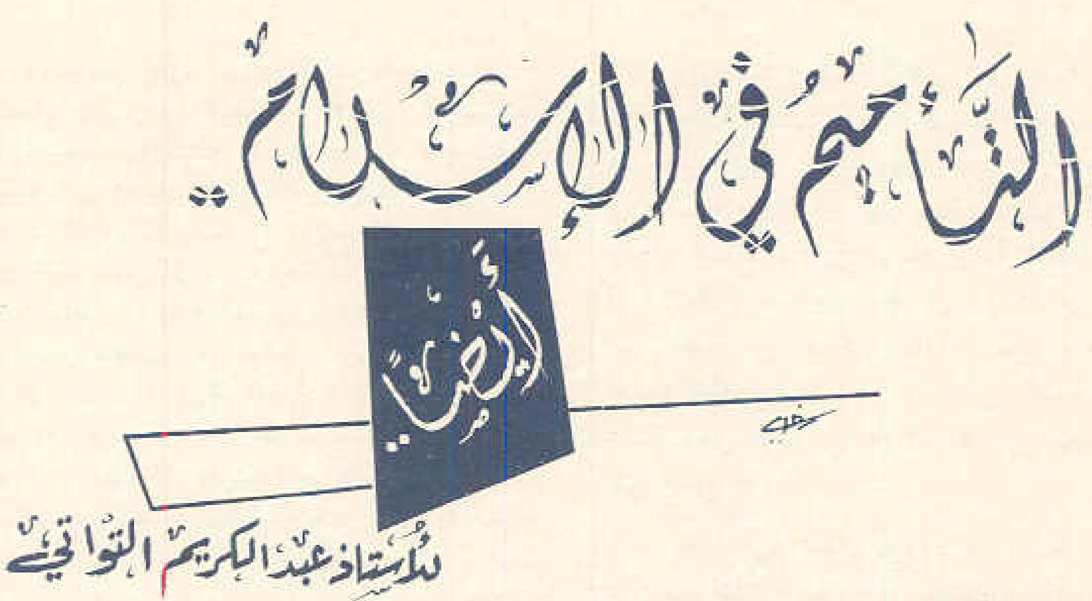
وفي صباح اليوم التالي تلقى دعوة بالحضور امام محكمة الباشا حيث وجهت اليه هو وخمسة عشر من ابناء الحي تهمة التشويش وعدم الابلاغ وحكم عليه بثلاثة شهور حبسا نافذة المفعول . ودخل الحاج طرزان السجن رفقة اصحابه لقضاء المدة المحكوم عليه بها ، الا ان وجوده في السجن ، اثار العديد من المشاكل لادارة السجن ، ذلك انه اصبح نقطة اتصال فيما بين سجن اغبيلة وسجني العاذر وعلي مومن وذلك بالاضافة الى سلطته الواسعة على جميع السجناء .

ولم يخرج الحاج طرزان من السجن الا بعد ان كون عدة خلايا قامت بدور طلائعي ابان حركة المقاومة المسلحة .

قال الراوي : ومرت سنوات غابت عني خلالها اخبار الحاج طرزان ورفاقه واخبار المدينة واحياؤها.

وتشاء الصدف ان تجمعني فيما بعد ذلك برفاق قدامى من حي سيدي بوسمارة ولما سالتهم عن اخبار الجماعة كان جوابهم لقد توفي الحاج طرزان بعد ان تصوف وتبتل ، وتبعه حسن الخياط ، بينما الفقيه المدني ما يزال منخرطا في حزب « سبح » يؤذن ويقيم الصلاة ويقرا الحزب ، وابراهيم السكليس ما يزال في حرفته القديمة يصلح الدراجات . اما المقدم الرامي فقد توفي بسكتة قلبية كانت هي القاضية ، وتلك الايام تداول بين الناس .

الرباط - احمد زياد



للأستاذ عبد الكريم التواتي

من نافلة القول ، التذكير بأن الحياة في تجدد مستمر متواصل ودائم ، وان احداث اليوم ، وان تكن قطعا نتائج الماضي ، وارهاصات المستقبل ، ليست هي هي احداث الامس .. وان ماء النهر — كما يقولون — في تجدد لا ينقطع .. ومن ثمة فعندما يحاول بعض الناس أن يحصروا قضايا الحياة واهتمامات البشر فيما بلغته حقبة زمنية ما من فهم او ادراك او حضارة وعمران ، انما ينكرون على الحياة حقيقتها الازلية تلك التي تقضي بأننا لن نستمر على وتيرة واحدة ولن تسير في اتجاه واحد ، ولن تخضع لاحكام ثابتة مستقرة ، لان النسبية التي تسير كل شيء ، وتتحكم في تقييمه ما كانت لتقبل ان يكون حكم امس هو حكم اليوم وحكم الغد ، اذ لا شيء سوى الله بثابت سرمدي وانما هو تحول وتغير ، وفساد وكون ، وموت وحياة واختفاء وجلاء ، وفي هذه الدوامة من التناقضات تحقق الحياة وجودها ، وعلى اساس هذه التناقضات يصدر الناس احكامهم ويبنون مسلماتهم ، ومعنى كل هذا ان قانون الزمنكية — اي الزمان والمكان — قانون ازلي متحكم في اقدار الناس ، ووجهات انظارهم .. فما يكون حسنا مقبولا في هذا المكان والزمان قد لا يجب ان تكون له نفس الصفة ونفس الاعتبار في كل الامكنة والازمنة .. والا لما احتاج الناس الى تعاقب الرسل والانبياء وتوارد الديانات السماوية التي لم تتفاوت تعاليمها ولم تتباين شرائعها الا تبعا للزمان والمكان والانسان الذي يجعل للزمان والمكان حيزا .

وليس في استطاعة اي كان مهما اوتي الحكم وفصل الخطاب ان يدعي لنفسه الاحاطة بما كان وسيكون ، لان هذه الدعوى من صفات الله الذاتية الذي يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور ومنه المبدا واليه المصير ، وهو خالق الزمان والمكان والحيوان والانسان ... وهذه واحدة .. ثم ليس من المعقول ان يدعي انسان ان احداث الحياة توقفت عند فترة معينة من الزمان ، والا اباح لنفسه القول بالتعطيل وهو محال وهذه ثانية .

وليس في مكنة احد ان يزعم الاطلاع على كل شيء والاحاطة بكل شيء ، لان الرب سبحانه هو وحده المحيط بكل شيء ... وهذه ثالثة .. ثم لا يمكن لبشر ما ان يقول ان ايا من الديانات السماوية قد حللت كل القضايا الآنية والآتية تحليلا جزئيا .. وانما تعرضت لبعضها او المهم منها ذي العلاقة بمصير الانسان على هذه الارض من الوجهة العامة ؛ وفي اطار الكليات ، حتى لا تتصادم — ان لو تعرضت للجزئيات كلها — بما يتواجد والظروف المستحدثة . وهذه رابعة .

وهذه البديهات تنتهي بنا الى بدهية اخرى خامسة ، وان لم تكن هي النهائية — وهي ان الاحكام تدور مع مراعاة مصالح الناس ؛ ذلك لأن الله — وكما قال هذا ويقوله كل من يحس الحياة — ما شرع الا لمصلحة البشر « ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون » وانه حيثماكانت المصلحة فثم امر الله ، وحيثما كانت مفسدة فثم نهي الله كما يقول العز بن عبد السلام الذي كان في القرن السادس الهجري ... ومن هنا صح القول ، بأنه وان تكن الزكاة دعامة كل عدالة وضمانة اجتماعية في الشريعة الاسلامية .. فان للدولة الاسلامية التي تتولى مصالح المسلمين الحق

وكامل الحرية فى أن تفرض ضرائب او زكوات مقبلة ترى فرضها تمينا بقيام التوازن الاقتصادي الذي لابد منه لصيانة المجتمع من كل رجة أو آفة وكل تدمـــر وانتقاض . فمما ثبت عن الرسول قوله : ان فى الاموال حقا سوى الزكاة ، استنتاجا من الآية القرآنية الكريمة « وفى أموالهم حق للسائل والمحروم » واختها الآية الاخرى التي تقول فى نفس اللهجة والاسلوب والتأكيد مع اضافة وصف محدد « والذين فى أموالهم حـــق معلوم للسائل والمحروم » لسورة المعارج الآيتان 24 — 25 ، والاولى من سورة الذاريات الآية 19 .

ومن هنا ايضا او من هذه الزاوية فاذا رات هذه الدولة الاسلامية ان تؤمم قطاعا او قطاعات مـــن اقتصاد البلاد لمصلحة المجموعة البشرية التي يتكون منها ، فان من حقها بل ومن واجبها ان تفعل ذلك وهي مطمئنة الى انها تستظل بلواء الاسلام وشعاراتـــه الحقيقية ، وانها لم تخرج عن حدوده وآفاقه .. اما الذين يعطون لأنفسهم حق التشريع دون سواهـــم يرون ان لهم وحدهم حق الادلاء بآرائهم على انهـــا الحاسمة والفاصلة ، فان تاريخ التشريع فى الاسلام والاحداث التي واكبته منذ ظهور الدعوة وفى كل حياة الرسول وحياة الخلفاء الراشدين يؤكد انهم امـــا مفترون أو ضالون .. ودعانا الى هذه الفذلكة ما اثاره بحثنا الذي كنا نشرناه فى مجلة « دعوة الحق » حول موقف الاسلام من التأميم وقلنا انه عمل اسلامي وانه لا غبار عليه من ردود كان آخرها ما نشرته هـــذه المجلة نفسها فى عددها الرابع السنة الخامسة عشرة لفضيلة الاستاذ العميد الفاروقي الرحالي .. ونحب ان نثير بسبب هذه الردود انتباه الناس الى ما يأتـــي وبادىء بدء نحب ان نقول اننا نعتقد ان الاحكـــام — لتكون معقولة — يجب ان تستند فى تشريعهـــا وفى الزامها الناس دينيا الى احد دليلين من اثنين ، امـــا نص شرعي صريح من كتاب او سنة متواترة ، فى غير ما يقبل فيه خبر الآحاد ، ولو فى قضية عينيـــة ، يسري حكمها ويمتد لما يضاهيها ويشابهها أو يقاربها ظروفا وملابسات ... واما تأويل يعتمد نصا صريحا فى منطلقه ثم الحكم الذي لا يقبل الجدل ، ولا يخضع لمختلف التناولات — هو قطعا وبدون شك اي عاقل ما كان من الشق الاول اي ذاك المستند الى نـــص شرعي صريح قرآنا محكما او حديثا معتمدا صحيحا متنا وسندا ، وكان مضمونه لا يتعارض والاستنتاجات العقلية التجريدية : بل والذي عرض على محك هذه الاستنتاجات فثبت امامها .. ثبوتا مقنعا اما ارســـال الاحكام اعتباطا وجزافا ، ولمجرد تقيد آراء الاخرين التي قد لا تكون متفقة واستنتاجاتنا الخاصة مهما تمحل لها من اعتبارات خارجية ... فهو — وهذا اقل ما يقال عنه فى نظر العقلاء الذين يحترمون العقل ويعرفـــون الرجال بالحق لا الحق بالرجال كما يقول ابن عرفـــة تعسف لا مبرر له وتجديف على العقل الذي كرم الله به بني الانسان وجعله من اخص خصائصه ومن ثـــم اناط به كثيرا من المسؤوليات والتزم غير قليل مـــن الواجبات ، لانه وكما قال ابو الطيب المتنبي .

لولا العقول لكان أدنى ضيغـــم
ادنى الى شرف من الانســـان

فمثلا عند ما يذهب الاستاذ العميد الفاروقي الرحالي الى الحكم بأن « اكتشاف التأميم المتعارف عليه فى هذا العصر واقع فى غير محله ، وخروج عن جادة الاسلام ، وتقرب من الأنظمة الأجنبية » لا يفعل شيئا اكثر من تبني مصادرة كلامية اطلقت دون امعان فكر علمي ودون استعمال اسلوب البحث المتـــزن القائم على الاستقصاء والادلة الشرعية الصحيحة ، فهو قد اصدر حكما ، ولم يسنده بحكم شرعي مـــن قرآن أو حديث مكتفيا بما عن له من قول او بما هداه اليه تفكيره الخاص ... ولكن اذا كنا نحترم حقه فى ان يفكر ولا ننكر عليه أن يتخذ ايا من المواقف التي تلائم ما يراه غير خروج عن جادة الاسلام ، فلسنا نبرر له انكار هذا الحق على الآخرين ، كما لا نقر لأحد أن يكون سادنا للفكر يمنع انطلاقه الا فيما يراه هو حقا وان يكن عن الحق بمعزل ، اذ ما هي أولا هذه الجادة التي تتجافى ومبدأ التأميم والدعوى بأن التأميم اقرب الى الافكار الاجنبية ، ولا شك أن فضيلته يقصـــد بالاجنبية ما لم يولد فى الجو العلمي الخاص بالتعليم الديني التقليدي — دعوى تنقصها الحجة الثبوتيـــة وتقوم على فرض باطل من اساسه حين يفترض حظر التأويل واستعمال ملكة الفهم على ســـواه ، أم ان معناه ان كل شيء اجنبي حتى ولو كان صالحا مفيدا يجب فى نظره تجنبه والابتعاد عنه بل وحتى محاربته ووصفه بالخروج عن جادة الاسلام على ان القول بهذا الراي سيخرج صاحبه وسيجبهه بحقائق تاريخيـــة صارخة هي مثيلة بهاته التي يدينها ويعتبرها خارجة عن جادة الاسلام ، فاختراع عمر للبريد ، وتنظيمـــه للادارة ، وايقاعه الطلاق ثلاثا ، ومنعه المؤلفة قلوبهم من حقهم فى الزكاة بالاضافة الى مخالفته ابا بكر فى كثير من المواقف ، يراجعها من شاء فى كتـــاب

السياسة الشرعية) لابن قيم الجوزية في ص 15 الى 30 » امور لم يكن لها دليل الا مراعاة المصلحة لان هذه المصلحة هي مقصود الشرع اولا وقبل كل شيء بحيث قد يخالف ما هو نص صريح للمحافظة عليها كما فعل علي في قضية منع بيع امهات الاولاد الذي لم يكن سوى رأي عمر ، والا فقد بعن لعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدة خلافة الصديق ، حتى ان عليا عزم على بيعهن قائلا ، ان عدم البيع كان رأيا اتفق عليه هو وعمر .. لولا ان قاضيه عبيدة السلماني قال له : « يا امير المؤمنين رأيك مع رأي عمر في الجماعة احب الينا من رأيك وحدك .. فقال علي عندئذ : اقضوا كما كنتم تقضون فاني اكره الخلاف قال ابن قيم الجوزية بعد ذكره هذه القضايا التي اعتمدت فيها المصلحة ، والمقصود ان هذا وامثاله سياسة جزئية بحسب المصلحة ، يختلف باختلاف الازمنة .

ولم يقل احد لعمر ، او لم يفكر عمر ان تقليد الاجانب فيما فيه مصلحة خروج عن جادة الاسلام وانما رآه الاسلام بعينه .

على ان اولئك العلماء الذين اعتمدهم الاستاذ الفاروقي لتفسير حديث ابي داود : الناس شركاء في ثلاث : الماء والكلا والنار ... انما فسروه بما يتفق وازمنتهم وامكنتهم ، متأثرين بالمناخ وكل معطياته وبرسوبات الواقع الذي كانوا يعيشونه ، ولو من غير ان يحسوا هذا التأثير ويدركوا هذا الانفعال ، وما كان تفسيرهم ذاك ملزما احدا ، ولا هو من الشرائع الكلية التي لا تتغير بتغير الازمنة .. والتعبير لابن قيم ، وانما هو مدى ادراكهم ، وما هداهم اليه اجتهادهم ، وما كان ذلك ملزما لجميع العلماء وفي كل الازمنة والامكنة الا عند الذين ينكرون الزمنكية ، ويريدون ان يوقفوا عجلة التطور المتواصل في طفرات هائلة وقفزات مهولة ام انهم يتخيلون ان كل شيء يلحقه التبديل والتحول والتغير ما عدا التشريع الذي يجب ان يظل جامدا لا يتحرك ، حتى فيما هو جزئي ولا يمس الكليات ؟ انه لو صح هذا لقلنا لجميع كتب الفروع والمذاهب ولكثير من المدونات والتفريعات سحقا واذهبي الى جهنم .

افكان في الامكان او من المقبول ان يختلف المالكية والشافعية في تفضيل هذا النوع من الكفارة على ذاك لولا الزمنكية ، لقد رأى مالك ان الاطعام افضل من صنويه : العتق والصيام ، بينما رأى الشافعي واصحابه ان تحرير رقبة احسن والسبب ان مالكا كان يحيى في الحجاز حيث كانت الفاقة والعوز يومئذ ضاربتين اطنابهما « ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » فراى ان اطعام جوعى افيد للمجتمع واكثر صلاحا من اضاعة عتيق يتعيش مع مولاه ، يرمي به الى عداد الجوعى ... ومن هذا الباب نفسه موقفه من اباحة معاقبة المتهم ليقر لأن تعذيب بريء افضل من ضياع حق ... بينما راي الشافعي الذي كان يحيا في مصر حيث الانهار تجري وحيث الارزاق متوفرة .. ولكن استعباد الانسان كان يصبغ الحياة الاجتماعية بنوع من التقزز والفرق ما كان مجتمع يستظل بلواء الاسلام يقبله فراى ان تحرير رقبة افضل ، لأن تحريرها لن يعرضها للمجاعة والفاقة اذ العمل موجود والرزق متوفر ، ومن هذه الزاوية انطلق الشافعي في حكمه بمنع عقاب المتهم ليقر اذ قد يكون بريئا ، وضياع حق اهون من تعذيب بريء افرأيتم اثر الزمنكية كيف روعي في التشريع .

ثم كون الحديث لم يذكر الا الاشياء الثلاثة مع وجود اشياء اخرى ضرورية لعبد الرسول لا يعني البتة عدم سريان مبدا التأميم في غيرها اذا كان هذا الغير تتوقف حياة الجماعة الاسلامية ومصلحتها العامة عليه ، والتنصيص على خصوص هذه الاشياء الثلاثة .. كما لا يخفى على كل ذي بصيرة نفاذة تستشف ما وراء الحروف — من حيث انها اصل الحياة ومما لا تستقيم الحياة بدونه اذ الماء اصل كل السوائل مهما تعددت اصنافها واجناسها بل هو اصل كل شيء وصدق الله العظيم حين قال : « وجعلنا من الماء كل شيء حي افلا يومنون » سورة الانبياء الآية 30 ، كما ان النار اساس كل حرارة وما ينشأ عنها من غاز وكهرباء الخ ... والكلا هو الآخر انما ينشأ عن النبات اي كل ما تخرجه الارض من زرع وشجر .. واذا علمنا ان المادة انما تتألف من هذا الثالوث بالاضافة الى الهواء اي الماء والتراب والنار والهواء او الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة علمنا ان دعوة الرسول عليه السلام الى قيام شركة فيما بين الناس تنصيص على ضرورة اشاعتها وعدم تملكها فرديا .. وايماء بأن ما جرى مجراها يجب ان لا يستبد به شخص ما او جماعة ما ويحرمان منها الآخرين ، لان هذه الاشياء بها تتحقق الحياة ويتجسم مدلولها ومن ثمة كانت المحافظة عليها ووضعها رهن الجميع ، من الضروري بمكان وحيث انه لا طريق يضمن هذا

الشيوع وتلك المحافظة سوى وضعها تحت تصرف من المفروض فيه رعاية مصالح جميع المواطنين واعني به الدولة كان مبدأ التأميم ضروريا واساسيا للحفاظ على عناصر الحياة .

على ان العبرة ليست باللفظ وانما بالمعنى ... وعندما يعقد المناطقة فصلا لمبحث الالفاظ لا ينسون الاشارة الى ان هذا البحث ثانوي وما دعا اليه الا ما قيل :

ان الكلام لفي الفؤاد وانما
جعل اللسان على الفؤاد دليلا

فالتأميم معناه جعل نتائج الاشتراك او الشركة وطنيا .. اذ عندما ينحرف الناس عن المراعاة الدقيقة والكاملة لمقتضيات التكافل والتضامن الاجتماعيين ، ويأخذهم سعار التهارش على المادة والتكالب على حطام الدنيا دون اعتبار لغير الاثراء . لا يكون هناك من يحد من هذا الشره ، ويخفف من هذا السعار سوى الدولة التي انما اقيمت لتأخذ الامور من الوسط ولتمثل شريعة الله بين عباده وتحافظ على التوازن اللازم والذي لابد منه لقيام مجتمع متكافل تشعر جميع خلاياه بواجبها نحو بعضها وبتواجد عواطفها في انسانية ورحمة .. ولا طريق لهذا الا بتطبيق التأميم في القطاعات العامة التي تمس مصالح جميع الرعايا او اكثريتهم على الاقل .. وكلمة الاشتراك في حديث الرسول لا تعني ابدا مجرد الاشتراك اللفظي وانما تعني ما يفيده الاشتراك ويحققه من تعاون وتكافل وتفكير جماعي ما دام الغنم والغرم للجميع وعلى الجميع ، ويكون عمل الدولة هو مجرد الحفاظ على قيام تعادلية حقيقية لتوزيع الدخل الوطني توزيعا عادلا يلبي كل رغبات القطاعات التي يتألف منها هذا المجتمع .. على ان لفظة الاشتراك نفسها الواردة في حديث الرسول اعظم دليل على وجود ما حوول انكاره من وجود اشتراكية اسلامية في معناها الواسع الكبير الا ان يغلق باب التأويل والاجتهاد والتحميل »

واما القول بان على الرسول التبيين .. اي ولم يفعل فيما يخص التأميم .. فهو في محل المنع على حد تعبير الاصوليين ، اذ لو سلم بهذا القول لوجب اعادة النظر في كثير من الاحكام التي توصف بالاحكام الشرعية مع عدم توفرها على بيان في شأنها من الرسول . ومع ذلك اصبحت او اخذت مع مرور الزمان صفة التشريع واكتسبت قداسته بل واعتبرت متكأ لكثير من التخريجات الفقهية والقانونية ، وما هذه القواعد الاصولية التي كان للشافعي فضل تبويبها في كتابه الام ولا اقول انه اول من وضعها ، لأن جذورها مبثوثة في الاصلين الشرعيين القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والسنة النبوية المعتمدة الصحيحة ، فقد استنبطها العلماء وقعدوها عن طريق الدراسات الجامعية والنظرية واستعملوا لاستخراجها الراي المدعم احيانا بالحجة وأحيانا بالحدس والتخمين .. حتى كانت هذه المذاهب الفقهية ذات الاتباع الذين يتراشقون بالنبال والكلام ، من مالكية وحنفية وشافعية وحنبلية وزيدية وجعفرية وامامية الخ ، فهل بينها الرسول بالضبط وكشف على اصولها واوضح ادلتها بالتفصيل والبيان الجزئي ؟ وهل عدم تعرض الرسول لها جزئيا يفقدها صفة التشريع مع انها استنباط وتأويل ... ان من المعروف عن مالك مثلا انه كثيرا ما رجع عن بعض آرائه ومواقفه — راجع كتابنا عن مالك بن انس في ذكراه الألف — كموقفه من قضية التسرى هل قالها الرسول اوبينها... ان هذا القول لو تمسك به لسد باب الاجتهاد في وجه العالم الاسلامي ، هذا السد الذي كان السبب في كثير مما اصابنا من تقهقر وتخلف في اغلبية الميادين ، على انه شيء ما كنا لنقبله ، ولا نسلم به ، حتى ولو تجمع كل الذين لا يريدون ان تفتح الابواب لسواهم .

اما الاستناد — في موضوع تفسير حديث ابي داوود الآنف الذكر — على آراء كتاب الاموال ، لأبي عبيد القاسم بن سلام ، والدعوة الى الوقوف عند ذلك ... فهو تحجير في غير محله ويخرج حقيقة عن جادة الاسلام الذي صان حرية التفكير ودعم اراء اصحابها بالحجة والبرهان .. على انه اذا كان هناك من يرى ضرورة التقيد بذلك فهذا رايه وهو حر في اتخاذ المواقف التي تناسبه اذ لم يرد نص في القرآن ولا في احاديث الرسول يحذر المسلمين من مغبة الفهم الذي يخالف فهم الاولين وما قالوه .. وانما على العكس من ذلك قاوم الاسلام هذا المنطق واعتبره خذلانا وانكارا لنعمة الراي والفكر .. « ام آتينهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون ؟ بل قالوا انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مهتدون .. وكذلك ما ارسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون .. قل اولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه آباءكم ؟ » سورة الزخرف الآيات 21 — 22 — 23 — 24 .

ان كثيرا من القضايا التي كانت مسلمة بدهية لعهد ما من العهود ، وكان انكارها يعرض المنكرين للطعن والانتقاد وربما التشنيع والتعذيب ، اظهرتها العهود الاخرى التي جاءت بعد تلك ، واظهرتها العلوم التجريبية انها لم تكن سوى فهم خاطىء ... فعلوم الفلك والفضاء ، وكثيرا من القضايا التجريدية اظهرت التجارب الحديثة خطلها او صحتها التي كانت محل شك وتردد ... فكون الارض منبسطة كان فكرة مسلما بها وكان القول بالتكوير بدعة .. وجاءت ظروف زمنية اخرى لتتبنى فكرة التكوير التام حتى اذا جاء العلم الحديث وتمكن رجال الفضاء من اختراق الغلاف الجوي لهذه الارض والنزول على القمر ، تبين ان التكوير غير تام وان الارض مفلطحة .. افبعد هذا يتمسك بآراء الاقدمين لمجرد انهم تبنوا تلك الآراء ... فابو عبد القاسم بن سلام لا يخفى في نهاية تفسيره للحديثين من القول . والى هذا انتهى تاويل قول النبي صلى الله عليه وسلم في اشتراك الناس في الماء والكلأ الذي يكون عاما ، وتاويل استثنائه فيما يكون خاصا.. فابو عبيد لم يقل والى هنا يجب ان ينتهي في التاويل.. على ان ايراد كلمة التاويل نفسها فيها حجة لما ذهبنا اليه من خضوع النصوص لتاويلها بما يتفق والصالح العام ، كما ان كلمة هذا المؤلف صريحة في ان الفهم الذي يعرضه كان غاية ما انتهى اليه عهده وزمانه ، لا انه لا يسوغ التفكير في تاويل غيره ، على ان الفكر الاسلامي — حتى في عهود انحطاطه — ما انفك يتوثب ويحقق فتوحات لا بأس بها وخاصة في المجالات النظرية . وما وقف ابدا جامدا امام اراء من سبقوه ، وكانت هذه الفتوحات سبب اثراء الفروع في مختلف العلوم التي كانت تقرر وتدرس ، ولدى مختلف المذاهب الاسلامية .

على ان تملك الارض في الاسلام يخضع — في راينا — لمضمون مواقف الرسول الآتية :

عن ابن عباس : ان النبي عليه السلام خرج الى ارض تهتز زروعا فسأل : لمن هذه الارض ؟ فقيل اكراها فلان ، فقال صلى الله عليه وسلم لو منحها اياه كان خيرا من ان يأخذ عليها اجرا معلوما .. وعن جابر ابن عبد الله قال .. كان لرجل منا فضول ارض فقيل له هلا اكريتها او آجرتها بالثلث فقال عليه السلام : من كانت له ارض فليزرعها او يمنحها اخاه ولا يؤاجرها او يكريها .. وفي رواية : فان ابى فليمسك ارضه ...

وهذان الحديثان يعنيان انه لا يجوز امتلاك الارض الفلاحية الواسعة التي يعجز صاحبها عن استغلالها بنفسه ، كما لا يجوز اكراؤها للكادحين ، نظير اجر معلوم يجبونه لهذا الذي يحاول عن حق او باطل ان يظل مالكا لهذه الارض الشاسعة .

وفي كتاب ابي عبيد القاسم بن سلام ان عمر قال : « ليس لمحتجر بعد ثلاث حق » اي بعد ثلاث سنين ... والموضوع هو ملكية الارض ... ومعنى ذلك ان عدم زراعة الارض ... ثلاث سنوات من مالكها يبيح للدولة انتزاعها من يد هذا المالك ووضعها في ايد تحسن اصلاحها وزرعها وحرثها ، لأن تركها طيلة المدة بدون استغلال قد يؤدي الى احداث فجوات في الدخل القومي ، وهذه الفجوات قد تؤدي الى تعطيل مرفق من مرافق الحياة العامة ، الشيء الذي يحاربه الاسلام ولا يستسيغه .

وبناء على ذلك فان على مالك الارض ان يستعملها فيما وضعت له من نفع الناس وتوفير ما يحتاجون اليه من طعام ومواد غذائية ، فاذا عطلها بوجه من الوجوه كان على الدولة ان تؤممها لتجعلها تنتج اكثر وتعطي ما من اجله اوجدت اذ تجميدها يعتبر كتجميد المال السائل ، اذ هي ولا شك مال ثابت ولكنه متحرك من حيث الانتاج ، ونحن نعلم ما اوعد الله به مجمدي المال والحائلين دون تحركه تحركا حرا منتجا . ومن هذا الوعيد الزام المسلم اداء فريضة الزكاة على ماله ، ما دام يتوفر على النصاب .. وهذا ما يسمى بضريبة التجميد التي كان الاسلام هو اول من سنها ...

والاستاذ العميد معنا في ان حكمي الارض المفتوحة عنوة حكمان ، وان احدهما — مهما قيل عنه — انما هو اجتهاد من اناس يصيبون ويخطئون ، لقد اخذ عمر في ارض السواد بالراي حين جعله فيئا موقوفا على المسلمين ما تناسلوا مخالفا بذلك الآية القرآنية مخالفة اثارت في وجهه معارضة الذين تمسكوا بصريحها : « واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ان كنتم آمنتم بالله وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير » سورة الانفال الآية 41 .. وان عمر بعد هذه المعارضة استشار كبار الصحابة من المهاجرين والانصار فيما ارتآه فوافقوه عليه لان فيه مصلحة الاسلام حالا واستقبالا ... وكان من اهم الذين ايدوه في رايه علي ابن ابي طالب ومعاذ بن جبل .. فلم التمحل والهروب

من الواقع ... على ان السيد العميد ينقل عن سفيان بن سعيد القول بالخيار في الارض المفتوحة عنوة : بين جعلها غنيمة تخمس وتقسم تبعا لما فعله الرسول في خيبر ، وبين جعلها فيئا عاما للمسلين لا يخمس ولا يقسم تبعا لما ارتاه عمر وصحبه في أرض السواد وذيل السيد العميد نقله ذاك بكلام ابي عبيد القاسم بن سلام الذي يقول فيه : وكلا الحكمين فيه قدوة ومتبع » وبعد ان أورد آيتي الفيء : (واعلموا انما غنمتم الآية) و ما افاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول الآية) قال: فهذه آية الفيء وبها عمل عمر واياها تاول حين ذكر الاموال واصنافها ، والى هذه الآية ذهب علي ومعاذ حين اشارا على عمر بما اشارا ؛ فيما نرى والله اعلم » .. وهكذا نرى ان العميد لم يورد نصا ما صريحا من القرآن او الحديث يمنع التاميم او حمل المشاركة الواردة في حديث ابي داوود على التاميم وانما أورد بعض اراء من سبقوه . على اننا نسجل بارتياح كلمة العميد التي قال فيها (فيما نرى والله اعلم) اذ فيه اعتذار مبطن او لا باس به يليق بمقام الاستاذ الفاروقي المعروف بتفتحه وسبقه الى البحث عن الحلول الناجعة لمواجهة التحديات الحديثة التي تجبه كل الديانات السماوية

على انه من المؤلم حقا — ويجب اثبات هذه الحقيقة — انه كلما جابهتنا قضية محدثة ان لا نزيد في تشبثنا بهذا الراي او ذاك ازاءها بغير اجترار اقوال من سبقونا دون ان نعير الفروق الزمنكية اي اعتبار ؛ بل قد لا نتردد في دحض اراء غيرنا لمجرد انها لم تصادق قولا قاله المتقدمون او لمجرد انها خالفت ما عندهم ... ثم لانستنكف الجري وراء الاستدلال باقوال اولئك المتقدمين كانما هي قرآن محكم او سنة مطهرة، فبدل نقل كلام الشاطبي الذي ليس اكثر من فهوم واستنتاج لاعمال الفكر والراي . ينبغي التنقيب عن حجة قرآنية او حديث نبوي صحيح معتمد او على الاقل تبيين وجهة نظر مدعمة بالحجة المنطقية والدليل العقلي او الحسي ، والا فباي حق يباح للشاطبي مثلا حق التاويل ويحرم على الآخرين ، ولماذا الهروب من مقارعة الحجة بمثلها الى الاستظلال بحجية الاجماع مع ما قيل فيه وفي عقده الخ .

اتقوا الله يا ناس في انفسكم وافتحوا لها نوافذ على مختلف الجهات الثمانية . لتدركوا ان اليوم غير الامس ، وهو قطعا غير الغد . وان اهتمامات هذا البلد وقضاياه ليست بعينها اهتمام البلد المغاير ... وحاولوا ان تعرضوا في اناة وتبصر قضايا الآن المعاش ، وما يحيط بكم من مختلف التيارات ، لقد قربت وسائل المواصلات المتباينة . واجهزة الاعلام المختلفة والمراصد العلمية الفضائية والارضية ما بين الامم والشعوب . وسهلت الطباعة نشر الكتب وما عند الآخرين .. واكدت المعارك المصيرية ان لا مكان في هذه الدنيا لمن يظلون يتشبثون بالماضي ولا يتطلعون للمستقبل او لا يستفيدون من الحاضر . واكدت الاحداث المتعاقبة ان القرآن ليس منغلقا ولا مقفلا وانه يهدي للتي هي اقوم ويبشر المومنين وان رحابه الفسيحة ما كانت لتضيق عن ايجاد الحلول الناجعة لكل الازمات . ولا يمكن بالاضافة الى ذلك ان ياقي الحياة الواقعية القائمة على الكرامة الانسانية .. وانه دعوة حارة ان ان المصلحة العامة والعليا للامة الاسلامية هي المتوخاة من نشر دعوته وقيام عقيدته وان هذه المصلحة يجب ان يضحى في سبيلها باية ملكية فردية اذا كانت لا تتحقق المصلحة العامة الا بالتضحية بما سواها ؛ لان العبرة بالجماعة والامة لا بالافراد الا في دائرة ضمان استمرار الصالح العام .. ولهذا فالتاميم — فيما لا طريق لجعله في مصلحة المجموع ومقنعة كافة الناس .. ضرورة حتمية .. وعلى منكريه ان يثبتوا مستند انكارهم من كتاب او سنة وبدليل لا يقبل التاويل او على الاقل بارائهم الخاصة في الموضوع وليحترموا اراء غيرهم ..

فاس — عبد الكريم التواتي

العرش المغربي

المعليد

كان دائماً في مركز القيادة

للأستاذ محمد عنان

الاستاذ محمد عنان صحفي لبناني لامع ، مرموق فى الاساط الصحفية والاعلامية معروف بموضوعيته الملتزمة ، وخبراته الواسعة ، ونظرته العميقة ، واطلاعه الشامل على شؤون واحوال بلدان المغرب العربي ...

ولقد زار بلاد المغرب عدة مرات ، والف عنه كتابا فريدا بعنوان « التجربة المغربية » سجل فيه انطباعاته وارتساماته اللطاف عن بلادنا ، كما حضر مندوبا عن صحيفة « الحياة » اللبنانية لتغطية اعمال المؤتمرات التي انعقدت بالرباط منذ عام 1969 .

وندرج فى هذا العدد الخاص بذكرى عيد العرش تحليلا تاريخيا لواقع المغرب ولنظامه الملكي كتبه السيد عنان، مع القاء بعض الضوء على ما وقع من احداث خلال السنوات الاخيرة ... خاصة وان الكاتب السيد « عنان » عاش احداث المغرب التي شهدتها سنواته الاخيرة كموفد خاص لجريدة «الحياة»

لقد اتفق جميع المحللين سواء منهم الذين يعطفون على البلاد العربية او الذين يعملون باستمرار للنيل عنها والتشهير بها على ان ما شهدته الرباط فى فترتين متباعدتين 10 تموز سنة 71 و 16 اب سنة 72 ، لا يعدو ان يكون عملا واحدا يمكن وصفه فقط بالجموح والاجرام والعشوائية استنادا الى فردية المخططين الذين كانوا منفردين فى نفس الوقت ، وانعزالهم وصفاتهم الذاتية المعروفة .

ومن الطبيعي ان يعمد اولئك المحللون الى تقديم اجتهاداتهم التي قادتهم الى هذه الحقيقة والتي تعتمد الاسس الآتية :

اولا : عزلة اولئك العسكريين عن الواقع الشعبي فى المغرب ، وجهلهم الذي لا يقبل النقاش بما يفكر فيه رجل الشعب ، العادي او المنتمي لواحد من الاحزاب السياسية .

ثانيا : عدم وجود اي فرد دون رتبة عسكرية ضمن المتآمرين حتى فى مراحل التنفيذ الاخيرة باستثناء طلبة الكلية الحربية بمكناس الذين عمدوا بمجرد ان انكشفت عنهم الغشاوة وتيقنوا مما يراد بهم الى البحث عن الملك الحسن الثاني حيث نصبوا انفسهم مدافعين عنه حتى انجلت الاوضاع .

ثالثا : المفاجأة التامة التي شكلتها المحاولتان بالنسبة للمنظمات السياسية المؤيدة منها والمعارضة والمتطرفة . ثم ردود الفعل الشعبية التلقائية المتحدة حول شجب المحاولة والتنديد بها وبمن كانوا محل سخط شعبي ، والامل بتجنيب البلاد تجربة ما كان احد يتصور ابعادها وويلاتها .

رابعا : ان اغلب الضباط الكبار الذين احيطوا علما بالعمليتين ، ووجدوا انفسهم بكيفية او باخرى

مدفوعين للاشتراك فيهما ، سلبوا عن كل قـــدرة على التمييز ، وبشكل محير .

فبعد ان كان الجنرال حمو وهو يلقى مصيـــره ويصيح : (عاش الملك) سجل صوت المنفذ الرئيسي لعملية القصف الجوي وهو يقول اثناء قنبلة الطائـرة الملكية : « اللهم اذا كان فى هذا الامر ما لا يرضيك ويخدم البلاد فلا توفقني فيه » .

خامسا : ان الذين فكروا فيما سمى (بالتصفية الجسدية) لم يفكروا قط فى نظام بديل لما عرفتـــه الدولة المغربية منذ فجر تاريخها .

وينبغي ان نعمق هذه الفكرة الاخيرة لانها تحتل ابرز مكانة فى هذا التحليل ، وتسلط اكبر الاضواء على الخصائص التي يتفرد بها المغاربة من بين شعـــوب العالم الاخرى .

وضـــع المغـــرب

ان الحديث عن الانقلابات الذي قد يبدو عاديا . وربما مشوقا فى بعض البلاد ليس من الامور التي تنسجم مع عقليه الشعب المغربـــي ولا مع طبيعتـــه وتطلعاتـــه .

فالحكومات التي اطاح بها العسكريـــون وغيـــر العسكريين ، هي فى الواقع نظم لم يجـــد التاريـــخ الوقت الكافي للحديث عنها ، ولم يتح لها اي مجـــال للاعلان عن نفسها ، او لترسيخ تقاليدها ، فى الوقت الذي كانت الشعوب التي تعيش فى ظلها مستعدة لاي تكييف ومستعدة فوق ذلك للاستماع فقط وبحماس اني مفتعل الى (البلاغ رقم 1) ؛ حتى دون ان تستوعب معناه او تعلم هوية الذين كتبوه .

وبالنسبة للمغرب فالامر يختلف كل الاختلاف .

فالملكية المغربية توازي تاريخ المغرب او هي نفسها ذلك التاريخ ، فقبل الف سنة من الميـــلاد عاش اول ملك نقرا عن فتوحاته التي وصلت الى الحدود المصرية وكان اسمه اطلس وهو الذي اعطى اسمه لاعلى جبال فى العالم العربي . وحتى فى عهد الاحتلال الاجنبي لم يعرف المغرب غير النظام الملكي ، فالفينيقيون الذين اقاموا مراكز تجارية على السواحل كانوا يخضعـــون لقوانين وسلطة امراء الجبال ، ولكن عندما حـــاول القرطاجنيون الظهور بمظهر المحلتين بدا الملك (بكار) مؤيدا من شعبه بحروبه التحررية فى القرن الثالـــث قبـــل الميلاد .

اما الرومان فانهم جابهوا ادارة مغربية قوية على راسها الملك باخوس الاول (105 ق م) ولم تفدهم الحروب التي شنوها فى التوغل بعيدا فى الداخل . وبعد ان رفضوا حمايتهم على البـــلاد فى عهد الملـــك جوبا الثاني اضطروا للجلاء عن البلاد (39 م) تاركين المجال لصفحـــة جديـــدة فى مقاومـــة اوتـــدال تـــم البيزنطيين الذين قاد المغاربة فى عهدهـــم الملـــك (انطالاس) . وعندما قدمت جيوش الفتح الاسلامي الاول كان يتربع على عرش المغرب بالتتابع الاميـــر قوسيلا ودايا اميرة زناتة .

وقد استمرت الاسر المالكة فى ظل الاسلام ، وباستثناء فترة قصيرة جدا كانت البلاد خلالها تابعة للخلافـــة الاسلاميـــة فى الشـــرق او الاندلـــس فان النظام الملكي ظل ثابت الاركان ، ونهضـــت به اســـر متعاقبة ليس المجال هنا لتعداد اعمالها ومآثرهـــا الحضارية داخل الرقعة المغربية الحالية او خارجها . وطيلة هذه القرون لم يكن يتحكم فى تسلســـل الدول المتعاقبة سوى المنطق التاريخي وحتمية تغير الهياكل والشكـــل العام .

احـــداث وعبـــر

ونقرا فى التاريخ المغربي المتاخر ثلاثة احداث ينبغي ان تحملنا على اطالة التفكير واستخلاص العبرة:

الاول : هو اتفاق احد امراء بني وطاس اسمـــه ابو حـــون (1553) مع العثمانيين الذين كانوا انذاك يحتلون مجموع العالم العربي ، على ان يقدموا بجيوشهم لمساعدته للتغلب على احد منافسيه . ودخلت الجيوش العثمانية لاول (ولاخر) مرة مدينة فاس . ولكن الذي حدث ان الشعب المغربي وقد احس بالخطر الداهـــم على استقلاله وبصفة خاصة على نظامه الملكي الوطني : شنها حربا مستمرة تحت قيادة السلطان ابي عبد الله الشيخ انتهت بانحســـار المد العثماني عنـــد حـــدود الجزائـــر .

الثاني : تمثل فى تطلع بعض الضباط الاندلسيين الذين كانوا يعملون تحت امرة الملك احمد المنصـــور السعدي الى الاستيلاء على الحكم بدعوى اعداد البلاد استعادة الاندلس ؛ وكان ذلك غداة معركـــة وادي المخازن 1575 ؛ وقد القي الجنود المغاربة تلقائيـــا القبض على قادتهم وسلموهم الى السلطان وهـــو فى طريقه الى فاس ؛ وكان احد المتآمريـــن الكاهيـــة (الليوتنان جنرال) سعيد الدغالي .

الثالث : وقع قبل عشرين سنة ؛ ذلك ان سلطات الحماية الفرنسية بالمغرب ازاء تزايد الالتحام بين **الملك محمد الخامس وبين الحركة المطالبة بالاستقلال عمدت** الى الاعتداء على العرش وعلى البيعة العامة التي هي العقد الوحيد والمقدس بين الامة والملك . وحدث ما لا يزال عالقا بالاذهان لقربه من الوقت الذي نعيشه الان

اجل قد يتصور البعض ان عليه صرف الجهد لادراك هذه الحقائق وتلمس ملاءمتها للواقع المعاش ببلادنا المغرب . ولكن الامر اقل من ذلك كلفة وعناء . فعلى الانسان ان يتصل بالفلاح او العامل او التاجر او المراة . او يناظر السياسي او الصحفي او النقابي ليدرك بداهة ان طبيعة الرجل المغربي ذات نزوع فطري الى التقاليد التي عرفها والفها اجداده في الحكم خاصة وان ملوك المغرب . ظلوا وعلى مر القرون ملازمين لفكرة الوحدة بين فئات الامة . وللواقع الاستقلالي الذي هو الميزة البارزة للعمل الوطني .

ولقد خضع المغاربة لامتحانات عسيرة نتيجة لاستهداف وحدتهم القومية الى محاولات لتفتيتها ، او خلق عنصرين متقابلين داخل الكيان المغربي . وكان آخر مظهر لذلك في عهد الاحتلال الفرنسي .

فقد استنتج خبراء الشؤون الاهلية في المغرب عام 1930 والثورة المسلحة في الجبال كانت لا تزال مستعرة ضدهم . بان ارضاء النزعة الاستقلالية عند البربر الجبليين ربما قادت الى حل مناسب . من شانه ان يضع نهاية للثورة من جهة . وان يخلق فئتين يؤدي تقابلهما في المستقبل الى الابقاء على الحاجة لتحكيم القوة الثالثة التي تتمثل فيهم .

وتلك العملية على ما اتسمت به من ذكاء لم تقم على حسابات دقيقة بل ادت الى نتيجة عكسية معروفة وقادت الى لم الصفوف بشكل لم يتقدم له نظير حول رمز العرش. وابتدات منذ ذلك السيادة والكيان المغربي الواحد : العرش . وابتدات منذ ذلك الوقت الحركة الاستقلالية تنظم نفسها على صعيد الوطن كله ..
ولم يكن العرش حكما ولكنه كان في مركز القيادة .

ملابســـات المحاولتين

وبعد كل ذلك يجدر بنا ان نتساءل عن « ماهية » الملابسات المحيطة بالعمل الذي تكرر في المغرب وخلال فترتين لا تبتعدان عن بعضها البعض اكثر من ثلاثة عشر شهرا .

وفي سبيل ذلك ينبغي ان نستعين بالذاكرة والمنطق معا .

ولنسال باديء ذي بدء :

ماذا وقع في العالم الاسلامي بعد ايلول من عام 1969 وهو الشهر الذي انعقد فيه مؤتمر القمة الاسلامي بالرباط ولعب فيه الملك الحسن الثاني دوره المعروف؟

ماذا حدث في بعض الدول الافريقية التي تشهد فيها الطائفة الاسلامية نموا مطردا ؟

ماذا حدث في الفيلبين ؟
ماذا حدث بالاقليم الشرقي من الباكستان ؟
ماذا حدث ويحدث في التايلاند ؟
واخيرا ماذا حدث في المغرب ؟

الطابـــع المسرحـــي

لنعد الى القضية . القضية المهمة التي شغلت الراي العام في العالمين العربي والاسلامي ... قضية ما اسماه « الكثيرون » بالتآمر على النظام المغربي ..

لقد اثارني كما اثار العديد من الزملاء . الطابع المسرحي لما حدث في الرباط يومي 10 تموز 1971 و 16 اب من العام الماضي وتتبعت امر المحاولتين اللتين قصد منها معا التصفية الجسدية للعاهل المغربي الشاب . وكان تعليق احد السفراء العرب الاول : يا لله . ها هي « رياح الشرق » تهب ولاول مرة على اقصى غرب الوطن العربي » .

وارتد الخنجر المسموم الذي اراد بعض المقامرين ان يسددوه للحسن الثاني الى نحورهم .

ولكن . ويا للهول . تعالت في الجو خناجر مسمومة اخرى . اخذت . وباسم ما وقع في المملكة المغربية . تطعن الكيان العربي .

وجاء تعليق السفير العربي نفسه : « **يالله ، ها هو الحسن الثاني يدفع ثمن السياسة العربية والاسلامية التي امتاز بمبادرات رصينة وايجابية بصددها** » .

اهمية المؤتمر الاسلامـي

ودعني اقدم القضية كما يقتضي المنطق ان تقدم:

لقد حرص الملك الحسن الثاني ان يجمع فى بلاده الجميلة اول مؤتمر فى التاريخ يضم قادة المسلمين من ملوك وامراء ورؤساء فى الثاني والعشرين من شهر ايلول عام 1969 وبذل من الجهد ما لا قبل لغيره به فى سبيل ان يحضر المؤتمر اكبر عدد من أولياء الامر فى العالم الاسلامي ولم تكن المواضيع ولا القرارات التي ناقشها او اقرها المؤتمرون رغم أهميتها من الخطورة بالقدر الذي تركه الاجتماع كاطار، من اثار عميقة فى الشعوب الاسلامية على امتداد القارات الخمس.

ورب متسائل يضع هذا السؤال وماذا افاد العرب من ذلك اللقاء ؟

لقد صرف ملك المغرب مجهودات قيمة لتجميع ما تشتت من افكار المسلمين حول القضية الفلسطينية، وصبها فى اتجاه المساندة لعرب فلسطين والمدافعة عن الاماكن الاسلامية المقدسة بها.

ولم يعد يخفى على احد ان المؤتمر، وبفضل الحسن مرة أخرى، كان مناسبة للمقاومة الفلسطينية لتلتقي بشاه ايران الذي لم يبد عطفه على قضيتها نقط ولكنه قرر ابتداء من ذلك الوقت ان يقدم المساعدة لها.

ومن كان يتصور ان القادة الاتراك الذين لم يكن يدخل فى خلد أي عربي ان يتقبلوا حديثا عن الاراضي العربية المحتلة او عن المقاومة يصدر عنهم كما صدر عن غيرهم التصميم للابقاء على الصفة الاسلامية للاماكن المقدسة ؟

وهل كان فى مقدور المقاومة الفلسطينية ان تحصل على فوائد مادية وادبية فى اقصى بلاد الاسلام (وما مثال ماليزيا ببعيد) لو لم يهيء لها مؤتمر القمة الذي رعاه ملك المغرب اسباب ذلك ؟

وهكذا، فان المؤتمر الاسلامي الذي يعد ظاهرة فريدة فى التاريخ والذي فتح امام الشعوب الاسلامية آفاقا جديدة ووضع اسسا دائمة للقاءات على مختلف المسؤوليات كالامانة العامة واجتماع وزراء الخارجية بمقر الامم المتحدة وخارجها، قد اوجد سندا لا مندوحة عنه للنضال العربي ولقضية العرب الكبرى.

ويكفي كدليل على قيمة هذا السند المناقشة التي جرت فى مجلس الشيوخ الامريكي بعيد انعقاد المؤتمر وقد نشر قسم منها فى صحف العالم بما فيها الفقرة التي ترجع النصر الذي حققه الفلسطينيون الى ملك المغرب بالذات.

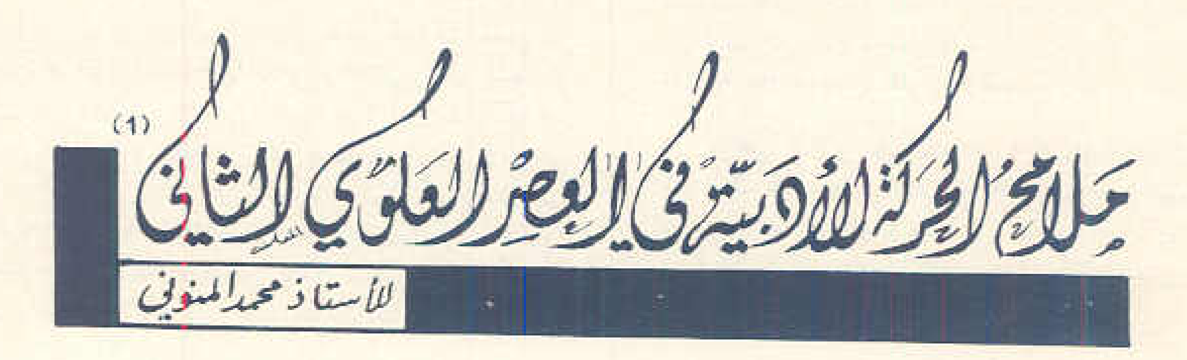
وعلى نفس القدر عن الاهمية بالنسبة للعرب انعقد مؤتمر آخر، وبالرباط كذلك، ضم ملوك ورؤساء القارة الافريقية.

فسيظل عالقا بالذهن القرار التحولي الذي اتخذه جميع قادة افريقيا، او من ناب عنهم، وهذا القرار لم يكن على الجانب المعروف من الصراحة والشدة والالتزام فقط، ولكنه اعتبر مرحلة هامة فى ترسيخ التقارب بين افريقيا العربية وافريقيا السوداء، وفى دفع القضايا العربية الى نطاق المشاغل الافريقية نفسها.

لقد ازعج العملان العظيمان اللذان انجزا فى الرباط، وبمساعي الملك الحسن الثاني، الاوساط الصهيونية العالمية على النحو الذى راينا انعكاساته، كما انهما عملا على اذكاء الحقد على ملك المغرب والمحاولة بشتى الوسائل للكيد له والتآمر ضده والعمل على ان تنزلق بلاده الى هاوية الفوضى والتمزق العنصري.

وتجرنا التجارب التي مررنا بها والدروس التي استوعبناها عن تصرفات اعداء العروبة والاسلام الى وضع الحدود المنطقية، التي تتضح يوما بعد يوم للمؤامرتين اللتين تعرض لها الملك الحسن الثاني ؛ واريد لهما ان تكبحا من ايمانه وصلابته واقدامه، وان تمسا بالتالي من سلامة الدول المغربية.

بيروت : محمد عنان



واصل الادب مسيرته فى ظل العصر العلوي الثاني ، ويمتد من وفاة ابي الغداء عام 1139 هـ / 1727 م ، حتى وفاة السلطان محمد الثالث عام 1204هـ 1790 م .

ومن ميزات الادب فى هذه الفترة ارتقاء اساليب النثر الديواني عما كانت عليه فى العصر الاول ، ووفرة اعداد الادباء الذين نبغوا فى نفس الفترة وبالخصوص طبقة الشعراء ، على أن اسلوب هؤلاء اخذ يتراجع عن درجة الشعر فى العهد السابق ، كما ان تجاوب الادب مع الاحداث كاد ينعدم فى هذه الحقبة ، ويبدو ان من اسباب هذه الظاهرة واقع المغرب ازاء تصرفات الجيش البخاري بعد وفاة ابي الغداء ، ثم ما دهم البلاد من الزلزلة العظمى عام 1169 هـ (2) / 1755 م .

— ◆ —

ولم ينتعش المغرب الا بعد ظهور السلطان محمد ابن عبد الله على مسرح السياسة المغربية ، وقد صار ايام خلافته عن والده يشجع الاتجاه الادبي ، وعكف – شخصيا – على دراسة مدونات الادب والتاريخ ، وبالخصوص كتاب «الاغاني» لابي الفرج الاصفهاني(3) .

ثم كان ولده الامير علي يشتغل – من بعد – بنفس المادتين ، ويجعل من بلاط امارته بفاس ناديا ادبيا لقراءة مصنفات التاريخ والادب ، وفيها كتاب « الاغاني » لابي الفرج الاصفهاني ، « وقلائد العقيان » ، و « وفيات الاعيان » لابن خلكان ، و « مؤلفات لسان الدين ابن الخطيب ، و « تاريخ ابن خلدون » ، و نفح الطيب » للمقري (4) .

وعلى المستوى الطلابي شهدت بعض المدائن تجمعات طلابية لمدارسة الادب وما اليه ، وهكذا كان فى مكناس : محمد بن محمد بن عبد السلام البيجري ، واحمد (ابن الراضي) ابن عثمان ، وعلي بن صانبة (البخاري) ، وثلاثتهم لا يزالون طلابا ، ويتدارسون – فيما بينهم – الطريقة الادبية ، وهذا ما يسجله محمد

(1) هناك دراسة فى نفس الاتجاه بالنسبة الى العصر العلوي الاول ، حسب مجلة « دعوة الحق » : العدد الاول ، السنة الخامسة عشرة – ص 82 – 89 .

(2) انظر عن هذه الزلزلة وابعادها : « نشر المثاني » ط . ف – ج 2 ص 266 – 276 ، مع « الاستقصا » ط . مصر – ج 4 ص 128 .

(3) «الترجمانة الكبرى» للزياني، نشر وزارة الانباء – ص 64 ، مع مقدمة « ادراك الاماني ، من كتاب الاغاني»: المخطوط الذي ستتقدمه هذه الدراسة من بعد .

(4) « الترجمانة الكبرى » للزياني ص 64 ، مع مؤلفه الاخر : مخطوط « البستان الظريف » . « مجموع فى الادب » من تاليف الامير عبد السلام بن السلطان محمد الثالث ، فرغ منه عام 1198 هـ ، وهو بالمكتبة الملكية بخط جامعه تحت رقم 106. « الاستقصا » ط . مصر – ج 4 113 – 114 .

البيجري (5) عن ذكريات ايام دراسته، وهـــو يقول فى هـــذا :

« ... وعند ذلك لاح لنا شعاع الادب، فلـــه حينئذ ـ ءاثرنـا، وعليه تظافرنـا، وما تنافرنـا، فتدارسنا « مقامات الحريري » مرات، حتى أدركنـا بها المسرات، فحفظت من نخبها خمس عشرة مقامة كلها، ومن البواقي جلها، وحفظت الشعر جميعه، ومن ثم كانت الانشاءات مطيعة ...

وتدارسنا كتبا اخرى من الادب والسير والاخبار، فانطلق بذلك من قلمنا العنان، فأبنا عن بنـــان (6)، وابان عن اكتنان جنان الجنان » .

— ◆ —

وقد صار ابن عثمان آنف الذكر فى طليعة الشعراء المبرزين فى هذه الحقبة، ويأتي ـ بعده ـ ابن الونان: احمد بن محمد التواتي الملوكي ناظـم القصيـــدة « الشمقمقية »، وثالث الحلبة : محمد بن الطيـــب سكيرج الفاسي (7) .

ومن الادباء الاخرين فى نفس العهد :

احمد بن ناصر الغياثي .

واحمد بن المهدي الغزال .

ومحمد ابن الشاهـــد (8) .

— ◆ —

وسوى هؤلاء : انجب هذا العصر مؤلفا ربـــط الصلات الادبية على مستوى المغرب العربي، وبالضبط بين المغرب وتونس، وكان هو عبد القادر بن عبـــد الرحمن المدعو السلوي، الاندلسي الاصل ثم الفاسي، وهذا لا تعرف له ترجمة على حدة، ولهذا سنقدم عنه المعلومات التاليـــة :

وقد درس بفاس، وكان من اساتذته بها الامـــام المسناوي : محمد بن احمد الدلائي ثم الفاســـي، المتوفى ـ بها ـ عام 1136 هـ (9) / 1724 م .

وفى عام 1156 هـ / 1743 م كان فى بلاط الباي التونسي : علي باشا بن محمد بن علي تركي من الاسرة الحسينية، المتوفى عام 1169 هـ (10) / 1756 م، ومن منتـخبات المترجم برســم الباي التونســـي : الاجزاء الثلاثة الاولى من كتاب « الوافي بالوفيـات » للصلاح الصفدي، وجاء فى خاتمة الجزء الثاني : انـــه امر بانتساخه الامام المستعين بالله، ابو الحسن علي باشا، حيث كان الفراغ من كتابته بتاريخ أواسط صفر الخير، عام 1156 هـ / 1743، والاجزاء الثلاثـــة بالمكتبة الملكية تحت رقم 648 .

وبعد هذا التاريخ يقترح نفس الباشا على المترجم تلخيص الحاشية الكبرى على تفسير ابي السعـــود، المسماة : « مطالع السعود . وفتـــح الـــودود . على تفسير الامام ابي السعود »، تأليف الشيخ محمد بن عبد الله زيتونة التونسي .

ويعرف من هذا التلخيص ـ لحد الان ـ ثلاثـــة اسفار بخط المؤلف : اثنان بالمكتبة الاحمدية بتونس، وواحد بالمكتبة الملكية بالرباط رقم 9575، ويبتدي من اوائل سورة « ق » لينتهي عند آخر سورة التغابن على بتر يتخلله، وكان انتساخ هذا السفر المغربـــي برسم الباشا التونسي، ووقع الفراغ منه عشية الثلاثاء 29 ربيع الاول النبوي عام 1165 هـ / 1752 م .

وبعد هذا : فمن المحقق ان المترجم الف ـ وهو لا يزال بتونس ـ موضوعه : « الكوكب الثاقب » ءاتي الذكر، وهو يرشدنا الى هذا لما يقدم ـ فى افتتاحية الكتاب ـ نسبه هكذا « ... الاندلسي الاصل، الفاسي المنشأ، التونسي الدار »، فاذا عرفنا انه فرغ مـــن

(5) « رسالة فى اسرة البيجريين المكناسيين »، من تاليف البيجري المذكور، مخطوطة خاصة مبتـــورة الاخر . وانظر عن ترجمة البيجري : « اتحاف اعلام الناس » ج 4 ص 140 ـ 144 . وعن ترجمة ابن عثمان : نفس المصدر ج 1 ص 353 ـ 360 . وعن ترجمة ابن صابنة : المصدر نفســـه ج 5 ص 477 ـ 478 .

(6) فى القاموس وشرحه : « والبنان ـ بالضم ـ الروضة المعشبة التي حليت بالزهر، وبفتح » .

(7) « ثمرة انسي فى التعريف بنفســي » لابي الربيع سليمان الحوات، مخطوطة خ. ع. ك 1264 ضمن مجموع

(8) « الترجمانة الكبرى » ص 60 ـ 61 .

(9) ترجمته ومراجعها فى « سلوة الانفاس » ـ ج 3 ص 44 ـ 47 .

(10) ترجمته واخبار دولته عند ابن ابي الضياف : فى تاريخه: «اتحاف اهل الزمان» ـ ج 2 ص 117ـ145.

تأليف نفس الكتاب عام 1176 هـ ، تتبين أن المترجم استمر بالقطر الشقيق حتى هذا التاريخ .

وبعده ـ بقليل ـ نجده بالمغرب في بلاط السلطان العلوي محمد الثالث عام 1180 هـ / 1766 م حيث يشتغل بتصنيف مؤلفه الآخر : «ادراك الاماني» آتي الذكر أيضا ، وعلى هذا يكون انتقاله من تونس الى المغرب وقع بين عامي 1176 ـ 1180 هـ ، وهنا ينسدل الغموض من جديد على حياة المترجم ، فلا نعلم شيئا عن أحواله بعد هذا التاريخ ، ولا نعرف حتى وقت وفاته ومكانها .

— ♦ —

والان : نقدم ثلاثة آثار ادبية من مخلفات المترجم :
اولا : كتاب « الكوكب الثاقب ، في اخبار الشعراء وغيرهم من ذوي المناقب » .

وهو يسجل في افتتاحيته انه كان قديما قد اشتغل بدراسة الادب ، ثم لم يزل جادا في طلبه ، مولعا بالتقاط غرره وعيونه ، حتى دون محاسنه في مذكرات موزعة بين عدة رقاع واوراق ، ولما أن ولى عصر الشباب أراد أن ينظم فرائد مدوناته في سلك هذا الكتاب ، وهنا يذكر مصادره كالتالي :

— الكامل للمبرد .
— الاغاني لابي الفرج الاصفهاني .
— بهجة المجالس . وانس المجالس لابن عبد البر .
— خاص الخواص لابي منصور الثعالبي .
— سراج الملوك للطرطوشي .
— الوافي بالوفيات للصفدي .
— الوافي في نظم القوافي للرندي .
— ري الاوام . ومرعى السوام . في نكت الخواص والعوام للزجالي .
— الصيب والجهام .
— رقم الحلل : الاثنان للسان الدين ابن الخطيب
— المرقبة العليا للنباهي .
— جذوة الاقتباس لابن القاضي .
— وغير ذلك من مؤلفات جهابذة الايمة .

وبعد هذا يأتي تصميم الكتاب في مقدمة وعشرة ابواب وخاتمة :

المقدمة : في شرح ماهية الادب ، وانقسامه الى غريزي ومكتسب .

الباب الاول : في طبقات الشعراء ، وما جاء في تعلم الشعر وتعليمه عن السادة الكبراء .

الباب الثاني : في ذكر نبذه من اشعارهم ، وما يحسن ايراده من اخبارهم .

الباب الثالث : في الحرب وتدبيرها ، وما ينبغي من الحزم والتيقظ لمن يباشرها ، من مقدمها واميرها.

الباب الرابع : في الشجاعة والجبن وآلات القتال ، وما للشعراء في ذلك من بديع المقال .

الباب الخامس : في الجود والسخاء والايثار ، وما يوثر في ذلك من عجيب الحكايات وغريب الاثار .

الباب السادس : في الشح والبخل ، وما ينبغي من تجنبهما لاهل الفضل .

الباب السابع : في السفه والحلم ، وما قيل من ان احق الناس به الولاة واولوا العلم .

الباب الثامن : في ذكر ملوك بني امية وابتداء دولتهم .

الباب التاسع : في ذكر الخلفاء من بني العباس الى منتهى دولتهم .

الباب العاشر : في نوادر من الاخبار حفظت عن اهل الجاهلية وغيرهم .

الخاتمة : في مواعظ ورقائق .

وقد جاء الباب الثاني أوسع موضوع في الكتاب ؛ حيث يقدم المؤلف 129 ترجمة لشعراء اسلاميين عبر العصر الوسيط ، وبينهم مجموعة مهمة من الغرب الاسلامي بالاندلس وشمال افريقية .

ومن الجدير بالذكر أن العلامة التونسي الشيخ محمد الشاذلي النيفر اضطلع بدراسة هذا الكتاب وتقييمه (11) ، وهو يقول عن ميزته الادبية :

(11) نشرت هذه الدراسة ضمن بحث ممتع عن البارزين من ارساليات القرويين التلقائية الى تونس ، حسب « الكتاب الذهبي لجامعة القرويين ، بمناسبة ذكراها المائة بعد الالف » ـ ص 221 ـ 227 . ثم نشر نفس البحاثة دراسة منقحة أكثر عن خصوص عبد القادر السلوي ، في جريدة العمل التونسية : عدد 26 يوليوز سنة 1968 ، وقد افدت من الدراستين في جوانب من حياة المترجم .

« ويعد هذا الكتاب الضخم احياء للتراث الادبي من اصوله المعتمدة فى المدرسة الاسلاميـــة ايـــام ازدهارها ، كما يعد الباب الثاني (منه) خطـــوة فى تاريخ الاداب العربية الاسلامية لا في حدود الاقليمية الضيقة ، وانما فى المتسع الذي لا يتقيد بحـــدود مصطنعـــة .

ولكن لا ينكر انه لا يكفي الرغبة الحديثة ، غير انه قد سد فراغا فى تلك العصور التي تتوسي فيها الادب العربي الصميم ، واشتغل الادباء بالتافه من الابيـــات الشعـــريـــة ... »

توجد من هذا الكتاب نسخ متعددة فى تونس ، وواحدة بدار الكتب المصرية عدد 4.45 « ادب » ، وبالمغرب نسخة بالمكتبة الملكية تحت رقم 925 ، فى 431 ص ، مسطرة 26 ـ 27 ، مقياس 270 / 200 ، بخط مغربي مليح ملون خال من تاريخ التأليف ، ووقع الفراغ من انتساخه يوم الاحد 12 ذي الحجة عـــام 1209 هـ على يد العياشي بن عبد الله الملاقي .

— ◆ —

وسياتي ـ بعد الكوكب الثاقب ـ اثر ادبي ثان للمترجم ، ويمثـــل « مختـــارات من ديـــوان الصيب والجهام » للسان الدين ابن الخطيب ، وتحتفظ «المكتبة النيفرية » بتونس بهذه المختارات فى 72 ص ، بخط دقيق جدا هو خط جامعها .

— ◆ —

وهذا اثر ثالث لنفس المؤلف ، وقد ظل مجهولا حتى عرف فى الستينيات الاخيرة بالمكتبة الملكيـــة بالرباط ، ويحمل اسم « ادراك الاماني » من كتـــاب الاغانـــي » .

وكان تأليفه باشراف السلطان محمد الثالـث ، وهو يهدف بهذه المبادرة الى تهذيب كتاب الاغاني . لابي الفرج الاصفهاني ، وقد حدد نفس العاهل تصميم هذا التهذيب :

بأن يكون على ترتيب جديد : فالتراجم يعـــاد تنسيقها : بالتقديم والتأخير واثبات بعض منها بمركزه.

مع اضافة مختارات من كلام المولدين ، ومنتخبات من اشعار المحدثين ، مما تحسن اضافته ، وتستحسن روايته ودرايته .

وعند مفتتح كل سفر من اسفار هذا التهذيـــب الجديد ، تقع البداءة بشاعر كبير من فحول الشعراء ، او سيد جليل من الجلة الكبراء .

مع الاهتمام بتحرير النصوص الاصيلة لكتـــاب الاغاني وتصحيحها ، وتحقيقها وتنقيحها .

وقد وفى المترجم بهذا التصميم حق توفيـــه ، وكان صدور الامر السلطاني له بالشروع فى هـــذه المهمة ، يرجع الى اوائل المحرم عام 1180 هـ (1766م) ووافق الفراغ من كتابة النسخة الاولـــى ـ بخـــط المؤلف ـ اواسط جمادى الثانية من نفس العـــام : 1180 هـ .

يشتمل كتاب ادراك الاماني على 25 سفـــرا ، ضاع منها السفر 18 ، وباقيهـــا : (24) بالمكتبـــة الملكية تحت رقم 2706 ، مسطـــرة 25 ، مقيـــاس 265 / 190 ، خط مغربي جميل ملون مجدول مزخرف قليـــلا .

— ◆ —

وستكون خاتمة هذه الدراسة الاشـــارة الـــى تجاوب ادبي وافد من تونس الى المغرب ، كرد فعـــل تلقائي ازاء عبد القادر السلوي القادم من المغرب الى تونس ، وقد جاء هذا التجاوب على مستوى خاص ، حيث انشأ الوزير التونسي حمودة بن محمد بن عبد العزيز قصيدة مديحية برسم العاهل المغربـــي محمد الثالث ، والقصيدة مطولة فى 60 بيتا مزدوجا من بحر البـــسيط ، ومطلعها :

يا جيرة السفح كم قلب بكم تعبـــا
لم يقض فى حبكم نحبا ولا اربا (12)

الرباط : محمد المنوني

---

(12) القصيدة ـ بتمامها ـ واردة عند محمد بن عبد السلام الناصري فى « الرحلة الصغرى » بالمكتبـــة الملكية رقم 121 ، اما الوزير حمودة فهو مؤلف « الكتاب الباشي » ، حيث توجد ترجمته عند مقدمة الجزء الاول منه ، نشر الدار التونسيـــة للنشـــر .



من وحي الهجرة الخالدة

للاستاذ محمد بخات

الهجرة فى الاسلام هذه الكلمة الموحية المعبرة ، توحي بحقيقة الانطلاقة التحررية القاضية على الوثنية من اي نوع كانت ، وتعبر عن عقيدة الحق لاقامة شريعة الحق ، فهما اساسا ربانية هذا الدين ، وهما عنصر الخلود فى الاسلام .

فهذه الهجرة هجرة رسول الاسلام ـ صلى الله عليه وسلم ـ فكرة خالدة ومبدأ خالد ، كانت بحق الثورة الخالدة على الشرك وظواهره والكفر ومظاهره اللذين كانا اخطر انحراف واكبر فساد اصابا الفطرة البشرية ، نجمت عنهما جاهلية رجعية كلها ضلال ، وضياع ، وتخلف وشقاء .

فهي كفكرة خالدة من افكار هذا الدين تدل على الصمود من اجل دعوة الحق ، من اجل الحفاظ عليه ، من اجل تبنيه ، من اجل انقاذ الانسان به ، من اجل اسعاد كل مؤمن به .

وهي كمبدأ خالد من اسمى مباديء هذا الاسلام تعني الضحية بالنفيس وتعني مجابهة طغيان الشرك وتعني الاستعداد لعدوان الكفر ، وتعني اعداد قوة معسكر الايمان لمحو قوة معسكر الكفران ، وتعني فرض وجود اهل الحق فى سبيل القضاء على وجود اهل الباطل ، وتعني تكوين انسان الايمان ، وتعني تربية انسان الاسلام فى مجتمع الاسلام لاول مجتمع المدينة الفاضل من اجل تحقيق المسيرة الاسلامية ، المسيرة الفريدة من نوعها ، المسيرة التى قادها محمد بن عبد الله برسالة الاسلام من اجل اقامة دولة الاسلام ومجتمع الاسلام فى المدينة حيث الاخلاص والوفاء لهذا الدين ، والتنافس الشريف لمرضاة الرب ، والتواد والتراحم والتعاطف بهذا الدين تجسيدا وتحقيقا لمفهوم الاخوة الصحيحة التى هي تعاون وانسجام ، وتكتل وتكافل ، واتحاد ومواساة ، ومناصرة للحق وفعل للخير لانها اخوة صادقة يؤمن اهلها بالله ويعتقدون فى كتابه ويصدقون رسوله :

(انما المؤمنون اخوة) .

(وتعاونوا على البر والتقوى ..)

(مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم مثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) .

لقد كانت الهجرة المحمدية الى المدينة المنورة لاجل انسان الاسلام ، انسان الاخاء فى الله عامل الوحدة والقوة فى الله وبالله ، انسان الجهاد فى الله هذا الركن الركين الذى فرض للقضاء على اعداء الله . فى كل مكان وزمان ، ولوقاية المؤمنين بالله من كيد وحسد وحقد اعداء لا اله الا الله محمد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

ان الهجرة النبوية من مكة الى المدينة كانت ضرورة حتمية وقعت فى الابان المناسب من تاريخ البعثة المحمدية، فهي الفيصل بين عهدين مختلفين :

عهد الفترة المكية الذى عانى فيه الرعيل الاول من المؤمنين بقيادة الرسول الاعظم ما عانوه من طرف المشركين ومن يسير فى ركابهم من عبيد الشيطان ومنكري الايمان .

وعهد الفترة الدينية التى آذنت بالانطلاقة العظمى للاسلام وبشرت بالتحررية الكبرى للبشرية من كل الجهات ، المنقذة من شتى الضلالات .

فهذه الفترة بحق فترة ميمونة فى تاريخ الانسانية الضالة فى الحياة المنحرفة الوجهة من اجل ديمومة وجودها المقصود على الكوكب الارضي فى خلافة راشدة اسها الايمان بالله والعمل بدينه العظيم .

اي وربي من اجل تحقيق هذا المصير الكريم للنوع الانساني كانت الهجرة الى المدينة التى ركزت دعائم الدين الجديد وثبتت اصوله العقيدية وجسمت تشريعاته الهادفة لاسعاد الانسان ، فكان بها تشييد صرحه السامق القمة ، وكان منها ابراز ادواره القيادية من اجل سعادة هذا الانسان بحضارته الربانية .

وهكذا ففى سبيل هذا البناء الكامل الشامل لصرح الاسلام ومن اجل الحفاظ عليه ، كانت المدينة المنورة مثابة الهجرة ، ومركز الدولة الاسلامية الرائدة ، ومقر الدعوة لهذا الدين المبشر بكل خير والمنذر من كل شر ، وكان الانصار والمهاجرون من المصطفين الاخيار الذين بذلوا كل نفس ونفيس فى سبيل الدين الحنيف فاستحقوا ببذلهم الفذ هذا ، الفوز العظيم بقول الاله العظيم :

(والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه، واعد لهم جنات تجري من تحتها الانهار . خالدين فيها ابدا ، ذلك الفوز العظيم) .

لقد شاءت الارادة الالهية ان تكون هجرة رسول الانسانية الى المدينة لكي يتسع نطاق الدين الجديد فى البيئة الملائمة له حيث يجد كل عوامل الانتشار له والتفاني فى سبيله متوفرة من جانب المؤمنين الصادقين فينتشر للصلاح وينشر الاصلاح مخلصا من كل الويلات ، منقذا من كل الجاهليات لانه الدين المقبول عند الله ، المختار منذ الازل للناس والى يوم القيامة فهو الدين الذى قال فيه تعالى :
(.. اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا ..) (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ، وهو فى الآخرة من الخاسرين) .

انه قد يبدو لغير المتمعن فى حكمة الهجرة وعبرتها والجاهل لمراحل الهجرة المتدرجة ، ولغير العالم بالاسرار التى رافقتها انها فرار او حدثت نتيجة للمصادفة او وقعت بسبب الاضطهادات التي تعرضت لها الفئة المؤمنة فى مكة برئاسة رسول الله عليه الصلاة والسلام .

والحقيقة التى يجب معرفتها ان الهجرة لم تكن وليدة المصادفة وانما كانت مقررة فى سنة الله النافذة ، وواقعة طبقا لمشيئته الحكيمة وارادته البالغة ، فلقد عرفت الهجرة عبر التاريخ الطويل للدعوة الاسلامية بواسطة العديد من رسل الله الى البشرية التى عن طريقها كانت النهاية اللازمة لمعركة طالت بين دعوة الله ودعوة الطاغوت ، اذ تحققت تلك النهاية فى انتصار الايمان بالله على شتى صور الشرك واشكال الكفر . وتجلت فى اجتثاث اصولهما من وجود انبياء الله وانمحت من عالم المؤمنين الذين جاهدوا فى الله حق جهاده .

ولكي تتحقق من جديد النهاية الابدية لعبادة الطاغوت ودعوة الجبت الماحية لهما من الوجود ـ لما تنكبت البشرية عن سبيل الايمان وانحرفت عن جادة الله ـ شاءت ارادة الله ان تكون هجرة محمد بن عبد الله هجرة محكمة الوقوع منسقة الترتيب حتى لا تكون فرصة لاعداء الاسلام الذين بذلوا كل جهودهم لاغتيال الرسول الاعظم وعملوا للحيلولة دون هجرته منعا للمد الاسلامي والنور الرباني من الانتشار ، ولكن اعمالهم المعادية هذه احبطت ومؤامراتهم المدبرة فشلت ، لان الرب العزيز كفيل بصيانة دينه ونصرة رسوله :

(.. الا تنصروه فقد نصره الله ..)

(.. ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ..)

(وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون ..)

(ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ..)

هكذا نجحت الهجرة النبوية كما اريد لها ويتضح نجاحها الباهر فى التمهيد لها وفى الاعداد للمخططات التى على ضوئها تحققت الى آخر مرحلة

فيها . ويتجلى نجاح الهجرة المحمدية فى الارهاصات المتقدمة والمتحققة فى سادات الاوس والخزرج المؤمنين ، ابطال بيعات العقبة الثلاث الذين عملوا باخلاص وبتوجيه من الداعية الشاب مصعب بن عمير لنشر الاسلام فى بيوتات المدينة الى ان آنت مرحلة الانطلاقة العظيمة من مكة المكرمة الى المدينة المنورة بزعامة رسول الرحمة – صلى الله عليه وسلم – وبمشاركة المسلم العظيم ابي بكر الصديق الرفيق فى الطريق . وابنه عبد الله لمعرفة اسرار الكفار ونقل الاخبار . وابنتيه اسماء المخاصة وعائشة الصديقة لاعداد الزاد للسفر ونقله لغار ثور ، وعامر ابن فهيرة لتزويدهما بما يحتاجانه من مواد غذائية ولمحو آثار اقدامهما بغنمه لتضليل الكفار ، وعلي بن ابي طالب الذى اختير للبقاء ببيت الرسول بمكة لتأدية الدور الذى كلف به من رد الودائع لاصحابها علاوة على ايهام الاعداء بوجود الرسول بالبيت ، وعبد الله بن اريقط الذى انيطت به مهمة التدليل على الطريق الآمن الموصل الى يثرب .

من هذه الصورة الوصفية المقتضبة لمراحل احداث الهجرة نلحظ العناية الربانية التى احاطت بوقوعها ، ونلمح التنظيم العجيب الذى اتخذه الرسول الحكيم فى طريق الهجرة من البداية الى النهاية .

حادث الهجرة العظيم خالد كخلود هذا الاسلام فلولاه ما عبد الله على ظهر البسيطة كما يريد الله ولا كان وجود صحيح لعنصر الايمان فى عالم الحقيقة .

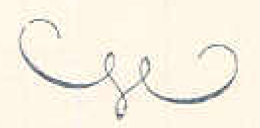
حادث الهجرة الخالدة به تحققت دولة القرآن وتأكدت به حرية الدعوة للاسلام الى كل اطراف المعمورة لحفظ النوع الانساني باهدافه السامية ومقاصده الرحيمة التى اجملها وحددها فى عبارة هادية خالدة رسول سعد بن ابي وقاص الى رستم قائد جيش الفرس « ربعي بن عامر » :

(الله ابتعثنا ، والله جاء بنا ، لنخرج من شاء : من عبادة العباد .. الى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا .. الى سعتها ، ومن جور الاديان .. الى عدل الاسلام فأرسلنا بدينه الى خلقه ، لندعوهم اليه ..) (1) .

محمد ابراهيم بخات

---

(1) عبارة ربعي هذه رواها الطبري فى « ابتداء امر القادسية » من اخبار سنة 14 هـ أن ربعي بن عامر دخل على (رستم) قائد الفرس فى مجلسه فسأله : ما جاء بكم ؟! .. فقال : (الله ابتعثنا ..) عن كتاب (دولة الفكرة) لمحمد فتحي عثمان – صفحة : 95 .





للشاعر احمد بن أبي شعيب الدكالي

عواطف مخلص وشعور شاعر ... تحرك ذي القلوب وذي المشاعر
وتهتف في بني الاسلام طرا ... الا هبوا لارجاع المفاخر
كتابكم وينادي كل حين ... لتوحيد وتطهير السرائر
ويرشدنا لادراك المعالي ... وتمتين الاخوة والاواصر
ففيه صلاحنا دينا ودنيا ... وساد به الاوائل والاواخر

— ◆ —

رسول الله ارشد فاستنارت ... بنور وجوده كل البصائر
وحررنا وانقذنا فسدنا ... باخلاق وتحرير الضمائر

— ◆ —

رسول الله هاجر مع صحاب ... لنصرة ديننا فرآى البصائر
وآخى بين كل الصحب طرا ... فكلهم يناضل او يؤازر
وقد نصر الالاه رسول حق ... على جيش العدو وكل فاجر

— ◆ —

رسول الله جاهد مع رجال ... شدادا نجم اسد مغاور
وقد كانوا جنودا باعتزاز ... فكلهم يجاهد بل يغامر
وقد كانوا اسودا في جهاد ... اذا رفعوا السيوف على المكابر

ففي بدر اصاب الشرك ذل | قد انهزم الاصاغر والاكابر
وكان الشرك والاجرام وحشا | يهاجم من رآه بدون زاجر
وان رسالة الاسلام قامت | لنصرة حقنا والحق باهر
وكل الصحب قد ابلوا بلاء | لنصرتها وما تركوا الاوامر
وعشنا سادة في ظل دين | وصفا ان اراد المكر ماكر
وكان النصر يسعدنا وكنا | اباة في المعامع والمنابر
الى ان صار ينهبنا عدو | ويبدي غدره والغدر سافر
ويحتل البلاد بدون حق | وينتهك المحارم والشعائر

— ◆ —

رسول الله نادى ان تهبوا | لاخذ حقوقكم من كل غادر
فان الكفر مبداه قضاء | على الاسلام في دنيا المناكر
فسيروا باعتزاز واتحاد | لمحو العار او درا المخاطر
وكونوا اخوة في ظل حق | واعوانا لتخليد المآثر
وجدوا في المساعي والمعالي | لنصرة دينكم فالله ناصر

— ◆ —

وان لساننا اقوى لسان | وافضل مبتغى بين الذخائر
الا صونوا لسان العرب حتما | وشدوا ازره فبه نفاخر
لسان الدين والاسلام حتم | علينا ان نكون له المؤازر
فكونوا قوة في حفظ نطق | ولا تدعوا اللسان لكل ناكر

— ◆ —

فلسطين تنادي ان هلموا | اهل فيكم عطوف او مناصر ؟
وان المسجد الاقصى غريب | عن الاسلام في عصر المجازر
الا هبوا لنصرته فانتم | حماة الدين ان النصر ظاهر
سنرفع راية للحق حتى | نحرر امة من غزو كافر
بعدل الله والاخلاص نسمو | ونرقى العز والطغيان عابر
سبيل المجد لا نرضى سواه | وامتنا تعيش حياة ظافر

الرباط : احمد بن ابن شعيب الدكالي



الدين الحق

في الرد على كتاب "بيان الحق"

للأستاذ:
توفيق علي وهبة

– 2 –

الفصـــل الثالــث

الاقتباسات المدعى نقلها من انجيل يوحنا

اولا : فى سيرة المسيح :

1 – كلمـــة اللـــه

انجيل يوحنا	القـــرآن
فى البدء كـان الكلمـة والكلمة عند الله وكـان الكلمة الله هـذا كان فى البـدء عنـد اللـه .. والكلمة صار جسدا . يو 1 : 1 ، 2 ، 14.	« انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته، القاها الى مريم وروح منه » . (النساء 170) .

هذا الذي فى الانجيل يوضح ان الكلمة هي اللـه وقد صارت الكلمة جسدا ، فالمسيح هو الله متجسد فى الانسان وتلك عقيدة النصارى .

اما الآية القرآنية فقد اقتطعها من سابقها ولاحقها فلو ذكر الآية صراحة لكانت خير رد عليه ونص الآية : « يا اهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق ، انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ، القاها الى مريم وروح منه ، فآمنوا بالله ورسوله ، ولا تقولوا ثلاثة ، انتهوا خيرا لكم ، انما الله اله واحد ، سبحانه أن يكون له ولد ، له ما فى السموات وما فى الارض ، وكفى بالله وكيلا » النساء 171 .

وهذه الآية تدعو النصارى الى ترك عقيدة التثليث والايمان بالله الواحد الاحد ولكن الكاتب اقتطف جزءا منها ليدلل بها على ما يريد ولكن الله رد قصده عليه . ونبين معنى (وكلمته ، القاها الى مريم وروح منه) .

يقول القرطبي رحمه الله :

قوله تعالى : « وكلمته، القاها الى مريم » اي هو مكون بكلمة « كن » فكان بشرا من غير اب والعرب تسمي الشيء باسم الشيء اذا كان صادرا عنه . وقيل « كلمته » بشارة الله تعالى مريم عليها السلام ورسالته اليها على لسان جبريل عليه السلام، وذلك قوله : اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه » وقيل : « الكلمة » هاهنا بمعنى الآية .

قال الله تعالى : « وصدقت بكلمات ربها » و « ما نفدت كلمات الله » ومعنى « القاها الى مريم » امر بها مريم .

قوله تعالى : « وروح منه » . هذا الذى اوقع النصارى فى الاضلال فقالوا عيسى جزء منه فجهلوا وضلوا ، وعنه أجوبة ثمانية : الاول . قال ابي بن كعب : خلق الله ارواح بني آدم لما اخذ عليهم الميثاق،

ثم ردها الى صلب آدم وامسك عنده روح عيسى عليه السلام فلهذا قال : « وروح منه » . وقيل هذه الاضافة للتفضيل وان كان جميع الارواح من خلقه وهذا كقوله « وطهر بيتي للطائفين » وقيل قد يسمى من تظهر منه الاشياء العجيبة روحا وتضاف الى الله تعالى فيقال : هذا روح من الله اي من خلقه ، كما يقال فى النعمة انها من الله وكان عيسى يبرىء الاكمه والابرص ويحيي الموتى فاستحق هذا الاسم . وقيل يسمى روحا بسبب نفخ جبريل عليه السلام ويسمى النفخ روحا . وقيل : « وروح منه » اي من خلقه . كما قال : « وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه » اي من خلقه ، ومنه قوله : « وايدهم بروح منه » اي برحمة . وقيل « وروح منه » وبرهان منه ، وكان عيسى عليه السلام برهانا وحجة على قومه .

2 ـ مسيح الله :

انا قد آمنت انك انت المسيح ابن الله الآتي الى العالم . يو 11 : 27 لاننا قد سمعنا ونعلم ان هذا هو بالحقيقة المسيح مخلص العالم . يو 4 : 43 .	واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه ، اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين . (آل عمران 45)

فى المقابلة بين كلمات الانجيل والآية القرآنية جهل فاضح من الكاتب لان الانجيل يصرح بأن المسيح ابن الله كما يدعون ، بينما الآية القرآنية تقرر انه « كلمة الله » وسبق توضيح ذلك فى الآية السابقة .

3 ـ روح الله :

فيه كانت الحياة والحياة نور الناس يو 1 : 4 الروح هو الذي يحيي ... الكلام الذى اكلمكم به هو روح وحياة . يو 6 : 63 .	« روح منه » النساء 170 « واحيي الموتى باذن الله » آل عمران 49 .

الذي يحيي الموتى فى نظر النصارى هو المسيح نفسه طبقا لاعتقادهم فى الوهيته بينما فى الاسلام فكما يصرح القرآن الكريم يحيي المسيح الموتى باذن الله وهي احدى معجزاته عليه السلام ، فالاحياء ليس بفعل المسيح ، وانما بأمر الله سبحانه وتعالى.

يقول ابن كثير فى تفسير الآية 49 من سورة آل عمران : قال كثير من العلماء : بعث الله كل نبي بمعجزة تناسب اهل زمانه فكان الغالب على زمان موسى عليه السلام السحر وتعظيم السحرة . فبعثه الله بمعجزة بهرت الابصار وحيرت كل سحار فلما استيقنوا انها من عند العظيم الجبار انقادوا للاسلام وصاروا من الابرار ، واما عيسى عليه السلام فبعث فى زمن الاطباء اصحاب علم الطبيعة فجاءهم من الآيات بما لا سبيل لاحد اليه الا ان يكون مؤيدا من الذى شرع الشريعة . فمن اين للطبيب قدرة على احياء الجماد او على مداواة الاكمه والابرص وبعث من هو فى قبره رهين الى يوم التناد ؟ وكذلك محمد صلى الله عليه وسلم بعثه فى زمن الفصحاء والبلغاء وتحارير الشعراء فأتاهم بكتاب من الله عز وجل لو اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثله او بعشر سور من مثله او بسورة من مثله لم يستطيعوا ابدا ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا وما ذلك الا لان كلام الرب لا يشبهه كلام الخلق ابدا .

4 ـ نور العلم :

كان النور الحقيقي الذى ينير كل انسان آتيا الى العالم . يو 1 : 9 انا هو نور العلم . من يتبعني فلا يمشي فى الظلمة . يو 8 : 12	وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور. المائدة 50

فى هذه المقابلة لم يكن الكاتب موفقا فالانجيل يقرر ان المسيح هو النور الذى ينير العالم وبه تهتدى الناس ، وليس لنا اعتراض على ذلك فالانبياء عليهم السلام هم حقيقة هدى للعالم ونور من الله سبحانه وتعالى ارسلهم لهداية البشر .

ولكن الاختلاف ان الآية القرآنية تقرر فى ان فى الانجيل هدى ونورا بما يحتويه من كلام الله سبحانه وتعالى واحكامه . فكلام الانجيل يختلف عن كلام القرآن حيث ان المقصود فى الاول هو المسيح بينما المقصود فى الثاني هو الانجيل نفسه.

5 ـ ابـراء الاكمـه :

اورد الكاتب قصة ابراء الاكمه فى الانجيل ثم يقابلها بقول الله سبحانه وتعالى : « وابريء الأكمه والأبرص » آل عمران 49 وقوله سبحانه : « وتبريء الاكمه والابرص باذني » ، المائدة 110 .

ولا خلاف فى ان من معجزات المسيح عليه السلام ابراء الاكمه والابرص باذن الله .

6 ـ اقامة الموتى :

كما اورد قصة اقامة المسيح لعازر كما يذكرها يوحنا وقابلها بقول الله سبحانه : « واذ تخرج الموتى باذن الله » آل عمران 49 .

وتلك ايضا من معجزات المسيح عليه السلام ولا خلاف عليها وليست مقتبسة هي وسابقتها من الانجيل كما يدعى ، وانما هي اخبار من الله سبحانه وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم بمعجزات المسيح عليه السلام .

7 ـ اعماله البينة :

« صدقوني اني فى الآب والآب في والا فصدقوني لسبب الاعمال نفسها » يو 14 : 11	« وآتينا عيسى ابن مريم البينات » البقرة 86 .

هنا الانجيل ينقل عن المسيح قوله انه هو والله متداخلين فى بعضهما واعماله تدل على ذلك ، وهذا بهتان وافك عظيم وادعاء على المسيح عليه السلام بما لم يقل حيث سيكذب ذلك بنفسه امام الله سبحانه وتعالى يوم القيامة حيث يحاسبهم عما حرفوه وغيروه فى ديانة المسيح عليه السلام .

اما الآية القرآنية فتبين ان الله سبحانه وتعالى ايد المسيح بالمعجزات حتى يؤمن قومه برسالته . وليس هناك اي تقابل بين النصين .

8 ـ كرازة يوحنا المعمدان به :

« كان انسان مرسل من الله اسمه يوحنا هذا جاء للشهادة ليشهد للنور .. قلت لست انا المسيح بل اني مرسل امامه » . يو 1 : 6، 7، 3 : 28	« فنادته الملائكة وهو قائم يصلي فى المحراب ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين » . آل عمران 39 .

يقول الامام الاكبر الشيخ محمود شلتوت رحمه الله فى تفسير هذه الآية وما جاء عن معجزات المسيح فى سورة آل عمران : « وقد خصصت السورة جماعة من المسرفين فى شأن عيسى ، الزاعمين له ما ليس له من الوهية أو بنوة حلول ، فذكرت ان عيسى لم يكن الا من آل عمران الذين اصطفاهم الله بين من اصطفى وان ولادته لم تكن الا تنفيذا لارادة الله الذي يصور الناس فى الارحام كيف يشاء والذي له سنن عرف منها ما عرف وجهل منها ما جهل والذي اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون شأنه فى خلق السموات والارض عامة ، وفى خلق آدم وفى خلق يحيى بن زكرياء خاصة « وهو الذى خلق السموات والارض بالحق، ويوم يقول كن ، فيكون » ، « ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم ، خلقه من تراب ثم قال له كن ، فيكون » ، « فنادته الملائكة وهو قائم يصلي فى المحراب ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين ، قال رب انى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامراتي عاقر ؛ قال كذلك ، الله يفعل ما يشاء » .

هذا الذى ذكره الله فى شأن خلق السموات والارض ، وخلق آدم ويحيى ، هو عين ما ذكره فى شأن خلق عيسى . وجدت السموات والارض انشاء وابداعا ، ووجد آدم من غير اب وام ، ووجد يحيى على كبر من ابيه وياس من امه ، وبشرت الملائكة زكرياء بيحيى ، وتعجب زكرياء من هذه البشارة مع حالته ، فرد الله الى مشيئته « كذلك يفعل الله ما يشاء » وهكذا كان شأن عيسى وجد من غير اب بمشيئة الله ، وبشرت الملائكة به بأمر الله ؛ وعجبت مريم لهذه البشارة « قالت رب انى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر ؟ » فردها الله الى مشيئته

« قال كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون ».

9 ـ اعتماده وحلول الروح القدس عليه

اتى الكاتب بالنص التالي ليوحنا قائلا اني قد رايت الروح نازلا مثل حمامة من السماء فاستقر عليه » وقابله الله سبحانه « اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك اذ ايدتك بالروح القدس » والروح القدس هو جبريل امين الوحي عليه السلام نزل على المسيح ـ كما نزل على سائر الانبياء ـ ليثبته ويؤيده بكلام الله ، ولا ينكر احد نزول جبريل على جميع الانبياء ومنهم المسيح عليه السلام .

10 ـ اتيانه ببشارة النعمة

« الناموس بموسى اعطى ، اما النعمة والحق فبيسوع صارا » يو 1 : 17 .	« وآتيناه الانجيل في قلوب الذين اتبعوه رافة ورحمة » الحديد 27 .

الكاتب هنا تمشيا مع نهجه الذى سار عليه يقتطف جزءا من الآية ليدلل بها على ما يريد ولكنه اخطأ الاختيار فبطلت المقابلة التى يوهم القاريء بها فليس هناك علاقة بين كلام يوحنا والآية القرآنية . ولنكمل له الآية حتى يستقيم معناها . يقول الله سبحانه وتعالى :

« ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الانجيل وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رحمة ورافة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله ، فما رعوها حق رعايتها، فآتينا الذين آمنوا منهم اجرهم ، وكثير منهم فاسقون » .

ومعنى هذه الآية ان الله سبحانه وتعالى ارسل رسله بعد نوح وابراهيم عليهما السلام رسولا بعد رسول ثم اتبعهم بعيسى ابن مريم عليه السلام واوحى اليه الانجيل واودع فى قلوب حوارييه والمتبعين له شفقة شديدة ورقة وعطفا على بعضهم ؛ ولقد ابتدع اتباع المسيح بعد ذلك رهبانية زيادة فى التعبد ، ولم يكتبها الله عليهم ولكنهم التزموها ابتغاء رضوان الله فما حافظوا عليها حق المحافظة لان الكثيرين منهم ارادوا من هذه الرهبانية ان تكون طريقا لهم الى الرياسة والوصول واكل اموال الناس بالباطل كما يقول الله سبحانه وتعالى « يا ايها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله » .

وهكذا يبدو انه لا علاقة بين النصين المشار اليهما لا فى المعنى ولا فى الالفاظ بل ان الآية التى يستشهد بها الكاتب تدين كثيرا من مدعي الرهبانية والتدين بينما هم فى الحقيقة فاسقون وخارجون عن الدين المسيحي .

11 ـ اتخاذه تلاميذ وهم رسله الحواريون :

« واما الروح المعزى الروح القدس الذى سيرسله الآب باسمي فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم ما قلته لكم ». يو 14 : 26 . « انتم تؤمنون بالله فآمنوا بي » . يو 14 : 1 « ونحن قد آمنا وعرفنا انك المسيح ابن الله الحي » . يو 6 : 69 « لان الكلام الذى اعطيتني قد اعطيتهم وهم قبلوا واعلموا يقينا اني خرجت من عندك وآمنوا انك انت ارسلتني » يو 17 : 18 .	« واذ اوحيت الى الحواريين ان آمنوا بي وبرسولي ، قالوا آمنا » المائدة 111

النص الاول من كلام يوحنا على لسان المسيح يبشر برسول يأتي بعد المسيح عليه السلام وهذا الرسول هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، ويستفاد ذلك من قوله :

« واما الروح المعزى » فالروح المعزى الذى يرسله الله بعد المسيح هو الرسول العربي عليه الصلاة والسلام .

اما النص الثاني فيطلب المسيح من اتباعه ان يؤمنوا انه رسول الله ، كما آمنوا بالله سبحانه وتعالى وانه اله واحد .

والنص الثالث كفر صريح لانه يقول : قد آمنا وعرفنا انك المسيح ابن الله الحي » .

حاشا لله سبحانه ان يكون له ولد وتعالى عن ذلك علوا كبيرا وصدق سبحانه اذ يقول : « قل هو الله احد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفؤا احد » .

كيف يريد الكاتب أن يقول ان القرآن يقرر ان المسيح ابن الله كما يدعي مؤلفو الانجيل لقد كذب واكبر الفرية لانه يدعي على الله ما لم يقل ..

وفى النص الاخير يقرر السيد المسيح انه بلغ رسالة ربه الى قومه كما اوحى بها الله سبحانه وتعالى اليه .

اما الآية القرآنية فمعناها ان الله سبحانه وتعالى يقول لنبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ان يذكر لامته ما حدث ان الهم الله جماعة من دعاهم عيسى عليه السلام الى الايمان بالله وانه رسول الله اليهم فاستجابوا له وصاروا من خاصة اصحابه ومن اتباعه المخلصين .

12 ـ حفظ المسيح لهم :

« وحين كنت معهم فى العالم كنت احفظهم فى اسمك الذين اعطيتني حفظتهم ولم يهلك منهم احد الا ابن الهلاك ليتم الكتاب . يو 17 : 12	« وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم » . المائدة 117

13 ـ حفظ الآب لهم :

« ولست انا بعد فى العالم واما هؤلاء فهم فى العالم وانا آتي اليك . ايها الآب القدوس احفظهم فى اسمك الذى اعطيتني ليكونوا واحدا كما نحن» يو 17 : 11 « لست اسأل ان تأخذهم من العالم بل ان تحفظهم من الشرير » يو 17 : 15	« فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم وانت على كل شيء شهيد » . المائدة 117 .

هذه المقابلة التى عقدها الكاتب للنصين فى البندين 12 ، 13 لا تؤيد رايه فى ان القرآن اقتبس هذا القول من الانجيل لان المعنى مختلف تماما . فاذا كان الكاتب يشك فى ذلك فسوف اورد فيما يلي نص الآيتين 116 ، 117 وارجو ان يقراهما الكاتب بعناية وروية فان آمن بانها مقتبسة من الانجيل فمرحبا بذلك ، وليؤمن هو وبني دينه بها لاقتباسها من كتابهم كما يدعي .

يقول الله سبحانه وتعالى : « واذ قال الله يا عيسى ابن مريم انت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله ، قال سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق، ان كنت قلته فقد علمته ، تعلم ما فى نفسي ولا اعلم ما فى نفسك ، انك انت علام الغيوب ، ما قلت لهم الا ما امرتني به ان اعبدوا الله ربي وربكم ، وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم ، فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم ، وانت على كل شيء شهيد » .

ومعنى هاتين الآيتين ان الله سبحانه وتعالى سيقول للسيد المسيح يوم القيامة :

انت الذى قلت لهم اجعلوني وامي الهين ، تاركين افراد الله بالعبودية ؟ يقول عيسى ردا على ذلك : أنزهك تنزيها تاما عن ان يكون لك شريك. ولا يصح لي ان اطلب طلبا ليس لي ادنى حق فيه . لو كنت قلت ذلك لعلمته ، لانك تعلم خفايا نفسي ، فضلا عن ظاهر قولي ، ولا اعلم ما تخفيه عني ، انك وحدك صاحب العلم المحيط بكل خفي وغائب . ما قلت لهم الا ما امرتني بتبليغه لهم . قلت لهم : اعبدوا الله وحده ، فانه مالك امري وامركم وكنت اعلم حالهم وانا موجود بينهم ، فلما انتهى اجل اقامتي الذي قدرته بينهم كنت انت وحدك المطلع عليهم وانت مطلع على كل شيء .

هذا هو النص القرآني الذى اراد مقابلته بنص الانجيل فهل يؤمن السيد الكاتب بذلك حقا ، ارجو ان يكون كذلك .

14 ـ مدينة الناصرة والنصارى :

« وجدنا الذى كتب عنه موسى فى الناموس والانبياء يسوع ابن يوسف الذى من الناصرة. فقال له فليس امن الناصرة يمكن ان يكون شيء صالح » يو 1 : 45 ، 46 . « يسوع الناصري ملك اليهود » . يو 19 : 19 .	« وقالت النصارى المسيح ابن الله » التوبة 30 « ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى » . المائدة 83 .

يقول الله سبحانه وتعالى : « قالت اليهود عزير ابن الله ، وقالت النصارى المسيح ابن الله ، ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل، قاتلهم الله، انى يؤفكون، اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم ، وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا ، لا اله الا هو ، سبحانه وتعالى عما يشركون ، يريدون ان يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون » .

فى النصين اللذين اوردهما الكاتب تناقضا تاما نعبارة يوحنا انهم قالوا ان المسيح ابن يوسف اما النص القرآني فيقرر ان النصارى يقولون ان المسيح ابن الله ولا أدري اين الاقتباس الذى رآه المؤلف بين هذين النصين ؟ « يريدون ان يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون » .

اما الآية التى ذكرها من سورة المائدة فنصها : «لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا، ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ، ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون ، واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين » .

فالنصارى المذكورون بالآية هم الذين وجدوا ايام الرسول صلى الله عليه وسلم وكان رهبانهم وقسيسوهم يأمرونهم بمعاملة الناس بالمودة والرحمة وعندما جاء الرسول عليه الصلاة والسلام الى قومه برسالة الاسلام كان من الذين آمنوا به هؤلاء النصارى لعلمهم بصدق رسالته. وصدق الله سبحانه وتعالى اذ يقول : « واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين » .

15 ـ رفضه من اليهود :

« الى خاصته جاء وخاصته لم تقبله » . يو 1 : 11	« وآتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه بروح القدس افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون » . البقرة 87 .

وهنا يبين الله سبحانه وتعالى فى هذه الآية ان بني اسرائيل كعادتهم مع الانبياء الذين ارسلوا اليهم لم يؤمنوا بهم بل قتلوا بعضهم وكذبوا البعض الآخر ، وقد ارسل الله سبحانه وتعالى اليهم عيسى ابن مريم مؤيدا بالمعجزات وبجبريل عليه السلام حتى يستطيع اقناع اليهود بصدق دعوته ورسالته .

16 ـ قساوة اليهود :

قد اعمى عيونهم واغلظ قلوبهم لئلا يبصروا بعيونهم ويشعروا بقلوبهم ويرجعوا فأشفيهم » . يو 12 : 14	« ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم » . البقرة 8

فى الآية القرآنية يصف الله الكافرين كما وصفهم فى كثير من الآيات القرآنية وقد كانت هذه الصفات التى اكتسبوها لانفسهم بمحض اختيارهم وبحكم اندفاعهم فى اهواء البيئات الفاسدة وقصر عقولهم على محاتهم اساسا لهذا المصير الذى صورته تلك الآيات وصورت فيه انسداد مسالك الفهم والادراك بالختم على القلوب (1) .

(1) تفسير القرآن الكريم للامام الشيخ محمود شلتوت ص 67 .

17 ـ كف الأذى عنه :

« فطلبوا ان يمسكوه ولم يلق احد يدا عليه لان ساعته لم تكن قد جاءت بعد » . يو 7 : 30 « وكان قوم منهم يريدون ان يمسكوه ولكن لم يلق احد عليه الايادي » . يو 7 : 44 « فرفعوا حجارة ليرجموه اما يسوع فاختفى وخرج من الهيكل مجتازا فى وسطهم ومضى هكذا ». يو 8 : 59 . « فطلبوا ان يمسكوه فخرج من ايديهم » . يو 10 : 29 .	« واذ كففت بني اسرائيل عنك اذ جئتهم بالبينات» المائدة 110 .

توضح النصوص الخاصة بالانجيل مطاردة اليهود للمسيح عليه السلام ومحاولة القبض عليه وايذائه ، وليست الآية القرآنية من هذا القبيل ، وانما هي على عكس ما يعتقد السيد الكاتب بل على عكس ما جاء بالانجيل من صلب المسيح عليه السلام. فالنص المذكور من القرآن جزء من الآية 110 من سورة المائدة التى تبين معجزات السيد المسيح عليه السلام ومنها كف الله بني اسرائيل عنه اي منعهم من صلبه او قتله ... وبذلك يكون معنى « واذ كففت بني اسرائيل عنك اذ جئتهم بالبينات » انني حفظتك منهم فلم يستطيعوا قتلك او صلبك عندما اتيتهم بالمعجزات فلم يصدقوك واعتبروها سحر واضح ...

18 ـ اختلاف الآراء فيه :

« بعضهم يقولون انه صالح وآخرون يقولون بل يضل الشعب » . يو 7 : 12	« فمنهم من آمن ومنهم من كفر » . البقرة 253

النص الانجيلي خاص براي الناس فى السيد المسيح عليه السلام بعضهم يرى انه صالح وبعضهم يرى انه مضل . اما النص القرآني فجزء من الآية التى توضح بعضا من الرسالات السابقة ومعجزات الرسل، ولقد اختلف الناس بعد ان جاءهم الرسل بالمعجزات فمنهم من آمن بهم وبرسالاتهم ومنهم من بقي على عناده وكفره .

19 ـ اتهامه بالشعوذة :

« فاجاب اليهود وقالوا له السنا نقول حسنا انك سامري وبك شيطان » يو 8 : 48	« فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين » المائدة 110

النص الانجيلي يبين أن اليهود اعتقدوا ان بالمسيح مس من الشيطان وانه غير سليم العقل لان الشيطان يلتبس به . اما النص القرآني فيقرر ان الذين كفروا قالوا ان المعجزات التى اتى بها السيد المسيح ليست الا سحرا . فالمعنيان مختلفان حيث ان هناك فرقا بين مس الشيطان والسحر .

20 ـ بره لوالدته :

« فلما راى يسوع امه والتلميذ الذى كان يحد واقفا قال لامه يا امراة هو ذا ابنك . ثم قال للتلميذ هو ذا امك. ومن تلك الساعة اخذها التلميذ الى خاصته » يو 19 : 26 ، 27	« وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا » . مريم 32 .

فى النص القرآني اعجاز بياني فقد وصف الله سبحانه وتعالى موقف السيد المسيح من والدته على لسان المسيح نفسه حيث يقول « وبرا بوالدتي » اما نص يوحنا فهو نص لا يدعو الى اي احترام ... لا احترام النص نفسه ، ولا احترام المسيح لامه :

اولا : لا نحترم النص لانه اورد ان السيد المسيح يقول لامه يا امراة ، وانا نربأ برسول الله الذى اكرمه وخلقه آية للناس بدون اب ان ينادي امه «يا امراة»، ولذا فاني اعتبر هذا النص غير جدير بالاحترام .

ثانيا : ان نسبة هذا الكلام للسيد المسيح ـ وهو بريء منه ـ يوحي انه لم يكن يحترم امه العذراء التى اكرمها الله ووصفها باحسن وصف فيقول لها يا امراة .

وشتان بين كلام يوحنا وروعة النص القرآني المعجز « وبرا بوالدتي »

21 ـ موته :

« ولما اخذ يسوع الخل قال قد اكمل ونكس راسه واسلم الروح » .	« وكنت الرقيب عليهم ما دمت فيهم ، فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم »
يو 19 : 30	المائدة 117

يتحدث يوحنا عن صلب المسيح حيث نكس راسه على الصليب واسلم الروح وذلك تاكيد لعقيدة النصارى فى صلب السيد المسيح عليه السلام . اما الآية القرآنية فتؤيد ما قرره القرآن فى اكثر من مرة من ان السيد المسيح لم يصلب وانما رفعه الله اليه فمعنى توفيتني اي رفعتني الى السماء . والوفاة فى كتاب الله عز وجل ثلاثة اوجه : وفاة الموت ، وذلك قوله تعالى : « الله يتوفى الانفس حين موتها » يعني وقت انقضاء اجلها . ووفاة النوم ، قال الله تعالى : « وهو الذى يتوفاكم بالليل » يعني الذي ينيمكم . ووفاة الرفع قال الله تعالى : « ياعيسى اني متوفيك » اي رافعك (راجع تفسير القرطبي).

وعلى هذا يكون النصان مختلفان تمام الاختلاف ... الاول يؤيد صلب المسيح وموته ، والثاني ينكر صلب المسيح ويؤيد رفعه . وهذا اكرم للمسيح عليه السلام واشرف حيث حفظه الله ونجاه من اعدائه ...

22 ـ قيامته :

« ظهر يسوع لتلاميذه بعد ما قام من الاموات»	« والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا » .
يو 21 : 14 .	مريم 32 .

الغريب فى اعتقاد النصارى فى صلب المسيح وقيامه من الاموات ان احدا من اتباعه او تلاميذه لم يشهد عملية الصلب ولا يستطيع منصف ان يجزم بصلب السيد المسيح . والنص المشار اليه بالفقرة السابقة يدل على ان المسيح قام بعد ان صلب ودفن وتقابل مع تلاميذه وانما نرى ان هذا لا يدل على انه مات وانما يدل دلالة قاطعة على ان المصلوب شخص آخر خلاف المسيح والدليل هو ظهوره عليه السلام بعد ذلك وهي الواقعة المشار اليها .

اما المقصود من قول القرآن الكريم : « ويوم ابعث حيا » اي يوم القيامة عندما يقوم الناس لرب العالمين ، وليس المقصود كما يدعي الكاتب القيامة بعد الصلب ، لان القرآن لايعترف بواقعة الصلب كما اسلفنا .

23 ـ ارتفاعه الى السماء :

« اني اصعد الى ابي »	« واذ قال الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك الي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة » .
يو 20 : 17	آل عمران 55

اذا كان يوحنا يؤمن بصعود المسيح الى السماء فيجب الا يؤمن بالصلب وهذا النص صريح « اني اصعد الى ابي » اي انه لم يصلب وانما رفعه الله وهذا يؤيد راي القرآن الكريم فى عدم صلبه ... اما قول القرآن « اني متوفيك ورافعك الي ومطهرك من الذين كفروا » الذين ارادوا قتلك فرفعتك الي ولم امكنهم منك ومتوفيك بعد ان تنزل من السماء.

يقول الحسن وابن جريج معنى متوفيك قابضك ورافعك الى السماء من غير موت .

24 ـ علم الساعة :

« تأتي ساعة فيها يسمع جميع الذين في القبور صوته فيخرج الذين فعلوا الصالحات الى قيامة الحياة والذين فعلوا السيئات الى قيامة الدينونة »	« وانه لعلم للساعة فلا تمترن بها » . الزخرف 85 . « وان الساعة آتية لا ريب فيها ، وان الله يبعث من في القبور » الحج 7

يؤمن المسلمون كما يؤمن المسيحيون بان لهذا العالم نهاية وان الناس جميعا سيموتون ثم يقومون في يوم القيامة حيث ينال كل جزاءه ان خيرا فخير وان شرا فشر . وهذا ما جاء بـه كل الانبياء والرسل منذ نشأة آدم عليه السلام حتى بعثة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

ولكن هناك خلاف بين ما يذكره القرآن عن يوم القيامة وحكم الله سبحانه وتعالى بين البشر وما يذكره الانجيل من ان المسيح هو الذي سيحكم بين الناس ، سبحان الله وتعالى عن ذلك علوا كبيرا فما المسيح الا عبد من عباد الله المقربين وليس له الحكم لانه ليس باله ولا ابن اله كما يدعون ..!!

25 ـ حكمه يوم القيامة :

« ومن رذلني ولم يقبل كلامي فله من يدينه الكلام الذي تكلمت به هو يدينه في اليوم الاخير » يو 12 : 48	« ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا » النساء 158

ومعنى ذلك ان من لا يؤمن من بني اسرائيل بدعوة المسيح ولم يقبل الانضمام الى دينه سوف يحاسب يوم القيامة على ذلك .

اما النص القرآني فيقرر ان السيد المسيح سوف يأتي يوم القيامة ليشهد على قومه وانه بلغ لهم رسالة ربه وانه عبد الله ورسوله ، ثم يبين ما فعلوه به وما بدلوا من دينه من بعده والآية المذكورة تقع بعد الآية التي سترد في الفقرة التالية وهي جزء من الآية 159 من سورة النساء .

26 ـ وجوب الايمان به قبل الموت :

« الذي يؤمن بالابن له حياة أبدية . والذي لا يؤمن بالابن لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله » . يو 6 : 36	« وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته » النساء 159

يصور الانجيل المسيح بالابن كعادته باعتباره ابن الله ، أما الآية القرآنية فمعناها ان أهل الكتاب سوف يدركون حقيقة عيسى قبل موته وانه عبد الله ورسوله ، ويؤمنون به ايمانا لا ينفعهم لانه جاء بعد فوات الأوان .

27 ـ يعمد المؤمنين به :

« الذي أرسلني لاعمد بالماء ذاك قال لي الذي ترى الروح نازلا ومستقرا عليه هو الذي يعمد بالروح القدس » . يو 1 : 33	« صبغة الله ، ومن احسن من الله صبغة » البقرة 138 .

لا يوجد اي تقابل بين النصين لا في المعنى ولا في الالفاظ فمعنى النص الانجيلي ان المسيح يعمد بالماء من يرشده اليه الروح القدس وهو جبريل فيكون قد دخل في الديانة المسيحية حقيقة ووجب تعميده.

اما النص القرآني فقد جاء بعد قوله تعالى : « فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وان تولوا فانما هم في شقاق، فسيكفيكهم الله ، وهو السميع العليم ، صبغة الله ، ومن احسن من الله صبغة ، ونحن له عابدون » .

ومعنى الآية الاخيرة قولوا لهم : ان الله قد هدانا بهدايته وارشدنا الى حجته ومن احسن من الله هداية وحجة . واننا لا نخضع الا لله ولا نتبع الا

ما هدانا وارشدنا اليه . (راجع المنتخب فى تفسير القرآن الكريم) .

28 ـ حياة المؤمن بعد الاستشهاد :

« من يحب نفسه يهلكها، ومن يبغض نفسه فى هذا العالم يحفظها الى حياة ابدية » . يو 12 : 25	« ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا ، بل احياء ، عند ربهم يرزقون » آل عمران 170

ولا ادري كيف يعتقد المؤلف ان هناك اقتباسا من نص يوحنا فالنصان كما هو واضح جد مختلفان : الاول يدعو الى احتقار النفس وعدم الاسترسال فى الملذات حتى ينال الانسان جزاء حسنا فى الحياة الاخرى ، ولا دخل لها بالاستشهاد .

اما الآية القرآنية فتعني ان الذين استشهدوا فى سبيل الله ليسوا امواتا مثل من يموتون من سائر الناس بل هم يحيون حياة خاصة بهم عند ربهم ارواحهم فى حواصل طيور خضر يسرحون فى الجنة حيث شاءوا .

29 ـ آية المائدة :

« الحق الحق اقول لكم انتم تطلبونني ليس لانكم رايتم آيات ، بل لانكم اكلتم الخبز فشبعتم اعملوا لا للطعام البائد بل للطعام الباقي للحياة الابدية » يو 6 : 26 و 27 « انا هو الخبز الذى نزل من السماء . ان كل احد من هذا الخبز يحيا الى الابد . والخبز الذي انا اعطي هو جسدي الذي ابذله من اجل العالم » . يو 6 : 51	« قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لاولنا وآخرنا وآية منك ، وارزقنا ، وانت خير الرازقين » . المائدة 114

لقد طلب الحواريون من المسيح عليه السلام ان يطلب من الله ان ينزل عليهم مائدة من الطعام فيأكلوا منها ، وتكون هذه المائدة معجزة للسيد المسيح وبرهانا على صدق دعوته .

وفى نص يوحنا توبيخ من المسيح لاتباعه واتهامهم بأنهم يتبعونه من اجل الطعام وليس من اجل المعجزة التى اتى لهم بها .

وفى النص الثاني من الانجيل ايضا يتحدث الكاتب على لسان السيد المسيح فيدعي انه سيقدم جسده فداء من اجل العالم . وعقيدة الفداء لدى النصارى تتلخص فى ان بني آدم يتحملون ذنوب آدم عليه السلام منذ ان خالف أمر ربه واكل من الشجرة فطرده الله من الجنة وارسل الله ابنه الحبيب ـ كما يعتقدون ـ ليصلب على الصليب فداء للعالم وليتحمل عنهم ذنوب آدم ابو البشر .

وهذا القول ليس له اساس من الصحة لان الله سبحانه وتعالى لا يمكن ان يحمل انسانا وزر آخر ، فاذا اخطأ آدم فلا ذنب لابنائه حتى يتحملوا اخطاءه يقول سبحانه : « ولا تزر وازرة وزر اخرى » ويقول: « وان لكل انسان ما سعى، وان سعيه سوف يرى » ولقد اوضح الله سبحانه وتعالى ان آدم عليه السلام استغفر الله لذنبه فتاب الله عليه ، وبذلك تنهدم حجة القائلين بالفداء ، لان الله سبحانه وتعالى غفر لآدم ولم يتحمل احد من بعده أوزاره .

واذا كان لا يجوز فى دنيانا هذه ان يتحمل احد وزر آخر فكيف يقال بذلك بالنسبة لاعدل العادلين سبحان الله وتعالى عن ذلك علوا كبيرا .

اما فى تفسير النص القرآني فيقول الامام الرازي فى تفسيره الكبير : « لما سأل الحواريون المائدة ذكروا فى طلبها اغراضا ، فقدموا الاكل فقالوا نريد ان نأكل منها واخروا الاغراض الدينية الروحانية، فأما عيسى فانه لما طلب المائدة وذكر اغراضه نبها قدم الاغراض الدينية بعد ان توجه بالخطاب الى الله بوصف الربوبية بالاضافة الى ضمير المتكلم وفيه التمهيد بحاجة المربوبية الى غنى الربوبية ، فقال : « تكون لنا عيدا لاولنا وآخرنا وآية منك » واخر غرض الاكل حيث قال : « وارزقنا » وعند هذا يلوح لك مراتب درجات الارواح فى كون بعضها روحانية وبعضها جسمانية ثم ان عيسى عليه السلام لشدة صفاء دينه واشراق روحه لما ذكر الرزق بقوله :

« وارزقنا » لم يقف عليه بل انتقل من الرزق الى الرزاق فقال : « وانت خير الرازقين » فقوله : « ربنا » ابتداء منه بذكر الحق سبحانه ، « انزل علينا » انتقال من الذات الى الصفات . وقوله « تكون لنا عيدا لاولنا وآخرنا » اشارة الى ابتهاج الروح بالنعمة لا من حيث انها نعمة بل من حيث انها صادرة عن المنعم ، وقوله : « وارزقنا » اشارة الى حصة النفس . قال الرازي : فانظر كيف ابتدا بالاشرف فالاشرف نازلا الى الادنى . ثم قال : « وانت خير الرازقين » وهو عروج مرة اخرى من الخلق الى الخالق ، من غير الله الى الله ، ومن الاخس الى الاشرف ، وعند ذلك تلوح لك شمة من كيفية عروج الارواح المشرقة النورانية الالهية ، ونزولها وهذا سبح لا يحد شاطئه . تسبح فى اجوائه وآفاقه الارواح الصافية ، والقلوب المتعلقة بحضرة مالك القلوب ، وليس ذلك مما لا يمكن تحديده بالعبارات ولا رسمه بالكلام وانما هو ايمان وذوق ، فآمن وتأمل وتنقل فى درجات الايمان ومراتب التعلق تحظ بادراك الخير كله وتملك قلبك عز المعرفة وسمو الجلال .

30 ــ الحرمان لمن يموت وهو خاطيء :

« قال لهم يسوع ايضا انا امضي وستطلبونني وتموتون فى خطئكم . حيث امضي انا لا تقدرون انتم ان تاتوا » يو 8 : 21	« ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار اولئك عليهم لعنة الله » . البقرة 162 .

معنى نص يوحنا ان المسيح يقول لقومه ان من لم يتبعه وهو موجود بينهم فلن يستطيع اتباعه بعد موته ، وهذا غير صحيح لان باب الايمان مفتوح دائما فما دام الانسان حيا يستطيع ان يترك الكفر الى الايمان ، أما اذا مات فيكون قد مات على الكفر وعندئذ لا يمكنه اتباع الدين الصحيح .

انني اتوجه بالدعوة الى الكاتب وامثاله ان يبحثوا عن الدين الحق ويعتنقوا دين الاسلام قبل ان يفوت الاوان ويأتيه الموت فلا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا .

ان الآية القرآنية نزلت فى اهل الكتاب الذين يعرفون صدق الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يؤمنوا به واستمروا على كفرهم حتى ماتوا دون توبة ولا ندم فجزاؤهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ومأواهم جهنم وبئس المصير .

ثانيا : فى صفات الله تعالي

1 ــ غير منظور :

« الله لم يره احد قط » يو 1 : 18 .	« لا تدركه الابصار » الانعام 103 .

فى النص الانجيلي يبين يوحنا أن احدا لم ير الله ، ولقد اخبرنا عن نفسه بواسطة ابنه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، اما النص القرآني فمعناه ان الله سبحانه وتعالى منزه عن كل شيء فلا تبصره العيون ولا تدرك كنهه الافئدة ...

2 ــ يريد الله ان يعلن نفسه :

« الله لم يره احد قط . الابن الوحيد الذى هو فى حض الاب هو خبر » يو 1 : 18	« يريد الله ليبين لكم » النساء 25

سبق الكلام عن نص الانجيل ــ ولا يوافقه النص القرآني اذ معناه ان الله سبحانه وتعالى يوضح للناس اصلح السبل التى توصلهم الى طاعته ، ولا يؤدي معنى الآية بحال من الاحوال الى الاعلان عن ذات الله سبحانه وتعالى .

3 ــ كلامه حق :

اتي الكاتب بكلمتين من الانجيل وكلمتين من القرآن : الاولى « كلامك هو الحق » يو 17 : 17 والثانية : قوله الحق الانعام 74 .

ولا ينكر احد ان قول الله سبحانه وتعالى حق . فما أرسل به رسله من بينات ومعجزات وقرآن وكتب سماوية كل ذلك حق لا ريب فيه .

4 ـ وحدانيتــــه :

« انا والآب واحد » يو 10 : 30	« انما الله اله واحد » النساء 169

نص الانجيل يبين ان الله اثنين وليس واحدا هما المسيح والآب فكيف يكون الاثنين واحد ... لا يقول بذلك عاقل وحاشا لله ان يكون له شريك فى الملك سبحانه . « لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة ، وما من اله الا اله واحد ، وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم » المائدة 73 .

ان النص القرآني يقرر الحقيقة الازلية الابدية وهي وحدانية الله فلا اله سواه ، ولا معبود غيره سبحانه وتعالى : « قل هو الله احد، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفؤا احد ». « ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض ، سبحان الله عما يصفون » المؤمنون 91 .

5 ـ محبتــه للعالميــن :

« هكــذا احــب اللــه العالم » يو 3 : 26	« ولكن الله ذو فضل على العالمين » . البقــرة 251

لا يوافق النص القرآني نص يوحنا لان يوحنا يقول ان الله احب العالم اما نص القرآن فهو جزء من الآية 251 « ولولا دفاع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ، ولكن الله ذو فضل على العالمين ». ومعنى الآية الكريمة ان الله سبحانه وتعالى يسلط جنوده على الاشرار ليمنع فسادهم من الانتشار ويسلط الاشرار بعضهم على بعض ليخلص الناس منهم وتلك سنة الله لتعمير الارض ، فالله سبحانه وتعالى دائم الاحسان والفضل على عباده .

6 ـ عطيتــه محـدودة :

يقابل الكاتب بين قول يوحنا لانه ليس بكيل يعطي الله الروح والآية القرآنية « يرزق من يشاء بغير حساب » ولا ينكر احد ان الله يرزق من يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء ، ولكن الآية لا تتوافق مع كلام يوحنا لانه يقول بأن الروح هو الذي يعطى بلا مكيال والروح هو الاقنوم الثالث فى الثالوث المقدس (الآب والابن والروح القدس) وهذا الاعتقاد يخالف دعوة التوحيد التى جاء بها الاسلام كما سبق ان قلنا مرارا .

7 ـ يستجيــب الدعــاء :

« من يؤمن بي فالاعمال التى انا اعملها يعملها هو ايضا ويعمل اعظم منها لاني ماض الى ابي ومهما سالتم باسمي فذلك افعله » . يو 14 : 12 ، 13	« فاني قريب اجيب دعوة الداعي اذا دعان ، فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون » البقــرة 186 .

كلام يوحنا يدعي ان الدعاء يكون للمسيح لان من يسأله باسمه فيجيب سؤله ، وهذا غير صحيح لان الدعاء يكون لله سبحانه وتعالى كقول القرآن الكريم « فاني قريب ، اجيب دعوة الداعي اذا دعان ، فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون » فالنص الانجيلي غير صحيح لانه يجعل المسيح هو الله الذي يقبل الدعاء ...

8 ـ تــلاوة كتبــه :

« فتشوا الكتب لانكم تظنون ان لكم فيها حياة ابدية » . يو 5 : 39	« الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته اولئك يؤمنون به » . البقــرة 121

يدعو نص يوحنا الى قراءة الكتب المنزلة ، اما معنى النص القرآني فيخالف ذلك لانه يقرر ان فريقا من اهل الكتاب من اليهود والنصارى تفقهوا فى كتبهم الاصلية وعرفوا مادخل اليها من تحريف وتزييف وهؤلاء قد آمنوا بالقرآن لعلمهم ان الرسالة الاسلامية هي خاتمة الرسالات ونص الآية : « الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته اولئك يؤمنون به ، ومن يكفر به فاولئك هم الخاسرون » . أي أن الذين يتلون الكتاب حق التلاوة يؤمنون بالقرآن ومن يكفر بالقرآن فاولئك هم الخاسرون .

9 ـ عبادته فى كل مكان :

« آباؤنا سجدوا فى هذا الجبل وانتم تقولون ان اورشليم الموضع الذى ينبغي ان يسجد فيه . قال لها يسوع يا امرأة صدقيني انه تأتي ساعة لا فى هذا الجبل ولا فى أورشليم تسجدون للرب ... الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي ان يسجدوا » . يو 4 : 20 ، 24	« ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات ، اينما تكونوا يأت بكم الله جميعا » . البقرة 149 .

معنى نص الانجيل ان عبادة الله تكون فى كل مكان كما عنون الكاتب للمقارنة اما النص القرآني فخاص بموضوع تحويل القبلة من المسجد الاقصى الى المسجد الحرام ومعنى ولكل وجهة هو موليها اي لكل شريعة قبلة يتجه اليها فى عبادته وليس فى ذلك شيء من التفاضل وانما التفاضل فى فعل الطاعات وعمل الخيرات فارعوا الى فعل الخير واكثروا من الطاعة لان الله سيجمعكم يوم القيامة من اي مكان تكونون ثم يحاسبكم على اعمالكم .

فنص يوحنا يقرر عدم وجود قبلة وان الانسان يسجد لله فى اي اتجاه اما القرآن فيوضح ان للمسلمين قبلة كما ان لكل شريعة سابقة قبلة .

ونذكر للكاتب الآية مع سابقتها حتى ينتظم الموضوع فى تسلسل منطقي بدلا من اقتطاع الكلمات من مواضعها :

يقول الله سبحانه وتعالى : « ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك ، وما انت بتابع قبلتهم ، وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم انك اذا لمن الظالمين ، الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم ، وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون ، الحق من ربك ، فلا تكونن من الممترين ، ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات اين ما تكونوا يأت بكم الله جميعا ، ان الله على كل شيء قدير » . صدق الله العظيم .

10 ـ حبه المتبادل :

« الذى عنده وصاياي ويحفظها فهو الذى يحبني والذى يحبني يحبه ابي وانا احبه واظهر له ذاتي » . يو 14 : 21	« فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون » . البقرة 152 « فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه » المائدة 59

يقرر يوحنا على لسان المسيح ان من آمن بالرسالة وظل محافظا على ايمانه يحب المسيح ومن يحب المسيح يحبه ابوه (يعني الله تعالى سبحانه عن ذلك علوا كبيرا) ويحبه المسيح ايضا .

اما الآية القرآنية الاولى فمعناها اذكروني ايها المسلمون بالطاعة اذكركم بالثواب واشكروا لي نعمي عليكم ولا تكفروا بها وتعصوا ما امرتكم به ... وليس فى هذا المعنى ما يقابل معنى نص يوحنا .

والآية الثانية رقم 54 وليس 59 وننقل الآية كاملة ليبدو لنا معناها واضحا بلا عناء : « يا ايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله واسع عليم » .

وجاء فى المنتخب فى تفسير القرآن الكريم تفسيرا لهذه الآية : (يا ايها الذين آمنوا من يرجع منكم عن الايمان الى الكفر فلن يضروا الله بأي قدر من الضرر تعالى الله عن ذلك . فسوف يأتي الله بدلهم بقوم خير منهم يحبهم الله فيوفقهم للهدى والطاعة ، ويحبون الله فيطيعونه وفيهم تواضع ورحمة باخوانهم المؤمنين ، وفيهم شدة على اعدائهم الكافرين ، يجاهدون فى سبيل الله ولا يخشون فى الله لومة اي لائم . ذلك فضل الله يمنحه لمن يشاء ، ممن يوفقهم للخير والله كثير الفضل عليهم بمن يستحقونه) .

ثالثـا : فـي عالـم الغيـب

1 ـ اليـوم الاخيـر

« انا اعلم انه سيقوم فى القيامة فى اليوم الاخير» يو 11 : 24	« وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر » النســاء 37

الاديان جميعا تقرر قيام الناس يوم القيامة لينال كل جزاءه بما قدمت يداه ان خيرا فخير وان شرا فشر . وليس هناك خلاف فى ذلك بين جميع الاديان السماوية . ورقم الآية القرآنية 39 وليس 37 .

« وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليـوم الآخـر وانفقوا مما رزقهم الله ، وكان الله بهم عليما » .

2 ـ الدار الآخرة :

« لا تضطرب قلوبكم . انتم تؤمنون بالله فآمنوا بي فى بيت أبـي منـازل كثيرة » . يو 14 : 1 ، 2	« لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون » الانعـام 137

هذه المقابلة بين نص القـرآن والانجيـل مثـل سابقتها عن يوم القيامة ولكن يوحنا كدابه دائما فى تأليه المسيح واشراكه مع الله فى الثالوث لا ينسـى ان يذكر ببنوة عيسى لله حيث يقول (فى بيت أبي منازل كثيرة) تعالى الله عن ذلك . وسحقا للكاذبين الفجرة الذين يكذبون على الله وعلى الناس ...

3 ـ العـذاب الأبـدي :

« والذي لا يؤمن بالابن لن يرى حياة بل يمكـث عليه غضب الله » . يو 3 : 36	« خالدين فيها، لا يخفف عنهم العذاب » البقـرة 162

وكما هي عادة يوحنا فى الدعوة الى لاهـوت المسيح يقرر ان من لا يؤمن بالابـن يكـون معرضـا لغضب الله سبحانه وتعالى .

اما الآية القرآنية فسوف نذكر آيتيـن قبلهـا لنبين موضعها حيث انها خاصة بأهل الكتاب (ومنهم الكاتب) يعرفون صدق رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ويكتمون ذلك ويكذبونه فهؤلاء سيبقون خالدين فى النار لا يخفف عنهم العذاب . يقول الله سبحانه وتعالى :

« ان الذين يكتمون ما انزلنـا من البينـات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب اولئـك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون الا الذين تابوا واصلحوا وبينوا فاولئك اتوب عليهم وانا التواب الرحيم ، ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار اولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين خالديـن فيها ، لا يخفـف عنهم العذاب ولا هم ينظرون » . البقرة 159 ـ 162.

وآيات القرآن الكريم واضحة لا تحتاج الى تفسير او تأويل ، فهي كما قلنا خاصة بمن استمر على كفره من اهل الكتاب بعد معرفتهم الحقة بصدق نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

— * —

الفصـل الـرابـع

الاقتباسات المدعى ان القرآن اخذها من رؤيا يوحنا

يقول الكاتب : (ومما هو جدير بالذكر ان القرآن لم يقتبس من انجيل يوحنا فقط بل اقتبـس مـن نفس اقوال يوحنا فى سفر الرؤيا ، مما يلزم كل مسلم اعتبار يوحنا رسولا كريما واعتبار كل كتاباته رسالة سماوية) .

سبق ان قلنا ان انجيل يوحنا لم يثبت نسبته الى يوحنا الحواري وانما هو تصنيـف طـالب مـن مدرسة الاسكندرية ، وترفـض دائـرة المعـارف البريطانية التى يحررها اكثر من خمسمائة عالـم مسيحي ، ترفض اعتبار انجيل يوحنا كتابا مقدسـا وتقول انه كتاب مزور .

اما سفر الرؤيا ـ فكما سبق القول ايضا ـ لم يعترف به مجمع نيقية الذى عقد سنة 325 م وقرر لاهوت المسيح ووافق على اعتبار الاناجيـل الاربعـة كتبا مقدسة ورفض الاعتراف بالاناجيل الاخرى وحرم قراءتها .

ومن هذا يتضح ان سفر الرؤيا كان موضع شك لدى المجتمعين فى نيقية فأجمعوا على رفضه ولم يعترف به الا بعد ذلك . فكيف يدعي الكاتب ان القرآن اقتبس منه وهو يعلم ان قومه يشكون فى هذا السفر . بل ويشك الكثير من علماء المسيحية فى صحة الاناجيل المتداولة وينكرون الوهية المسيح عليه السلام .

تلك كلمة لا بد منها لتوضيح ان يوحنا لم يكن رسولا ، ولم يوح اليه ، بل هو تلميذ من تلاميذ المسيح ، ولم يثبت بطريق قاطع انه هو الذى كتب الانجيل او سفر يوحنا .

ونبدا فى تفنيد الاقوال التى يرى الكاتب انها مقتبسة من سفر الرؤيا :

1 ـ ابواب الرحمة :

« يفتح ولا احد يغلق ويغلق ولا احد يفتح » رؤ 3 : 7	« ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده » فاطر 2

كل الناس الذين يعبدون الله على اي دين سماوي لابد وان يعلموا أن الله سبحانه وتعالى اذا فتح للناس من باب رحمته فلا مانع لها ، وما يمنع منها فلا مطلق لها من بعده وان تقارب المعنى فى النصين فليس معنى ذلك ان الثانية مقتبسة من الاولى ، لان النصين يقرران حقيقة ثابتة لا يجوز لاحد أن يماري فيها فاذا حدث اختلاف يكون المخالف لها على غير حق . كما اختلف الانجيل فى شخصية المسيح وما أدعوه له من الوهية وهو بريء مما يقولون . فاذا جاء القرآن ودعا الى وحدانية الله علم أن ما جاء بالاناجيل غير صحيح لانه يخالف الحقيقة ويخالف العقل ..!!

2 ـ الجلوس على العرش :

« واذا عرش موضوع فى السماء وعلى العرش جالس » رؤ 4 : 2 « وسجدوا لله الجالس على العرش » رؤ 19 : 4	« ثم استوى على العرش » الرعد 2 « الرحمن على العرش استوى » طه 5

يصور نص يوحنا الله سبحانه وتعالى جالس على العرش ، والجلوس محال على الله سبحانه وتعالى لان صفاته واعماله تخالف صفات واعمال المخلوقين ، والجلوس من عمل المخلوق تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

ومعنى استوى على العرش او على العرش استوى اي استولى على امور ملكوته يدبرها ويربها .

يقول القرطبي رحمه الله فى تفسيره : « والاكثر من المتقدمين والمتاخرين انه اذا وجب تنزيه الباري سبحانه عن الجهة والتمييز فمن ضرورة ذلك ولواحقه اللازمة عليه عند عامة العلماء المتقدمين وقادتهم من المتاخرين تنزيهه تبارك وتعالى عن الجهة ، فليس بجهة فوق عندهم لانه يلزم من ذلك عندهم متى اختص بجهة أن يكون فى مكان او حيز ، ويلزم على المكان والحيز على الحركة والسكون للمتحيز ، والتغير والحدوث . هذا قول المتكلمين . وقد كان السلف الاول رضي الله عنهم لا يقولون بنفي الجهة ولا ينطقون بذلك : بل نطقوا هم والكافة باثباتها لله تعالى كما نطق كتابه واخبرت رسله . ولم ينكر أحد من السلف الصالح انه استوى على عرشه حقيقة . وخص العرش بذلك لانه اعظم مخلوقاته ، وانما جهلوا كيفية الاستواء فانه لا تعلم حقيقته . قال مالك رحمه الله الاستواء معلوم ـ يعني فى اللغة ـ والكيف مجهول ، والسؤال عن هذا بدعة . وكذا قالت ام سلمة رضي الله عنها .

ثم يقول القرطبي : فعلو الله تعالى وارتفاعه عبارة عن علو مجده وصفاته وملكوته اي ليس فوقه فيما يجب له من معاني الجلال احد ، ولا معه من يكون العلو مشتركا بينه وبينه ، لكنه العلي بالاطلاق سبحانه » .

3 ـ تسبحة الملائكة حول العرش :

« والاربعة حيوانات لكل واحد ستة اجنحة حولها ومن داخل مملوءه عيونا ولا تزال نهارا وليلا قائلة قدوس قدوس الرب الاله القادر على كل شيء الذى كان والكائن والذي يأتي » رؤ 4 : 8	« والذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا » « ترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم » الزمر 75 « الحمد لله فاطر السموات والارض جاعل الملائكة رسلا أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد فى الخلق ما يشاء ان الله على كل شيء قدير » . فاطر 1

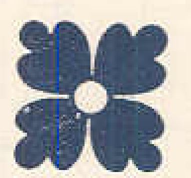
الكلام المنسوب ليوحنا يقرر ان الذين يحملون عرش الرحمن اربعة حيوانات لكل منها ستة اجنحة، وقد جعل الكاتب عنوان ذلك كما هو واضح مما سبق (تسبحة الملائكة حول العرش) ولا ادري كيف فسر الحيوانات فى النص الانجيلي بالملائكة ، لم يقل احد من البشر حتى الآن ان الملائكة حيوانات بل هي مخلوقات نورانية خلقها الله سبحانه وتعالى لعبادته .. فلا عمل لها الا عبادة المولى جل علاه .

وهناك فرق كبير بين نص الانجيل والنصوص القرآنية التى أوردها الكاتب ويدعي انها مقتبسة من رؤيا يوحنا لان الآيات الثلاث توضح بجلاء ان الذين يحملون عرش الله سبحانه وتعالى ويسبحونه ملائكة .. وهناك فرق كبير بين الملك والحيوان ؟؟

فالملائكة الحافين بالعرش يسبحون بحمد الله سبحانه وتعالى ويستغفرون للمؤمنين والتوابين . ومن هؤلاء الملائكة من يرسلهم الله جل علاه الى انبيائه برسالاته ليبلغوها للناس .

والنص القرآني هو الصادق حتما لان العقل يقبل ان يكون حاملي عرش الرحمان عباد مقربون وهم الملائكة ، ولا يقبل العقل القول بأن حملة العرش حيوانات كما يقول انجيل يوحنا ولذا فان هذا النص غير منطقي وغير مقبول .

القاهرة ـ توفيق علي وهبه





– 6 –

... **والزربية** مثلثة الزاي بساط ذو خمل ، وكلمة يوهم شيوعها على كل الالسنة خواص الناس انها عامية كأن الندرة والقلة من الصفات اللازمة للفظ الفصيح والشيوع الفائض سمة الابتذال والعامية، جاء في حديث بني العنبر : فاخذوا زربية امي فامر بها (ص) فردت ، وفي حديث ابي هريرة : ويل للزربية ! قيل وما الزربية يا رسول الله ؟ قال الذين يدخلون على الامراء فاذا قالوا شرا او قالوا شيئا قال صدق» شبههم (ص) في تلونهم بواحدة الزرابي وما كان على صبغتها والوانها ، واحب ان احيل سيدا فاضلا استغرب عربية هذه الكلمة على هذه الآية : « وزرابي مبثوثة » !

والمزروب : وكذا الزربة من الكلمات التي يكثر دورانها على السنة العامة وهم يتحدثون عن السرعة ودواعيها ، ولا نتردد نحن في ان نقول انها من وحي العامة ومبتكراتها (1) .

والطبعة : في الاستعمال الدارج : اللمعة والوسخ يعلق بالثوب وقد اختفت هذه الكلمة من دنيا الكتاب والمثقفين بهذا المعنى ، واصبحت تعني عندهم فقط المرة الواحدة من طبع كتاب ما ، اما في المعاجم فقد وردت هكذا : طبع الرجل بكسر الباء دنس في جسمه او خلقه وطبع السيف طبعا بالفتح صدىء اما بالسكون فهو الختم :

ان السيوف اذا ما طاب جوهرها
في اول الطبع لم يعلق بها الطبع

والطابق : تستعمل العامة هذه الكلمة بفتح الباء لكتف الشاة وما حولها ، ونكاد نحن المثقفين لا نعرف هذه الكلمة الا في الدور يعلو بعضها بعضا فيكون كل واحد منها طابقا .. وقد اوردتها المعاجم بفتح الباء وبكسرها وجمعته على طوابق .

وجاءت في حديث عمر بن حصين : ان غلاما ابق له فقال لأقطعن منه طابقا ان قدرت عليه ! وقال ثعلب الطابق والطابق العضو من اعضاء الانسان ففي حديث علي : انما امرنا في السارق بقطع طابقه : اي يده .

---

(1) وقد اوردت المعاجم أصلا لهذه الكلمة وهو زرب الماء اذا أسرع في السيلان ، والزرب مسيل الماء حيث يشتد انحداره ، وهكذا يلتقي الاستعمال الدارج مع المعنى المعجمين للكلمة رغم مخالفته للصيغة العربية وتمرده على قواعدها .

بـرا بـرا : هذا التعبير المركب يستعمله العامة في طرد شخص غير مرغوب فيه وابعاده خارج المكان ثم تتوسع في استعماله فتقول (خـرج بـرا) اي خارج الدار وذهب الى برا : اي الى البادية ، وازداد التوسع فاطلقوا كلمة البراني على الاجنبي الغريـب عن البلد .. ورغم ان هذا الاستعمال العامي عربي الا انه ليس من الكلام القديم ، واغلـب الظـن انه استعمال ولو بعد اختلاط العرب بغيرهم في القرن الاول والثاني يدل عليه ورود هذا التعبير في قول التنوخي صاحب كتاب نشوار المحاضرة :

(فاخرج الى برا حتى اصعد اكلمك من فوق)

والمروزيـــة : لون مستطاب من اطعمة المغاربة التي يحضرونها خاصة في عيـد الاضحـى ، وقـد تسربت الى المغـرب عن طريـق الوافديـن اليه من الاندلس وهؤلاء حملوها معهم من بلاد الشرق ومن مرو التي ينسب اليها بزيادة الزاي فيقال مـروزي كما يقال في النسبة الى الري رازي ، واهل الشمال عندنا يسمون هذا اللون بالذات التحلية .

والكرجـــة : التي ينطقها العامة بكاف معقودة بدلا من الجرجة هي في الفصيح وعـاء مثل الخـرج يجعل فيه الزاد ، تستعمله العامة في الشيء يباع

معاينة وجزرا بدون وزن او كيل فيتسلمه المشتري بالكرجة ، يتسلم المبيع ووعاءه بدون عملية تفريغ ، وقد تستعمله كلمة الكرجة هذه في البيع جزافا وان لم يكن فيه خرج او وعاء قال اوس بن حجر :

ثلاثـة افراس جيـاد وجرجـة
وادكن من ارى الدبـور معسـل

والجونـــة : ومن منا لم يسمـع يوما جـدة تداعب حفيدها وتلهيه وهي تقول : (دب الفـار في الجونة) فما الجؤنة هذه ؟ انها وعاء يعـد للطيـب ويحفظ فيه ، ولطالما اكثر شعراء العربية من ذكره في معرض حديثهم عن نفحات من يحبون اذا هبت عليهم وكانما تفتقت عنها جؤنة عطار ! .

اما عند عامتنا فقد استعملت الجؤنة قديما وعاء لحفظ الطعام وصيانته من كـل طائـف ! وهي وان اختفت اليوم بظهور الوسائل الحديثة فقد ظلت حية على لسان كل جدة وفي مسمع كل حفيد . وجاءت الكلمة في صفاته (ص) (فوجدت ليده بردا وريحـا كانما اخرجها من جؤنة عطار !

المشبـــوح : الذي نعرفه من هذه المادة انما هو الشبح والاشباح اما العامة عندنا فتنفرد باستعمـال المشبوح للذي القي على وجهه ومد على الارض وهو نفس المعنى الذي اوردته المعاجم للكلمة ، وفي حديث ابي بكر : انه مر ببلال وقد شبح في الرمضاء اي مد في الشمس ليعذب .

والضنايـــة : بتحريف قليـل عـن الفصيـح تستعمل العامة هذه الكلمة للنسل والاولاد وفصيحها الضنى من ضنيت المراة ضنى كثر اولادها وفي نفس المعنى يستعملها الاخوان الشرقيون ، وفي حديث ابن عمر : قال له اعرابي اني اعطيت بعض بني ناقة حياته فاضنت واضطربت فقـال (ص) هـي له حياتـــه وموتـــه .

يبكـي ويضبـح : ما هذا الضبح الذي يستعمله العامة عندنا بدخيل أو غريـب ؛ انه صيـاح الطفـل وصراخه وهو يبكي ، وهو نفس المعنى الذي تتحمله الكلمة في الفصيح ، ففـي حديـث ابن مسعـود : لا يخرجن احدكم الى ضبحة بليـل ، أي صيحـــة يسمعها فلعله يصيبه مكروه ، والضباح صوت الثعلب ، والصوت الذي يسمع في صدر الفرس ، وفي القرآن « والعاديات ضبحا » ...

النخبـــة : لا نكاد نعرف من هذه الكلمـة الا النخبة بالضم للمختار من الشيء ، والنخب للشربة يشربها الناس على صحة فلان او نجاح فلان ، ولكن اهل فاس والنساء منهم بالخصوص يستعملن هـذه الكلمة مفتوحة النون في وصف المراة بالبلهاء وبانها نخبة ، اي ثقيلة الروح خاملـة النفـس .. وعنـد الرجوع الى المعاجم بحثا عن الاستعمال العربي لهذه الكلمة لا نكاد نلمس اي فرق بين الدارج والفصيـح فالنخب والنخبة الجبان الضعيف ومن لا خير فيه . وفي نفس المادة يروى حديث لابي الدرداء بئس العون على الدين قلب نخيب ، وبطن رغيب !

والتربيـــة : ونفس هذه الكلمة مما يختـص باستعماله اهل فاس والاخوان بمراكش يطلق عندهم على الجزء الاعلى من صدر الشاة القريب من مذبحها وهو مما يستجاد اكله ويستطـاب ، وقد اختفـت

اليوم هذه الكلمة او كادت فلم يعد احد من آكلي اللحوم يهتم بمعرفة اجزاء الشاة واسمائها ــ باستثناء الجزارين ــ والكلمة هذه من الفصيح : جاء في القرآن من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب.

العجلات المفشوشة : استنكر البعض او استهجن استعمال ووصف العجلات التي فقدت هواءها بالمفشوشة وقد عرضت هذه الكلمة في الحلقة السابقة واحب ان اضع الآن بين يديه نصوصا اخرى ليقتنع بعربية الكلمة واصالتها جاء في حديث ابي هريرة : ان الشيطان يفش بين اليتي احدكم حتى يخيل اليه انه احدث : اي ينفخ نفخا خفيفا . يقال فش السقاء اذا اخرج منه الريح . وفي حديث ابن عباس لا ينصرف حتى يسمع فشيشها اي صوت ريحها .

ومنه كذلك : اعط صدقتك وان اتاك اهدل الشفتين منفش المنخرين : اي منفتحهما ، فهل يستهجن بعد هذا ان نصف عجلاتهم بأنها منفشة او مفشوشة ؟

خس خس : اما هذه الكلمة فلا وجود لها الا في البادية حيث تتردد على السنة ابنائها، تسمع الواحد من هؤلاء وهو يطرد كلبا فيصيح به : خس خس وتسمعها اذلك جافية نابية فتحسبها غير عربية . وكم للبادية من يد على العربية تصونها من الضياع وتحميها من ذل الغربة والهوان ، وفصيحها العربي كما تعرفه هو اخسأ افقدته العامية بعض حروفه فبدا كأنه غريب عن الاصل العربي ، وفي القرآن : « قال اخسئوا فيها ولا تكلمون » .

والنكافة : بكاف معقودة مشددة كلمة تستعملها عامتنا للماشطة التيتصحب العروس الى بيت الزوج تدبر امورها وتسهر على راحتها، ويندهش الباحث وهو يكتشف اصالة هذه الكلمة وعروبتها فالكلمة تنحدر من نقف الرمانة والحنظلة اذا شقها ليستخرج حبها ، وفي معلقة امريء القيس :

كأني غداة البين يوم تحملوا
لدى سمرات الحي ناقف حنظل

ومن اسرة هذه المادة : النقاف مشددا للرجل ذي النظر والتدبير ، والنقافة لمن يكثر السؤال . وكل هذه الخصال والمزايا مما يشترط في الماشطة ان تتوفر عليه لتكون اقدر على النجاح في ماموريتها الصعبة لاحتياجها الى كثير من اللباقة وحسن التصرف .

الـزواق : من الكلمات الفنية التي يستعملها كثيرا عامتنا خاصة المتعاطين منهم لاعمال فنية كالنحت والرسم وباقي الصناعات التي يكون التزويق فيها عنصرا من عناصرها .. وهي كلمة عربية الاصل وردت في زينة الجارية وتجميل وجهها بالكحل والاصباغ ، وتوسعت العامة كعادتها فاستعملوها في كل نقش او تجميل ، بينما لا نستعمل نحن من هذه المادة الا كلمة التزويق ومن امثال عامتنا : الزواق والفض مثل الزنبور ، تقوله لمن يحسن مظهره ويسوء مخبره .

اللغا : بالفتح هو الصوت من لغي كرضي وهي كلمة لا تسمعها الا على السنة العامة وهي تقول: سمعت لغاه والطير يلغى لغاه وتكسر المضارع . ومما انفردت به العامة من التعابير الجميلة والدقيقة قولهم : استلغى لكلامه اي وعاه واستمع اليه باهتمام وهو استعمال فصيح لم ينحرف الا يسيرا عما ورد على السنة العرب فقد جاء في كلامهم استلغى فلانا استنطقه واستمع لغته .

دغيا دغيا : كلمة كثيرا ما يهتف بها العامي وهو يستحث انسانا للاسراع في سباق او هجوم او انجاز عمل ما يتطلب المزيد من الاسراع . وهي عربية خالصة حرفت بعض الشيء عن كلمة (دغري دغري) التي هي شعار من شعارات الحرب والتي كان العرب يهتفون بها . ومعناها :

ادغروا عليهم واهجموا ، ومن التتبع لهذه المادة وما وردت فيه يظهر ان السرعة من ابرز معانيها . فالدغر معناه السرعة والدفع ومعناه الهجوم والدغرة اخذ الشيء اختلاسا . والسرعة وحدها الجانب الذى اقتصر عليه الاستعمال العامي عندنا ..

شلطه : يصف العامة عندنا بهذه الكلمة حالة خاصة من حالات الذبح (الشلط) عندما تبلغ

المدية فى الحدة والمضاء نهايتها فتنتفض الذبيحة راقصة وكأنها لم تذبح ... وتقول عن الرجل المجزوع الذى اخذ على غرة : انه مشلوط ووقف مشلوطا والاصل فى هذا الاستعمال العامي كله هو كلمة الشلطاء التي هي السكين ..

اللتة واللولا : ومن الطريف فى العامية المغربية وجود كلمات لا تعيش الا على السنة النساء مقابل كلمات لا ينطق بها غير الرجال . واللتة واللولا الضم كما ينطقن بها لا تستعمل الا وهي منفية فى التحدث عن امراة سلمت من العيوب والنقائص فليس فيها ما يقال او يعاب أو يستدرك .. ما فيها لتة ولا لولا والتركيب ليس غريبا عنا ففيه كلمتا ليت ولولا الاولى للتمني والثانية للاستدراك واظهار التأسف احيانا .. ومن كان كامل الاوصاف والسجايا لا يقال فيه ليت كان فيه كذا ولولا ما فيه من كذا ..

وما الطف قول شاعر قديم :

ما فيه لو ولا ليت فينقصه
وانما أدركته حرفة الادب !

تطوان ـ محمد الحلوي





للدكتور ابراهيم حركات

وجدت القرصنة البحرية منذ القدم ، ولم تفتأ تضايق السفن والمراكب في عرض البحار عبر القرون والايام . واتخذت القرصنة اشكالا وطرقا اهمها شكل المواجهة ضد سفن معادية ، وهذا الشكل هو الذي نسميه بالمقاومة البحرية التي عرفتها كل الشعوب المجاورة للبحر تقريبا . وقد سجل أول حادث من هذا النوع في الاسلام أثر سقوط بغداد في القرن السابع (13 م) بافريقيا الشمالية حيث لاحظ ابن خلدون وجود تراصنة وطنيين ببجاية ، اما في تونس فكان القراصنة يزاولون مهمتهم على مرأى من الحفصيين بل ويتعاونون معهم .

واورد دوسلان في المجلة الافريقية لسنة 1857 انه بعد اكتشاف القارة الأمريكية كان القراصنة الجزائريون من وهران يغيرون على السفن الاسبانية في شواطىء شبه الجزيرة الايبرية وهي محملة بالذهب فيستولون عليها وعلى من فيها من الرجال .

وقام سكان تطوان قبل نحو ستين سنة من طرد المسلمين من اسبانيا بمهاجمة السفن البحرية الاسبانية التي كان رد فعلها عنيفا فغزت تطوان واستولت عليها مدة من الزمن ثم خربتها الى ان اعاد بناءها بنو المنظري الذين هاجروا بدورهم من الأندلس واستقروا بهذه المدينة ابان العهد الوطاسي وهم أنفسهم ساهموا بدور كبير في المقاومة البحرية عبر البحر المتوسط .

وباجماع المؤرخين المحدثين ، فان القرصنة التي مارسها اهل الأندلس لم تكن سوى رد فعل وطني وديني ضد الطرف الآخر الذي طرد هؤلاء من ارضهم وسامهم الخسف زمنا . ومعلوم ان السياسة التي سلكها فيليب الثاني حيال الشعوب المسيحية نفسها والتي لم تكن تمتنق المذهب الكاثوليكي قد انعكست آثارها السيئة على هذه الشعوب التي عاشت صراعا داخليا طال احيانا سنين عديدة بين اتباع الكاثوليكية وغيرها من المذاهب المسيحية سيما البروتستانية منها . ولذلك لم يكن غريبا ان يشهد المسلمون على يد هذا الملك ما شهدوه من عسف ثم من ارغام لهم على مهاجرة الأندلس بصفة نهائية وهذا ما دفعهم الى ان يتجهوا افواجا الى عدد من البلاد الاسلامية كمصر والشام وتركيا ، ولكن اغلبيتهم استقرت بتونس والمغرب حيث اختار بعضهم المقام بتطوان وهناك تكون الفوج الأول من رجال المقاومة البحرية بهذه البلاد .

ولقد وصف انجليزي يدعى ماين وارينغ اهل تطوان بالعدل والمروءة كما اخبر بأن الانجليز والألمان كانوا يزودونهم بالقسم الأكبر من حاجتهم الى البارود الذي كانوا يستعملونه في العمليات الحربية ضد المسيحيين .

وفي لجة الفوضى السياسية فان القراصنة الاجانب ايضا وجدوا ملجأ في الموانىء المغربية وكان

اكثرهم هولنديين او انجليز يأوون الى ميناء تطوان لبيع ما استولوا عليه من بضائع وأسرى ، وقد تؤدي بهم الجراة الى الاستيلاء على بواخر اجنبية اخرى راسية بهذا المرفأ .

على ان الموريسكيين وهم الاندلسيون المطرودون او الذين تبقوا بالأندلس على اثر استيلاء الاسبان على غرناطة حاولوا قبل طردهم ان يتعاونوا مع الهولنديين من جهة ، ومع مولاي زيدان السعدي من جهة اخرى على مواجهة مسلحة ضد اسبانيا ، ولكن قرار الطرد العاجل الذي اتخذ بحقهم لم يسمح لهم بتحقيق رغبتهم المذكورة .

واذا كان الاسبان قد اطلقوا على هذا الصنف من اهل الأندلس لقب الموريسكيين فان المغاربة اعتبروا اندلسيا كل من قدم من الأندلس مسلما كان أو يهوديا .

وكان هؤلاء الموريسكيون متفوقين فى عدد من الميادين التقنية والاجتماعية على اخوانهم المغاربة . وحيثما حلوا بالبلاد الاسلامية احتفظوا بحنين غريب الى وطنهم مع محافظتهم على شعائر دينهم وتقاليدهم.

غير ان الفرق بين البيئتين : التي تركوها والتي حلوا بها ادى بهم الى ان يعيشوا فى عزلة عن باقي المجتمعات التي حلو فيها ، وبوجه عام فقد كانوا يستنكفون الخضوع لسلطة الغير ويعتقدون دائما انهم فى مستوى اية مهمة يتحملونها . وربما لازلنا حتى اليوم نلاحظ نفس المميزات فى عدد من الأوساط ذات الأصل الاندلسي التي لم تستطع حتى الآن ان تندمج فى وسط آخر غير وسطها .

والواقع ان الموريسكيين كانوا ذوي مهارة فى الاعمال الزراعية والصناعية وبفضلهم عرف المغرب ازدهارا كبيرا فى النشاط الاقتصادي خلال القرن الحادي عشر للهجرة اما فى اسبانيا فان الأنشطة الاقتصادية والصناعية لقيت مصيرا محزنا بعد هجرتهم حتى ان تأخر هذه البلاد فى هذه الميادين وكذا فى الميدان الثقافي استمر بعدهم مدة اربعة قرون . ومن الطريف ان امريكا وهي بلد تفصله آلاف الكيلومترات عن اسبانيا انقذت هذه البلاد من الانهيار مرتين اولاهما بعد اكتشاف الذهب بهذه القارة والثانية اثر الحرب العالمية الثانية .

وبما ان الموريسكيين لم يعتادوا ان يخلصوا الدولة منظمة تتحمل مسؤولياتها فانهم لم يتحملوا العمل فى اطارات الجيش السعدي الذي لم يساهموا فيه سوى مكرهين فى فترات محدودة ، وكانوا يعملون ما امكنهم على الاستقلال عن السلطة المركزية حتى لقد اسسوا جمهورية حقيقية لمدة من الزمن فى رقعة محدودة لا تتجاوز مدينتي الرباط وسلا . ومع ذلك فقد كانوا يخضعون فى اغلب الاحيان بشكل او بآخر للسلطة المركزية التي هي السلطة السعدية .

وقد وفد قسم من الموريسكيين من منطقة استرامادور الواقعة فى اقصى الشمال الغربي من اسبانيا . وجاء فى وثائق دو كاستري عن هولندا (ج 5) انهم كانوا يبثون الرعب فى الأوساط الاسبانية ويحركون السلطة المركزية لصالحهم عن طريق الرشوة . وبمجرد دخولهم الى المغرب دعاهم السلطان مولاي زيدان الى الاستقرار بقصبة الاوداية ، وقاموا من جهتهم بتجميع اخوانهم ممن نزلوا بجهات اخرى من المغرب ، وهؤلاء استقروا داخل مدينة الرباط التي اتموا القسم الجنوبي من سورها ويمتد من باب الحديد الى ضفة ابي رقراق حيث بنوا برج سيدي مخلوف .

وبعد مدة قصيرة من موالاتهم للدولة كون الموريسكيون جمهورية اغلب قادتها من الحرناشيين وهم المنتمون الى حرناشو ، قرية باسترامادورو تتبع سكان سلا نشاطهم بقلق بالغ ، وهم فى اغلبيتهم من مهاجري الأندلس الأقدمين ، وقد كانوا يرقبون عن كثب التطورات التي تحدث فى الطرف الآخر من ضفة ابي رقراق حيث دبت حياة جديدة الى مدينة بقيت مهجورة او تكاد لمدة قرون .

وعمد الموريسكيون الى طرد القائد الذي كان معينا من قبل زيدان ثم اتفقوا مع سكان سلا على انتخاب مجلس بلدي سموه بالديوان ، وهو اصطلاح كان جاريا بهذا المعنى خلال القرن الحادي عشر لأن المنصور الذهبي كان قد احدث هو ايضا مجلسا استشاريا له اختصاصات كثيرة وسماه بالديوان .

واصبح لديوان الرباط حق النظر فى كل المسائل الخاصة بالرباط وسلا مع تشاطر الموارد بين الفريقين.

وهكذا اجتمع تحت سلطة هذه الحكومة الصغيرة عنصران اساسيان ، الحرناشيون والاندلسيون الاقدمون ، والأولون كانوا اكثر ثراء ، وقد وصفهم بنز

وغيره بأنهم نهابون ومحاربون اتجه اهتمامهم بالخصوص الى مهاجمة السفن الاسبانية وشواطىء شبه الجزيرة الايبيرية . وبالنظر لخبرة الحرناشيين ومهارتهم فى استعمال الأسلحة فقد طلب منهم مولاي زيدان ان يمدوه بأربعمائة مقاتل لمهاجمة أبي حسون الثائر بدرعة . وعندما تأخر اداء رواتبهم غادروا معسكر السلطان عائدين الى الرباط .

وفى الواقع لم يتخلف المجاهدون البحريون بالرباط وسلا عن التعاون مع السلطة المركزية الا فى اوقات نادرة ، فقد كانوا يؤدون اليها باستمرار تقريبا عشر مواردهم عملا بمقتضيات الشريعة .

وفى سنة 1614 انضم اليهم مجاهدو المعمورة (المهدية) الذين لم يكن نضالهم ضد الاحتلال الأجنبي دون جهاد اخوانهم بالرباط وسلا وقد بلغ مجموع اسراهم من الدول الأجنبية فيما بين سنتي 1618 — 1626 حوالي ستة آلاف اسير ، غير ان رفضهم لمساعدة زيدان عسكريا جعله يشجع العياشي على التصدي لهم حتى يضع حدا لاستقلالهم .

وكان للموريسكيين علاقات مع كل قادة الشمال الافريقي حتى ان الاتراك بالجزائر كانوا يتعاونون معهم على جهاد النصارى والاستيلاء على بواخرهم .

وبالنسبة لمدينة سلا احدى الطرفين فى حكومة القراصنة فهيترجع الى العهد الموحدي كما هو الشأن فى قصبة الأوداية فى شكلها الحالي الذي شيدت عليه ايام عبد المومن وقد انزل بها حامية عسكرية كما مدت اسوارها من جهة الجنوب الشرقي ايام السلطان مولاي رشيد العلوي الذي بنى بها برجين لازالا قائمين واضاف السلطان مولاي اسماعيل بناءات اخرى .

وقد ظلت القصبة الموحدية مسكونة لمدة طويلة من لدن الحامية الموحدية ، كما ان مسجد حسان وسور الرباط تم بناؤه فى عهد المنصور الموحدي ، لكن بني مرين لم يهتموا بعمران الرباط او بالزيادة فيها عكس ما فعلوه بسلا حيث بنوا اسوارها وعددا من منشآتها كما شادوا قصبة شالا التي انشئت لايواء من توفى من الأسرة الحاكمة .

غير ان دخول الموريسكيين فى اول القرن 17 غير من وضعية المدينتين المتجاورتين فقد فقدت شالا اهميتها وتخربت على يد ثائر يدعى بالورتاجني .

واصبحت مدينة سلا شبه مستقلة منذ وفاة المنصور الذهبي وتتحكم فيها عناصر من اصل اندلسي ، بينما بقيت قصبة الأوداية خاضعة لسلطة القائد الذي تعينه الحكومة المركزية الى أيام السلطان زيدان كما تقدم . ومن الأسر الأندلسية التي تعود الى هذا العهد ولا تزال اعقابها بالرباط عائلة مورينو والقصري والزبدي وكلهم ممن كانوا فى « ديوان » حكومة القراصنة (ونحن نستعمل لفظ القراصنة كمجرد اصطلاح دولي دون أن يكون مدلوله الحقيقي غير ما سيرد توضيحه فى هذه الدراسة) .

وفى الوقت الذي كان القراصنة يقومون فيه باعتراض السفن المسيحية كانت علاقاتهم الداخلية بالحكومة القائمة وبعض القادة الشعبيين غير مرضية فى جملتها . وكان ابرز القادة الشعبيين فى هذه الحقبة هو المجاهد محمد بن احمد المالكي العياشي الذي ينتمي الى قبيلة مالك بن زغبة من بني هلال الذين كانوا مستقرين بناحية الغرب . ولم يكن فى الحقيقة من بني عياش بل حصل على انتصار عظيم ضد البرتغال فى معركة جرت سنة 1038 واخرى سنة 1040 — 1630 قرب جبل الحبيب بمكان يسمى عياشة بين تطوان وطنجة فلقب بالعياشي .

وقد استوطن العياشي بازمور حيث تطوع لحركة الجهاد ضد البرتغال . وعندما توفي قائد الفحص سنة 1020 — 1611 عينه مولاي زيدان مكانه على ان يستمر فى مهمة قيادة الجهاد بالمنطقة ، وبعد ان حصل على انتصارات هامة كان يوجه خلالها بخمس الغنيمة الى العاهل بدات السعايات تحاك ضده من قبل البرتغال الذين استخدموا كل الوسائل بما فيها رشوة بعض الموظفين السامين لحمل الدولة على تنحية العياشي . غير ان خلفه محمد السنوسي اشعره سرا بضرورة مغادرة المنطقة بعد ان كلف بالقبض عليه . وهكذا اتجه العياشي الى سلا التي سبق أن زاول بها دراسته خصوصا على يد المجاهد عبد الله بن حسون . ومن هناك ارتأى أن يحصل على موافقة القادة الشعبيين الآخرين قصد متابعة نضاله ضد البرتغال ، فنال تأييد شخصيات كثيرة من بينها رجال الزاوية الدلائية ، بينما لم يلق اية معارضة من القصر السلطاني لأن مسالة الدفاع عن التراب الوطني كانت قضية مقدسة بالنسبة لكل الجهات الرسمية والشعبية . وقد حاول العياشي فى البداية ان يستولي على المعمورة ولكن مناعتها حالت دون مراده ولم يمكن فتحها الا على يد السلطان مولاي

اسماعيل سنة 1092 — 1681 . وعوض ان يلقى تأييد الحرناشيين فقد تملصوا من مساعدته حرصا على استقلالهم وعقدوا هدنة مع رازيلي قائد الاسطول الفرنسي الذي جاء بأمر من حكومته لمنع سفن القراصنة من التحرك من ابي رقراق ، بعد ان ضجت فرنسا وغيرها من دول اوروبا مما كانت تلاقيه من هجماتهم العنيفة . وقد خشي العياشي من مغبة هذه الهدنة التي قد تحول القراصنة وقائد الاسطول الفرنسي الى أعداء متضامنين ضده .

والواقع ان المجاهد العياشي كان يتهم القراصنة بأنهم يتعاونون مع المسيحيين حتى لقد اشهر عليهم الحرب سنة 1631 فتواطؤوا حينئذ مع الوليد بن زيدان ، غير ان سكان سلا كانوا فى حالة نزاع مع القائد الذي يمثل الحكومة السلطانية فقتلوه بينما انسحب العياشي الى داره ولكن القبائل المجاورة تمسكت بالتعاون معه فى ظروف ضعفت فيها سلطة الحكومة ، وتوالت عناصر السكان تدخل فى طاعته حتى اصبح حاكما سياسيا واداريا لمنطقة تمتد بين تازا وتامسنا كما ذكر ذلك الافرني وكان الأمن مهددا فى هذه النواحي للسبب المذكور . ودون أن يعلن العياشي انتقاضه على الدولة قام بأعباء الجهاد ضد البرتغال فى كل من العرائش والجديدة وطنجة والمعمورة ولكن القراصنة لم يكونوا متحمسين للاندماج فى حركته حيث كانوا يفضلون القيام بحركة الجهاد فى عرض البحر ، وبعيدا عن نقطة انطلاقهم . ولذلك استصدر العياشي فتوى تبيح له قتالهم ، وحصلوا من جهتهم على تأييد جماعة من العلماء لتبرير موقفهم من عدم مناصرته ولكنهم تمسكوا بطاعة السلطان القائم . ولم تنفع محاصرة العياشي لحوض ابي رقراق فى شيء .

وفى غمرة نزاع جديد بين سكان الرباط وسلا قام العياشي بتهدئة ثورة الحياينة بفاس وضواحيها بمساعدة الدلائيين . وما كادت تحل سنة 1040 — 1637 حتى انقسم القراصنة الى ثلاث فرق . احداها تحت سلطة أحدهم وهو القائد القصري والثانية تؤيد السلطان والثالثة تناصر العياشي واخيرا خضعوا جميعا لسيادة السلطان الذي اقر القصري قائدا لهم.

اما المجاهد العياشي فقد اشتبك مع البرتغال فى معركة ضارية قتل خلالها حاكم الجديدة (البريجة) وبادر السلطان الشيخ الأصغر الذي سبق أن انهزم امام العياشي قرب سلا بالاستنجاد بالدلائيين ضد المجاهد ، فنشأت مجابهة حقيقية بينه وبين الدلائيين، وبعد ان انتصر عليهم فى عدد من المعارك اشتدوا فى مطاردته حتى التجأ الى قبيلة الخلط بناحية الغرب فاغتاله جماعة من فتاكهم واسكت بذلك صوت كان يتجلجل ضد التدخل الأجنبي ويقوم صاحبه بجهاد العدو بكل ما لديه من وسائل . وكان موته سنة 1051 — 1641 وقد طيف برأسه بالرباط على مشهد من الدلائيين الذين كانوا بالأمس له انصارا .

وينسب الى العياشي منزل داخل سور باب معلقة بسلا وبرجان بناهما بنفس البلد ، وقد أصبحت سلا والرباط تحت حكم الدلائيين الى قيام الدولة العلوية ، ولم يهدأ نشاط القراصنة قط ، فقد استمروا فى جهادهم حتى القرن التاسع عشر .

على انهم اتخذوا من القرصنة عملا سياسيا واقتصاديا فى آن واحد . ومن المؤكد انهم لم ينصهروا فى باقي طبقات المجتمع المغربي الا بعد اجيال عديدة . وينبغي ان نؤكد هنا ان العزلة التي تعزى الى المجتمع المحافظ بمدينة الرباط حتى الآن انما يعود سببها فى الغالب الى هذه الفترة التي كان الموريسكيون يدافعون فيها عن حقهم فى الكرامة والرغبة الملحة فى استعادة وطنهم السليب .

ولقد كان التعاون مع هذا قائما ووطيدا بين الموريسكيين واخوانهم المغاربة حيث يعمل الجميع فى انسجام كامل على متن السفن الحربية ويتقاسمون نفس المصير ونفس الغنائم .

ومن طرقهم فى ممارسة القرصنة رفع اعلام اجنبية على بواخرهم حتى يضللوا السفن التي يعترضونها فيهاجمونها من حيث تأمن هجومهم ويستولون على ركابها وأمتعتها واسلحتها .

ولقد كانت تجارة الرقيق التي مارسها القراصنة عملا معتادا عند بعض الدول المسيحية ، فالجنويون مثلا كانوا يبيعون عدة دول بما فيها المغرب جملة من الأسيرات المسيحيات ، بينما كانوا هم انفسهم يقتنون رقيقا اسر اصلا من اقطار الشمال الافريقي .

وكانت موارد القراصنة تنقسم كما يلي : 10 فى المائة للديوان ، و 45 فى المائة لرب الباخرة ، و 45 فى المائة للرئيس اي الربان . وعندما يخضع القراصنة للسلطة المباشرة للسلطان يؤدون لبيت المال خمس دخلهم ، ثم نصف الموارد الباقية ، اما النصف الآخر

فيتشاطره البحارة والضباط ، وكان مولاي زيدان يعجب ببطولة القراصنة الذين كان يود أن يسند اليهم أسمى المناصب .

وكان الحرناشيون يخصصون قسما من دخلهم لصيانة القصبة . وكما قال جاك كايي في كتابه « مدينة الرباط » صار حوض ابي رقراق بمثابة « الهافر » وهذا الحوض في اقرب بلد الى اوروبا .

وكان من عادة القراصنة ان لا يقاتلوا على متن باخرة واحدة بل تتحادى ثلاثة من مراكبهم لتتعاون على مهاجمة السفن العدوة عند الاقتضاء . وقد ارتفع عدد سفنهم من اربع سنة 1026 — 1647 الى 60 بعد عشر سنوات . وقد نصح اميرال فرنسي الوزير ريشوليو باغراق سفينة في حوض ابي رقراق حتى يمنع على القراصنة استعمال مينائهم .

على ان عدد سفن هؤلاء نزلت الى 22 سنة 1044 ثم الى 20 سنة 1058 واغلبها استورد من اوروبا وبعض الوحدات صنعت في عين المكان بمساعدة فنيين هولنديين .

اما طاقم السفينة بما فيه الضباط فكان يعيش عيشة تقشف على متن الباخرة . ويتكون غذاؤهم من الخليع والخبز ، وفي العشا من الكسكس ، وكان الهجوم في عرض البحار مباغتة ، فيرفع علم بلاد صديقة ، وعند الاقتراب من السفينة المهجوم عليها يبادر جماعة من القراصنة الى القبض على ربان الباخرة وصحبه ، ثم يساق الجميع مع البضائع المنهوبة الى حوض الرباط وسلا ليباع في المزاد العلني وقد يحتفظ بالأسرى من ذوى المكانة حتى يفادوا بأموال باهظة عن طريق المفاوضات الدبلوماسية .

وقد كان للقراصنة موانىء متعددة غير حوض ابي رقراق ، كتطوان والمعمورة بعد استرجاعها ايام العلويين سنة 1681 وفضالة (المحمدية) التي صارت بعد بناء مينائها اهم من ميناء اكادير . وبفضل الفنيين الأجانب الذين عملوا تحت اشراف القراصنة تعلم المغاربة قيادة السفن بمهارة وان ظلت تسند في الغالب الى العلوج (اي المسيحيين الذين دخلوا في الاسلام) .

وكانت بعض البواخر تبنى في عين المكان ، واغلبها بالشراع وبعضها بالمجاديف . وكانت بعض القنصليات في الرباط تسهل التفاوض حول مفاداة الأسرى مع حكام الرباط — سلا .

وقد امتدت مغامرات القراصنة الى شواطىء بريطانيا والمراكز البحرية بايسلندة ، وشوهدت بعض سفنهم في اقصى شواطىء بريطانيا شمالا .

وقد بث القراصنة الرعب في قلوب البريطانيين بمغامراتهم هذه ، وباءت بالفشل كل محاولات اساطيلهم لمحاصرة حوض ابي رقراق . وكانت هذه المغامرات نفسها سببا في انشاء علاقات دبلوماسية حقيقية بين القراصنة وبريطانيا وهولندا . وكانت تمدهم بالسلاح مما اثار حنق الدول الأوروبية الأخرى؛ فقد كانت فرنسا تتضايق من القراصنة الذين يعترضون بواخر الصيد الفرنسية ويمنعونها من ممارسة نشاطها وكانت العلاقات مع انجلترا متوترة في الغالب ؛ خصوصا وقد كان للقراصنة رغبة في أن يقوم الطرفان بغزو مشترك لاسبانيا وهو ما كان يهيئه المنصور الذهبي من قبل ايضا ، على ان اتفاقا تجاريا انعقد بين الطرفين سنة 1037 — 1627 على ان تفتح موانئهما لتجارة رعاياهما . وتعهدت حكومة ابي رقراق بمساعدة انجلترا عسكريا اذا وقعت في حرب مع عدو لها ، ووقع هذا الاتفاق باسم الديوان ابراهيم بركاش ومحمد بركو ، غير ان شارل ملك انجلترا رفض المصادقة عليه .. وعمد الانجليز بعد ذلك الى الاستيلاء على سفينة مغربية فرد القراصنة بالاستيلاء على عدد كبير من البواخر الانجليزية وتردد المبعوث البريطاني هاريسون عدة سنوات بين 1626 — 1631 بين القراصنة وحكومة بلاده في محاولة يائسة لاصلاح ذات البين بين الجانبين .

على أن معظم الاتفاقات التي عقدت مع الأجانب كان موضوعها مفاداة الأسرى وحرية التجارة . ولا تزال المكتبة الوطنية بباريز تحتفظ بنسخة من مشروع لمعاهدة بين الموريسكيين وملك اسبانيا فيليب الرابع (1621 — 1665) . وتختلف هذه المعاهدة تماما عن سابقاتها من حيث ان الموريسكيين يعرضون فيها على الملك الاسباني التزامهم باعتناق المسيحية اذا سمح لهم بالعودة الى اسبانيا ، وقد وقع هذا المشروع كل من عامل القصبة محمد بن عبد القادر صيرون والقائد ابراهيم بن شعيب عن الديوان ومحمد بلانكو (الابيض) وموسى سانتياكو كشاهدي عدل .

ولا ريب ان عرض الموريسكيين كان حيلة لتهييء خطة اخرى ذات نطاق واسع تهدف الى اعادة السيادة الاسلامية على اسبانيا ، والا فلماذا لم يلجأ القراصنة الى بلد مسيحي آخر بنفس الشرط مع أن تخليهم عن وطنهم لم يمنعهم من الاستمرار فى ممارسة شعائر دينهم ؟

وعلى كل ، فقد كان جهاد القراصنة ضد البواخر المسيحية ذا اثر بالغ ، حتى ان عددا كبيرا من الأسر الانجليزية كانت تندب اسراها وتقيم الصلوات فى الكنائس . ولقد كانت القرصنة البحرية دولية وتربيا مما صارت القرصنة الجوية اليوم ، فلم يكن القرصان يهتم كثيرا بمصلحة بلاده المباشرة ، بل كان يعد نفسه سعيدا بانتمائه الى أسرة القراصنة اكثر مما يعتز بانتسابه الى جنسية او دين معين. وكما يقول سلمون فى مجلة الوثائق المغربية فان القرصنة بالنسبة للمغاربة كانت جهادا بمنزلة الحرب العلنية . وقد واصل القراصنة نشاطهم تحت ظل العلويين وبتشجيعهم . فقد كان اشهرهم فى ايام مولاي اسماعيل وهو ابن عائشة ذا منزلة عالية خولته منصب قائد عام للبحرية المغربية وهذا تقدير كريم من ملك مجاهد لزعيم مناضل .

د . ابراهيم حركات





عبد الرحمن الفاسي (1)

للدكتور محمد الأخضر

عبد الرحمن الفاسي من الأدباء الملازمين لمولاي الرشيد بن الشريف وله فيه شعر كثير . قال عنه اليفرني فى الصفوة : اعرف بكل فن من أهل كل فن ، اذا حضر فى مجلس فهو الصدر ، واذا تكلم فى المسالة شفى الغليل ، مكبا على التاليف ولم تكن له مسودة ولا وقع له تشطيب وضرب على شيء الا أن يكون الحاقا ، فيضع التآليف فى زمن يسير من غير احتياج الى مراجعة ...

ابو زيد عبد الرحمن بن عبد القادر بن ابي المحاسن يوسف الفاسي الفهري « أسيوطي زمانه » واكبر مؤلف مغربي ، ولد بفاس فى 17 جمادى الثانية عام 1040 = 21 يناير 1631 ، وتابع فيها دراسته تحت اشراف والده . فبعد ان حفظ القرآن الكريم وهو فى السابعة من عمره وجوده بالقراءات السبع ، تابع دروس عدد كثير من علماء المدينة الادريسية ، يطول ذكرهم ، فى مختلف فروع المعرفة

---

1) انظر ترجمة عبد الرحمن الفاسي فى كتبه : ابتهاج القلوب ، والاقنوم ، والديوان ، وعند :
م. القادري ، فريدة الدر ، ص 97 .
م. سليمان ، عناية اولي المجد ، ص . 43 — 44
ا. بنعجيبة ، طبقات .
م. الفاسي (ابنه) المنح البادية
م. الفاسي (ابنه) المنح البادية
م. الفاسي (ابنه) اللؤلؤ والمرجان
م. الحجوي ، الفكر السامي ، 4 : 116 رقم 774
م. الفاسي ، الادب المغربي ، ص . 533
م. الفاسي لائحة كاملة
ع. كنون ، النبوغ ، 1 : 285
ا. النميشي ، تاريخ الشعر ، ص . 72
ع. الكتاني، فهرس الفهارس، 2 : 133 — 134
م. الكانوني ، تاريخ الطب ، ص 91
ج. سركيس معجم المطبوعات ، ص . 1010
م. بشير ، اليواقيت ، ص . 195

2) انظر مولاي سليمان ، عناية اولي المجد ، ص 43 .
ا. الرجراجي ، الشموس المنيرة، ص 51 — 52
ل. بروفنسال ، مؤرخو الشرفاء ، ص 266 — 269 مع المراجع المذكورة هناك .
ك. بروكلمان ، تاريخ الادب العربي ، نشرة معهد الروس المغربية العليا ، جزء 55 ، 1952 .
د. رونو ، مجلة ايزيس ، 18 ، ص . 182 .

وليس عدد الشيوخ المشارقة الذين اجازوه باقل من ذلك ، وان كان لا يعرف بالضبط ابن لقيهم ، لأن مترجميه لم يذكروا ان كان قد قام بأداء فريضة الحج (3) . يبقى بعد كل هذا ان المترجم ترك تآليف كثيرة ومتنوعة تربو على مائتي كتاب (4) فى العقائد ، والفقه المالكي ، والقضاء المغربي ، والطب ، والتنجيم ، والتراجم، والتاريخ . وفى كتاب ل. بروفنسال مؤرخو الشرفاء ، (ص 266 — 269) قائمة أهم مؤلفات عبد الرحمن الفاسي فى المادتين الأخيرتين مع نقدها ، لذلك سنتركها جانبا لنعطي نظرة وجيزة عن كتبه الادبية والفقهية ، وبخاصة دائرة معارفه المسماة بالأقنوم فى مبادىء العلوم .

المؤلفات الأدبية :

1 — ديوان شعر جمعه ابنه محمد، وادمجه فى الجزء الخامس من كتاب اللؤلؤ والمرجان الذي وضعه للتعريف بوالده (5) .

2 — العجب فى علم الأدب .

3 — معارضة قصيدة ابي الشق . (لعله يقصد ابا الشمقمق ؟)

4 — تاليف فى صناعة الشعر

5 — الجرومية فى التغزل (6) .

6 — بائية فى مدح صلحاء فاس ، مطلعها :

الامل الى فاس فتلك مني القلب
وحدث بها عمن ثوى باطن الترب

وقد عارض بها سينية ابن باديس فى مدح الشيخ عبد القادر الجيلاني دفين بغداد :

الامل الى بغداد فهي مني النفس
وحدث بها عمن ثوى ساكن الرمس

ويلاحظ ان المترجم لم يتصرف فى هذه المعارضة الا قليلا باستبدال بعض الكلمات والقافية .

7 — قصائد كثيرة فى مواضيع مختلفة (7) .

ب — المؤلفات الفقهية والحديثية :

1 — العمل الفاسي ، الذي سنتحدث عنه بعد قليل

2 — السكينة فى تحديث اهل المدينة (8) .

3 — مفتاح الشفاء يعني شفاء القاضي عياض المشهور (9) .

4 — استطابة التحديث بمصطلح الحديث ، وهي منظومة فى مصطلح الحديث (10) .

العمل الفاسي (11)

هذا الكتاب الذي يتحدث عن القضاء المغربي، يتبع مؤلفات مختلفة فى الفتاوي ، والأحكام، والأجوبة، والنوازل ، والوثائق . وهو يكون دراسة وافية فى الأقضية التي صدرت عن قضاة فاس ، نظمه المؤلف فى سبعة عشر واربعمائة بيت من بحر الرجز ملخصا فيه سلسلة من الصيغ القضائية . ونظرا لاختصاره فقد وضعت له شروح عدة فى مقدمتها شرح الناظم نفسه الا انه لم يكمله ، وشرح ابي القاسم بن سعيد العميري (المتوفى عام 1178 = 64 — 1765) بعنوان الأمليات الفاشية من شرح العمليات الفاسية (12) ، وشرح محمد بن أبي القاسم السجلماسي الرباطي (المتوفى عام 1214 =

---

3) المصدر السابق ، ص 47
4) يذكر اصحاب التراجم منها لحد الآن ازيد من مائة كتاب على اثر ما عثر عليه منها اخيرا من طرف م. الفاسي (انظر مجلة البحث العلمي ، عدد 6 ، السنة الثانية 1965 ، ص 33 — 34 ، تتميما لما فى مجلة هسبريس جزء 29 ، 1942 ، ص 65 — 81) .
5) كان هذا الديوان فى ملك المهدي الفاسي قاضي برشيد (انظر م. الفاسي ، لائحة كاملة ، ص 66)
6) انظر المصدر السابق فيما يتعلق بسائر هذه المؤلفات الادبية ، ص 66 ، 69 ، 73 .
7) انظر م. الفاسي ، لائحة كاملة ، ص 76 .
8) 9) 10) انظر ع. الكتاني ، فهرس الفهارس، 2 : 133 .
11) مخطوطات المكتبة العامة بالرباط ، عدد 872، 1388 ، 1490 ، 1491 من حرف د .
12) مخطوطا المكتبة العامة بالرباط ، عدد 361 و 1089 د .

1800) (13) . ويجب التذكير هنا بأن تاريخ الفقه الاسلامي يرجع الى الامام مالك بن انس « الذي اتخذ من عمل اهل المدينة اصلا من اصول مذهبه يقدمه على الأحاديث الصحيحة ، في حين تبع الحنفية والحنابلة من جهتهم عمل العراق ، والشافعية عمل مكة » (14) . ولما تمركز المذهب المالكي بعد ذلك في القيروان بقي العلماء يرجعون الى طريقة فتاوي الفقهاء واحكام القضاة . وحدث مثل ذلك عندما وصل العلم الى فاس ، غير أن علماء هذه المدينة كانوا يلتزمون في اغلب الأحيان بعمل الاندلس ، لان اهل فاس خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة (9 و 10 للميلاد) كانوا قد انحازوا الى اموبي الاندلس ضد شيعة عبيد الله الفاطمي . ولما استقال المغرب بعد ذلك كان له فقهه الخاص الذي هو اصل العمل الفاسي .

« ان السبب الأصلي للعمل عند فقهاء المالكية هو عجز الفقه ، فقد يظهر تضارب بين آراء علماء المذهب في بعض المواد ، ويأخذ احد القضاة في بعض الحالات بقول مخالف للمشهور تفاديا لضرر او اضطراب ، ومسايرة للعادة رعيا للصالح العام ، ثم يقلده من ياتي من بعده ... هذا الحل مطابق لمبادىء المذهب المالكي المبني اساسا على المصلحة او اعتبار الحاجيات والضرورات الوقتية . فالعمل ، مثل العادة ، اصل من اصول الفقه ، يبرر تقلباته الطابع المتغير لمفهوم الصالح العام ، فاذا انتقلت علة وجوده عدل عنه الى المشهور الذي هو احد الضوابط الشرعية للفقه . لكن العمل في آخر المطاف لا يمكن ان يخالف الشرع (القرآن والسنة) الذي لا يقدم عليه اي اعتبار لصالح عام او اية عادة قائمة » (15)

ان تحليلا سريعا للعمل الفاسي يجعلنا نستخرج منه الاقسام الرئيسية التالية :

ا — مقدمة يبين فيها الغرض من تاليفه كما يلي :

1 — موضوع هذا النظم بعض مسائل من الأحكام

2 — العمل الفاسي التابع للاعراف يرفع الخلاف في بعض النوازل

4 — وبعضها الآخر مستقي من مؤلفات المتأخرين من الفقهاء واجوبتهم .

5 — منها ثماني عشرة مسألة وردت في لامية الزقاق (16)

ب — مسائل من النكاح والطلاق والنفقة واللعان والعدة .

ج — مسائل من البيوع .

د — مسائل من الرهن والضمان والشركة والقسمة والغضب .

هـ — مسائل الجعل والاجارة والكراء

و — مسائل الحبس والهبة وما يلحق بهما .

ز — مسائل من اليمين والقضاء والشهادة

ح — مسائل من الوصايا واحكام الأوصياء والمحاجير

ط — جمع مسائل من ابواب

وهنا ينبغي التنبيه الى كتاب آخر ظهر في العمل المطلق الى جانب الكتاب السابق الخاص بعمل فاس ، وهو ايضا رجز من نظم وشرح السلجماسي سابق الذكر ، « ويعتمد هذا الكتاب — العمل المطلق — على الأقضية التي وقع فيها فصل مشترك في جميع البلاد الاسلامية الذي تتسع الحلول المدروسة فيه ببعد المرمى وعموم التطبيق ، ومن ذلك العمل المقرر في الصيغة الخاصة بالطلاق الثلاث عندما يتلفظ به الزوج دفعة واحدة خلافا للقواعد الثابتة بنص القرآن من ان الطلاق يقع ثلاث مرات » (17) .

---

(13) هذا اشهر شروح العمل الفاسي ، وهو في الواقع يتمم شرح عبد الرحمن الفاسي نفسه . وقد طبع على الحجر بفاس مرات عديدة ، اولاها عام 1291 = 1874 .

(14) انظر ل. ميليو مجموعة العمل ، ص 9 — 10 .

(15) المصدر السابق ، ص 10 .

(16) انظر ترجمة عبد الوهاب الزقاق عند ابن عسكر ، الدوحة ، ص 43 . و ل . بروفنسال ، مؤرخو الشرفاء ، ص 89 ، رقم 2 مع المراجع المذكورة هناك .
وتوجد لامية الزقاق مخطوطة بالمكتبة العامة بالرباط ، عدد 782 د .

(17) ل. ميليو ، مجموعة العمل ، ص 10 .

ان دراسة العمل الفاسي وحده تتطلب كتابا كاملا ، ولما لم يكن ذلك باستطاعتنا فقد اكتفينا بجلب استشهادات لبعض المتخصصين فى المادة الفقهية ، ونختم كذلك بفقرة وردت فى نهاية بحث ف. لوبينياك عن الشفعة : « يقدم كتاب العمل الفاسي المشهور فى الفصل المتعلق بالشفعة — كما نرى — مصلحة حقيقية بما ياتي به من تجديد وتنوع فى العمل الفقهي ويعطي امثلة متعددة لهذا التطور فى الفقه الايجابي المغربي الذي يكون احد ملامحه الأكثر جاذبية لبعض العقول الغربية . فالعمل الموضوع أمام الضرورات والحالات الجديدة التي لم تكن معروفة عند المؤلفين القدماء ، لم يتردد فى ان يكيف لها القواعد ويلينها ، ويدخل الفروق الضرورية لبضمن للمتقاضين حقا أكثر انسانية وملاءمة لمطامحهم وحاجياتهم ، دون أن يتعارض مع القواعد الأساسية للفقه الأصلي ، وهكذا يبدو من حين لآخر أن المبدأ القديم لثبات الفقه الاسلامي ينبغي أن يراجع بعزم واقدام (18) .

الاقنوم فى مبادىء العلوم (19)

لا تقل شهرة عبد الرحمن الفاسي بالاقنوم عن شهرته بالعمل الفاسي . والاقنوم أيضا رجز تعليمي طويل النفس يتناول جميع العلوم المعروفة فى عصر المؤلف ، ويبلغ عددها واحدا وثمانين ومائتي علم ، كالعقائد ، والتوحيد ، والتفسير ، والحديث ، واصول الفقه ، والفرائض ، والنحو ، والتصريف ، والخط ، والمعاني الخ . وتعد هذه المعلمة بحق فريدة من نوعها ، ويعرفنا الناظم فى المقدمة بما يهدف اليه :

جمعت منها الموجز القريبا
لكي يرى فى جمعه عجيبا

من كل مدخل الى علوم
ونظمه اسميه بالاقنوم

شبه النقاية ولكن ازيد
علما ، ومنظوم ولكن افيد

جئت به فى قصدها تتميما
كيما يكون جامعا عظيما

وذاك لما ان رايت الاعتنا
بها على ما قل منها ودنا

وددت لو لم تخل من فنون
تزيد ، والحديث ذو شجون (20)

تسير المنظومة كلها على هذا المنوال حيث يلاحظ استعمال بعض الزوائد والكلام المعاد لملء فراغ بعض الأبيات او اقامة وزنها . ويهمنا بالخصوص من الاقنوم الفصل السادس والعشرون المخصص للأدب الذي يحدده الناظم هكذا :

علم بكيفية ايجاد الكلام
مع البلاغة بنثر أو نظام

لابد من دراسة الأخبار
فيه وعلم سالف الاعصار

ومازها من مثل الاشراف
من مازها منها القليل كاف

ولينتخب من كلها صحيحه
مع جودة العقول والقريحة

فيدخل الاحسن فى كلامه
بطريق تليق فى مقامه

ويدع التعبير والتقعيبا
ويلزم التاديب والتهذيبا

والصون عن دناءة المروءة
والغيبة المشومة المشنوءة

وصنعه عن كذب يشان
وقبل هذا واجب يصان

عن رفث المزح وعن قول شنيع
وبعد يستحب حيث يستطيع

فى القول ان يعدل عما الزما
مستثقل الاعراب حتى يسلما

فالنفس مثل الطفل ان تهمله
زاد والا انكف ان تمله

18) الفصل المتعلق بالشفعة من العمل الفاسي، هسبريس ، جزء 26 ، 1939 ، ص 193 — 239 .
19) مخطوط المكتبة العامة بالرباط ، عدد 15 ك .
20) المصدر السابق ص 2

وليعط ارفـع الكـلام للرفيـع
من المخاطب ويخفى للوضيـع

وليسلك الايجـاز فى محلـه
كـل مقـام مفـرد بقولـه

اذ ليس الاختصـار بالمحمـود
فى كل ما يرام مـن مقصـود (21)

هكذا نرى الناظم ينصح الأديب بأن يختـار فى كتابته من الألفاظ والعبارات النبيلة أو العادية مـا يناسب مقام الخطاب ، مذكرا بنصيحة ابن قتيبـة المشهورة : « لكل مقام مقال » . ويذكرنا هذا (الفن الشعري) بنظيره عند الشاعر الباريسي بوالو (1936 — 1711) الذي الف كتابه فى نفس الوقت الذي نظم فيه عبد الرحمان الفاسي الاقنوم .

ولنقف بعد هذا قليلا عند الفصل المتعلـق بالاسلوب من الاقنوم :

وهو عبـارة عـن المنـوال
لنسج ما ركـب مـن مثـال

بصورة صارت لـدى الخيـال
بالذهـن كالقالـب والمنـوال

انتزعت بالذهـن مـن اعيـان
تراكب صحـت بهـا معانـي

يرضهـا فى قالـب كالبنـا
أنواعهـا تخـص فنـا فنـا

يأتي السؤال للطلـول مثـلا
بأن تخاطب كمـن قـد عقـلا

او بالتحيـة لهـا واستدعـا
الصحب للوقوف بصغـى سمعـا

او باشتكا الصحب عليها ، أو سؤال
عن الجواب لمخاطـب بسـال

او امره بأن يحيـى الطلـول
او بالدعا لها بسقيـا فى المقـول

او بسؤال البـرق أن يستقبـلا
او عنه يستفهم ذاك الطلـلا (22)

هكذا نجح الناظم فى التعريف بالأسلوب بطريقة مجازية مشبها اياه بمنوال النساج وقالب البناء . واذا كان مترجمنا ، مثل بوالو ، ناظم شعر قبل كل شيء لم يطبق هو دائما ما ينصح به الآخرين ، فان له علـى الاقل فضل الشعور بالأشياء والتعريف بها .

ولنستمع اليه فى الختام يتحدث عن الذوق :

والذوق وجداني لـدى الكـلام
فى اللسن مثل الذوق فى الطعـام

اذ بممارسة اسلوب العـرب
حصلـت الملكـة التـي تحـب

صاحبها يسمع غيـر المعتـاد
له براه عن لسانـه حـاد

فذلـك الـذوق يمجـه بـه
لكونه خرج عـن اسلوبـه (23)

وكانت وفاة عبد الرحمن الفاسي فى 16 جمادى الاولى من عام 1096 = 20 ابريل 1685 .

الرباط — د. محمد الأخضر

---

21) المصدر السابق ص 83
22) المصدر السابق ص 89 .
23) المصدر السابق ص 92



سنة 994 قبل الميلاد

للاستاذ محمد احمد الغربي

تكاد تحملنا قراءتنا لتاريخ المغرب على الاعتقاد بأن ادوار العظمة التي تتالت فى عهود المرابطين والموحدين والمرينيين والسعديين والعلويين هي وحدها التي تبرز عناصر القوة ومناحي المنعة في الوطن المغربي ، ولكن من السهل التعرف على جوانب من هذه العظمة خارج تلك الحقب التاريخية ، اذا ما وقع استقراء المظان الاخرى فى تاريخنا السياسي ، وكان ذلك الاستقراء يجانس بين مختلف المصادر الدفينة التي قد لا نجد فى اغلبها الا اشارات او ايماءات لا تخلو من فوائد فقط ، ولكنها تعني كشوفا عظيمة فى هذا المضمار .

ان المعروف منذ اقدم الازمنة ان بلاد المغرب ضمت شعبا من المحاربين بالفطرة، فالشخص المغربي، كما تظهر ذلك كل احقاب تاريخه متعلق بالحرية ، ونازع الى الاستقلال ، متطلع الى اسباب المنعة والقوة التي تؤهله لتكريس حريته وضمان استقلاله وقد يرجع ذلك — عند البعض — الى طبيعة البلاد التي يعيش فوتها هذا الشعب ووجود الموانع الهائلة والحصون المتمثلة فى جبال عالية ووديان سحيقة وغابات كثيفة، وقد يرجع عند البعض الآخر الى عنصر التحدي الطبيعي البشري الذي فرض على المغرب ان يتخذ له من سلاحه رفيقا وصاحبا . ولكن لا يجب اغفال الطبائع الاصيلة فى الاقوام التي عاشت فى هذه البلاد منذ اعرق العصور ، فانها اقوام انحدرت من سلالات محاربة بالسليقة قدمت من اليمن عن طريق النوبة والسودان او اقامت مدة بجبال الحبشة قبل ان تجد فى الجبال المغربية وطنا مناسبا لها ، وقد حملت السلاح باستمرار وطيلة ثلاثة آلاف سنة دفاعا عن وطننا وعن نفسها .

واذا كان تاريخ المغرب منذ استيطانه حتى الآن هو تاريخ حروب وكفاح .

حرب فيما قبل مجيء الفينيقيين للتوسع شرقا وغربا .

وكفاح فيما بين مجيء الفينيقيين ودخول الاسلام من اجل صيانة الاستقلال ومدافعة الاجنبي .

اذا كان تاريخ المغرب خلال هذه الفترة الطويلة التي شهدت احداثا تاريخية جلى قد سار على الدرب الذي اوضحنا ، فمما لا ريب فيه أن يكون المحاربون القبليون ثم الجيوش النظامية العمود الفقري للمجهودات الحربية التي كان المغاربة طرفا فيها .

ولا شك ان الكشوف الحديثة تظهر العناصر الاولى لقوة الأمجاد المغربية وهذا ما نبادر الى توضيحه الآن :

عندما كان الاوروبيون يهيئون الدراسات عن بلادنا تمهيدا للاحتلال ، عثر شاب الماني يسمى (بارت) على نقوش وتماثيل وأدوات عسكرية فى

طبقات ارضية عميقة من ارض الجنوب ، وكان ذلك الاكتشاف يشكل تحولا عظيما فى التقديرات العلمية الموضوعية للمغرب ولافريقيا فى ذلك الوقت .

ففي منطقة وادي درعة وجدت رسوم فى منتهى الجودة تمثل مغاربة يمتطون الجياد المطهمة ويمسكون باسلحة دقيقة متخذة من الحديد المطروق ، وبتروس من جلود الحيوانات الضارية ، وبعض النقوش كانت تمثل عربات عسكرية بعجلات من الحجر وهي شديدة الشبه بالعربة الرومانية التي ظهرت فى اوربا بعد هذا الوقت بألف سنة .

وفى الوقت الذي كان المغاربة يتوفرون على هذا السبق الواضح فى ميدان التجهيز العسكري كانت اوربا لا تزال تعيش فى العصر الحجري المصقول ، وكان سكانها لا يعرفون غير الرماح الحجرية ولا يرتدون اي نوع من النسيج او الثياب .

اكتشف بمنطقتين فرنسيين هما سان أشول وشيل ادوات ونقوش تماثل تماما ما وجد فى حفريات درعة ، ولما كان من الضروري ان تربط تلك الآثار الفرنسية بمثيلاتها فى جنوب المغرب فان العلماء وجدوا انفسهم امام افتراضين :

الاول أن يكون جماعة من المحاربين المغاربة قد وصلوا الى فرنسا .

او العكس ان يكون محاربون فرنسيون قد تخطوا اسبانيا والقوا عصا تسيارهم فى درعة ، وهذا ولا شك من اعظم ما حير المنقبين الذين باشروا حفرياتهم هنا وهناك ومن السهل ايجاد بعض القرائن المتصلة بهذا الموضوع .

اول تلك القرائن هي ان النقوش المغربية تمتد من حيث الرقعة الجغرافية من حوض درعة الى شمال التشاد بينما تنحصر الكشوفات الفرنسية حول مدينة سان اشول ..

وثانيهما ان التاريخ القديم يقص بكيفية لا تقبل الجدل خبر تفكير الملك المغربي (اطلس) فى مهاجمة بلاد (البرد) والشياطين اي اوروبا فى العام الالف قبل الميلاد ، وقد اجتهد بعض المستكشفين المحدثين على اقامة البرهان على ان المغاربة فى هذا الوقت قد جلبوا وسائل صنع السفن وفى مقدمتها مادة (البردي) المصرية ، بل وان بعضهم وصل الى امريكا .

غير ان من المصادر القديمة ما لا يؤكد قيام هذا الملك بأية غزوة خارج البحار المغربية حيث لم تكن قبائل الجنوب ، التي ينتسب اليها تعرف أية وسيلة لركوب الماء وقطع البحار ، ولكن هناك حديث واضح عن غزوة قام بها اطلس الى تخوم مصر ، وتوصف حملته بأنها لم تكن موفقة جدا ، وقد رجع الى عاصمته التي كانت تقع بالقرب من طنطان وصرف بقية حياته فى التأملات الدينية . وتقول المصادر القديمة بأن القبائل التي عملت تحت امرته لم تدخر جهدا فى حمله على معاودة الكرة ، وكانت هناك احتفالات عظيمة قدمت فيها ذبائح بشرية عندما اطلق اسم هذا الملك المغربي على جبال الاطلس ، ويمكن أن نعتبر هذه الحادثة اول احتفال بعيد العرش ، حيث ان الملك جلس وسط خيمة مصنوعة من جلود السباع فوق صخرة عالية وتقبل سلام وطاعة رؤساء العشائر وكان ذلك فى حدود سنة 994 قبل الميلاد .

ولا يسعفنا التاريخ باسماء من خلف الملك الاطلس فى حكم المغرب ، ويظهر ان البلاد تعرضت لظروف قاسية من الجفاف ادت الى بعض التحوير فى سلاح القبائل المحاربة فى جنوب المغرب ، فقد استبدل الفرس بالجمل الذي استقدمه تجار تشاديون الى المغرب فى حوالي 500 قبل الميلاد واختفت نهائيا الاسلحة الصلصالية ليحل محلها الحديد ، واتخذت الفيلة لخدمة نفس الاغراض التي يؤديها السلاح المدرع المعروف فى الوقت الراهن .

وكان من نتائج الجفاف ايضا ان انتقل المركز السياسي والعسكري نحو الشمال وغدت الجبال والسهول الساحلية الغربية بدلا من الجنوب هي المستقر الجديد للقبائل المغربية التي واجهت منذ هذا الوقت وبعزيمة لا تلين ، اول تدخل للفينيقيين فى السواحل الشمالية المطلة على البحر الابيض المتوسط .

ورغم ان الفينيقيين لم تكن لهم اطماع توسعية فى سواحل المغرب ، حيث لم يكن يحركهم سوى البحث عن اسواق تجارية وبضائع للتبادل وعلى الرغم كذلك من التقارب اللغوي والتشابه الاجتماعي بين هؤلاء العرب وسكان المغرب ، فان المغاربة لم يقبلوا بأي مظهر من مظاهر التحكم ولو كان تجاريا فى بلادهم ، وبصفة تلقائية اندلعت الثورات المنظمة ، ووقعت مناجزات استمرت طيلة الوجود الفينيقي لتمتد الى العهدين القرطاجني والوندالي .

ويوسع تاريخنا القديم صفحات بكاملها للتحدث عن كفاح المغاربة تحت قيادة الملك (غورمول) كما ان الخرافات تضع هذا الملك فى مصاف الابطال الاسطوريين ، والثابت ان غورمول قاد القبائل المغربية ضد الاجنبي مدة ربع قرن ، ورافقه السعد فى احدى تلك السنين حيث قضى على جيوش اعدائه ، واجتاز البوغاز نحو اسبانيا على ظهر قوارب قرطاجية استولى عليها وعندما بلغ بجيوشه المغربية جبال البرنيه الفاصلة بين اسبانيا وفرنسا كان التعب قد دب اليه ، والجوع قد انهك جيوشه وخيوله ، وكان اغلب الفيلة التي صحبها معه قد ماتت فى الطريق ، عندها صمم العزم على القفول الى بلاده ، وقد واصل الكفاح بعد ذلك خمس سنين قبل ان يخترمه الموت فى احدى المعارك ...

وبموت غورمول ران السلام بين المملكة المغربية وبين قرطاجنة ، ودخل الملك المغربي (بكار) فى حلف مع ملوك تونس عند بداية القرن الثالث قبل الميلاد ويصف المؤرخون جيش بكار الذي كانت أهم مراكزه فى طنجة ، وشالة من أقوى جيوش ذلك العصر ، ولم يتأخر القرطاجنيون فى تدريب مجموعة من الجنود على الملاحة البحرية ، وهذه المجموعة اصبحت فى القرن الثاني قبل الميلاد تسير اسطولا مغربيا لعب دورا هاما فى محاربة الرومان وزرع الخوف من المغاربة فى سواحلهم الافريقية ، واما فيما يرجع الى الجيوش البربرية فلا نجد الا الحديث عن بطولات المغاربة فى اسبانيا وايطاليا عندما كانوا يحاربون الرومان تحت قيادة (هانيبال) باعتبار بلادهم حليفة لهذا الملك العظيم .

لم تكن قرطاجنة تتوفر على الامكانيات العسكرية والبشرية والاقتصادية التي كانت متوافرة لدى الرومان ، ومن اجل هذا ، ورغما عن المناجزات العظيمة ، لم تصمد هذه الامة فى وجه قواد روما وجحافلها ، وفى الوقت الذي كانت قرطاجنة تحترق وقد احاط بها اعداؤها من كل جهة ، كان المغاربة يحتفلون بتنصيب الملك باخوس الاول فى طنجة ويعقدون عليه الامل فى استعادة عظمة المغاربة من تونس الى المحيط الاطلسي . ويوصف باخوس بانه كان داهية وصلبا فى نفس الوقت ، واول عمل قام به هو احداث كرسي للملك فى شرق المغرب (نوميديا) نصب فيه صهره المشهور القائد (يوغورطا) الذي كان يكره الرومان كراهية عميقة منذ حروب اسبانيا . واجتهد يوغورطا فى ادخال تجديد على جيوشه وعهد الى مرتزقة الرومان بتدريب المحاربين ، وفى عام 107 قبل الميلاد نادى بالثورة ضد الرومان واستحث القبائل المشايعة للقرطاجنيين للوثوب على مراكز الاعداء ، وكاد الامر يفلت من يد الرومان ، واوشك ان يذهب كل نفوذ لهم فى الشمال الافريقي لولا انهم وجهوا القائد الشهير (سيلا) على راس عناصر جديدة من جيوشهم ، واشتعلت الحرب سنة كاملة وجد يوغورطا نفسه فى وضع يشابه وضع قرطاجنة قبل تقويضها ، وهكذا لجأ الى صهره باخوس فى طنجة الذي امده بما هو فى حاجة اليه .

ولم يغن كل ذلك ، ولم يغير حقيقة التفوق الروماني ، وجاءت رسل القائد (سيلا) الى طنجة تطلب من العاهل المغربي تسليم صهره ، ويقف التاريخ هنا قليلا ليلمح الى اضطرام الواجب مع العاطفة فى نفس باخوس ، ويصل الملك الى قراره ، ويبادر يوغورطا الى القبول : ان التضحية بشخص مهما علا قدره ، وارتفع كعبه ، لا تعدل التضحية باستقلال البلاد الذي قدم المغاربة دماءهم حفاظا عليه وتكريسا له .

وتقدم القائد يوغورطا بسلاحه الكامل ، وقيافته العسكرية وشارات الملك الى الضباط الرومانيين فى سنة 105 قبل الميلاد فاعتقلوه وارسلوه الى روما ثم خنقوه بعد ذلك فى سجنه .

ولقد نعم المغرب — بعد تضحية هذا الجندي — باستقلاله لعدة عقود اخرى ، وتوالى على ملكه رجال عظام من امثال بوغود ، وباخوس الثاني ، وجوبا الاول — والثاني وبطوليمي ، وادامون وكان جيش احد هؤلاء الملوك وهو جوبا الثاني يضم مائة الف راجل و30 الف فارس و 250 فيلا ، وكان الفرسان مسلحين بالرماح والتروس المتخذة من جلود السباع، ويتبعون انظمة عسكرية لا تقل اتقانا عن الانظمة الرومانية .

والخلاصة ان الامجاد المغربية التي ترجع الى الوقت الذي وجد فيه المغاربة فوق ارض هذه البلاد تعود الى وجود قيادات حكيمة ومحنكة تمثلت فى ملوك هذه الدولة الاقدمين .

ولقد كان المغاربة الاقدمون يقدسون ملوكهم ، ويعتبرونهم القوة الحقيقية التي تعطي للجيوش

حيويتها وانتصاراتها . وقد ادى الحال بالنسبة لبعض الملوك الى ان كانوا يرقون الى مصاف الآلهة اسوة بما عرفته شعوب ما بين النهرين والمصريون وكان الكرسي الذي يجلس عليه الملك بعد عودته من غزوة او سفرة ينال تقديسا خاصا ؛ وكان لا يتم الجلوس الا بحضور اعيان الدولة وقواد الجند ورجال الدين ، وغالبا ما تنثر الرياحين حوله ويزدان الكرسي من اليمين والشمال بسنابل القمح او بسعف النخل في العصور المتأخرة . وتقليدا لبعض اباطرة الرومان كان بعض الملوك يمسكون بايديهم سلسلة يربط طرفها الآخر بعنق شبل صغير دليلا على ما يمثله العرش من سلطان وقوة .

ويمكن ان نعتبر بأن الحادثة التي كان يقع الاحتفال بها دوريا ، ويؤتى فيها بالعرش هي التي تجري فيها الالعاب على اختلافها . وحيث أن الاحتفال كان يحدث في الايام الاولى للمبايعة اي لتنصيب العاهل وانه كان يعاد في نفس الموعد من السنة الموالية تبعا للظروف ، وتبرز فيه جميع المظاهر التي تحدثنا عنها فيمكن القول بكل اطمئنان بأن هذه الاحتفالات تشابه ما يقع اليوم من تخليد ليوم الجلوس .

الرباط — محمد أحمد الغربي





الأستاذ عبد العلي الوزاني

العيد فى حياة الشعوب — ايا كان هذا العيد — حيلة اجتماعية يراد بها اعادة النضارة والجدة والشباب الى الاشياء ، بعد ان تكون قد ذبلت بكر الغداة ومر العشي ، وبالاحتكاك اليومي بها ، هذا الاحتكاك الذي ليس كمثله قاتلا لروح الاشياء ، وكاسحا لمعنى الطرافة فيها ، ولذلك راينا الناس من قديم ، والى اليوم ، والى ما شاء الله ، يخلقون عدة مناسبات لاقامة الحفلات . فهم يعمدون الى بعض المواقف الحساسة فى حياتهم ، فيتخذون منها لافتات يقفون عندها ، فى دورات متلاحقة ، ثم هم لابد ان يلتمسوا مبررا او اكثر للوقوف عندها ، منه ما هو اسطوري ، ومنه ما هو ديني ، ومنه ما هو تاريخي ، ومنه ما هو اجتماعي او فلسفي وما الى ذلك . وكلها مبررات تخفي وراءها الباعث والمبرر الاساسي وتتراكم عليه ، وهو ما اشرت اليه من ان الانسان يود ان يجدد علاقته بالاشياء .

ومعلوم ان الاشياء لا تتجدد من تلقاء نفسها ، لانها مجرد اشياء ، ليس لها وعي بنفسها ، ولا شعور بوجودها ، وانما تأخذ فى التجدد فعلا ، حين يضع الانسان فيها معنى جديدا . فتجددها على ذلك ان هو الا تجدد الانسان نفسه فى صلته بهذا العالم. والانسان لا يستطيع ان يتجدد كل لحظة وكل ساعة وكل يوم ، فالحياة اليومية بروتينها واسلوبها المعهود ، واعمالها المتكررة ، خليقة بان تكون عدوة لكل جدة فى النظر الى الاشياء . كما انه ليس فى وسع الانسان ان يكون دائما متجددا لان التجدد هو فى حقيقته اطلاق للمشاعر والوجدان والعقل من قيود العادة ، وحياة الناس مجموعة من العادات ، ارتاحوا اليها ، ووجدوا فيها نوعا من الاستقرار النفسي . وان يبقى الانسان يحطم العادة باستمرار ، ليكون متجددا باستمرار ، امر فوق احتماله ، نظرا لكونه يميل دائما الى تأسيس حياته على مجموعة من القواعد ، بواسطتها يعرف مبداه وغاياته ووسائله وبدونها يبقى ضائعا عن نفسه ، وعن المهمة اوالمهام التي خلق من اجلها ، ويعتبرها مبررا لوجوده . ولكن فى استطاعة الانسان ان يحطم العادة فى بعض المواقف من حياته ، ومنها هذه التي تسميها اعياد الشعب أو اعياد المجتمع . وان كل ما يقع فى هذه الاعياد من تفاعل كيماوي كبير فى العلاقات الاجتماعية ، ومن كل مظاهر الانشراح والصبوات والانطلاق الغريزي غير المسؤول ، لهو فى حقيقته تحطيم للعادة التي قال عنها بعضهم انها قاسية كالقبر ، ورد فعل قوي يقوم به الانسان ضد القيود والقواعد الاجتماعية الكثيرة التي تحد من حريته ، وتحركه ، ولعبه بالاشياء وحلها وتركيبها وتفريقها وجمعها والقاء الاصباغ المختلفة عليها والتصرف فى احجامها واشكالها ، اي انه — اي العيد — انطلاق للمارد الانساني المحبوس فى تمقم الحياة الروتينية المعقدة المقننة ، التي لا تسمح بالحركة الا بحساب .

ولكن لماذا يود الانسان تحطيم العادة ليرى الجدة فى الاشياء ؟ ما معنى هذا الكلف بالجدة ؟

ان الشعور بالجدة ، جدة النفس والظواهر والاشياء ، يدفع عن الانسان الملل ، ويحرره من القيود ، ويطلق العنان لخياله المبدع ، ويجعله يندمج في الاشياء ويعانقها ، عوض الوقوف امامها متفرجا جامد العواطف ، ويعطيه القدرة على تجاوز ذاته ، ذاته التي اعتاد سلوكها الموزون وعاداتها القارة الثابتة ويشعره بانه لم يعد مهملا ، وانما صار قادرا على الخلق والابتكار ، فهو يخلق معاني الاشياء ومغازيها وموجباتها ، اذا لم يكن في استطاعته خلق احجامها ومقوماتها الذاتية كما انه يجعله شاعرا بأن له قيمة واعتبارا به في هذه الحياة .

التماس التجديد اذا هو سر الاحتفال بالاعياد على اختلاف مناسباتها ومغازيها . ولذلك كانت الشعوب تحول كل شيء جديدا في ايام العيد ، فمن الملابس الزاهية ، الى الزينة الفاخرة ، الى الاغاني الشائقة ، الى الاضواء الملونة الباهرة ، الى غير ذلك مما يعتبر رمزا لمعنى الجدة الذي يستكن في النفس وفي الاشياء الخارجية المحيطة بها .

ولحظات التجدد لدى الانسان : هي لحظات الابداع في حياته المادية والروحية . فالفنان المبدع هو الذي اوتي قوة نفسية خارقة ، يقدر بها على التجدد بين لحظة واخرى ، وكلما تجدد لمعت في خياله ومضات عبقرية توحي اليه بآيات من الفن الرفيع . والشعب المبدع هو الذي اوتي من قوة الطبع ، ما يستطيع به أن يجدد علاقته بالاشياء ، ليجعلها اجمل مما هي اذا كانت جميلة ، وليضفي عليها طابع الجمال اذا لم تكن كذلك ، وليعيد تشكيلها وصياغتها على نحو او آخر ، حتى تكون شابة يانعة وضاءة باستمرار . فاذا انت رايت بعض الشعوب تجعل من الشارع الذي يمر به الناس كل يوم تحفة فنية رائعة ، والحديقة التي اعتادوا رؤيتها جنة وارفة الظلال دانية القطوف ، والمقهى الذي الفوا غشيانه مجالا طيبا للانس والراحة والمفاجاة السارة ، فاعلم انها على جانب كبير من القدرة على التجدد واضفاء طابع الجدة على كل الاشياء ، واذا انت رايت شعوبا اخرى عاجزة عن ذلك ، فاعلم انها ضعيفة الخيال ، جامدة الطبع ، فاسدة الذوق ، قابلة لأن تكون كلا مهملا لا وعي له .

ولئن كان هناك افراد معدودون في كل مجتمع، قادرون بأنفسهم واستعدادهم الضخم ، ورصيدهم النفسي الكبير على التجدد ، بحيث لا يحتاجون الى مناسبات واعياد ليتجددوا ، فان اغلبية الناس محرومون من هذه المميزات الطبيعية والمكتسبة ، ولذلك فهم لا يتجددون الا اذا جرفهم تيار الجماعة والعواطف العامة . وهؤلاء هم الذين يجدون في العيد الشعبي الكبير ، فرصة ذهبية لخروجهم من الروتين، وتحليقهم قليلا ليروا الاشياء من فوق . وهم الذين اعتادوا الا يروها الا من تحت الاعباء اليومية وتكاليفها الكثيرة . وهنا ننتظر فنرى العقل الجمعي يصنع المعجزات ، فهو يحيل الشيخ الى شاب ، ويدفع بالخامل الى كثير من النشاط ، وينشر الابتسام والبشاشة في الوجه العبوس المكفهر ، ويجعل الوقور الذي لا يتحرك الا وفق قواعد مدروسة ، يتخلى عن وقاره وتزمته ، ليوسع حياته من خفة ولعب وعبث .

ولذلك كان العيد الشعبي الكبير ، موسما رائعا لصور غريبة جذابة من النفس الانسانية ، كما كان اطلاقا للمارد من قمقمه ، لينطلق فيغير معالم الدنيا ، ويحور نظام الاشياء ، ويفرق بين امور كثيرة طالما تجاورت ، ويجمع بين امور اخرى طالما تباعدت ، وبقوة سحرية خارقة يميع الحدود الفاصلة بين مظاهر الحياة ، فاذا بها تتداخل ويذوب بعضها في بعض ، ويسافر شيء منها في ابعاد شيء آخر ، حتى اذا انتهت ايام العيد ، عاد المارد الى قمقمه بقدرة قادر ، مضغوط العضلات ، متجمعا بعضه بعضا ، في انتظار موسم للانطلاق جديد .

وكثيرا ما كانت المجتمعات القبلية في عصور قديمة تقرر انطلاقها نحو الغزو ، او استيطانها بلدا من البلدان ، او ما هو من هذا القبيل ، في ظروف حفلاتها العامة ، لانها حينئذ تكون في حالة اشراق نفسي جماعي ، تتجدد فيه رؤيتها للاشياء ، مثلما يقع للفرد في حالة الاشراق الروحي واللمعات الذهنية واللفظات العقلية الذكية ، ولأن غرائزها تكون مطلقة العنان . والانسان بطبعه كثيرا ما يبدع اما في حالة فرح كبير ، واما في حالة حزن كبير . والاعمال الكبيرة اما وليدة الافراح الكبيرة او الاحزان الكبيرة . ففي قمة احتفال المسلمين بانتصارهم على الوثنية في شبه الجزيرة ، تقرر غزو الروم وفارس . وفي وهج العاطفة الدينية المقدسة ، وفي صميم نشوة الغلبة على جموع البربر والروم ، قرر فاتحو المغرب غزو بلاد الاندلس ، وفي الحفلات الوطنية كثيرا ما تختلط اصوات الفرح بصيحات التهديد للاعداء المتربصين ، وكثيرا ما تدوي الطلقات النارية في الفضاء ، اعلانا عن الفرح العظيم ، وتهديدا للخصوم والمناوئين .

واذا كانت مجتمعات اليوم بقوانينها المستوحاة من طابع العصر ، تمنع من استغلال العاطفة العامة فى مثل تلك المناسبات ، قصد توجيهها نحو غـــزو او احتلال ارض او توسع ، فان شعوب اليوم تستغل فيها العواطف المثارة فى المناسبات العامة ، من اجل الهجوم على التخلف والفقر والجهل اذا كانت متأخرة، او من اجل الزيادة فى تصعيد الطاقة الاقتصاديـــة والانتاجية ، ومضاعفة العمل من اجل المزيد مـــن النهوض الاجتماعي والفكري اذا كانت متقدمة .

وطريقة تجدد الاشياء امام الافراد والجماعات ، اثناء مناسباتها الوطنية تختلف فى اتجاهها ، فهي اما مغازلة ومداعبة واندماج واما هجوم عليها وتحويل لاتجاهها والهيمنة عليها . والامر راجع اولا واخيرا الى طبيعة استعداد الجماعة ، ونوع قيادتها السياسية والفكرية .

يعجبني احد الكتاب اذ يقول : ان النـــاس لا يتجاورون فى المجتمع كما تتجاور الاشجار فى الحديقة ، او الحجارة وقطع الطوب فى الجدار ، وانما علاقاتهم معقدة شديدة التعقيد ، تجر وراءها عددا من المشاكل. واستيحاء من هذا الراي اقول : ان هذه العلاقات فى ظروف الاعياد الشعبية الكبرى يصيبها تبدل كبير فهي ــ اي الاعياد ــ تكتسح شخصية الفرد العادي ، بقدر ما تبرز الافذاذ من الافراد والممتازين منهم فى بعض الميادين . وبقدر ما تفعل ذلك بقدر ما تبـرز شخصية الجماعة ، وتهبها الفرصة كي تتجلى رائعة قوية مشرقة ، معبرة عن كثير من الامكانيات الكامنة فى لفائفها ، وعن ينابيع الثراء النفسي المتفجـرة فى اعماقها .

واذا كان أولئك الافراد الممتازون يمـــلأون شعور الناس واخيلتهم فى الايام العادية ، بمـــا يحققون من منجزات وأعمال عظيمة ، فانهم فى الاعياد الشعبية يكونون فى معرض اشد جاذبية وادعى الى مزيد من التقدير والاعجاب ، ذلك لانهم حينئذ فى مركز تسلط عليه اقوى الاشعة الآتية من هنا وهنـــاك ، وياتي الخيال الشعبي العام ــ وحمى الحفلات قائمة ــ ليزيد الصورة رونقا وجمالا وجاذبية ، وبذلـــك يرتفعون مثلا عليا امام طبقات الشعب ، ويشكلـــون تحديا لمواهب بعض الافراد من ذوي الاستعدادات العقلية والنفسية القوية . ففي وهج لينين تنتحـــت مواهب ستالين ، وفى ضياء المسيح تكون الحواريون وتحت ظلال عظمة محمد صلى الله عليه وسلم نضجت شخصيات الصحابة باعتبارهم من رجالات الاسلام . وتحت زعامة موسى بن نصير وقيادته تألقت شخصية طارق بن زياد . فاذا نحن تركنا جانبا الافراد الممتازين الذين يظهرون بذاتيتهم القوية فى الاعياد الشعبية ، نجد امامنا تلك القوة الفعالة فى سلوك الافـــراد ، والتي تسمى بالعقل الجمعي والشخصية الجماعية . والحياة الاجتماعية مداولة بين عقل الفرد وعقـــل الجماعة ، تحت ظل الانظمة التي تقدر قيمة الفرد ، وكثيرا ما يكون الفرد فيها مؤسسة قائمة بذاتها ، فى الميدان الاقتصادي أو الاجتماعي او الثقافي أو غير ذلك من الميادين . وكثيرا ما يتسامى الفرد علـــى الجماعة مدلا عليها بمواهبه وما وصل اليه من مركز اجتماعي مرموق . الا ان الجماعة يتاح لها ان تضاهي الافراد الممتازين فى جميع الظروف التي يسيطر فيها العقل الجمعي والعاطفة العامة ، وهنا تكتسح الافراد العاديين حتى ليبدو الفرد كأنه ريشة فى جناح طائر ضخم ، او قطرة فى محيط مترامي الاطراف بعيـــد الغور .

ولكن اذ تسيطر الروح الجماعية فى عيـــد أو مناسبة وطنية ، فتتمكن من جعل القضية التي يدور العيد حولها قضيتها هي بالدرجة الاولى ، تقف مـــن ورائها ، وتدعمها بالمحبة والاعجاب ; وتهبها القاعدة الشعبية اللازمة لبقائها واستمرارها ، يتاح لها خلال ذلك ان تزن ــ أي الجماعة ــ قيمتها الاجتماعيـــة والسياسية ، وان تخمن مبلغ ما يمكن ان يكون لها من اثر فى حاضر الوطن ومستقبله . فلا شيء يتيـــح للجماعة ذلك اكثر من التجمعات الكبرى كالتي تسنح فى الاعياد والمناسبات الوطنية . ومن ثم كان المهرجان الشعبي الكبير ، ضربا من استعراض العضـــلات ، عضلات ذلك الغول ذي الرؤوس العديدة الذي يسمى الشعب . وقد تكون الجماعة جاهلة لمواهبها ومـــا تستطيع ان تصنعه من معجزات ، فاذا بالمهرجـــان الشعبي ينبهها الى شخصيتها ، ويدلها على نفسهـا ، وعلى مدى ما يمكن ان تضطلع به من ادوار ومـــا تحمله من اعبـــاء .

وشعور الجماعة بشخصيتها سلاح ذو حدين : فهو يمكن ان يوجه الى فعل الخير ، كما يمكن أن يوجه الى فعل الشر . والامر موكول الى القيادة الاجتماعية والسياسية القابضة على زمام الامور . فهي يمكنها أن تجعل الشعور الجماعي المهتاج اداة للهدم والتخريب ونشر الفساد فى الارض ، ويمكنها ان تجعل منه اداة للاصلاح والانتاج والبذل والتضحية ففي المانيا النازية

حول هتلر حماس الشعب الالماني الى غزو الشعوب الآمنة . وفي اسرائيل سخر الزعماء اليهود غـرور المهاجرين من بني جلدتهم ، كأداة تخريب للـدول العربية المجاورة لهم . وقس على ذلك .

وخارج نطاق الارادات الهدامة ، يعتبر شعور الشعوب بشخصيتها — ويتأكد هذا الشعور اثنـاء الاعياد العامة — رصيدا ضخما ، وطاقة هائلة ، يمكن استثمارها وتنميتها وتوجيهها نحو الابداع والانتاج ، ودرعا واقيا للحكم العادل ، وحصنا حصينا للقوانين والمعتقدات السياسية والاجتماعية ، اذ يتجند الكل وراءها ، ويقف بالمرصاد للمتربصين بها ، وجبهـة داخلية صلبة ، تسد الطريق على اي عدو اجنبي يهدد سلامة الوطن والمواطنين .

هذا وان من خصائص الشعوب ، انها لا تسلم من نوع من الغرور ، في اوقات تساندها وتجمعاتها في مناسبات عامة مختلفة . ذلك ان تجمع كل كثرة عددية لأمر ما ، لابد ان يخلق عندها نوعا من خداع النفس ، ويحملها على شيء غير قليل من الغرور ، وهو الثقة بالنفس الزائدة على الحد المعقول والمطلوب . فالكثرة العددية اذا تجمعت توحي لها تجمعاتها بمعاني قوتها ونفاذ ارادتها وقدرتها على التدخل في تسيير دواليب الحياة . ولعل هذا هو السر في ان الانسان يفضل ان يقاتل مجتمعا مع آخرين على ان يقاتل منفردا ، وفي ان الكارثة اذا نزلت به وبمجموعة من الناس يوجد ضمنهم ، تكون اخف وقعا على نفسه مما لو نزلت به وحده ، وفي ان الكثيرين منا يحبون ان يغشـوا الاماكن العامة التي تؤوي اعدادا كبيرة من الرواد ، دور السينما ، والمسارح ، وملاعب الرياضـة ، والمقاهي والاندية الكبيرة ، والشوارع الرئيسيـة في المدن ، وما هو من هذا القبيل .

وهذا الغرور الذي يأخذ نفسية الجماعة اثناء اعيادها الكبيرة ، هو دعامة للشعور القومـي ، وللشخصية الوطنية . وغالبا ما يخرج بالناس عن كل موضوعية ، ويصور لهم نفوسهم في صورة نفخ فيها الخيال المغرور طولا وعرضا ، حتى لتبدو اكبر بكثير من حجمها الطبيعي . لكن بعد ذلك تصطدم الجماعة ببعض الحقائق الموضوعية ، فيعود اليها شيء مـن الاعتدال ، ومن ثم تأخذ الصورة المنفوخة في افـراغ حمولتها من الهواء الكثير ، الى ان تعود الى الحجم الطبيعي . الا ان هذا الغرور اذا كان ذا مضار ، فانه لا يخلو من منافع ، فهو حشد للارادة الجماعيـة ، وتغذية لشعور الثقة بالنفس ، وتنمية للروابط العامة، وبعث الامل في المستقبل ، واحياء للحماس الشعبي الذي يعتبر الاحتفاظ به من الزم ما يلزم لنهضـة الشعوب في جميع الميادين ، ولا سيما ميدان الانتاج المادي .

ويختلف الغرور عند الفرد ، عنه عند الجماعة في امر هام ، وهو ان الغرور الفردي يعتبر نقيصة يعاقب عليها المجتمع عقابا ادبيا وذلك باحتقار المغـرور ، والازورار عنه ، واعتباره شخصا ثقيل الظل غيـر مرغوب فيه على حين ان نظرة الجماعة الى الغرور القومي العام ، تختلف عن ذلك كل الاختلاف . فهـو عندها مزية كبيرة ، وفضيلة محمودة ، يجب ان تدعم بجميع الوسائل . بالتربية المنزلية والمدرسية، وبالكتاب والصورة والاغنية والنشيد ، والاشرطة السينمائيـة والتلفزيونية ، واحاديث الاذاعة ، وبالصحيفة والمجلة، وغيرها من الوسائل . ولذلك كان اطفال المدارس في فرنسا يرون بلادهم احسن بلاد في العالم ، وان قومهم ارفع من جميع الشعوب ، ونفس ذلك تجده عند اطفال المدارس في كل بلد متحضر .

ولكن لا تظنن ان هذا الغرور مقصور علـى مجتمع الاطفال في المدارس ، فحتى مجتمع الرجـال والنساء يأخذه شعور الغرور القومي ، وخصوصا في المواقف الوطنية والمناسبات العامـة . ذلـك ان العاطفة ها هنا تكون هي صاحبة الصدارة ، بحيث تنهزم امامها جميع المقاييس العقلية التي من شأنها ان تقاوم كل غرور او تهور .

الا ان الامة المغرورة غالبا ما ينظر اليهـا في المجتمع الدولي بنظرة قريبة من تلك التي ينظر بها الى الفرد المغرور داخل المجتمع المحلي . فالـدول والشعوب تنفر من ذلك الشعب المتعالي ، المـدل بنفسه ، المعتقد انه ارقى الشعوب واحسنها واسماها وما العهد ببعيد بالنازية التي احدثت شعـورا بالامتعاض في جل انحاء العالم .

وجميع الاعياد والمهرجانات الوطنية والتجمعات الدولية ان هي الا تأكيد للغرور القومي . فما مباريات كرة القدم ، وكذا مختلف انواع الرياضات التي تجري بين مختلف الفرق الرياضية العالمية ، ومؤتمرات الادب والفن العالمية، وكل ما تلتقي حوله مجموعة من الدول، الا مجالات لتأكيد النزعات القومية ، واثارة الغرور الجماعي .

عبد العلي الوزاني



كان المغرب في القرن التاسع عشر يشعر بالضغط الأجنبي ويحس بالعراقل التي تضعها بعض الدول الأوربية في طريقه فحاول ان يتغلب عليها بما لديه من امكانيات داخل الاطار الدولي ولكنه اصبح شديد القلق بعد ان اصبحت فرنسا مستعمرة للجزائر سنة 1830م وحامية لتونس سنة 1881 م وبعد ان تيقن بأن اطماع فرنسا غير منحصرة فيما ملكت بل انها تفكر في توسيع رقعة ممتلكاتها وفي ضم الاراضي المغربية الى حكمها.

وقد تنبه المغاربة الى ذلك واحس الواعون منهم بما ينتظرهم من خطر اذا ما رضخوا للذل وتركوا الدولة الفرنسية ترتع في الاراضي الجزائرية وفيما جاورها من الحدود المغربية وصرح شاعرهم الوزير ابن ادريس بصرخة الحق حينما قال :

يا اهل مغربنا حق النفير لكم
الى الجهاد فما في الحق من غلط

فالشرك من جنبات الشرق جاوركم
من بعد ما سام اهل الدين بالشطط

فلا يغرنكم من لين جانبه
ما عاد قبل على الاسلام بالسخط

فعنده من ضروب المكر ما عجزت
عن دركه فكرة الشبان والشمط

فواتح المكر تبدو من خواتمه
فعنده المكر والمكروه في نمط

وانتم القصد لا تبقن في دعة
ان السكون الى الاعدا من السقط

من جاور الشر لا يعدم بوائقه
كيف الحياة مع الحيات في سفط

قد يغبط الحر في عز يخلده
وليس حي على ذل بمغتبط

قال الناصري بعد ذكر هذه الابيات وفي هذا الشعر تضمين بيت ابن العسال وهو مشهور .

والحقيقة ان موقف ابن ادريس هذا يدل على الوعي المغربي آنذاك ازاء المشكل الاستعماري وهو دعوة صريحة الى الجهاد والمقاومة ، ولكن امثال هذه الصيحات كانت تحتاج الى استعداد آخر يتصل بنظام الجيش وبتزويده بالأسلحة الكفيلة بنصره وبتعويده على احسن الخطط المتلائمة مع ظروفه . وقد نبه بعض المؤرخين الى حاجة الجيش في هذه الحقبة الى النظام والى استكمال الخطة الدفاعية المتراصة التي لا تجعل الحرب كرا وفرا (1) .

وفعلا فان المغرب رغم ما كان يشتهر به من القدرة على المواجهة والمقاومة فهو في هذا القرن لاقى صعوبات جمة في الدفاع عن حدوده في تحقيق ما كان يصبو اليه من النصر والظفر .

ومع ذلك فقد اعلنها حربا ضروسا ضد فرنسا لحماية اراضيه ولاخراج الجيش الفرنسي من شرق البلاد ولكنه لم يوفق الى اكتساب النصر فقد انهزمت جيوشه في وقعة ايسلي سنة 1844 م 1260 هـ رغم

(1) انظر كتاب الاستقصا للناصري الجزء الرابع من الطبعة الاولى صفحة 219 .

التآزر الذي بدا فيها بين الأمير عبد القادر الجزائري والملك المولى عبد الرحمن العلوي (1)

ان الانهزام الذي وقع للمغرب فى هذه الوقعة جعله يضطرب امام القيود التي تفرضها عليه فرنسا ويضطر الى توقيع بعض البنود الهادفة الى تخلي المغرب عن نصرة الأمير عبد القادر ونصرة دعوته .

ومنذ ذلك الحين وفرنسا تعمل على نشر الفتن وخلق الاضطرابات داخل المغرب ومحاولة التعرض لمظاهر الاصلاح التي يمكن تحقيقها .

وقد ابدى المولى الحسن الأول رحمه الله منذ ولايته حزما لا نظير له فى لم شتات البلاد وفى خنق التفكك والانحلال كما عمل على نشر الاصلاح فى الاطار الثقافي والاجتماعي من جهة وفى الاطار الاقتصادي والعسكري من جهة أخرى .

وقد لاحظ وجود امتيازات داخل المغرب لكل من بريطانيا وفرنسا واسبانيا تعتمد على معاهدات سابقة تخول لهاته الدول حق منح الحماية لبعض الرعايا المغاربة زيادة على بعض الامتيازات فى التجارة الخارجية (2) ولما لم تكن له القدرة الكافية على فسخ هذه المعاهدات السابقة فكر تفكيرا آخر يبعد به خصوصية الامتياز لهاته الدول ويجعل هذا الأمر مشاعا بين مختلف الدول التي تريد ربط علاقتها الاقتصادية مع المغرب .

ولهذا وقع فى مؤتمر مدريد سنة 1880 بنودا تسمح بامتيازات اقتصادية وبامتيازات سياسية تعطي الحق لهاته الدول فى منح حمايتها لبعض الرعايا المغاربة العاملين ببعض الشركات الأجنبية .

ان هذه الامتيازات كانت من اسباب ضعف الشخصية المغربية ولم يقبلها المولى الحسن كما تقدم الاشعار بذلك — الا ليضغط بها على فرنسا من جهة وعلى بريطانيا واسبانيا من جهة أخرى فهو قد أحس بتدخل هاته الدول فى مصالحه الداخلية وخشي أن ستاثر بالحكم او ان تتفق على محو شخصيته فيبقى المغرب منعزلا عن الاطار الدولي ولهذا جعل الأمر مشاعا بين جميع الدول التي شاركت فى هذا المؤتمر وهي المانيا والنمسا وبلجيكا والدانمارك واسبانيا والولايات المتحدة الامريكية وفرنسا وبريطانيا وايطاليا وهولاندا والبرتغال والسويد والنرويج .

واذا كانت بعض هاته الدول لم تستفد من الناحية العملية فهي قد استفادت من الناحية القانونية حيث اصبحت تملك وسائل تضغط بها على كل دولة ارادت ان تستأثر بالمغرب دون غيرها .

وحيث ان فرنسا كانت اكثر الدول طمعا فى التحكم فى بلاد المغرب فانها اصبحت تفكر جديا فى محاولة ارضاء الدول المنافسة لها فى هذا الأمر خصوصا بعد ان تولى شؤون خارجيتها الوزير الفرنسي ديلكاسه (3) الذي اشتهر بدهائه ومراوغاته الديبلوماسية .

وقد استطاع هذا الوزير بالفعل أن ينحي ايطاليا عن المشكلة المغربية بالتنازل عن معارضتها فيما تقوم به فى طرابلس الغرب كما استطاع ان يقيم معاهدة بينه وبين انجلترا سنة 1904 ولم ينشر للعموم كل بنودها بل ترك جزء منها سريا وهذا الجزء السري كان له اثر كبير فى تسلط فرنسا على المغرب دون ان تجد معارضة من انجلترا لأن فرنسا بموجب هذا الاتفاق ستتنازل هي ايضا بدورها عن معارضة الانجليز فى حكم مصر .

وفى هذا الاتفاق وقع الاشعار بتقسيم الأرض المغربية وحددت الخريطة الجديدة التي ستصبح للمغرب بعد ان تأخذ اسبانيا جزءا منه .

ونحن اذا اضفنا الى هذه المعاهدات وجود التحالف الثنائي الذي كان بين فرنسا وروسيا للتضييق على المانيا لعلمنا ان فرنسا لا تتوقع من روسيا اي اعتراض .

اذن فلماذا تأخرت فرنسا عن تحقيق اهدافها وتنفيذ خطتها ؟

السبب فى ذلك ليس مرجعه باقي الدول الموقعة

---

1) المغرب العربي للدكتور صلاح العقاد الطبعة الثالثة صفحة 223 .
2) حصلت بريطانيا على هذا الحق بواسطة معاهدة عقدت سنة 1856 م وحصلت اسبانيا عليه بواسطة معاهدة عقدت سنة 1861 م ، وأما فرنسا فحصلت عليه سنة 1863 بعد شعورها بضعف المغرب اثر انهزامه فى الحرب التي كانت بينه وبين اسبانيا .
3) تقلد ديلكاسيه وزارة الشؤون الخارجية من سنة 1899 م الى سنة 1905 م .

على وثيقة مدريد وانما سببه فقط التخوف من معارضة المانيا وحدها .

ان المانيا كانت تشعر بالضغط الفرنسي الهادف الى التضييق عليها لذا رات ان تقابله بضغط مثلـه فتتعرض للمصالح الفرنسية بالمغرب وتخرج المسألة المغربية من اطارها الداخلي الى اطار دولي يفـوت على فرنسا ما تريد وقد اغتنم الامبراطور غليوم الثاني الفرصة فى هذه الحقبة فزار فى سنة 1905 م مدينة طنجة واعلن امام ممثل السلطان اعترافه بسيـادة المغرب وسيادة الملك واستعداده لاعانة الدولـة المغربية متى احتاجت اليه .

وكان لهذه الزيارة اثر فى تقوية الجانب المغربي وفى رفض بعض المطالب التي كانت فرنسا ترغب فى تنفيذها داخل المغرب كما دفعت المولى عبد العزيز الى المطالبة بعقد مؤتمر دولي يدرس هذه الرغبات الفرنسية على ضوء المصلحة المغربية والعلاقات الدوليـة .

وفعلا فقد عقد المؤتمر بالجزيرة الخضراء سنة 1906 م وتناول المؤتمرون الحديث عن مشكلة الأمن بالمغرب وعن مشكلة تهريب الأسلحة وعن مشكلـة انشاء مصرف للدولة وكان الاحتدام قويا بين المانيا من جهة وبين فرنسـا وانجلترا من جهة أخرى وقـد حرص المغاربة اشد الحرص على المحافظة علـى سيادتهم وكرامتهم .

والواقع ان المغرب قد استفاد من هذا المؤتمر الاعتراف بسيادة البلاد وسيادة السلطان ولكنه رغم ذلك كان يحس بتضييق على هذه السيادة بسبب بعض القرارات التي وافق عليها المؤتمرون ومن ذلك مثـلا اعطاء حق مراقبة تهريب الاسلحة لفرنسا فى الحدود الشرقية ولاسبانيا فى شمال المغرب ومنها وضـع مراقبة دولية علـى كثير من المشاريع الاقتصاديـة والعمرانية .

ووجدت فرنسا بسبب هذه القرارات سبيلا الى التدخل فى شؤون المغرب بدعوى اقرار الأمن وحماية المصالح وتتبع المهربين للسلاح . وكان يشجعها على موقفها العدائي سكوت كثير من الدول التي اتفقـت معها سريا على التجاوز عما تقوم به من اعمـال عسكرية داخل المغرب واهمال بعض الدول للمشكلة المغربية بتاتا .

ولكن المانيا لم تكن قد استسلمت نهائيا للموقف الفرنسي واحلافه بل عمدت الى ارسال بارجة حربية الى ميناء اكادير سنة 1911 م بدعوى حماية مصالحها هناك .

ان موقف المانيا هذا كاد يفسد على فرنسا خطتها الهادفة الى احتلال المغرب احتلالا عسكريا والـى تفويت النتائج التي اكتسبتها من الأحلاف السريـة القائمة بينها وبين انجلترا واسبانيا .

وقد احست فرنسا أن الموقف الالماني لا يمكنه ان يفسر تفسيرا دفاعيا عن المغرب وحريته وانمـا يظهر ان الأمر لا يتعلق الا ببحث الحكومة الألمانية عن حقها فى الغنيمة فكيف اذن ستكون المساومة ؟ وباي شيء سيكون التعويـض ؟

هل ستأخذ المانيا جزءا من المغرب ؟ هذا ما لا يمكن أن يقع نظرا لعدم موافقته للخطة السرية التي كانت بين فرنسا واسبانيا وبريطانيا فما العمل اذن ؟

فكرت فرنسا مليا ثم عرضت على المانيا جزءا كبيرا من بلاد الكونغو يقدر بنحو 107.270 ميلا (1) تمنحه لها عوض التنازل عن المعارضة فى المسألـة المغربية وقبلت المانيا العرض فتم بذلك للحكومـة الفرنسية ما ارادت وخلقت فتنا داخل المغرب جعلتها سبيلا الى التدخل المباشر واستطاعت بموقفها هذا ان تنتزع التوقيع على معاهدة الحماية من المولى عبد الحفيظ (2) وان تباشر اعمالها داخل البلاد المغربية .

ان موقف الحكومة الفرنسية آنذاك قد اثـار معارضات كثيرة داخل الأحزاب التحررية سـواء فى فرنسا او فى غيرها من بلاد العالم . وان المعاهدات السرية جرت وبالا على العالم بشهادة كثير مـن المؤرخين والسياسيين .

والى القراء اقدم صوتين من أصوات الأحرار ازاء المسألة المغربية ، الصوت الأول من فرنسا وهو راي الزعيم الاشتراكي جان جوريس الذي اعلن ان استعمال العنف فى مراكش سيكون له اوخم العواقب على أوربا فى العصر الحديث .

---

1) تاريخ المغرب فى القرن العشرين لروم لاندو وترجمة الدكتور نقولا زيادة صفحة 96 .
2) تم التوقيع على هاته المعاهدة بفاس سنة 1912 م فى اليوم الثلاثين من شهر مارس .

وقد صحت تنبؤاته عند قيام الحرب العالمية الاولى فقد ذكر الفرنسيين فى خطبة القاها بمجلس النواب الفرنسي سنة 1914 م بهذه الحقيقة فقال (1):
« فى مثل هذه الساعة الرهيبة التي تتمخض بأخطار سوف لا يقتصر بلاؤها علينا وجدنا بل سوف يعم غيرنا من الدول الأخرى ، لا ارغب فى التوسع فى الشرح جاريا وراء المسؤوليات وتوزيعها ونصيب كل من المشتركين فيها ... بل كل ما أريد أن اقوله هو اننا نتحمل شطرا كبيرا من المسؤولية ، وانني اعلن امام التاريخ وهو اعدل شاهد باننا (واقصد بذلك نفسي والحزب الاشتراكي الذي انتمي اليه) لم نكتف بأن تنبأنا منذ زمن بعيد بما يقع تحت انظارنا الآن بل بادرنا بتحذير قومنا عواقب ما تنبأنا به فعندما احتججنا بان التدخل فى مراكش بالعنف والشدة والسلاح يعتبر بمثابة افتتاح عصر جديد فى أوربا للأطماع والشره والنزاع رمانا بعض اعداء الحق بالعقوق واتهمونا بالخروج عن الوطن فهناك مع الأسف توجد مسؤوليتنا الوطنية فاذا ما اردتم تعيين تلك المسؤولية فارجعوا الى مشكلة البوسنة والهرسك وهو منشأ النزاع الحاصل بين النمسا والصرب فلم يكن لنا نحن معشر الفرنسيين الحق أو المقدرة على تقريع النمسا وتأنيبها على ازدرادها مقاطعتي البوسنة والهرسك لأننا كنا انفسنا فى شغل شاغل عن كل ذلك بابتلاعنا مراكش ، ولأننا اردنا أن يغفر لنا الغير خطايانا متى اظهرنا استعدادنا لغفران خطاياه . ولهذا قال وزير خارجيتنا للنمسا ... نعم يمكنك ازدراد البوسنة والهرسك على شرط أن تتغاضى عن ابتلاعنا لمراكش ...
الصوت الثاني : هو صوت السيد مورل العضو البرلماني الانجليزي الذي اشتهر بعدائه للاستعمار فقد ذكر فى كتابه حقيقة الحرب العالمية أن ابتلاع فرنسا لمراكش ادى الى ابتلاع النمسا للبوسنة والهرسك والى ابتلاع ايطاليا لطرابلس والى الموقف الذي قامت به روسيا وانجلترا نحو بلاد فارس .

وهكذا نلاحظ أن الاجراءات التي قامت بها فرنسا كانت وبالا على الأمن العالمي وكانت سببا فى استعجال الحرب العالمية الاولى بل كانت سببا ايضا فى خلق المقاومة المغربية من جديد واذكاء روح الجهاد بين المواطنين فى السهل والجبل وفى البادية والحاضرة لا فرق بين عربي وبربري ولا بين رئيس ومرؤوس والتحم المغاربة فى معارك دامية ادت الى تسجيل البطولة المغربية بين الدول والى تحقيق الوجود المغربي فى العالم المعاصر .

فمن اعلان الثورة على يد الأمير عبد الكريم الخطابي الى خلق كتلة العمل الوطني الى اعلان وثيقة المطالبة بالاستقلال الى نفي السلطان محمد الخامس تغمده الله برحمته الى حمل السلاح من جديد على يد الثوار المغاربة ضد الاستعمار الفرنسي بكل وجوهه الى اعلان وثيقة الاستقلال فى الثاني من مارس سنة 1956 .

وسمع المغاربة من جديد وثيقة تثبت الشخصية المغربية وتمحو عهد الحجر والحماية وتعلن أن الحكومة الفرنسية تؤكد علنا اعترافها باستقلال المغرب

وبعد الاعتراف بالاستقلال وجد المغرب نفسه امام مشاكل اجتماعية واقتصادية وفكرية ورثها عن عهد الحماية تتعلق بلغة التعليم وبتعريب الادارات وبتكوين الأطر .

وهو الى الآن مازال يواصل العمل من اجل التغلب عليها وعلى الله الكمال .

فاس : محمد بن عبد العزيز الدباغ

---

(1) هذا النص مأخوذ من المقدمة التي كتبها احمد شكري لترجمة مذكرات لورد كراي وتبعة الحرب العالمية الكبرى الطبعة الثانية صفحة 47 .

مصادر هذا البحث :

1) كتاب الاستقصا للناصري الجزء الرابع الطبعة الاولى .
2) مذكرات لورد غراي وتبعية الحرب العالمية الأولى بقلم وزير خارجية بريطانيا من سنة 1892 م الى سنة 1916 م ترجمة علي أحمد شكري .
3) تاريخ المغرب فى القرن العشرين لروم لاندو او ترجمة الدكتور نقولا زيادة ومراجعة الدكتور انيس فريحة .
4) المغرب العربي (الجزائر — تونس — المغرب الأقصى) للدكتور صلاح الدين العقاد
5) المغرب العربي للدكتور احسان حقي طبعة دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر .
6) تاريخ الشعوب الاسلامية لبروكلمان ترجمة نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي دار العلم للملايين .



حاولت من قبل ان احدد الخصائص التي لعبت دورا مستمرا فى قيام الكيان المغربي وتركيز اختياره الدبلوماسي مما طبعها دائما بالتبلور والتفتح » .

وفى هذه الحلقة نلتقي مع العوامل التى كونت الدبلوماسية المغربية الحديثة هذه العوامل التى ترتكز على :

اولا ـ عامل التبادل التجاري بين المغرب والدول الاوربية وغيرها ، فقد كان المغرب ينتج ما يزيد عن حاجته فى بعض المواد كما كانت تنقصه بعض المواد الاخرى ، فكان هذا التبادل التجاري مما يحقق التوازن فى حياته الاقتصادية ثم ما كان يصدره المغرب الى هذه الدول يتمثل فى الجلود والحيوانات والزيت والشمع والسكر واللوز والتين كما كان اهم ما يستورده يتمثل فى المنتوجات والاسلحة والعتاد الحربي وما نجز به السفن .

ثانيا ـ العزلة الخانقة التى بات فيها المغرب بعد وقوع حادثتين هامتين هما :

1 ـ سقوط الاندلس .

2 ـ واحتلال الاتراك للجزائر واصبح عليه ان يواجههما ، ولم تكن العلاقة بين الاتراك والاسبان على ما يرام ، كما كانا معا يعملان لاحتلال المغرب ، ولذلك كان على المغرب ان يتقيهما معا ، وان يدفع احدهما بالآخر عن طريق النشاط الدبلوماسي .

ثالثا ـ ولما تحررت هولندا من السيطرة الاسبانية فى اواخر القرن السادس عشر وجدت فى المغرب حليفا كما وجد فيها المغرب حليفا لتحقيق اهدافها ضد السياسة الاسبانية ، ولذلك كانت هولندا من اقدم البلاد التى تبادلت السفارات مع المغرب .

رابعا ـ وعندما احتل الانجليز جبل طارق وجد من المغرب دولة اجنبية جديدة لها خلافات مع اسبانيا وفرنسا ، وجبل طارق متاخم لمدينة طنجة ، وهذا ما تطلب التوسع فى النشاط الدبلوماسي لتجنب الوقوع فريسة لاحدى هذه الدول واستفادة مما بينهما من خلاف (1).

خامسا ـ وقد كان للمغرب اسطول يجوب البحر المتوسط والمحيط الاطلسي وكانت سفن هذا الاسطول تشتبك مع سفن الدول الاجنبية ، كما كان جنوده يشتبكون مع الجيش الاسباني والبرتغالي ، ويستولي الجانبان فى هذه الحوادث البرية والبحرية على الاسرى ، ويحتاج امر افتكاك الاسرى واعادتهم الى بلادهم تبادل السفارات بين المغرب وهذه الدول للاتفاق على طريقة هذا الافتكاك .

---

(1) كتاب (الدبلوماسية المغربية فى عشرات السنين) بتصرف .

سادسا ـ وعندما ضعف امر المغرب تحولت ديبلوماسيته الى وسيلة من وسائل الدفاع عن نفسه، بعد الاعتداءات المتوالية عليه من قبل الاوروبيين الذين اصبحوا جيرانه فى افريقيا ايضا ، وكثر فيه الاجانب وبدا التنافس بينهم من اجل الاستحواذ على خيراته والحصول على الامتيازات وكان على الديبلوماسية المغربية ان تبذل اقصى ما فى استطاعتها للحيلولة دون طغيان الاجانب واطماعهم وامتيازاتهم ، ومحاولة المحافظة على اكثر ما يمكن المحافظة عليه بعد هزيمتين ، حيث كافحت الديبلوماسية المغربية بكل قوتها فى مؤتمرين دوليين احدهما مؤتمر مدريد سنة 1880 من اجل الوقوف فى وجه مطامع الاوربيين والحد من امتيازاتهم ، وثانيهما مؤتمر الجزيرة الخضراء سنة 1906 من اجل الحصول على ضمان دولي لاستقلال البلاد .

ومن مظاهر كفاح المغرب الديبلوماسي للمحافظة على استقلاله ارسل جلالة الحسن الاول سفارة الى البابا فى الفاتيكان سنة 1888 لاقناعه باستعماله نفوذه لدى الدول الاوربية التى تتربص الدوائر بالمغرب لاقناعها بالكف عن هذا التربص .

واذا كان المغرب قد قطع مرحلة جديدة بعد سنة 1912 فان الديبلوماسية المغربية قد واجهت تطورين خطيرين هما :

1 ـ ان وزارة الخارجية لم تلغ وانما اسند امرها الى المقيم الفرنسي العام بالمغرب يومئذ الذى كان يقوم بدور وزير الخارجية فى الحكومة المغربية، فاصبحت اختصاصات وزارة الخارجية المغربية مقتصبة ومرتبطة بالسياسة الخارجية الفرنسية تصرف ديبلوماسيتها كما تشاء ، وتعمل فى الواقع على حشر المغرب فى عزلة تامة . على انه بالرغم من الضغط الشديد الذى تعرض له المغرب لارغامه على امضاء الحماية ، فقد سعى بكل الوسائل للحفاظ على كيانه الدولي .

2 ـ ان المغرب لم يخضع للامر الواقع فى هذا الاغتصاب كما لم يخضع للامر الواقع فى ضروب الاغتصاب المختلفة الاخرى ، وانما واصل نشاطه فى الخارج على الصعيد الوطني بعد ان حرم من مواصلته على الصعيد الرسمي (2)

ولقد اتم النشاط الدبلوماسي فى الفترة الواقعة ما بين 1912 الى سنة 1956 بهذه الصور :

1 ـ تأسيس مجلة «مغرب» بباريز سنة 1932 للدفاع عن حقوق الامة المغربية تحت اشراف جماعة من النواب الفرنسيين وكبار الكتاب والسياسيين المغاربة والفرنسيين والاسبانيين برئاسة السيد روبير لانكي .

2 ـ لقاء انفا بالدار البيضاء فى 22 يناير 1943 (3) بمناسبة اجتماع رؤساء الدول الحليفة روزفيلت رئيس جمهورية امريكا ، وتشرشيل رئيس الحكومة البريطانية ودوكول وجيرو رئيسا الحكومة الفرنسية خصوصا اذا ادركنا ان الحديث الذي جرى بين سلطان المغرب والرئيس روزفيلت لم يكن موضوعه الحالة بالمغرب ، ولا تطور العلاقات المغربية الفرنسية ولم يكن الهدف الذى يرمي اليه صاحب الجلالة من وراء هذا الحديث هو عقد اتفاق مع امريكا على حساب فرنسا ، بل كانت غايته جعل المغرب يستفيد من النظام الذى كان يهيئه الرئيس الامريكي باتفاق تام هو ورفاقه ممثلو انجلترا وفرنسا (4). ولقد اعتبر المستعمرون ايضا ان مرور مراكلان روزفيلت على المغرب يعد النقطة التى تفرعت منها جميع المشاكل الفرنسية مع السلطان ، فقد يمكن ان تقع بعض التعديلات السابقة لاوانها فى ذهن هذا الرجل السري ، ولكن هذه التغيرات كان عليها ان لا تفضح نفسها فى اية مظاهرة عنيفة ، وحتى فى اشد الازمات التى تعانيها القوة الحامية .

ابتداء من (انفا) يتدفق كل شيء وينساب ويتوالى فى فترات عنيفة واسعة » .

3 ـ زيارة المغفور له محمد الخامس لمدينة طنجة سنة 1947 حيث اعلن جلالته من المدينة « الدولية » نداءه التاريخي الذى رددته صحف العالم الذى أعلن فيه وحدة المغرب . وان له هدفا يجب ان يتحقق ، وانه جزء لا يتجزأ من الامة العربية .

4 ـ بعثات الكفاح الوطني فى الخارج والتي فى صورة مكاتب وطنية فى كل من باريس والقاهرة

(2) المصدر السابق .

(3) انظر كتاب (محمد الخامس ملك المغرب) لروم لاندو صفحات 33 ـ 39 .

(4) كتاب (نضال ملك) صفحة 11 و12

ومدريد ونيويورك ، بقيت على اتصال دائم بالقصر الملكي بالرباط وكان اعضاء هذه المكاتب يباشرون نشاطهم الديبلوماسي ، عن طريق الاتصال بالمسؤولين وبالصحافة ورجال الفكر ، كما كانوا يصدرون نشرات عن قضية بلادهم ، ويرسلون من آن لآخر الوفود تجوب القارات الخمس لاخراج بلادهم من العزلة التى فرضت عليها ، وفضح مزاعم الاستعمار، وكسب الانصار ، وتنوير الراي العام الدولي .

وكان اعضاء هذه المكاتب يحضرون الجلسات التى تعقدها الامم المتحدة والهيئات الدولية باعتبارهم الوطني . حينما يكون هذا الاعتبار معترفا به .

5 _ تاسيس نادي روزفيلت فى مارس 1946 من طرف نخبة من المثقفين والسياسيين المغاربة الاحرار (5) .

6 _ وكانت الرحلة الملكية الى فرنسا سنة 1950 عملا ديبلوماسيا ممتازا فى تاريخ المغرب وضع به جلالة الملك قضية البلاد على بساط البحث ، وناقشها مع الدوائر الفرنسية المسؤولة : وزارة الخارجية ورئاسة الوزراء ، ورئاسة الجمهورية ، وكانت محادثات ومناورات ، وكان اخذ ورد وتبادل وثائق ، واخراج القضية المغربية من اطارها الضيق الى اطار اوسع ، وافق أعم واشمل » (6) .

وبعد سنة 1954 فقد ركز محمد الخامس عمله الديبلوماسي بل نشاطه الخارجي لبعث الديبلوماسية المغربية ، واعادة تاسيسها وافراغها فى القالب الذي يصل الحاضر بالماضي والمستقبل وتخطي مرحلة العزلة وذلك طبقا لما سجلته المعركة الكبرى وظروفها فسجل عهده بطابع هو طابع الديبلوماسية المحمدية (سنة 1956 حتى 1959) لكن محمد الخامس الذى بعث المغرب الجديد كان يعلم ان بعث الديبلوماسية المغربية الجديدة وحده لا يكفي ، ولهذا فلم يفارق جلالته الحياة سنة 1951 الا بعد ان ركز خطوط مستقبل ديبلوماسيتنا فى الخطوط التى ارتكزت عليها من بعد .

وهذا التخطيط قد يظهر وكانه نتيجة لظروف عفوية فى عمومه ولكن اذا كنا نعلم ان خطوط هذه الديبلوماسية قد ركزت فى مظهرين واضحين هما :

اولا _ الرحلة التى قام بها جلالته لدول الشرق العربي فى مارس 1960 وخرج منها بنتائج هي أروع مثال يمكن ان ترتكز عليه قدرة هذه الديبلوماسية الفتية حيث عاد جلالته وبيده ست بلاغات رسمية مع رؤساء الدول العربية التى زارها تستهدف الى ان المغرب جزء لا يتجزا من الامة العربية .

وهذه الظاهرة قد ركزت حقيقة المفهوم الديبلوماسي الحقيقي الذى يركز الوجود الوطني فى شموليته ووضوحه .

ثانيا _ ويهضم العالم الخطوة الاولى لانها تحمل اشياء تؤكد اصالة هذه الديبلوماسية ، وتستمر الخيوط الجديدة فى النسج عند جلالة الملك فيشعر بان الاسلوب الذى خطه المغرب ما بين سنة 1956 الى 1961 اصبح يرتكز على بعث اسلوب آخر ، اسلوب يعيش مع الاحداث المقبلة التى يطل عليها المغرب فيدعو جلالته الى عقد مؤتمر للدول الافريقية المتحررة (7) لان المستقبل يؤكد ان افريقيا على ابواب حياة جديدة كقارة متحررة تنشد التخلص والانطلاق.

وبالرغم من ان المغرب الجديد ابتدا هذه الديبلوماسية وهو مؤمن ان هذه الديبلوماسية تحتاج منذ اللحظات الاولى الى :

- خلق الظروف الديبلوماسية .
- بعث الديبلوماسية .
- تهيىء الفكر الديبلوماسي .
- البحث عن الديبلوماسية المغربية الجديدة .

فان هذا ما تؤكده المواقف التى وقفها المغرب منذ 2 مارس 1956 فى المجال الديبلوماسي ، وهذا بالذات ما يجعلنا نلاحظ الديبلوماسية المغربية فى عهد محمد الخامس كانت لا تلتزم اسلوبا معينا بذاته ، ولكن هذه الدبلوماسية قد التزمت اسلوبا جديدا ، وتفكيرا مستقلا كان كل غاياته . بعث الديبلوماسية المغربية الجديدة فى المغرب الجديد .

واذا كانت وفاة محمد الخامس المفاجئة قد اقترنت بانتهاء فترة جديدة بخصوص الديبلوماسية المغربية ، وهو انعقاد مؤتمر الدار البيضاء الافريقي (يناير 1961)) فان هذه الفترة تعتبر الظرف الواضح لرسم معالم الديبلوماسية المغربية فى المغرب

---

(5) انظر جريدة (التقدم) السـاوية ع 181 . ص 3 . 21 مارس 1946

(6) جريدة (الراي العام) (ع : 176 . ص 4 _ 17_ 11 _ (195 _ ص 10)

(7) مؤتمر الدار البيضاء (من 3 الى 7 يناير 1961) .

الجديد وهو ما يعني في وضوح ان المغرب قد قطع خطوات خاصة ، وان نتائج هذا المؤتمر خدمت الديبلوماسية المغربية في العمق ، وفتحت لها نوافذ على عالم اليوم ..

وتطورت الاحداث الدولية بسرعة .. فانعقد مؤتمر دول عدم الانحياز لكي يفتح المغرب آفاقا جديدة في المجال الديبلوماسي المغربي ، وقد اوضح استمرار الخطوط العامة التي اختارها المغرب وهو يؤسس هذه الديبلوماسية الحديثة ويؤكد هذا الراي ان جلالة الحسن الثاني عندما حضر مؤتمر دول عدم الانحياز ، وتراس بعض جلساته وتحدث باسم دوله اوضح كثيرا من خطوط ديبلوماسيتنا المتحررة .

وقد اوضح جلالة الحسن الثاني التمديد الدقيق والمباشر لعدم الانحياز وعدم التبعية فاغتنم جلالته اول فرصة وبعد سنة بالضبط من مؤتمر بلغراد (1962) عند تقديم اوراق اعتماد سفير الولايات المتحدة الامريكية فأكد له انه :

« لم تبق هناك دول عظمى ، واخرى صغيرة ، لان جميع الدول متشادة ومتساوية في حق فرض وجودها واحترام مقدساتها . »

اما عن عدم الانحياز فيقول جلالته :

« ليس معناه الانعزال وعدم الاكتراث بما يجري في فريق من الانسانية ، بل انه بالعكس البحث في مجموع الفكر الانساني عن كل ما هو قيم وسديد .. يضمه الى تراثنا ، والاستفادة منه لصالح تطور بيئتنا .

هذا بالاضافة الى خطاب المغرب اكد في وضوح مبدئين جوهريين :

1 — ان السلام العالمي يعني جميع الشعوب صغيرها وكبيرها ، وليس من اللائق ان تختص الدول الكبرى وحدها بتقرير مصير البشرية .

2 — ان تجمع الثروة والتقنية في يد عدد ضئيل من الاقطار ، لاسباب تاريخية ، من بينها الاستعمار والامبريالية اصبح مرفوضا في قانون الاخلاق ، مستنكرا من طرف الضمير الدولي (8) .

ومن كل هذه المواقف ، اوضح تمثيل المغرب على كل المستويات :

اولا — التزامه لروح الديبلوماسية المغربية المتزنة التي لا تتأثر بالاحداث الدولية العابرة وبظروف الانتقال التي تسيطر اليوم على ديبلوماسية كثير من الدول النامية وغيرها ممن يتأثرون بالتطور المعاكس وبالتيارات الوقتية التي تهب هنا وهناك تحت شعارات المعسكرات المتصارعة من اجل السيطرة على العالم .

ثانيا — الاسلوب المتحرر الخاص في الاتصال المباشر اوغير المباشر مع كل الذين دفعتنا الظروف الدولية الى الاتصال بهم بطريقة او باخرى .

وهكذا نكون قد التزمنا اختيارنا الديبلوماسي في اتزان مضبوط ولو ان عودة ديبلوماسية المغرب قد اتخذت مصيرها بنفسها ، ويستنكر كل وسائل العنف والقمع المتخذة ضدها بأي اسلوب كان ..

واذا كان مؤتمر القمة الاسلامي (شتنبر 1969) باعتباره معجزة المسلمين قد لعب المغرب دورا له قيمته في تحقيق هذه المعجزة ، فان مجرد استعراض قائمة الدول (9) الممثلة فيه تشير الى مركز الديبلوماسية المغربية واهميتها مما يؤكد عالم التكتلات والايديولوجيات المتنمية التي انصبت على عالمنا العربي والاسلامي سيخرج المغرب من معارك متعددة مؤكدا ان ديبلوماسيته محددة في اهدافها .

ووسائلها وطرق عملها طبقا للاختيار المغربي المبني على عدم التبعية وعدم الانحياز وهذه في الحقيقة هي المبادىء الاساسية التي تقوم عليها سياستنا الخارجية اليوم ، وعلى نهجها سننطلق دائما بعون الله .

الرباط — زين العابدين الكتاني

---

(8) مجلة (اللقاء) س : 2 — ع : 14 و 15 — يوليوز 1969 — ص : 110)

(9) شارك في المؤتمر الاسلامي 26 دولة مسلمة من مجموع 32 دولة وجهت اليها دعوة المشاركة ، وهذه الوفود كانت كما يلي :

— 9 رؤساء دول .
— 5 رؤساء حكومات
— 2 رؤساء برلمانات
— 1 ممثل شخصي واحد
— 8 وزراء
— 1 سفير واحد

كفاح المسلمين ضد التبشير في القارة الهندية

للدكتور محمد يوسف

لقد كرس المسلمون فى الهند جهودهم للجهاد طوال النصف الاول من القرن التاسع عشر الميلادي ، انما اعطوا الاولوية للجهاد ضد العدو الداخلي ليتفرغوا فيما بعد لمواجهة المستعمر الخارجي . وقد واصلوا الجهاد ضد العدو الداخلي أي السيخ المتغلبين على مقاطعة الفنجاب من غير ان ييأسوا او يهنوا حتى بعدما تكبدوا من الخسائر الفادحة فى الارواح والعتاد فى وقعة بالاكوت ، الا أن الظروف سرعان ما اضطرتهم الى الاشتباك مع الانجليز ، الذين كانوا دائما يتربصون بالمرصاد للتدخل فى الامر . فانهم لم يكونوا ليدعوا المجاهدين يتخذون قاعدة للاعمال الحربية فى المنطقة الجبلية بالقرب من بيشاور ، ولذلك بادروا الى القضاء على السيخ والاستيلاء على اماراتهم بالفنجاب مع الهجوم على المجاهدين لاضعاف شوكتهم ، هكذا اصبح العداء سافرا بين المجاهدين والانجليز ، وبقي المجاهدون يواصلون الجهاد ضد الاستعمار الخارجي من قاعدتهم بالقرب من بيشاور رغم جميع الصعوبات التى اعترضت طريقهم ، بينما مضى الانجليز قدما فى سياستهم للتوسع فى الاستعمار، حتى أنهم بدهائهم قبضوا على زمام الحكم فى البلاد واستأثروا بجميع مواردها وخيراتها ولما تم لهم ما ارادوا واصبحت لهم اليد العليا فى ادارة الشؤون السياسية والاقتصادية وفقا لمصالحهم الاستعمارية ، بداوا يطمسون جميع آثار الحكم الاسلامي ويفرقون بين المسلمين والهندوس حتى يتسنى لهم السيادة على الطائفتين ، ولا يخفى ان سياستهم كانت تتسم بطابع الحذر من المسلمين الذين سبق لهم أن عرفوهم وعجموا عودهم فى الشرق الاوسط وفى اوربا ولاسيما ايام الحروب الصليبية ، فكان العداء مستحكما قديما بين الاسلام والنصرانية وكانت صدور النصارى الانجليز موغرة ضد المسلمين قبل ان يلتقوا بهم فى صعيد الهند ، ولذلك لم يكن بدعا منهم أن يرسموا سياسة بعيدة المدى لارغام انف المسلمين وحرمانهم لا من الحكم والسياسة فحسب ، بل من التجارة والصناعة وجميع اسباب العيش ايضا . ولذلك نراهم من اول يوم يفضلون الهندوس على المسلمين بصورة وقحة تثير البغضاء بينهما . ومما لجا اليه الانجليز فى هذا الصدد تشويه سمعة المسلمين والتعرض لدورهم فى التاريخ بالطعن والتجريح ووصمهم على العموم بالظلم والقسوة والعنف ، وانما كانوا يهدفون من وراء حملتهم تلك الى أن يجعلوا الهندوس يغتنمون فرصة التخلص من ربقة المسلمين على يد الانجليز ، كأن الانجليز لم يكونوا مستعمرين ، بل منقذين لهم من الاسر والعبودية ، ودعما لخطتهم تلك اهتم الانجليز بدراسة تاريخ المسلمين فى البلاد ، ولم يكن همهم من الاستشراق الا مسخ الحقائق التاريخية واستخدام العلم كأداة للسياسة ، ومن المعروف ان الدراسات الشرقية فى جميع مراكز الاستعمار باوربا انما نشأت من ضرورات الحكم والسياسة وظلت الى وقت قريب بعيدة كل البعد عن الروح العلمية النزيهة ، ومع ذلك كان الانجليز ينظرون الى جميع ابناء البلد نظرة احتقار وازدراء حتى اصبحت كلمة « بلدي » سبة وعارا ولم يكونوا يخالطون اهل البلد لفطرستهم وشعورهم بالتفوق العنصري ، بل كانوا يعيشون فى حارات خاصة بهم وينعمون بخيرات البلاد متباهين بها على السكان الاصليين ، فكان كل ذلك يحز فى قلوب جميع المواطنين ولاسيما المسلمين منهم ، فانهم حتى بعدما انفلت زمام الحكم من

ايديهم ، ما فتئوا يعتزون بعلومهم وآدابهم ، فكانوا اشد تألما من هذا الذل والهوان، أما الهندوس فانهم لم يكونوا الى ذلك الوقت انقلبوا ضد المسلمين ، بل كانوا مستمرين فى حسن تآلفهم وتآزرهم معهم كعهدهم بهم ايام حكم المغول ، وبالاضافة الى ذلك فان الهندوس ايضا كانوا ساخطين على الانجليز من السياسة التى اتبعوها للاستيلاء على الامارات التى كان يحكمها الامراء من الهندوس ، فان عددا منهم كانوا بترا اي لم يكن لهم ولد يخلفهم على العرش وكانت الطريقة المتبعة عندهم والتي اقرتها شريعتهم ان يتبنوا اولادا للآخرين ويعطوهم حقوق ابنائهم كاملة ، ولكن الانجليز قرروا عدم الاعتراف بحقوق الولد المتبنى فى ولاية العهد حتى يتسلموا مقاليد الحكم في كل امارة بقيت بدون وارث شرعي ، فكانت النتيجة ان الهندوس ايضا نقموا من الانجليز جشعهم وسوء معاملتهم وسياستهم الرامية الى القضاء على جميع مظاهر الاستقلال الذاتي للمسلمين والهندوس على السواء ، ولذلك نراهم لا يحيدون عن ولائهم للعرش المغولي بل يلتفون حوله ويتخذونه رمزا للثورة ضد الانجليز قبل أن يتم لهم الامر ويستفحل شرهم ، ومن المعروف ان الثورة حدثت فى سنة سبع وخمسين من القرن الماضي بصورة تلقائية كانفجار عنيف للحقد الدفين والسخط المكبوت من جراء العوامل المثيرة التى مضى الالماع الى بعضها آنفا ، وقد قام باطلاق الطلقات الاولى فى تلك الثورة جنود مرتزقون موالون للانجليز ، ولذلك يسميها هؤلاء الغدر والخيانة بالعهد من وجهة نظرهم هم ، الا انهم فى الحقيقة تكون حلقة من حلقات الجهاد بالسلاح للاحتفاظ بمبادىء الاخلاق والحرية .

— * —

من المعروف ان اقوام اوربا كلها ، بما فيها الانجليز ، كانت تضمر الحقد الدفين ضد المسلمين لعوامل تاريخية ترجع الى عهد الحروب الصليبية ، فلما التقى الانجليز بالمسلمين فى الهند ونجحوا في انتزاع الحكومة والسلطة السياسية من ايديهم بالكيد والدس بالاضافة الى التفوق فى التنظيم العسكري والاسلحة النارية الجديدة ، عمدوا الى اعمال استفزازية قصد منها ارغام انف المسلمين والانتقام منهم وذلك بحرمانهم من جميع وسائل العيش وتجريدهم من كافة مظاهر العز والكرامة ، فمنها انهم قضوا نهائيا على امارة (أود) التى كانت قاعدتها مدينة لكناؤ الشهيرة ، وكانت تلك الامارة اصبحت رمزا لسيادة المسلمين فى البلاد بعد زوال ابهة البلاط المغولي بدهلي ، وفوق ذلك كانت امارة لكناؤ محط رحال كثير من الادباء والشعراء والفنانين الذين ضاقت بهم الاحوال فى دهلي لما فقد البلاط المغولي موارده فعجز عن رعايتهم وتكفل ارزاقهم فلما اضطروا الى الهجرة من دهلي اموا رأسا امارة لكناؤ التى كانت اكبر الامارات الاسلامية بشمال الهند فحظوا هناك بعيش رغد وتقدير جم لمواهبهم ، فما دامت امارة لكناؤ مستقلة فى الامر ، غنية بالموارد كان المسلمون يتعزون بها من زوال عرش دهلي ويطمئنون الى حفظ علومهم وسلامة آدابهم وازدهار ثقافتهم ، فان الشعور باستمرار الحياة العلمية والادبية وعدم الاخلال بالنشاطات الثقافية هو بدون شك مما يهون الحزازات النفسية لانكماش السلطة السياسية ، ولا يخفى ان المسلمين فى ذلك العهد ما زالوا يتفوقون على الامم الاخرى برقة شعورهم ونفاسة ذوقهم ورقي آدابهم وحق لهم الاعتزاز بها حتى ان الهندوس اعترفوا بها وتأثروا منها ، أما الانجليز فانهم بعدما تم لهم الاستيلاء على مقاليد الحكم بداوا يتغطرسون مع عنجهية فيهم ، فكان ذلك مما يمس كرامة المسلمين ويحز فى قلوبهم ويثير فيهم الغيرة والحمية حتى اتخذ الانجليز خطوة نهائية بالقضاء على امارة لكناؤ وضمها الى الممتلكات التى يحكمها الانجليز حكما مباشرا ، اذ ذاك اصيب المسلمون بداهية نكراء حيث انهم تنبهوا الى ما يتبع زوال السلطة السياسية من فقر وجوع وذل وهوان ، فان سقوط امارة لكناؤ كان ايذانا بضيق سبل العيش فى وجوه العلماء والادباء والفنانين الذين كانوا دائما ينعمون فى ظل البلاطات ورعاية الملوك، ومما زاد الطين بلة ان الانجليز اتبعوا سياسة عدم استخدام المسلمين فى الجيش والادارة وذلك لعدم ثقتهم بالمسلمين الطامعين الى استعادة حكمهم وايضا لاشعار الهندوس بان حكم الانجليز سيتيح لهم فرصة الاستئثار بالوظائف الحكومية ، على كل حال ذاق المسلمون حوالي منتصف القرن التاسع عشر الميلادي الم الفقر والبطالة وحرقة القلب لانقراض العلوم وكساد سوق الآداب والفنون ، تلك كانت حالة الطبقة العليا من الحكام والامراء واصحاب السيف والقلم ، انما بقي المسلمون مسيطرين على التجارة والصناعة كما كانوا منذ قرون متتالية ، ومن المعروف ان اقوام اوربا انما شقت طريقها الى الهند بروح منافسة

المسلمين فى التجارة العالمية التى كانت تجري اذ ذاك من الصين والهند الى الشرق الاوسط واوربا ، وكان المسلمون اقوياء يستطيعون ان يردوا مطامع الانجليز بخبرتهم الفنية وعلاقاتهم الحسنة المتوارثة مع التجار المحليين فى البلاد الواقعة على خط سير التجارة ، الا ان الانجليز لما فشلوا فى المنافسة بطرق معروفة ، لجأوا الى وسائل العنف والضغط السياسي لطرد المسلمين من الميدان ، فسدوا عليهم طرق الملاحة وهاجموا سفنهم المحملة بالامتعة والبضائع فى وسط البحر ، كذلك انشأوا لهم مصانع وقواعد تجارية محصنة شبه عسكرية فى مواقع استراتيجية من شرق افريقيا والخليج الفارسي الى مليشيا والبحر الصيني ، فكانت هذه السياسة المبنية على القسوة والارهاب والجشع ومخالفة الاخلاق والاساليب المعروفة فى التجارة ، نكبة على المسلمين فى تجارتهم وعلى جميع الشعوب والبلاد الشرقية فى استقلالها وحريتها ورخائها ، فان التجارة بيد الانجليز كانت وسيلة لاستغلال موارد الآخرين وامتصاص دمهم والتغلب عليهم وغصب حقوقهم كما هو حال الاستعمار فى كل مكان — فلنتذكر ان الفقر والجوع والذل والهوان والحسرة على ضياع العلوم والآداب والفنون هي من اقوى العوامل فى الثورة ضد الانجليز بعد زوال السلطة السياسية .

— * —

فى مطلع القرن التاسع عشر الميلادي تم للانجليز الاستيلاء على زمام الحكومة فى مناطق مختلفة من الهند ، الا انهم لم يطمئنوا الى وضعهم لما كانوا يشعرون به من عدم ثقة اهل البلد بهم وعدم رضاهم بالحكم الاجنبي القائم على الجشع والقسوة والمكر والدسيسة وانتهاك مباديء الاخلاق كلها فى سبيل الاستعمار ، انما حاول الانجليز انتهاج سياسة « فرق تسد » وذلك بتفضيل الهندوس على المسلمين فى الخدمات الادارية مع انهم لم يحجموا من القضاء على الامارات الهندوكية كما انهم قضوا على امارات المسلمين حتى يستبدوا بالحكم ، على كل حال كان القبض على الامارات المحلية وضمها الى الممتلكات التى يحكمها الانجليز حكما مباشرا ، صدمة عنيفة بالنسبة الى المسلمين والهندوس على السواء ، انما كان شعور المسلمين بالذل والهوان اقوى واكثر وخزا وايلاما لانهم كانوا هم المتفوقين لا فى الحكومة فحسب بل فى العلم والفن والثقافة والحضارة ايضا ، ومع الاسف لم يلبث الانجليز ان جعلوا العلوم الاسلامية وفنون المسلمين عرضة للاهمال وعدم التقدير ، بل الازدراء والاستهزاء ، لما جبل عليه المستعمرون من الغطرسة وسوء الادب ، فقد لاقى معظم العلماء والادباء والفنانين الم الحرمان والفقر بعد زوال عرش دهلي وسقوط امارة لكناؤ ، اذ ذاك وضح للمسلمين انهم لم يفقدوا الحكومة فقط بل ربما سيفقدون عزهم وكرامتهم ومقومات ثقافتهم وحضارتهم ، فكان ذلك مما اوغر صدرهم شد الغاشمين ، ثم ان الانجليز لم يتركوا المسلمين ينعمون بثمرات جهدهم وفوائد خبرتهم وبراعتهم فى ميادين التجارة والصناعة ، فمن المعروف ان المسلمين هم الذين كانوا يزاولون نقل البضائع الشرقية من اقصى الصين الى مصر واوربا منذ قرون عديدة متوالية وكانوا يتمتعون بسمعة حسنة وعلاقات طيبة مع جميع البلدان الواقعة على خط سير التجارة ، لان التجار المسلمين كانوا دائما مصدر خير وبركة لزبنائهم ، فلما جاء الاوربيون والانجليز على الاخص لم يكتفوا بالمنافسة بطرق مشروعة ، بل عجزوا فعلا عن اقصاء المسلمين من مراكزهم والاضرار بهم كلما بقيت المنافسة حرة ، فلم يكن منهم الا ان عمدوا الى استعمال الضغط السياسي ، بل القوة السافرة والظلم والارهاب لحرمانهم من لقمة العيش وتضييق الخناق عليهم فى ميادين العمل الحر ، وليست حكاية منسوجات القطن الهندية بغريبة ، فانها اشتهرت فى جميع انحاء العالم لدقتها ومتانتها وصفاقتها وقد شهد المؤرخون العرب وغير العرب بأن القطعة الكبيرة منها كانت تلج حلقة الخاتم ، وكان الاقبال عليها شديدا فى ممالك اوربا ومنطقة البحر الابيض المتوسط ، وكانت صناعة النسيج هذه بيد المهرة من الصناع المسلمين فى منطقة دكا بالباكستان الشرقية الحالية وكان المسلمون هم الذين يتولون تسويق المنتجات وتوزيعها على العالم ، فلما استولى الانجليز على الحكم خيل اليهم انهم امتلكوا جميع موارد البلاد وخيراتها ، فراحوا يحصلون على المنسوجات القطنية لا عن طريق البيع والشراء فى السوق الحرة ، بل عن طريق استعباد الصناع المهرة واجبارهم على تزويد الحكام بكميات وافرة من المنسوجات الرفيعة بأثمان زهيدة فى اوقات قصيرة محددة ، وكان الصناع المهرة مهددين بعقوبات شديدة اذا هم خالفوا اوامر الحكام او تخلفوا عن

الاجابة الى طلباتهم التي لا نهاية لها ، فكانت النتيجة ان الصناعة القديمة المتوارثة التي كانت مفخرة للبلاد ونعمة للمتنعمين في العالم كله ، نعم تلك الصناعة ماتت في مدة قصيرة ، وقد ذكر في هذا الصدد ان النساجين كانوا يفضلون ان يقطعوا أصابعهم ليدخلوا في عداد العاجزين المعذورين على ان يشتغلوا في صناعتهم فيتعرضوا للنهب والسلب من الحكام الجشعين ، كذلك حال صناعة السفن التي امتاز المسلمون بها في منطقة الدكن اي جنوب الهند ، فبما أن سواحل الهند غنية بالاخشاب وجميع ما يحتاج اليه في صناعة السفن ، ازدهرت تلك الصناعة في المناطق الساحلية الجنوبية واستطاعت ان تثبت امام المنافسة العالمية ، فان السفن المصنوعة في الهند كانت امتن وارخص بحيث أن البرتغاليين واقوام اوربا الاخرى كانت تقدرها وتفضلها على مصنوعات بلادها هي — أما الانجليز فلم يمنعهم شيء من المبادرة الى اصدار اوامرهم بمنع دخول السفن الهندية في موانيء انجلترا مما يستلزم تصدير البضائع الهندية في السفن الانجليزية لا غير ، فكان من الطبيعي ان قل الطلب فماتت صناعة السفن ايضا ، فتلك هي العوامل الاقتصادية التي هي بذاتها تكفي لتحريض اهل الهند على الثورة ضد الانجليز كلما واتت لهم الفرصة .

— * —

بعدما تم للانجليز الاستيلاء على زمام الحكم في مطلع القرن التاسع عشر الميلادي بادروا الى اتخاذ خطوات ترمي الى الاستئثار بخيرات البلاد بطرق غير مشروعة، منها القضاء على الامارات المحلية وضمها الى الممتلكات التي يحكمها الانجليز حكما مباشرا ، وعدم الاعتناء بالعلوم والفنون الاسلامية والآداب العربية والفارسية ، وحرمان المسلمين من لقمة العيش باقصائهم عن مراكزهم في التجارة والصناعة عن طريق القسر والارهاب ، اذن لم يبق لاهل البلد ، ولاسيما المسلمين منهم ، الا الاعتماد على الزراعة ، وقد كانت الهند الى ذلك العهد معروفة بثروتها الزراعية بحيث كانت تكفل جميع حاجاتها بمواردها المحلية ، وكانت الزراعة المصدر الاول للرخاء المادي تضمن لجميع الاهالي السعة في الرزق وتدر على الفلاحين ارباحا طائلة ، وانما كان ذلك نتيجة لنظام محكم للجباية قائم على الرفق والتيسير من قبل الامراء المغول ، ومن ابرز خصائص ذلك النظام ان الاراضي الزراعية كانت تعتبر ملكا للزراع ولم تكن الدولة تطمع الا في نصيب معين من الغلة السنوية مراعية في ذلك جميع الاحوال الطبيعية والظروف الطارئة على الانتاج الفعلي من سنة الى سنة ، ولم يكن هناك وسطاء يرهقون الزارعين ويكلفونهم فوق ما في وسعهم ، فلما آل الامر الى الانجليز راوا ان نظام الجباية ذلك لا يصلح لهم ولا يرضي مطامعهم الاستعمارية وقد الفوا النظام الاقطاعي في بلادهم ، فعمدوا الى خلق طبقة من الاقطاعيين يضمنون لهم الحصول على مبالغ باهظة من الخراج كما أنهم يأتمرون بأمرهم ويخدمون اغراضهم السياسية ، فجاءت الاصلاحات الزراعية في بنغالة والمناطق الشمالية وسيلة فعالة لامتصاص دم العاملين الكادحين بدون هوادة ولا رحمة ، هذ وقد دبر الانجليز ايضا ان ينتهزوا فرصة الاصلاحات الزراعية ليسلطوا الهندوس على رقاب المسلمين ، فغمرت القرى والارياف موجة الاستياء من تدهور الاحوال الاقتصادية وازداد العوام حنقا على الانجليز ، وزاد الطين بلة أن نظام النقد الذي كان معمولا به عند المسلمين منذ اجيال تعرض للاختلال والفساد كنتيجة للنهب والسلب والرشوة من قبل الولاة الانجليز ، فمن المعروف ان الاسلام خص الذهب والفضة بقصر استعمالها كوسيلة للتعامل بين الناس في البضائع والاجور ، ولذلك استمر المسلمون منذ فجر تاريخهم يتخذون من المعدنين مقياسا للقيم والاجور ، اي انهم اسسوا نظام النقد على قاعدة الذهب ، وكانوا دائما يعملون بالامانة في صك النقود بما ان القيمة الاسمية للعملة كانت مساوية لقيمته الذاتية ، وكلما لم يكن معدن الذهب والفضة خالصا او نقص وزنهما انحطت قيمة العملة في السوق الحرة ، فهذه القاعدة اي قاعدة العملة الذهبية كانت بمثابة حجر الاساس في بناء صرح الاقتصاد القومي ، وهي التي كانت تضمن الصدق والامانة والاستقرار في الاحوال الاقتصادية كما انها كانت علامة للرخاء المادي وسمعة البلاد في الخارج ، وجد الانجليز هذا النظام معمولا به في الهند ، فحرصوا على ابتزاز الاموال واقتناء الذهب والفضة عن طريق السلب والرشوة ، ولا يخفى ان عددا من الموظفين الانجليز في الشركة الهندية الشرقية اتهموا بالخيانة والرشوة، على كل حال اختل نظام العملة الذهبية حتى اضطرت الحكومة الى الغائها والاقتصار على الفضة مقام الذهب ، الا ان الفضة ايضا تسربت الى الخارج وقلت في البلاد مما سبب

الضيق للعوام وارتفعت شكواهم ضد الانجليز — فقد كان الناس على حق فى اتهام الانجليز واعتبارهم مسؤولين عن جميع مشاكلهم اليومية . هكذا نرى ان الثورة ضد الانجليز التى وقعت بعد منتصف القرن التاسع عشر الميلادي لم تكن وليد ساعة ، بل كانت نتيجة حتمية للسياسة التى اتبعها الانجليز فى حكمهم على البلاد ومعاملتهم مع الناس ، فان سياستهم تلك انتزعت التجارة من ايدي الاهالي وخربت الصناعات المحلية وعرضت الفلاحين للحرمان من ثمرات جهدهم وكدهم ، وهربت الاموال والنقود الى الخارج حتى اختل نظام النقد — فالفرض ان الاحوال الاقتصادية ساءت وتدهورت الى حد ان رجل الشارع لم يعد يحتملها بأي وجه ، اذن لم يكن غريبا منه ان ينتهز كل فرصة سنحت له للثورة .

— * —

لقد اتبع الانجليز ، بعد ان تسلموا زمام الحكم فى الهند فى مطلع القرن التاسع عشر الميلادي ، سياسة الاستعمار والاستعباد علنا ، فانهم لجاوا الى وسائل غير مشروعة للاستئثار بموارد البلاد وخيراتها حتى حرموا اهل البلد من التجارة وقضوا على الصناعة وانتزعوا الاراضي الزراعية من ايديهم فسدوا جميع سبل العيش فى وجوههم ، مما ادى بهم الى الفقر والجوع ، ثم ان الانجليز اذاقوا اهل البلد انواعا من الذل والهوان ، فمثلا انهم لم يفتأوا ينظرون الى الآداب الاسلامية والفنون الشرقية والثقافة المحلية بنظر الازدراء والتحقير ، وفعلا القوا بالعلماء والفنانين الى الشوارع من غير ولي ولا نصير بعد ان كانوا ينالون الحظوة عند الملوك ، وينعمون بجوائز مالية من الامراء والحكام ، ويتمتعون بالتقدير والاجلال من عامة الشعب ، الا ان اهم العوامل المثيرة ضد الانجليز هو التبشير بالقوة ، فانهم لم يلبثوا أن اعلنوا بالصراحة انهم جاءوا الى الهند لا ليحكموها وينهبوا ثروتها فحسب بل ليزحزحوا المسلمين والهندوس على السواء عن دينهم وعقيدتهم وينشروا النصرانية بينهم ، فقد جاء فى بيان رسمي القي فى البرلمان اذ ذاك ان الهند لم تدخل فى حوزة الانجليز الا لان المشيئة الالهية قدرت ان تدوي كلمة المسيح فى ارجائها وان تكون النصرانية هي الديانة العليا فيها ، اذن يجب على جميع المندوبين والموظفين فى الحكومة الانجليزية ان يسعوا جاهدين لاداء واجبهم فى هذا الصدد الى ان تتحول المستعمرة الهندية الى بلاد نصرانية بكل معنى الكلمة ، وحتى التبشير لم يكن المسلمون يبالون به فى اول الامر ما داموا يأملون ان التبشير لا يتعدى تبليغ الدعوة فقط ، الا انهم فوجئوا واصيبوا بصدمة عنيفة حينما اتضح للعيان ان الانجليز لا يتقيدون بالمبادىء الشريفة التى يلتزمها المسلمون فى تبليغ الدعوة ، بل ان الانجليز لا يتورعون من استعمال جميع وسائل القسر والارهاب والثلب والقدح فى الاديان الاخرى فى سبيل ترويج النصرانية ، فراح الانجليز يستخدمون نظام التعليم الجديد كأداة لنشر العقائد الخاصة بهم . كما صرح بذلك اللورد ميكالي الذى تولى انشاء النظام الجديد ورعايته ، وفضلا عن ذلك لم تكن الحكومة الانجليزية علمانية قط ، فانها كانت تضم وترعى بصفة رسمية مصلحة الدين المسيحي وتستخدم الاساقفة ورجال الدين المسيحي وتنفق عليهم اموالا طائلة من موارد الدولة ، ولم يكن الموظفون المدنيون والعسكريون اقل حماسا من رجال الدين ، فانهم كانوا وقحين للغاية ، وكان من دأبهم ان يهاجموا المجالس التى يعقدها المسلمون والهندوس فى مناسبات دينية شتى وذلك بدون ان يدعوا اليها ، وهناك ينهضون ليكيلوا التهم وينالوا من الشخصيات المحترمة ويستهزئوا من المعتقدات الدينية للآخرين ، كذلك كانوا يجترئون على الحط من قدر الرسول عليه الصلاة والسلام فى الشوارع على نمط ما كان النصارى الغلاة يفعلونه من سب الرسول امام المسلمين فى المساجد والاندية فى الاندلس ، وقد تجلت روح التعصب الديني هذه فى طرق التعذيب التى ابتدعوها للانتقام من الذين يثورون ضدهم ، فانهم قرروا أن يسوموا الثوار من الهندوس اكل لحم البقر وتطلية اجسامهم بشحم البقر قبل تقديمهم الى المشنقة ، وذلك نظرا الى ان الهندوس يقدسون البقر ويعبدونه ، اما المسلمون فكانوا يتركون ليموتوا خنقا فى جلود الخنزير ، نعم ! من المقرر ان كل حكومة تلجأ الى التنكيل بالثوار الا ان التعمد لجرح المشاعر الدينية امر لا يرضاه غير الضالين المتكبرين ، كذلك انبرى الحكام الانجليز لاستغلال احوال القحط والجوع لصالح التبشير ، فقد ساءت الاحوال فى منتصف القرن التاسع عشر الى حد ان اضطر الناس الى بيع او هبة اولادهم من املاق ، فكان المبشرون النصارى يتلقون هؤلاء الاطفال تحت اشراف الولاة الجشعين ويدخلونهم فى ملاجئهم التى انشأوها على نطاق واسع لذلك الفرض بالذات ، فيربونهم على دين النصرانية ، ثم ان هؤلاء الشبان

المتنصرين كانوا دائما موضع حفاوة وعناية من الولاة حيث كانوا يرقون الى مناصب عالية فى الحكومة ، كذلك كان قواد الجيش يجعلون نصب اعينهم اغراء العساكر تحت قيادتهم بالمال والجاه والترقيات فى المناصب واجبارهم على ترك دينهم واعتناق النصرانية بدل الاسلام والوثنية على السواء ، هكذا نرى ان العامل الديني انضاف الى العامل الاقتصادي لتهيئة الجو للثورة الكبرى ضد الانجليز فى منتصف القرن الماضي .

— * —

لم يبال الانجليز بعد استيلائهم على الحكم فى الهند ، بالانذار علنا بأنهم وضعوا التبشير للدين المسيحي نصب اعينهم ، وفعلا استخدموا جميع وسائل الترغيب والترهيب لتحقيق غرضهم ، وادهى وانكد من ذلك انهم لم يكتفوا بالدعوة بطرق سليمة مشروعة ، بل اجترأوا على الطعن فى الاديان الاخرى بوقاحة مؤذية ، فهم استقدموا عددا كبيرا من رجال الدين والمبشرين المسيحيين وخصوهم برعايتهم وبثوهم فى جميع انحاء البلاد ، وشجعوهم على الاستهزاء بمعتقدات وعوائد المسلمين والهندوس على السواء ، فمثلا اتخذوا من قاعات الدرس فى معاهد التعليم الجديدة منبرا لاظهار تفوق الاوربيين والمسيحيين على المسلمين والشرقيين فى العلوم والمخترعات الجديدة حتى وصموا الاسلام والشرق بالجمود والتخلف ، وتلك احدى العلل فى تنفير المسلمين على الاخص من العلوم الجديدة ، ثم ان القواد العسكريين استغلوا كل فرصة لاهانة الجنود المرتزقين من ابناء البلد وسب الشخصيات الدينية المحترمة لديهم مع العلم بأن هؤلاء المستضعفين غير مسموح لهم أن ينبسوا بكلمة للرد على المستعمرين الطغاة او الدفاع عن دينهم ومعتقداتهم ، بحيث لم يكن لهم بد من كبت غيظهم ومعاناة سخطهم ، واردف الانجليز حملتهم التبشيرية المدعمة بالقوة السياسية والعسكرية ــ اردفوها بسن قوانين تحمي المتنصرين من الاهالي ضد الحرمان من نصيبهم فى التراث العائلي كما أنهم حرضوا الشبان الطامحين على التنصر بالترقية غير العادية فى مناصب الجيش والادارة ، ومن المؤسف ايضا انهم شوهوا بعض الاصلاحات الاجتماعية المفيدة بوقاحتهم وسوء نيتهم ، فمثلا انهم حظروا على الهندوس ان يجبروا نساءهم على الانتحار عقب وفاة ازواجهن وذلك بالقاء انفسهن فى النيران المندلعة من جثث ازواجهن الموتى على حسب عادة الهندوس فى احراق الموتى بدل الدفن فى القبور ، ــ نعم ! الغوا تلك العادة الشنيعة الشائعة بين الهندوس المعروفة باسم « ستي » الا انهم لم يتكلفوا اقناع الهندوس بأن الاصلاح الاجتماعي سيعود بالفائدة عليهم ، وان الاجراءات القانونية فى هذا الصدد ليست تعسفية ــ لم يتكلفوا ذلك ، بل بالعكس تظاهروا بأنهم يرمون من وراء ذلك الى تغيير الهندوس بعوائدهم المألوفة والتدخل فى شؤونهم الدينية اشعارا لهم بأنهم لا يستحقون الكرامة حتى يتبرأوا مما هم فيه ، كذلك فعلوا بشأن اباحة زواج الارامل فانه كان محرما عند الهندوس ، وكثيرا ما كان المسلمون ايضا لا ينظرون الى زواج الارامل بنظر الاستحسان ، وانما ذلك لتأثرهم من جوار الهندوس مع العلم بان الاسلام لا يحرم ذلك بل يحبذه ، الا ان من حسن حظ المسلمين انهم لم يعدموا علماء تزعموا حركة الاصلاح الاجتماعي بدافع من انفسهم ، اما الهندوس فلم تكن لهم شريعة الهية غير العوائد المتوارثة فكانوا اشد تعلقا بها وتعصبا من غير تفكير فى صلاحيتها او اكتراث بعواقبها ، على كل حال آثر الانجليز ان يظهروا بمظهر المتغطرس المتكبر الذى لا يريد اصلاحا ولا يقصد خيرا ، بل يلذ له ان يجرح مشاعر المحكومين ويذيقهم عذاب الذل والهوان ، حتى انهم لم يلمعوا الى المخترعات الحديثة مثل القطار والباخرة كوسائل لتحسين أحوال المواصلات وتنمية التجارة وتوفير الرخاء المادي ، بل اكدوا انها ستعمل لاجبار الهندوس على التخلي عن دياناتهم القائمة على نظام الطبقات واقامة الفوارق بين الناس ــ هكذا تضافرت العوامل كلها لخلق داء دفين من الحقد فى نفوس المواطنين المسلمين والهندوس على السواء ، مما جعلهم يتهيأون للثورة كلما امكنتهم تلك اخذا للثأر من المستعمر الغاشم لدينهم ووطنهم وكرامتهم ، وقد تجلى ذلك بوضوح فى الثورة الكبرى فى منتصف القرن التاسع عشر ، فانها لم تكن ثورة الجنود المرتزقة فقط كما يصورها بعض الكتاب والمؤرخين ، بل كانت ثورة شعبية عامة ، اشترك فيها جميع طبقات العوام والفرق الدينية التى تجمعت تحت راية الملك المغولي للدفاع عن عزة النفس وحرية الدين وكرامة الوطن ، كما صرح به قواد الثورة فى النداءات التى وجهوها الى اتباعهم من وقت لآخر .

كراتشي ــ د. السيد محمد يوسف



كنت فى السنتين السابقتين حدثت ، بمناسبة عيد العرش المجيد ، قراء مجلة « دعوة الحق » (1) عن القرار المولوي السامي القاضي بتحقيق وطبع تفسير « الجامع المحرر الوجيز فى تفسير القرآن الكريم » لابن عطية . ذلك التفسير الذي هو ، كما بينت فى السنتين السابقتين ، اصل لتفسير البحر المحيط لابي حيان .

وبما ان اللجنة ستهتم ، ولاشك بالقراءات القرآنية الواردة فى تفسير ابن عطية موضحة مدى التوفيق الذي اصابه صاحبنا عند تعرضه للقراءات القرآنية محاولا توجيهها فاني ، كما قلت اخترت ان اتحدث عن الانتقادات التي وجهها اليه ابو حيان فى هذا الباب ، مؤملا ان تستفيد اللجنة من ذلك .

وكنت آنذاك تعرضت لأول تخريج فاسد تكلم عنه ابو حيان ، واليوم اواصل ذلك .

2 — وكان التخريج الثاني الفاسد الذي تعرض له ابو حيان فى بحره والذي لم يوجهه ابن عطية التوجيه الصحيح ، هو ما ورد فى الآية الكريمة : « واذا اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا وذي القربى واليتامى والمساكين ، وقولوا للناس حسنا ، واقيموا الصلات وآتوا الزكاة ثم توليتم الا قليلا منكم وانتم معرضون » (2) .

لقد راى ابن عطية فى كلمة « حسنى » ما رآه سيبويه فقال : « رده سيبويه لان افعل وفعلى لا يجيء الا معرفة الا ان يزال عنها معنى التفضيل ويبقى مصدرا كالعقبى ، فذلك جائز وهو وجه القراءة بها » (3) .

فرد ابو حيان هذا التوجيه قائلا :

« فى كلامه ارتباك لانه قال لان افعل وفعلى لا يجيء الا معرفة وليس على ما ذكر . اما افعل فله استعمالات .

— احدهما ان يكون بمن ظاهرة او مقدرة او مضافا الى نكرة فهذا لا يتعرف بحال بل يبقى نكرة .

— والاستعمال الثاني ان يكون بالألف واللام فاذ ذاك يكون معرفة بهما .

— الثالث ان يضاف الى معرفة وفى التعريف بتلك الاضافة خلاف وذلك نحو افضل القوم .

واما فعلى فلها استعمالات :

— احدهما بالألف واللام ويكون معرفة بهما .

— الثاني بالاضافة الى معرفة نحو فضلى النساء وفى التعريف بهذه الاضافة الخلاف الذي فى افعل .

فقول ابن عطية لان افعل وفعلى لا يجيء الا معرفة ليس بصحيح وقوله الا ان يزال عنها معنى

---

1) انظر دعوة الحق ، العدد الثالث من السنة الرابعة عشرة ، الصادر فى ذي الحجة ومحرم 1391 الموافق فبراير مارس 1971 صفحة 110 وكذا « دعوة الحق » العدد الاول من السنة الخامسة عشرة الصادر فى محرم الحرام 1392 الموافق مارس 1972 صفحة 90 .

2) الآية 83 من السورة الثانية ، البقرة .

3) البحر المحيط — الجزء الاول ، صفحة 285 ، السطر السابع .

التفضيل مصدرا ، فيكون فعلى الذي هو مؤنث افعل اذا ازلت منه معنى التفضيل يبقى مصدرا وليس كذلك بدلا ينقاس مجيء فعلى مصدرا انما جاءت منه اليفاظ يسيرة فلا يجوز أن يعتقد في فعلى التي مذكرها افعل انها تصير مصدرا اذا زال منها معنى التفضيل . الا ترى ان كبرى وصغرى وجلى وفضلى ، وما اشبهه ذلك لا ينقاس جعل شيء منها مصدرا بعد ازالة معنى التفضيل بل الذي ينقاس على راي انك اذا ازلت منها معنى التفضيل صارت بمعنى كبيرة وصغيرة وجليلة وفاضلة كما انك ازلت من مذكرها معنى التفضيل كان اكبر معنى كبير وافضل بمعنى فاضل واطول بمعنى طويل . ويحتمل ان يكون الضمير في عنها عائدا الى حسنى لا الى فعلى ويكون استثناء منقطعا كأنه قال « الا ان يزال عن حسنى وهي اللفظة التي قراها ابي وطلحة » (4) .

من هذا الرد الطويل الذي رد به ابو حيان على ابن عطية نستخلص اشياء ، اولها ان ابا حيان مطلع على النحو واللغة والقراءات اطلاعا مكنه من ترتيب هذه الامور المعقدة ترتيبا محكما وتنظيما دقيقا ومن التعبير عنها بأسلوب بسيط سهل رغم وعورتها .

لقن ثانيا ابن عطية درسا بليغا مسكتا لا ادرى ماذا كان يقول ابن عطية لو قدر له أن يطلع عليه ..

ثم انه بعد ذلك يوضح له التوجيه السليم للقراءة ، فيقول .

« ... الا ان كانت مصدرا كالعقبى ومعنى قوله وهو وجه القراءة بها اي المصدر وجه القراءة بها .

وتخريج هذه القراءة على وجهين .

— احدهما المصدر كالبشري ويحتاج ذلك الى نقل ان العرب تقول حسن حسنى كما تقول رجع رجعى وبشر بشرى اذ مجيء فعلى كما ذكرنا مصدرا لا ينقاس .

— والوجه الثاني أن يكون صفة لموصوف محذوف اي وقولوا للناس كلمة حسنى او مقالة حسنى وفي الوصف بها وجهان احدهما ان تكون باقية على انها للتفضيل واستعمالها بغير الف ولام ولا اضافة لمعرفة نادرة » (5) .

ولقد اشار الامام الحافظ ابو الخير محمد بن محمد ابن الجزري (6) الى قراءة هذه اللفظة بقوله :

ومعلوم اننا لن نهتم الا بصدر البيت (7) .

حسنا فضم اسكن (نـ) هي (حـ) زعم (د) ل (8)

اسرى (ف) شا تفدو تفادو (ر) د (ظ) لل

فالذين قراوا « حسنا بفتح الحاء والسين‌هم اذن حمزة والكسائي ويعقوب وخلف العاشر (9) محذوف « اي قولوا قولا حسنا » (10)

وقرا الباقون بضم الحاء واسكان السين على انه مصدر .

3 — وكان التخريج الثالث الذي لم يقبله ابو حيان من ابن عطية هو ما ورد في آخر الآية التي نحن بصددها الآن .

راى ابن عطية ان قليلا في قوله تعالى ... « ثم توليتم الا قليلا منكم وانتم معرضون » هي « على بدل قليل من الضمير في توليتم وجاز ذلك يعني البدل مع ان الكلام لم يتقدم فيه نفي لان توليتم معناه النفي كأنه قال لم يفوا بالميثاق الا القليل » .

فرد عليه ابو حيان بقوله :

« والذي ذكر النحويون ان البدل من الموجب لا يجوز لو قلت قام القوم الا زيد بالرفع على البدل لم يجز . قالوا لان البدل يحل محل البدل منه ، فلو قلت قام الا زيد لم يجز لان ان لا تدخل في الموجب واما ما اعتل به من تسويغ ذلك لان معنى توليتم النفي كأنه قيل لم يفوا الا قليل فليس بشيء لان كل موجب اذا اخذت في نفي نقيضه او ضده كان كذلك فليجز قام القوم الا زيد لأنه يؤول بقولك لم تجلسوا الا زيد ومع ذلك لم تعتبر العرب هذا التأويل » (11)

الدار البيضاء — الدكتور الراجي التهامي الهاشمي

---

4) البحر المحيط . الصفحة 285 ، السطر الثامن .
5) البحر المحيط نفس المكان .
6) توفى سنة 833 هجرية .
7) اما العجز فيتحدث عن أمر آخر لم تنطرق له
8) نعم هو البيت 472 من طيبة النشر في القراءات العشر لابن الجزري
9) لم يذكر الزمخشري الا المصدر
10) **المهذب في القراءات العشر ، الجزء الاول ، صفحة 62**
11) **البحر المحيط . الجزء الاول صفحة 287 . ابتداء من السطر التاسع عشر .**



للشاعر محمد الحسن زنيبر

الشعر آنس فى حماك خلودا ... فغدا يجدد للولاء عهودا

هزت قريحته مفاخرك التي ... عم الحواضر مجدها والبيدا

فسما يناغي المجد فى علياته ... ويصوغ من درر البيان عقودا

هذي طيور الانس تخفق حوما ... من حول عرشك تزدهي تغريدا

وجدت بافقك الفها فتجاوبت ... نشوى تصوغ من المفاخر عيدا

تزجي الي الحسن الحبيب تهانئا ... تختال ما بين المروج ورودا

انت المجدد امر هذا الدين اذ ... اصبحت تعمل كي يعود جديدا

جمعت حولك كل شهم عالم ... وجعلت ملء دروسهم تمهيدا

انت الخليفة سدد الله الخطا ... وانار منك الدين والتوحيدا

سر فى عناية ربك الاعلى الذي ... سيحوط دوما تاجك المعقودا

يهنيك عيد قد تألق مجده ... اعظم به بين المواسم عيدا

يهنيك يوم قد اتى لك حاملا ... السعد والاقبال والتأييدا

قد اقبلت فيه السعود وطوفت ... من حول عرشك ركعا وسجودا

هذي وفود الشعب جاءك حشدها ... يطوي اليك بطائحا ونجودا

الحب يحدوها اليك ومن يكن ... يحدوه حبك لن يزال رشيدا

مولاي فقت ملوك عصرك همة ... وبلغت شاوا فى الطلاب بعيدا

اعليت للاسلام صرحا شامخا ... ورفعت للدين الحنيف بنودا

شيدت للنشء الطموح معاهدا ... ورعيت للوطن الكريم عهودا

واقمت فى الوطن العزيز مساجدا ... ومعاهدا ومصانعا وسدودا

جمعت شمل المسلمين بقمة ... من كان ينسى يومها المشهودا

لما ابادوا بالقطيعة وزنهم ... فتفرقوا وتبددوا تبديدا

استرجعوا ما قد اضاعوا فترة … حين استردوا الود والتوحيدا

انت الذي ناديتهم فتكتلوا … حمدوا بذلك رايك المحمودا

وطن اقمت به المكارم شرعة … واعدت فيه المبتغى المفقودا

طاردت عنه المفسدين فاصبحوا … من خوف باسك يرهبون وعيدا

طهرت شرعة احمد مما يرو … م المبطلون سفاهة وجمودا

وازحت عنها الوهم والتدجيـ … ـل والتضليل والاسفاف والتقليدا

وكذا الذي رام الخلاص لامة … يسعى وسعيك لم يزل محمودا

مولاي صانك للعروبة ربها … وحباك منه النصر والتأييدا

لم يصطفيك الله عاهل امة … حتى كساك من الرشاد برودا

عرش القلوب وقد علوت سنامة … اغلى وابعد فى الزمان خلودا

هذي ماترك التي شيدتها … واقمت منها فى الملاء شهودا

من ذا الذي يقوى على احصائها … مثل النجوم اللامعات عديدا

ستصون ذكرى المجد فى افيائها … وتخلد العز المنيع وطيدا

وتطالع الاجيال تالية لها … ذكرى مجيدا لن يزال تليدا

هي من عزائمك التي قد غالبت … عزم الزمان صرامة وصمودا

هي من فضائلك التى قد جاوزت … فلك السماك تالقا وخلودا

فلانت مفخرة الزمان تكاملت … ولانت شهم لن يزال وحيدا

اوليت هذا الشعب فضلك فاغتدى … من خمر حبك ناشيا معمودا

فالدين والدنيا يتيه كلاهما … طول الورى بك عزة وصعودا

يفديك شعب قد حميت كيانه … وجعلته بين الشعوب سعيدا

اعددته للمكرمات وللعلى … فمضى وراءك فى خطاه وئيدا

ابقاك ربك للبلاد تقودها … حتى تحقق حلمها المنشودا

وتفوز فى افياء عهدك بالمنى … لا زال ظلك فى الورى ممدودا

مولاي عش للشعب فوق اريكة … منها سعدنا فتية وجدودا

حتى تحقق للرعية مبتغى … وترى الجميع كما تحب سعيدا

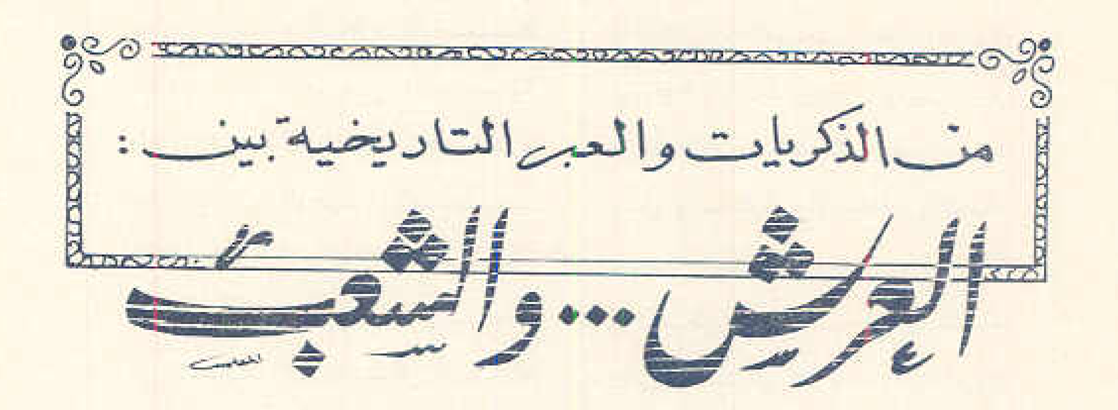
وترى ولي العهد كيف تريده … شهما هماما من رضاك عميدا

والله يحفظهم ويرعى عهدكم … ويديم عرشكم المجيد عتيدا

ويرد كيد الكائدين بنحرهم … ويبيد منهم حاقدا وحسودا

ما قام من فوق المنار مؤذن … ودعا الى الله الجليل عبيدا

مراكش : محمد الحسن زنيبر



للاستاذ الحاج احمد معنينو

كان ليوم رجوع جلالة السلطان المغفور له محمد الخامس من فرنسا ومعه ولي العهد مولاي الحسن طفلا يافعا هزة نفسية كبرى .

جريا على العادة المتبعة في الاستقبالات لجلالة السلطان عند سفره أو رجوعه للعاصمة : يستقبله باشا الرباط واعيانها . وباشا سلا واعيانها ، بباب الرواح ..

اجل فى هذا الاستقبال التاريخي حصلت هزة نفسيـة لشباب العدوتيـن ، ذلك انه وجد فى هذا التاريخ بالرباط العاصمة اول جمعية رياضية رباطية سلاوية كشفية كانت تتوفر على طائفة مختارة يراسها الاستاذ احمد بن غبريط ، نعم، فى هذا اليوم الاغر لعب السيد بن غبريط دورا هاما فى الميدان . حيث بعث بتلغراف خاص لعمه السيد قدور بن غبريط رفيق جلالة السلطان فى زيارته لفرنسا يطلب منه ان يلتمس من جلالة السلطان المقدس السماح لهذه الجمعية الكشفية الفتية (الاولى من نوعها فى بلادنا المغرب) ان تتحلى بحمل اسم ولي العهد سمو الامير مولاي الحسن فتصبح تسميتها الكشفية الحسنية بدل الجمعية الرياضية الرباطية السلاوية . كما رجا منه ان يسمح للفرقة باستقبال صاحب السمو وهو فى ركاب والده بمكان الاستقبال لتقدم لسموه باقة من الازهار عربون الوفاء للتكريم باسمه الكريم عليها .

جاءه الجواب بالقبول والاستحسان ، واجتمعت الفرقة وهيات نفسها بملابسها الكشفية وهندامها البديع الرائق. وانضم لجانبها شباب العدوتين بكثرة. والجمعية الكشفية اذ ذاك لا يتجاوز اعضاؤها العشرين عضوا يحملون فى المقدمة .. علم المغرب ـ وباقة زهرية فواحة لتقدم لولي العهد حسب الاذن الكريم ، ولشدة اندهاش المستعمرين واذنابهم الجواسيس . من هذا المظهر المؤذن بقوة الايمان بالله وبالوطن وبالسلطان تحركت الاسلاك ، ودقت الاجراس ، وحضر جيش عرمرم من الجواسيس لم نشهد له نظيرا من قبل ، واحاط بنا نحن الشباب ، وبوسطنا الفرقة الكشفية . وجمهرة افراد الشعب تتطاول اعناقهم لمشاهدة هذا الصنف الجديد من حيوية الشباب .

بادر المسؤولون عن الامن ، أو المشوشون للامن على احسن تعبير ، فى زحزحة اجتماعنا ، والعمل على ابعادنا من مكان الاستقبال الرسمي لباشا الرباط.

نعم حركونا بالقوة وبالضغط ، وزحزحونا عن مكاننا الى الباب الثالث من أبواب الدخول الرسمي لجلالة السلطان بباب الرواح . اشتد الكرب وغلت الدماء ، وقويت الأزمة ، وحصلت مصادمات هادئة بين الشباب المتحمس والبوليس الطائش السري والجهري الذى يطرد الشباب طائفة اثر الاخرى ، بطرق تعسفية ، اخذنا مكاننا بازاء الباب الاخير ،

واحاط بنا البوليس بقوة لا تسمح لاي فرد باية حركة او تراجع . فى هذا الوقت بالذات قرب وقت حضور جلالة السلطان ، لعب دور شيطاني فى غيبة وغفلة من جلالته ، حيث امر السائق لسيارة ولي العهد وراء سيارة والده بالاسراع بها والدخول بولي العهد للقصر قبل وصول جلالة السلطان للرباط ! نحن فى الانتظار ، والعيون شاخصة ، والحناجر تردد كلمة عظيمة القدر ، شديدة المفعول ، فى سرية . يلقنها الشباب الواعي لطوائف المستقبلين لينطقوا بها ساعة وصول جلالة السلطان لمقابلتنا .

هذه الكلمة على ما اعرف لم يسبق التلفظ بها بيننا نحن الشباب الا فى هذا اليوم التاريخي الاغر ـ عاش الملك ـ قنبلة هدروجينية تفجرت نعم ، تقبلها المستعمر بحيرة واندهاش ، واصبح بالنسبة لتلك الفترة فى حياة الوطنية والوطنيين . يفكر ماذا سيتبع هذه الكلمة البهيجة الرنانة . انها اذن صريح وبرهان واضح للتقارب والتعاون والتآزر بين شعب وعرش ضد العدو المحتل . وصل السلطان المفدى وقابل الباشوات والاعيان حسب الاستقبالات المتبعة الله يبارك فى عمر سيدي ـ قال لكم سيدي الله يرضي عليكم ـ الله يبارك فى عمر سيدي .. تحرك الموكب وكاد يدخل على الباب ، وشعرنا نحن حينئذ باللعبة التى زحزحتنا عن مكان الاستقبال حتى لا نحظى بمقابلة جلالته . وغيب ولي العهد بادخاله للقصر فى طي الكتمان حتى لا تقدم لسموه فرقة الكشفية الباقة الزهرية العطرية عربون الوفاء والاجلال ، وبينما نحن فى هذا الخضم البشري من الشباب تغمره الحيوية واليقظة والنخوة وتبادل الحب بين العرش حامي حمى الوطن ، والشعب رمز قوة الوطن ، اذ نطقت حناجر الآلاف من الشباب والشعب عاش الملك التفت جلالته وشعر باللعبة حيث كان ينتظر استقبال الشباب وتقديم ولي العهد بين يدي جلالته ليتقبل الباقة الزهرية الفواحة من افواج شباب العدوتين وفى الطليعة فرقة الكشفية التابعة للجمعية الرياضية . ولكي ينعم عليها بحمل اسم سمو ولي عهده الكشفية الحسنية ولكن العاب المستعمرين والاذناب المارقين حالت بين ما اراده الشعب وجلالة السلطان فى آن واحد !..

وحسب المستعمر المدلس انه نجح فى خطته الجهنمية ؟! وفصل بين حب شعب وفي ، لسلطان وفي ، وبهذه اللعبة المفضوحة . ولكن جلالة السلطان المرحوم برضوان الله اسرها فى نفسه، وعلم بعد بما اتخذ من اجراءات الاسراع بولي العهد للقصر قبل الوصول لمكان الاستقبال !

ويأتي يوم اغر وفرصة سانحة ، ومناسبة ثمينة ، فيحقق جلالته هذه الرغبة الحبيبة على القلوب ، والمؤذنة باتحاد الشعور والانسجام .

اما الشباب والكشفية النشيطة فقد تبرم الجميع ، واصطفت الجموع صفوفا متراصة . ونزل الكل فى مظاهرة صامتة يتقدمها فوج الكشفية وبيدها العلم المغربي ، والباقة الزهرية حزينة ومنكسة ! وجمهور الشباب والشعب يتبعها خطوة خطوة فى هدوء وسكينة وروعة وحماس .

اخترقنا شارع محمد الخامس الى ان بلغنا الى حي زنقة فران الزيتونة ـ شارع سيدي فاتح بالرباط حيث يوجد مكتب الكشفية . هناك خطب افراد حول هذه المهزلة الخسيسة التى لعبها المستعمر ، انها محاولة فاشلة ارتكبها . انها فعلة شنيعة ودنيئة اتخذت للحيلولة بين العرش والشعب ! وبين الكشفية وولي العهد . مرت ايام وجاء دور اخذ الثأر . وهيأ له جلالة الملك محمد الخامس طيب الله ثراه احسن مناسبة . ذلك ان مشكلة دينية كان الاستعمار الغشوم يحاول انجازها فى الخفاء حسب عادته . ولكنه افتضح امره وقامت قيامة الملك الراحل ضد العدوان على المقدسات الاسلامية .

الكل يعلم منزلة جامع السنة بالعاصمة يوجد وسط الطريق المؤدي الى الاقامة العامة المنهارة ! وجاءت فرصة مواتية للمستعمر كي ينتقم من المسجد وينزعه لتوسع الطريق ولا يبقى فيها اعوجاج حسب زعمه ؟!

عمل جهده بوسائط قرناء السوء . فهيئت عرائض تقول : ان هذا المسجد قد استغني عنه! وكان المسؤولون فى الاحباس فرطوا فيه ايما تفريط حتى اوشك على الانهيار . واصبحت نية المستعمر متجهة الى هدمه وتوسيع الطريق والاستغناء عنه بالمرة وجاء وفد الله من حراس بيوت الله وبغية رضوان الله ، واتصل بجلالة الملك واخبره بما يبيت لهذا المسجد العظيم الرائع من المكائد. هذا الحصن الذى سجل التاريخ المغربي لوجوده وبنائه مكرمة خالدة لجلالة الملك المصلح العلامة المحدث سيدي محمد بن عبد الله ، قدس الله سره . ذلك انه عندما شرع فى

التي يشيد بها هذا المسجد ملك لهم . وجازوا بفتوى علمية تقول : ان الارض المغصوبة لا تجوز فيها الصلاة !؟.. حار جلالة الملك في الامر ولكنه ، وهو محيي السنن ، والحارس الامين لتجديد الدعوة الاسلامية والعمل على جلب مستندات الائمة الاربعة الكبار بواسطة الوفود العلمية لاضافتها لصحيحي الامامين البخاري ومسلم ، ولدى حصوله عليها اشتغل بدراستها بحزم ودراية واعتكاف واتصال بالعلماء الاعلام ومن مجموعها الف مؤلفاته الحديثية القيمة (1) . تلكم المؤلفات في علم الحديث التي تعد من مفاخر مدخرات ومجهودات هذا الملك السني . وان عهده المبارك ليعد بحق عهد احياء السنة النبوية. توقف جلالته عن متابعة البناء . ورفعت الدعوة لقاضي الشرع المطاع كي يقول : كلمته في الموضوع.

اجتمع علماء الافتاء لجانب سعادة القاضي ، ودرسوا دعوة المدعين ، وتقرر في جمعهم المبارك ابطال تلك الدعوة المفرضة التي ارادت الوقوف في وجه المسجد المؤسس على تقوى ورضوان من الله ، وسموه جامع السنة فرح جلالته بهذا النصر المبين ، والتسمية السنية التي عاش لها ووهب حياته في سبيلها – السنة وما ادراك ما السنة – وتتويجا لهذا النصر العظيم قام جلالته يوم تدشينه بحفلة اسلامية عظيمة ومزدهرة مباركة . جمع فيها علماء المسلمين وحفظة القرآن الكريم من شيب وشبان .

الخالص لوجه الله .

وساعة دخوله للمسجد فتح المقرئون قول الله جلت قدرته : بسم الله الرحمن الرحيم : « انا فتحنا لك فتحا مبينا » افتر ثغره ، وسجد لله شكرا . وخلد هذا البنيان ليرفع فيها اسم الله ، ويتمكن عباده المؤمنون من تادية الفرائض بجوانبه آناء الليل واطراف النهار ، والجزاء على الله موفور. بعد قص القصص على جلالة محمد الخامس تعرف جلالته بالكيد الذى يدبر لهدمه والقضاء عليه . فاخذته النخوة الهاشمية والرغبة الاسلامية وشرع قدس سره في العمل على الوقوف في وجه المتآمرين المفرضين من الاستعماريين وأذنابهم الحقراء . وجه في طلب وزير الاحباس الاستاذ الفيور السيد ملين الشهير بغيرته والد اخينا الاستاذ الوطني الفيور السيد محمد رشيد ملين واتفق معه جلالة الملك على تدارك ما فات ، والمبادرة بالاصلاح الشامل الكامل الاطراف المسجد ، واعادته لتادية مهمته الشريفة ، وما هي الا بضعة اشهر ، وقد انجز الاصلاح ، واصبح المسجد المبارك في حلة قشيبة . ومنظر اخاذ ، واعان جلالته الدعوة للصلاة به يوم الجمعة .

واتصلت رسل جلالته بالمحافظين على القرآن بمدينتي الرباط وسلا وبالكشفية والعلماء وجمهور القراء ، واجتمع القوم في ذلك اليوم المشهود حيث فرش المسجد بالزرابي المبثوثة واخذ منظره الوهاج

(1) لقد ورد في كتاب (الترجمانة الكبرى لابي القاسم الزياني) أن جلالة الملك محمد بن عبد الله عمل على جلب مسانيد الائمة الكبار فورد عليه من الحرم الشريف : مسند الامام ابي حنيفة ، ومسند الامام الشافعي ، ومسند الامام احمد بن حنبل رضي الله عنهم ، وان هذه المسانيد لم يسبق لها وجود بالمغرب قط حتى كان دخولها على يده الكريمة ، وفي عهده الزاهر .
وكانت موطا امامنا مالك مع صحيحي الامامين البخاري ومسلم تحت يديه فجمع الكل واشتغل بدراستها ومنها استخرج مؤلفاته القيمة :
1 – كتاب الفتوحات الالهية في احاديث خير البرية التي تشفي القلوب الصدية واتمه سنة 1198 هـ .
2 – وكتاب الجامع الصحيح الاسانيد ، المستخرج من ستة مسانيد ، واتمه سنة 1.200 هـ
3 – وكتاب مواهب المنان بما يتاكد على المعلمين تعليمه للصبيان واتمه سنة 1.203 هـ .
وفي صفحة 126 من نفس الكتاب اي (الترجمانة الكبرى) ، طبعة نشر وزارة الانباء جمع وتعليق الاستاذ عبد الكريم الفيلالي قال : الكتب التي اشتراها المؤلف للسلطان سيدي محمد : ولما قضيت الفرض ، واشتريت الكتب التي اوصاني بشرائها امير المؤمنين ، وهو مسند ابي حنيفة ، ومسند الامام الشافعي ، ومسند الامام احمد ، والطريقة المحمدية المختصرة من الاحياء اقتصر فيها على ما هو مشهور : انتهى الغرض منه .

بقسط وافر من عظمة الاسلام وجلال هيبة أمير المؤمنين .

وصل الوقت وشرف محمد الخامس بحضوره ودخل من باب المسجد على شكل جديد غير معروف حيث دخل من الباب العمومي يتخطى بمقدمه الشريف المبارك الجموع الغفيرة يمنة ويسرة ، معلنا رضاه وابتغاء رضوان الله . وقام العلامة الاديب الوطني الشهيد دفين البقيع جوار محمد الشفيع سيدي الحاج محمد اليمني الناصري رحمه الله ، ورفع صوته الجهوري : بسم الله الرحمن الرحيم انا فتحنا لك فتحنا مبينا ، وهكذا نجد التاريخ يعيد نفسه كما يقال : « خطب الامام خطبة عظيمة تطرقت للموضوع باسهاب . وذكرت بالامجاد وعددت ما وعد الله به عباده المؤمنين من الثواب الجزيل على العناية ببيوت الله والعمل على حفظها وسلامتها وتأدية مهمتها . ثم اقيمت الصلاة وعقبها مباشرة اشير علينا نحن الشباب من لدن بعض المكلفين المسؤولين لدى جلالة الملك بأن نخرج لباب التواركة – باب السفراء – وحينئذ تكون لنا مطلق الحرية فى اظهار عواطفنا والتفافنا فى ركاب جلالته كما نريد فلا رقيب علينا ولا حسيب .

وهنا يجب ان نعرف انه فى عهد الحماية كان لحي التواركة قسط من الاحترام والالتزام لا يدخله (البوليس) ولا يتصرف فيه الا قواد من لدن جلالة الملك يعينون فى هذا الحي .

نعم ، خرج الملك وخرجنا قبله افواجا افواجا تنتظره خارج الباب المذكور . وما شرف حتى ارتفعت الاصوات . وازدحمت مناكب الشباب حول الفرس الذى يحمل صاحب الجلالة . وابتعد المخازنية المكلفون عادة . واصبح الشباب يقود فرس الملك فى مظاهرة الافراح وامتزاج الشعور. والاناشيد والاغاريد تتردد وتترنم فتغطي صوت الموسيقى والدموع والعبرات تتساقط وجلالة الملك فى فرحة ونشوة وعزة وطمأنينة يهدىء بيديه الكريمتين ثوران الشباب وهيامه وصياحه بل وجنونه ! وهكذا صار الموكب الى القصر الملكي حيث اذن للحراس بفتح الباب على مصراعيه لدخول الجمهور فى مقدمته فريق الكشفية برئاسة اخينا احمد بن غبريط . نزل صاحب الجلالة عن فرسه ودخل مسرعا لقصره وجماهير الشباب تتغنى وتترنح وما هي الا هنيهة وها جلالته يطل من احد ابواب القصر يحمل الحسن الثاني الطفل المبارك الميمن بطلعته قائلا : ادعوا له . . فرفعت الاكف بالضراعة والابتهال وصالح الدعاء ان يصلح الله به وعلى يديه . قامت قيامة الجماهير الغفيرة المتباينة فى المظهر والملبس والكل يدعو بما توفق له ومرت دقائق الاستجابة فى جو من الخشوع والخضوع لله العلي الاعلى . وجلالة محمد الخامس يبكي ويتضرع لله ان يصلح الله فلذة كبده ووارث سره ويوفقه ويرشده لصالح الاعمال ويضرع مبتهلا ان يتقبل الله دعوات الداعين بحفظه وسلامته.

ولقد برهنت الجمعية الكشفية الحسنية لصاحب الجلالة فى هذا اليوم الميمون الاغر على الاعتراف بجميل صاحب الجلالة الذى انعم به عليها حتى اصبحت تسمى (بالكشفية الحسنية) .

وهنا يجمل بي نشر الرسم التاريخي الذى اخذته الجمعية (الكشفية الحسنية) امام مركزها التاريخي – رقم 4 – زنقة فران الزيتونة – شارع سيدي فاتح بالرباط . تخليدا لمناسبة مساهمتها فى الاحتفال بالذكرى الاولى الشعبية العفوية بعيد العرش المجيد 18 نونبر 1933 م ، وهي منشورة فى مجلة السلام الغراء لصديقنا الاستاذ محمد داوود بالعدد المؤرخ ب شوال 52 فبراير 34 تحت هذا العنوان :

من مؤسساتنا الوطنية :

الاتحاد الرياضي الرباطي السلوي
فرقة الكشافة الحسنية

تأسست الجمعية وحصل الاعتراف بها وسميا – 7 اكتوبر – 1932 واتخذت مركزها بالرباط .

اما المجلس الاداري فيتركب من : السيد احمد ابن غبريط رئيسا ، سيدي السيتل والمسيو ميتيو خليفتي رئيس . السيد مسعود الشيكر سكرتيرا المسيو طرامبي خليفته . السيد عبد الجليل القباج امين الصندوق المسيو ديمار خليفة له .

والاتحاد الرياضي يتكون من خمس فرق . فرقة كرة القدم السيد بوزيان ، فرقة السباحة عمر الاودي ، فرقة بسكيط (كرة السلة) المسيو ليفي . الرياضة البدنية المسيو – بيراطور – فرقة الكشفية بقيادة الشريف سيدي السيتل .



فرقة الكشافة الحسنية

الواقفون : امحمد اليزيدي ـ أحمد اللحياني ـ حسن الادريسي ـ عبد السلام الناصري ـ بوبكر دينية ـ محمد بن عبيد ـ عبد الكريم محمد القباج ـ الحاج المهدي الزبدي ـ عمر صدون ـ مصطفى والحاج ـ عبد الحق اطوبي ـ عبد العزيز التازي ـ عبد الكريم بلعربي .

الجالسون : السفير سيدي عبد السلام الحراقي ـ عبد الله بن عبد السلام ـ الحاج عبد النبي ابن حرابة ـ السبتل العيساوي ـ أحمد بن غبريط ـ المختار اليزيدي ـ الحاج محمد برق الليل ـ محمد بن أحمد الدكالي ـ عبد الرحمان بوهلال ـ المراكشي . ومن خلفه : الفاتحي بوهلال ـ أحمد صلاح الدين العيساوي ـ حامل الراية : عبد الرحمان التازي .

واستطاع الاتحاد الرياضي أن يكون لجنة شرفية من باشا الرباط السيد الحاج عبد الرحمان بركاش وباشا سلا السيد محمد الصبيحي والمالي الشهير السيد الحاج عمر التازي ورئيس التشريفات الملكية السيد قدور بن غبريط . وانضاف الى هؤلاء السادة رئيس الادارة البلدية المسيو رابو .

وصدر الاعتراف باسم الفرقة (الكشافة الحسنية) بقرار وزيري هذا نصه :

« محبنا الاعز الارضى رئيس جمعية الاتحاد الرياضي بالرباط وسلا السيد أحمد ابن غبريط . امنك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير سيدنا نصره الله ، وبعد ، وصل كتابك رافعا لمولانا اعزه الله ما طلبته فرقة الكشافة من الانعام عليها بتعيين نجله البار مولاي الحسن رئيسا شرفيا لها . وتسميتها بـ (الفرقة الحسنية) تيمنا باسمه الميمون . وبعد انهاء ذلك لمولانا أعزه الله انعم على الجمعية المذكورة باندراجها تحت رئاسة نجله البار شرفا . كما انعم عليها بتسميتها (الفرقة الحسنية) راجيا لافرادها النجاح والتوفيق وعلى المحبة والسلام

في 9 رمضان 1352

محمد المقري وفقه الله

وقد ساهم هذا الفريق الكشفي النشيط فى عدة مناسبات ، حفاله الشعبي الباهر الذى اقامه بقاعة الحفلات فى بلدية الرباط . وحضره ازيد من من سبع مائة والف شخص على راسهم رئيس الوزراء: الحاج محمد المقري . والمقيم العام المسيو « سان لسيان » الذي خطب خطبته الشهيرة التى أعلن فيها – على غير انتظار – خطا حكومته فى سياستها . وعزمها على الاصلاح . كما ان الجمعية ساهمت باقامة حفل عظيم ممتاز احياء لذكرى جلوس جلالة الملك على عرش اسلافه الاكرمين يوم 18 نوفمبر 1933 م .

ولما رجع السلطان من رحلته الصيفية بفرنسا لعاصمة ملكه كانت الفرقة على استعداد عام تام لاستقبال جلالته وتحيته وتهنئته. وتقديم باقة تذكارية من الزهور الى نجله وولي عهده . تكون اعترافا بالجميل . وكان جلالته قد ابرق للجمعية بموافقة جلالته على استقبالها الرسمي . ولكن ادارة الناحية طبقا لتقاليدها الغربية حالت بين الكشفية وجلالته وسمو ولي عهده

نعم ، تحولت الاوضاع . وترامت الايدي المعتدية على أعمال المخلصين الاوفياء . واصبحت الدعاوة المغرضة تنسب كل شيء لها ! ولها وحدها والحال انها فى كثير من المشارع والمؤسسات ليست فى العير ، ولا فى النفير . وحسبنا الله من الاغراض والمغرضين ، هذه واحدة ، والثانية اسجلها قبل فوات الفوت لتتعرف الاجيال الحاضرة والمقبلة الاشياء وحقائقها . ولا تسخر لذوي الاغراض والشهوات بسلب حقوق الافراد والجماعات . بغية الظهور على المسرح العام ، ولتمحي الدعاوي الفارغة، والافكار النابية ، وليتعرف ايضا ، من يدعي بما ليس فيه كذبته شواهد الامتحان ..!!

— * —

الكل يعرف اعراف الملكية المغربية فى الاعياد سابقا . وان جلالة الملك كان يتقبل تهانيء شعبه داخل مقصورته ، وهو جالس على اريكة ملكه . والحاجب او رئيس التشريفات يقدم بين يدي جلالته وفود القواد والباشوات والوزراء المهنئين بترتيب ونظام . ولدى دخول فريق يقول قائد المشور : اهل كذا نعم سيدي فيطاطئون رؤوسهم وينبدقون ثم يرفع جلالة الملك يده بالفاتحة ويختم فيخرج الفريق ويدخل آخر . فلا كلام ولا سلام . السكوت ، الركود ، الهدوء ، نعم فى عيد الاضحى سنة 1352 هـ اشير علينا من رجل ماذون بالقصر ليحضر منا رؤساء جمعياتنا الى القصر يوم التهنئة بالعيد فى غيبة عن باشا المدينة الذى يقوم بدوره بدعوة اعيان البلد للذهاب معه الى تادية التهاني والتبريك . وهناك شرط فى هذه الظروف لا يؤذن لمن يتوسم فيه روح الوطنية . راجت الفكرة واخذ شباب سلا القضية بحزم. توجه السيدان ابو بكر القادري بصفته رئيس جمعية المحافظة على القرآن الكريم بالمدينة . والسيد عبدالكريم بوعلو رئيس النادي البلدي السلوي، نيابة عن شباب مدينة سلا ، انتظرت الجماهير . وبدا الاستقبال وكانت العادة الابتداء بباشا العاصمة واعيانها ، ثم باشا سلا واعيانها . وعند مثول باشا سلا واعيانها بين يدي جلالته واداء التحية والاحترام. بدا الاعيان فى الانصراف من حضرة الملك ، تودي شباب سلا الله يبارك فى عمر سيدي فاسرع الاخوان القادري وبوعلو بالدخول فورا . وتقدما حتى بلغا بين يدي جلالته . جلس الاخوان دقيقة . ووقف الاخ الاستاذ القادري يخطب باسم جمعية المحافظين على القرآن الكريم لمدينة سلا : ارفع لجلالتكم اصدق التهاني والتبريك بعيد الاضحى المبارك ، وارجو الله ان يطيل عمركم ويصلح احوال البلاد على يدكم وبهمتكم حتى تبلغ الغاية الخ ... ثم جاء دور الاخ عبد الكريم بوعلو رئيس النادي الادبي السلوي فقال : صاحب الجلالة ارفع لسدتكم العالية اصدق التهاني، واتمنى لجلالتكم كل التوفيق للاخذ بيد امتكم المتمسكة بحبكم وارجو لكم يا مولاي ولولي عهدكم كل الخير والنصر والتوفيق ثم جلس ، وهنا جاء دور صاحب الجلالة ، حيث تحرك من مقعده ورفع صوته مرحبا ومهنئا وفرحا مسرورا بهذه البادرة الطيبة . هذه الزيارة او التهنئة القيمة صادعا لسعادة باشا المدينة السيد الحاج محمد الصبيحي رحمه الله . وانت ايها الباشا ، استوصيك بالشباب خيرا ، كن بجانبهم دائما ، سهل مهمتهم ، خذ بيدهم باستمرار، بارك الله فيكم واصلح الحال ، بلغوا تحياتي وعواطفي لجميع رفقائكم، واعلموا انني منكم واليكم وبجانبكم . سيروا على بركة الله ولا تتاخروا . والله معكم . وجمهور المهنئين يستمعون لخطاب جلالة الملك ، ويشاهدون هذه البادرة التى لم يسبق لها مثيل فيما يعرفون . فجددا التحيات والاحترام وخرجا من لدن

جلالته معززين مكرمين . وهكذا حصلت هذه الهزة النفسية من الشبيبة في هذا اليوم العظيم وبهذه الخطوة المباركة الهادفة الى امتزاج العرش بالشعب والشعب بالعرش . والعمل يدا واحدة في جو خدمة المصالح العليا للبلاد ملكا وشعبا . رجع الوفد مسرورا، وكان الشعب كله يبارك ويؤازر ويكرم ويساعد هذه الحركة المباركة .. نعم جرت العادة بين ابناء العدوتين التسابق في ميدان الحرية والكرامة . وكان في الصف الاول لهذه الجماعة الرباطية الرجل الشهم المرحوم السيد خليل بناني والمكافح السيد محمد كراكشو وكلاهما من التجار بسوق السباط ، لجانب الطلبة الاوفياء البررة السادة : الحاج عثمان جوريو ، المصطفى الغربي ، المصطفى بن المبارك برأسهم جميعا خطيب المسجد الاعظم شيبة الحمد الفقيه السيد احمد بالفازي اطال الله عمره.

كما تعرف السيد خليل بناني على وجود مصحف قرآني مخطوط بخط ممتاز ورفيع . يوجد عند احد اعيان الرباط ، فكون هو واصحابه لجنة من العلماء والوجهاء . وتوجهوا لدار صاحب المصحف على غرة وبدون اعلام . وعند دخولهم منزله افتر ثغره وانبسط من زيارة هذه الفئة الصالحة من رجالات الاسلام لبيته دون ان يعرف السبب الداعي لهذه الزيارة ! وبعد حين افتتح القول مع صاحب المنزل كي يتنازل ويتبرع بالمصحف القيم الموجود عنده هدية للمحافظين على القرآن ، حيث هم بدورهم سيقدمونه هدية وتذكارا لجلالة الملك محمد الخامس ، فما كان من السيد الكريم الا ان أحضر الكتاب المقدس وقدمه اليهم شاكرا عواطفهم وتكريمهم . وهكذا نجد شعبنا الكريم اقرب الناس الى الخير والساعين فيه . خرج الوفد وبيده المصحف الكريم هدية وصنعت له عشاء فاخرة ، وحصل لاتفاق على الاتصال بسعادة باشا العاصمة الجلاجل السيد الحاج عبد الرحمان بركاش لياخذ الاذن من التشريفات الملكية بموعد لمقابلة جلالة الملك في يوم الجمعة ، حصلت الاستجابة ، وحضر الوفد الرباطي يوم الجمعة قبل الصلاة ، وبيده المصحف الكريم هدية ، وتحت يده ، سريا ، عريضة هامة . حصلت المقابلة والتشريف قبل خروج صاحب الجلالة لصلاة الجمعة . وتقدم الوفد لصاحب الجلالة بالمصحف الكريم وبالعريضة الشعبية ، فتقبل صاحب الجلالة الهدية والعريضة بقبول حسن ، واضفى على الوفد رضاه ، وسمي عواطفه النبيلة والاستجابة لمطالبهم الاسلامية الرصينة .

وكل ادعاء بدون حجة منقولة او مصورة تكون مجرد ادعاء باطل ، لهذا انقل للقراء الكرام ما نشرته مجلة (السلام الفراء) لصديقنا محمد داوود بعددها 8 مؤرخ بـ محرم 1353 هـ مايو 1934 صفحة 3 في هذا الشأن ونصه : (عقب الرسم التذكاري لاعضاء الوفد)

يقول : في يوم الجمعة 14 ذي الحجة 1352 هـ الساعة الحادية عشرة ، تشرف بمقابلة جلالة الملك محمد الخامس بقصره العامر وفد قرآني يمثل جماعة المحافظين على القرآن الكريم برباط الفتح . وقدم لجلالته باسم هذه الجماعة مصحف كريم ، هدية الى جلالته فتقبله احسن قبول واظهر جلالته من العطف على الوفد القرآني ما ترك جميع الالسنة رطبة بالشكر والاعتراف بالديمقراطية الملوكية . وقد انتهز الوفد فرصة مثوله امام صاحب الجلالة فقدم المطالب الآتية ، راجيا ان يأمر جلالته بتنفيذها .

1) مساعدة (الحزابة) الحافظين للقرآن الكريم برفع رواتبهم الضعيفة .

2) اصلاح (المسايد) في جميع جهات المغرب مراكز لحفظ القرآن ومدارس عمومية لتعليم اولاد المسلمين كتاب الله واللغة العربية المقدسة .

3) تخصيص (مساعدة) رسمية شهرية من الاحباس للاساتذة المقرئين في المسايد لضعف حالهم وقلة مواردهم بصفتهم معلمين رسميين لكتاب الله الذي هو اساس الدين .

4) انشاء (مراكز جديدة خصوصية) في البوادي لتعليم ابناء البادية كتاب الله ولغة القرآن وخصوصا في القبائل والجهات النائية .

5) حماية صاحب الجلالة (لجماعة المحافظين على القرآن الكريم) . في جميع اطراف المغرب بصفتهم عاملين لنشر القرآن وخدمة الدين .

وقد اجتمع طلبة القرآن بعد ذلك وكرموا وفودهم ودعوا لجلالة السلطان وولي عهده بالنصر والتاييد .

بهذا العمل المبروك والتسابق للعمل على اصلاح المجتمع المغربي وتنوير افكار ابنائه بتعاليم القرآن .

والتفاني في الاخلاص ونسيان الذات وتقديم المصالح العليا للبلاد عن كل غاية . استطاع الاخوان الرباطيون ان يسجلوا هذه المنقبة الفذة في تاريخهم ستبقى مسجلة في صفحات الخلود ..

بهذه الروح الوثابة . وبهذه النفوس المؤمنة المخلصة كان الوفاق والاتفاق بين الشعب والعرش لخدمة المجتمع . وكان العدو المحتل يحسب الف حساب وحساب وحساب ! لهذا التآزر، والتقارب والتجاوب ، والتعاون ، والتصافي لانه الطريق الوحيد للتغلب على حل المشاكل في جو من الصراحة والاعتبار والاعتناء . بمثل هذه المقابلة يمكن تدارك كل ما من شأنه ان يقرب المصلحة العليا للبلاد التنفيذ والاستفادة ويبعد التشاكس والخصام وخلق التفاقم والوسوسة والظنون والشكوك في الاوساط . وبالاسراع لجلب الخير وحب المنفعة للامة جمعاء بتكاثف وتآزر وتعاون ونيات حسنة بين العرش والشعب . تحصل النتائج وينتشر الاطمئنان وتتحسن الاوضاع والله ولي التوفيق .

سلا ــ الحاج أحمد معنينو



صورة اللجنة المنظمة لحفلات عيد العرش السلطاني بمدينة سلا



قبيلة زعير مقصد الملوك والأمراء للصيد والنزهة...

للأستاذ محمد التاودي بن سودة

قبيلة زعير مقصد الملوك والامراء للصيد والنزهة والاستجمام لقد جرت عادة الملوك والرؤساء في غابر الازمان ، ان يتخذوا اياما معينة من ايام الرياضات سلوهم وفراغهم كحصة من الزمن لمزاولة انواع من الرياضات وضروب مختلفة من ركوب متن الجياد ليمارسوا بواسطتها من الفروسية فكانوا يقبلون على ذلك بدافع وجداني وحب نفساني .

انهم يعشقون مثل هذه الايام ويتطلعون الى حلولها ليجدوا فيها متعتهم وهوايتهم المفضلة ، وما ذلك الا لاجل ان ينموا في أنفسهم الروح الفكرية ويروضوا عضلاتهم الجسمية ، حتى يصبحوا متدربين على الخوض في ميدان الفروسية المحببة لديهم ، فيكتسبوا ما يؤهلهم للمشاركة في المعارك التي لا محالة تعترضهم في طريق حياتهم فيقتحموها اذ ذاك عن طواعية وتبصر ، وهم متصفون بالشجاعة عند اللقاء يوم رد العدوان او تهدئة الاوطان .

بالاضافة الى ما تقدم فان في ذلك نوعا من تنشيط الاجسام وفيه ايضا نوع من ترويح النفس لما عسى أن يكون علق بها من الهموم وترادف الاحزان ، وقد قيل : ان الفكر السليم في الجسم السليم .

فتراهم يميلون لاختيار ما يناسب لتعاطي هاته الانواع من الرياضة افضل الاماكن واحسنها وانسبها لممارسة هوايتهم ، واجود الفصول للقيام بها أقوى قيام .

ولعل انسب الفصول الصالحة لذلك هو فصل الاعتدال ، وطيب الهواء ، فصل تكتسي فيه الارض انواعا مختلفة من الخضرة والزينة بما تشبه يد الطبيعة وجه البسيطة من صنوف الرياحين والزهور والانوار .

وبما أن أرض زعير تعتبر مستقرا صالحا لممارسة هاته الرياضة لاشتمال ارضها على الغابة التي هي مأوى للوحوش (1) البرية الغير المتآنسة ومنتدى للطيور الغابوية ، ولما حباها الله من جمال الطبيعة الخلاب ، وبهاء المناظر الفتانة .

لذلك كان ملوكنا الابطال رحمهم الله يقصدونها ويتوجهون اليها لهاته الغابة ، كما انها هي المنفذ القريب الى البلاد المراكشية ، فقد كانت ولا زالت هي صلة الوصل بين رباط الفتح والجبال الاطلسية المتصلة بعاصمتهم الجنوبية ، فمنها تمر جيوشهم ، وعلى ارضها تعبر قطر الجمال محملة بالسلع والعتاد والاثقال ، فهي اخصر طريق رابطة بين الشمال

---

(1) كان الغزال موجودا بها فيما قبل وقد انقطع في هاته الايام الاخيرة كما كان يوجد بها قديما الاسد اما الارنب والحجل والثعلب وابن آوى والحلوف فهي موجودة بها بكثرة الى الآن .

والجنوب بين فاس ومراكش . ما زالت الطريق القديمة المستعملة لهذا الشان بادية للعيان الى الآن في جهة « ابن الحميدى » من ارض زعير . يعرف ذلك المعمرون الطاعنون في السن الذين كانوا يسافرون عبر هاته الطريق .

فهذا ملك المغرب الهمام المولى الحسن الاول رحمه الله (2) قصدها عام 1294 هـ موافق 1887 م وعيد فيها عيد الفطر « بزبيدة (3) » من بلاد زعير ولم يدخل رباط الفتح على قربه منها . ووفدت عليه هناك قبائل المغرب واهل الاحصار فشهدوا العيد معه، واجازهم وكساهم على العادة .

ولما فرغ من العيد عين عامل الرباط وهو القائد ابو محمد عبد السلام ابن محمد السوسي ، وعين الحاج عبد الكريم ابن احمد بريشة التطواني والحاج محمد بن عبد الرزاق ابن شقرون الفاسي للذهاب الى مدريد دار ملك الاسبنيول بقصد السفارة عنه الى دولتهم والمكافاة على مجيء باشدورهم .

فانت ترى من هذه الوثيقة التاريخية التي ساقها صاحب كتاب الاستقصا ان الملك الحسن الاول قدس الله روحه ، قد قام بأرض زعير مدة طويلة قضى خلالها مراسم العيد . واستقبل فيها الوفود من كل جهة التي قدمت له التهاني العيدية ، ومنها اصدر اوامره السامية بتعيين عامل الرباط ومنها وجه السفراء عنه الى بلاد اجنبية . فهي في هاته الحقبة من الزمن قاعدة من قواعد المغرب ، وقد تمثلت على ارضها مواسم وافراح مغربية شاركت فيها الوفود من كل جهة . فلو لم تكن طبيعة الوقت والمكان مواتية لما صلحت لاقامة الملوك ، وجعلها موطن نزهة لهم، ولما اطال ملك المغرب المكث بباديتها، فقد دخلت ارض زعير بسبب ذلك في تاريخ هذا الوطن العزيز .

ولم تمنع احتفالات العيد والنزهة والسفر من اصدار الاوامر التي تهم الشعب المغربي من هذا الملك الهمام المفكر العظيم وهذه هي حالة هذا السلطان رحمه الله ، كانت لا تشغله اهوال السفر ولا مشاقه عن تدبير احوال مملكته والنظر في شؤون رعيته .

هكذا هكذا والا فلا لا
طرق الجد غير طرق المزاح

تلك حالته وهذه شنشنته اعرفها من أخزم ، ما آب من سفر الا وعاد الى سفر .

وهذا ابو الجمال المولى يوسف طيب الله ثراه كان يتوجه الى دار القائد الحاج بن عبد الرحمن الزعري البرشوي في كل مناسبة ، فتقدم على شرفه حفلات الصيد ليصطاد الوحوش الموجودة هناك ، ويقتنص الطيور الماكولة مثل الحجل والارنب ، فيتنزه ويقضي وطره ثم يعود الى عاصمة مملكته يفعل ذلك في كل مناسبة . وكانت تعجبه الاقامة والنزهة بعيون ماسي (4) .

وهكذا نهج نهجه وسار على سيرته ولده ملك المغرب سيدي محمد الخامس قدس الله روحه فان كثيرا ما يتردد على ولد القائد المتقدم وهو القائد الحاج بوعزة وعلى ولد اخيه القائد الحسن بن بوعزة الزعري البرشوي ، فتنصب له الخزانة الرفيعة ، وتحاط بالخيم الزعرية بقصد النزهة والصيد والاستجمام ، فيقضي يومه في نشاط وسلو ويعود في العشي الى قصره العامر بالرباط وكانت له صلة متينة بالقائد الحسن رحم الله الجميع ، الامر الذي كانت السلطة الفرنسية غير مرتاحة (5) لمثل هذه

---

(2) من كتاب الاستقصا ج 9 ، صحيفة 164 ، طبعة دار الكتاب .

(3) زبيدة هو واد يبعد عن المركز الروماني بكلم واحد يقطعه المتوجه من الرباط او من الخميسات بواسطة قنيطرة صغيرة يعمره الماء في الشتاء وهو بالزاي لا بالسين كما كتب على لوحة الطريق فوقها غلطا .

(4) عيون ماسي توجد بتراب اولاد ميمون بقبيلة المزارعة من ارض زعير بدوار اولاد عياد تبعد عن دار القائد الحاج بن عبد الرحمن بنحو 4 كلم ماؤها عذب زلال تعرف بعيون الملوك لانهم يقصدونها بكثرة .

(5) كنت اتوجه للسلام على جلالة الملك سيدي محمد الخامس في بعض هاته المناسبات نظرا لكوني امثل القضاء الشرعي بقبيلة زعير ، وهذه احدى المساوىء في نظر السلطة الحامية اذ ذاك وقد شافهتني بذلك فرددت عليها بانه لا يليق بقاضي زعير ان لا يسلم على عاهل المغرب فأسرتها في نفسها وبيتت مكائد من اجل ذلك ، اما القائد الحسن فقد عزلته .

الضيافات المقامة من اجله لاسيما فى ايام اشتداد الازمة المغربية ، فكانت المراقبه المحليه تتظاهر بالعداوة له ولمن له شديد اتصال به .

اما باقي قواد زعير فكانوا يقيمون حفلات صيد الحلوف لرؤساء النواحي ومن شاكلهم وذلك بمشاركة معمري زعير المستولين على الاقامة العامة اذ ذاك فيرقصون ويسكرون ويصيدون ويرجعون فى العشي فرحين بكثرة اصطيادهم للحلوف ، ويتباهون فيمن يكون نصيبه اوفر .

هذه هي الحالة فى ايام الاستعمار الفرنسي ، لصاحب السمو والامير المحبوب ولي عهد المملكة اما فى فجر الاستقلال فقد هيات يوما مشهودا المغربية اذ ذاك جلالة الحسن الثاني نصره الله وأيده ، وذلك في شهر مارس من سنة 1956 م .

ففى صباح يوم احد اقبل هو وحاشيته المؤلفة من بعض الوزراء اصحاب السيادة : رضا اكديرة ومحمد الشرقاوي وعبد الهادي بوطالب والتهامي الوزاني والدكتور محمد بن بوشعيب واحمد ابن سودة وغيرهم ممن له شديد اتصال بالمولى الحسن .

فكان الاستعداد لائقا بمقامه اذ توجهت صحبة عدول المحكمة وبعض الاصدقاء من وجهاء القبيلة فى سيارات خصوصية لاستقباله والسلام عليه بالمحل المعروف بالطالموك البعيد (6) عن داري الموجودة بالرماني بنحو كلم 5 فبعد السلام عليه والترحيب بمقدمه الميمون تقدمت سياراتنا امامه لاعلام القبيلة بوصوله ، وهكذا شق الطريق بين صفوف المستقبلين لطلعته الهاتفين بحياته وحياة والده الملك الهمام محرر المغرب وبطل الاستقلال سيدي محمد الخامس طيب الله ثراه .

وقد قصد موكبه داري التى كانت مرتدية معالم الزينة تتخللها الاعلام المغربية ، وطرزت جدرانها بصور لجلالة الملك وولى عهده الزائر المحبوب .

والمستقبلون من رجال ونساء وفتيان وفتيات يرددون الاناشيد الوطنية وزغاريد النساء تتصاعد فى عنان السماء . والكل يهتف بحياته وحياة والده مع الدعاء بالعمر المديد لصاحب العرش وللشعب المغربي وبالويل والثبور للمستعمر الغاشم .

ولما استقر به المقام فى منزلي تناول طعام طعام الافطار وحينما اراد ان يتوجه الى مكان الصيد خصص لي مقابلة فريدة من نوعها ومما قاله لي : اننا نعرف مقدار تضحياتك . ونعرف اين نضع اقدامنا . فشكرته على هاته التصريحات الغالية .

وبعد ذلك توجه فى حفظ الله ورعايته الى مكان الصيد الذى اعده له بتراب اولاد عمران بحكومة القائد محمد بن رحو وبعد وصوله الى محل الاصطياد امتطى متن فرس اعد له لهذا الغرض وقد كنت اذ ذاك حاضرا فى ركابه المظفر ولكنني لم أتوغل معهم فى داخل الغابة ، وحينما قضى وطره واصطاد ما عزم على اصطياده رجعنا جميعنا الى داري فتناول الكل طعام الغذاء وهو فى نشاط كبير وفرح عظيم بين احبابه ومقربيه .

وفى العشي رجعنا الى محل آخر اعد اعدادا محكما للاصطياد ونصبت الخزانات والخيم احتفاء بمقدم ولي العهد المحبوب ، ولكن الامطار الغزيرة التى تهاطلت فى تلك العشية حالت بيننا وبين ما يريده ضيفنا الكبير ، فرجع توا الى داري وبعدما تناول وجبة الاصيل ودعناه بمثل ما استقبل به من مظاهر الافراح والمسرات وترداد الاناشيد الوطنية وزغاريد النساء وهتافات الجماهير المحشودة على حافتي الطريق .

وهكذا مرت هاته الحفلة المباركة فى قلب زعير والمقامة من طرف قاضيها المخلص للجالس على العرش المغربي ولامته ووطنه ، فتحقق بذلك ان زعيرا مقصد الملوك والامراء للصيد والنزهة والاستجمام

الرباط ـ محمد التاودي ابن سودة

---

(5) هذه الدار شيدت بطلب مني فى آخر ايام الحماية ، وكنت قريب العهد بسكناها وهي دار لقاضي زعير بنيت من مال الدولة المغربية بعد كبير الحاج من طرف ومشادة مع السلطة الفرنسية ومراوغات متعددة على عادتهم مع المعروفين بالاخلاص للعرش وللوطن العزيز .

السلطان سيدي محمد بن عبد الله الملك السلفي العالم الامام

للأستاذ العابد الفاسي

في يوم من أيام سنة 1134 هـ لمدينة مكناسة الزيتون ازداد الملك الجليل سيدي محمد بن السلطان مولاي عبد الله بن الملك الهمام مولانا اسماعيل العلوي الحسني المنحدر من السلالة العلوية الهاشمية المباركة وقد اختاره الله للقائه في السادس والعشرين من رجب سنة 1204 هـ فكانت مدة حياته تبلغ السبعين سنة تزيد أو تنقص قليلا . اما بيعته ملكا عقب وفاة والده فكانت لاول مرة وهو اذ ذاك بمراكش بصفته نائبا وخليفة عن والده ، كان ذلك في يوم الاثنين خامس وعشري صفر عام 1171 هـ موافق 1757 م .

حمل له نص البيعة الى مراكش في الحين من قبل علماء فاس واهل الحل والعقد في وفد برئاسة قاضي فاس ابو محمد عبد القادر بوخريص القاضي المعروف بعدالته وطول مكثه في وظيفة القضاء ، وباعتبار تاريخ بيعته وتاريخ وفاته تكون مدة ولايته استقلالا ، وتربعه على منصة العرش المغربي ثلاثا وثلاثين سنة ، وعمره اذ ذاك لا يتجاوز السبع وثلاثين سنة وهي حصة مهمة من الزمان قضاها ملكنا الصالح قائدا ومسيرا للدولة ، ليس في الامكان ان تكون مرت كلها هادئة مطمئنة من ناحية الحوادث والوضعية التي كان عليها المغرب من جراء تسلط جماعات العبيد واستبدادهم بالامر وقيامهم بالثورات المختلفة عقب وفاة السلطان مولاي اسماعيل فكان لا مندوحة لهذا الملك الجليل من جولات عسكرية ونشر رايات السلم على هذه الربوع المغربية حتى يتأتى الانشاء والتشييد الذي لا يمكن اعطاء ثمرته ونتائجه الا في عهد الاستقرار الوطني وهكذا كان الامر سياسيا وعسكريا فوقع القضاء على تلك الشراذم التي لم يكن تفكيرها هادفا الا الى الاستغلال والاستنزاف .

وكم ذهب ضحية هؤلاء من جماعات واعيان وعلماء فكانت ولاية المولى محمد بن عبد الله العلوي البلسم الناجح والعلاج الوحيد ، واستقرت الاوضاع وعادت هيبة الدولة الى ما هي جديرة به من التقديس والاحترام ، وتنفس الناس الصعداء وتوجهوا الى المعامل والانتاج ، وراجت اسواق الاقتصاد ، واتجه اهل العلم بدورهم الى دراساتهم وبحوثهم . وكان الملك الجديد مثقفا ثقافة اسلامية عالية ومشبعا بروح العلم والتجديد فيه . لست اريد في هذا البحث المتواضع أن أتعرض لكثير من تلك الحوادث والخلافات والنزعات التي وقعت بين هذا الملك الجليل وبين اولئك المشاغبين النزاعين بطبائعهم الى اثارة الفتن والعيش من وراء ذلك ، ليس من هدفي الان ـ استقصاء البحث في هذا الموضوع نهائيا واعتقادي ان مثل هذه الابحاث المحلية ودراستها من ناحية اجتماعية ونفسية والرجوع في كل حادثة الى منابعها الاولى ومصادرها الرئيسية ، كل ذلك يجب أن يلقى في دراسات جامعية تشرح فيها الاسباب والمسببات مع ظروف البيئة وبحث عناصر كل حادثة على حدة ، انما الذي اريد هو توجيه البحث الى زاوية خاصة وجانب مهم من حياة هذا الملك العظيم الذي احدث موجة فكرية في

الاوساط العلمية فى عصره ، ولم تكن هذه الموجـــة مقتصرة على بلاد المغرب ، بل تجاوزتها الى مناطـــق افريقية الشمالية وبلاد السودان ، وبلغ صداها الشرق الاسلامي خاصـة فى الديار المصريـة . فكان لتلـك الموجة وذلك التوجيه أثره الفعال فى تلك الحقبة من تاريخ الولاية الى تاريخ الوفاة اي من سنة 1171 الى سنـــة 1204 .

اريد ان اتحدث قليلا عن مكانة المترجم العسمية وبعض آثاره واتجاهه العلمي ومحاولاته الاصلاحية ، ونتطرق بالطبع الى مسالة سلفيته وتمسكه الشديد بالسنة واشتغاله بكتبها ونظراته الخاصة فى تجديد الفقه والرجوع به الى مذهب السلف الصالح ، ثم اعطاء نماذج تمثل مواقفه السلفية وشدة تعلقه بالرابطـــة الاسلامية وتمتين العلاقات القوية معها . هذا ما كنت افكر فيه عندما خطت يدي أول كلمة فى الموضـــوع لكني وجدت نفسي مضطرا الى الحديث بصفة مقتضبة وليس فى الامكان التبسط فى كل موضوع على حـــدة لان كل عنوان من هذه العناوين هو فى حاجـــة الى صفحات ورسائل . فلندع الاسهاب فى ذلك للشباب الجامعي التواق الى هذه المباحث ، والجدير بها فى اسلوبه الخاص ومنطقه الجذاب . ونظرا لعدم هـــذا الامكان وجب علينا ان نتوجه لهذه المباحث على حسب ما يسمح به الوقت وندع الدراسة التفصيلية الجامعية المدققة التي يتأتى معها للباحث ان يخرج منها منتصرا مطمئنا الى دراسته واعيـــا الحقائق كمـــا هي . ومن الواضح ان البحث على هذه الطريقة مسلك صعـب وطريق وعر ومهامه فيح ، فلنكتف بهذا وندع التفصيل الى شبابنا العالم المفكر . كل صعب على الشبـــاب يهون . فلنجعل مسالة هذه السلفية فى مقدمة مباحثنا لا سيما وقد كانت المحور الذي تدور عليه سائر اعمال هذا الرجل الجليل ، وهنا ترد علينا اسئلة متعـــددة واستفهامات مستعصية . اولا من الذى كان موجها لهذا السلطان العالم ، هذا التوجيه السلفـــي ، وفى أي مدرسة من مدارس العلم بالمغرب تخرج ، ومن هـــم هؤلاء العلماء الذين كانوا لا يبارحون مجالسه يدارسونه المسائل ويباحثونه النوازل ، فقد ذكروا بل ذكر هو نفسه فيما كتبه عالمين من جلة اهل وقته فضلا وهديا ولكننا اذا تصفحنا اوراق التاريخ فى تلك الحقبـــة لا نقف على مكانة لهما من ناحية البراعة فى الحديـــث وفنونه واستنباط الفقه منه على طريقة الاقدمين ، وفى مدينة فاس لا نعرف فى هذه الظروف شخصا اسم بصفة محدث بارع يعرف متن الاحاديـــث وطـــرق تخريجها ، ويتأتى له التصحيح والتضعيف مع معرفة الرجال وما قيل فى كل راو من الرواة لا نجد شخصا من العلماء يحمل هذا العنوان بجدارة واستحقاق مثل الحافظ ابن العلاء ادريس العراقي الحسيني الفاسي ، ورغما عن كون الامير العالم ادرك من زمن هذا المحدث الكبير نحو الثلاث عشرة سنة ، ورغما عن كونه أحد العلماء الثلاثة الذين اقترح عليهم الملك المترجم شرح احاديث الصغاني فامتثل وشرح كل واحد منهم ثلثـــا معينا كما هو معروف ، فان اتصال السلطان العالم به اتصال دراسة واخذ وملازمة لا نعرفها فى التاريـــخ ، وهناك شخصية ثانية كان لها الحظ الاوفـــر فى فن الحديث وعلومه ، وحصل على سائر مؤهلات الاجتهاد ووصف به وقد كان حيا فى زمنه وادركه ومع ذلك لا نعرف له اتصالا علميا به ، فهل لم يكن لاميرنا العالـــم الجليل اشياخ فى هذا الفن بصفة خاصة ؟ لقد بحثنا كثيرا فى فهارس الاشياخ فلم نقف على ذكر شيـــخ من المشيخة المشاهير حلاه اميرنا بما يشعر بتلمذه له ، وبعد البحث الشديد وقفنا فى فهرسة الامير ابي الربيع سليمان على انه اخذ دلائل الخيرات للجزولي عن والده سيدي محمد بن عبد الله عن الشيخ الجليل عبد الرحمن المنجرة عن والده ابي العلاء ادريـــس . وفى الواقع لا يخطر بالبال عدم وجود مشيخة للمترجم فى هذا الفن وغيره ، ومن دون شك ان هناك موجهـــا أو موجهين فى هذه الدراسة الحديثية التي امتاز بهـــا وبالاسف الشديد لم نوفق للعثور على قائمة هـــؤلاء الموجهين ، ومن دون شك ان هناك جماعـــات مـــن الاشياخ اخذ عنها اميرنا الجليل واستفاد منها الكثير . وفى الوقت نفســه نلقي مثل هذا الاستفهام عن مـــن وجهه هذه الوجهة السلفية ، ومن دون ريب ان هناك يدا قوية فى عقيدتها وايمانها دفعت المترجم لحمـــل راية الايمان الصحيح غير مشوبة بخرافة أو عوائـــد تصادفها قواعد الشرع الاسلامي ، وفى هذه الحالـــة المستعصية يمكن لنا أن نفكر فى احتمالين لهما نوع من الاعتبار ، وان لم يكونا كافيين فى الاطمئنان ، الاول نقرر ان السلطان الجليل المترجم الهم حـــب الحديث الشريف والاتصال بكتبه ودفاتره ، فاجتهد واجتهد وثابر على العمل واستعان بمجموعة من اهل العلم حتى تكونت لديه فكرة عامة عن الاصلاح الذي اختمـــر فى فكرته ، ومن ثم اقبل على تنفيذ عمله وتنجيز هدفـــه حتى بلغ غايته المقصودة وضالته المنشودة وانجـــز اكثر رغائبه والف كتبا مهمة فى موضوعات حديثيـــة شريفة يعز نظيرها ويحسن منهاجها ، اقتصر فيها على

قسم العبادات من الفقه مع مقدمات واضحة فى العقائد وهاتان النقطتان هما المحور الذي يدور عليه كل موضوعات المترجم .

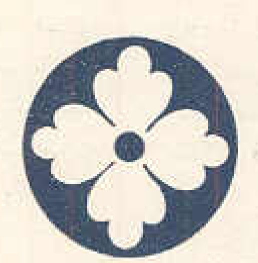
الاحتمال الثاني :

يمكن لنا ان نتصور مقدار التاثير القوي الذي نشا له من ارتساماته عن رحلته الشرقية التي ادى فيها فريضة الحج وسنة الزيارة صحبة جدته الاميرة خناثة بنت بكار ، ومن دون شك انه اتصل فى رحلته هذه بمجموعة من المشايخ المشارقة وربما حضر مجالسهم واستفاد كثيرا من معلوماتهم ، ولكن يعكر علينا فى هذا الاحتمال الثاني ان المؤرخين قاطبة اتفقوا على المولى محمد بن عبد الله قام بهذه الرحلة وهو يبلغ سن الرشد ، وبالضبط كان سنة اذ ذاك يبلغ التسع وبالطبع ليس فى الامكان حينئذ اخذه عن الاشياخ اخذ دراسة وتعمق .

ومن الاشياء التي تلفت النظر فى كثير من كتبه انه فى اكثر مؤلفاته يقول بعد البسملة والصلاة ، قال عبد الله المتوكل على الله ..... المالكي مذهبا الحنبلي اعتقادا ، وكأنه رحمه الله يرى ان مذهب المالكية والاشعرية يرى فى هذه التأويلات غير ما يراه الحنابلة ، والواقع ان هذه المشكلات المذاهب كلها لا يوجد فرق مؤثر بينها وهم قاطبة مجمعون على تنزيه الله تعالى عما لا يليق به ، ومن المتداول فى هذا المعنى قولهم مذهب السلف اسلم ومذهب الخلف اعلم وهذه المسالة اي مسالة اعتقاد الحنابلة لا بد فيها من بحث خاص مع شرح هذه الكلمة المتداولة نفرده ان شاء الله فيما ياتي بعد .

يتبع

الرباط : العابد الفاسي



البعث الجديد.. والميراث العتيد



خواطر يمليها الواقع ، وتنطق بها الاحداث .

من الانصاف لحاضرنا ومستقبلنا ان نقول :

مرت قرون واحقاب نشأ فيها اجيال خاملون راكدون . لم يخلدوا أثرا مجيدا ، ولم يتركوا عملا حميدا ، بل ولدوا امواتا وذهبوا وكانهم لم يشموا رائحة الوجود ، وهذا الركود هو الروح الساري فى الاعقاب ، يتوارثونه جيلا بعد جيل ، حتى عصرنا الذى نعيش فيه .

واذا ذكرنا العصور الذهبية التي نشط فيها المسلمون الاولون ، وما قاموا به من عمل باهر ، وما تركوا من أثر خالد – علماؤهم وامراؤهم – لصعدنا الزفرات والحسرات على تلك الازمنة التى اشرقت بنور العلم ، وازدهرت بتفكير الحكماء ، وتدبير الامراء ...

فخلف من بعدهم خلف وقفوا على اعتاب القديم ، وقالوا : حسبنا ما وجدنا من تراث نباهي به الامم ، ونفخر به على مر الزمن ، دون ان يعملوا عملا يبررون به استحقاقهم للحياة ، وانتسابهم الى بني الانسان وكانهم ما خلقوا ليعملوا ، ولا وجدوا لينتجوا ثمرات تخلد ازمنتهم ، وتحيي تاريخهم – فلو قلنا ان هذه القرون والاحقاب الماضية التي مرت بين زمن النهضة القديمة ، وبين زمننا هذا – لم تكن الا فترة اهل الكهف ولم يظهر فيها مسلمون على مسرح هذه الحياة – لو قلنا ذلك – ما كنا مغالين ولا مجحفين ، ولم تتجاوز بنا اقلامنا فى التعبير عين الحقيقة والواقع ، لان مسلمي تلك القرون لم يثمروا ولم يفيدوا الانسانية شيئا ، بل كانوا يعيشون ليزرعوا ويأكلوا، وذلك مبلغ نشاطهم، وثمرات حياتهم ، والا فأين ما خلدوه من امجاد ومآثر ؟..

نعم كانت لبعضهم حياة فكرية ، فى الجدل العقيم ، والنقاش السقيم فى المذاهب الفقهية او الكلامية ، وبلغ التعصب لها اشده ، واسرفوا فى ذلك اسرافا بعيدا ، حتى كان منهم من لا يصلي وراء من يخالفه فى مذهبه ، ومنهم من لا يزوج ابنته لفلان ، ومنهم من لا يقبل قضاء فلان مثلا لانه يخالفه فى مذهبه . وهكذا بلغت بهم العصبية المذهبية حتى « اتسع الخرق على الراقع » ان صح التعبير – وكان لذلك أسوأ الاثر فى المجتمع الاسلامي حيث احتكموا الى القوانين الوضعية التى أصبحت نظاما معمولا به فى القضاء والتشريع والمعاملات .. وصادف اختلافهم هذا ما عانته الدولة الاسلامية من تصدع وانقسام « فزاد الطين بلة » ..

وهكذا بدات دولة الاشباح تدب على الارض الاسلامية ، وتتنقل فى ربوعها بين الظل الظليل ، والخضرة والسلسبيل ، حتى أطل الاستعمار برأسه، وما لبث ان ركب اكتافهم ، وجثم على صدورهم آمرا ناهيا ، وابتعد المسلمون شيئا فشيئا عن دينهم ، وغفلوا عن كتاب ربهم ، وسنة نبيهم ...

واذا تتبعنا اخبار المسلمين في تلك العصور الكالحة السواد ، الشديدة الظلمة فاننا لا نصدق انهم احفاد اولئكم الابطال الميامين الذين محوا الكسروية الفارسية ، والقيصرية الرومانية ، بل ونتردد في نسبتهم اليهم ...

ولذا فان تبعة هذا التخلف تقع على الجامدين الذين كانوا سبب ما ابتلي به المسلمون من تدهور وانحطاط ، وما اصيبوا به من فقر وفاقة ، ولا ريب ان تأخر الامم يرجع الى انحلال الروابط الاجتماعية ، وتدهور المثل الاخلاقية وتفشي الجهل والاستبداد .

والاسلام لا يرضى لاهله ان يعيشوا أذلاء متخلفين ، ضعفاء محقورين ، يلبسون شعار الذلة والمهانة « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » فاذا وجدنا مسلمين ضعفاء عرفنا انهم لم يقوموا بواجبهم المقدس نحو الاسلام كرسالة انسانية سامية ، وكنظام اجتماعي كامل « ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم قالوا فيم كنتم، قالوا كنا مستضعفين في الارض ، قالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها » . وفي الحديث الشريف : « المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف » .

فالذين عاشوا في القرون الماضية لم يكونوا خلفاء الله في الارض ، وكذلك لم يكونوا مسلمين بالمعنى الحقيقي الذي ينشده الاسلام ويدعو اليه .. ومن الاجحاف ان نحمل الجيل المعاصر مسئولية التأخر والتخلف وقد حمل على اكتافه تركة مثقلة بشتى المشكلات الفردية والجماعية ، فنطلب اليه ان يقفز طفرة واحدة الى القمر ، لان الجيل الذى دفعه الى الحياة لم يؤهله للوثوب فقد كان خاملا راكدا ..

نشأ هذا الجيل بين امم خلاقة تقذف بالآيات الكونية تترى ، وبالمعجزات الفنية تتوالى حتى ادهشت العقول وحيرت الافهام ، ولو ظهرت هذه المنشآت في العصور الحجرية السالفة لفتنوا بها ، وانقلبوا على اعقابهم يقولون : ان هذا من عمل المردة والشياطين ، ونسبته الى بني الانسان ضرب من الوهم والخيال وانه لمن المستحيل ان ينتج العقل البشري هذه المخترعات التى ملأت السهل والجبل وغزت الامم شرقا وغربا ..

ومع هذا فاننا متفائلون بمستقبل زاخر بالآمال مليء بالتطورات التصاعدية للشعوب الاسلامية ، اذ نرى في رحابها قوى ناشئة تتفاعل ، وفي ارجائها طاقات فنية تتعاظم ، ولذا فان تطور المسلمين في القرن العشرين سيتقدم بهم الى الامام بخطى سريعة حتى يغير وجه التاريخ ، ويصعد بالمجتمع الاسلامي الى الغاية التى ينشدها ..

ويساعدنا على هذا التفاؤل ان العقول قد تنبهت بعد ان كانت مغلقة وتفتحت البصائر بعد ان كانت مغلقة ، وانطلقت حرية الفكر والراي والقول ، وحرية العمل للرجل والمراة على السواء ، واقبل الجيل المعاصر ينهل من العلوم والمعارف ما يشاء ، واخذ يعالج المشكلات الموروثة ، ويحل العقد المزمنة وبدأ يلعب دوره الايجابي في رفع المستويات ، والنهوض بالافراد والجماعات لتطور الشعوب الاسلامية ، وتساير عصر المدنيات الحديثة ، وتتمشى جنبا الى جنب مع الدول الناهضة ، وتحاول التغلب على متطلبات الزمن ، ورغبات التجديد في العصر الحديث ..

ومن هنا يبدأ الاسلام في كتابة صفحات من التاريخ ناصعة البياض يبدد بها ظلام القرون السالفة ، ولا يدحر الظلام الا النور ، ولا يمحو السواد الا البياض .. وذلك ما نتمناه ، وانا لمنتظرون ..

والليالي من الزمان حبالى
مثقلات يلدن كل عجيب

القنيطرة ــ عبد الفتاح امام



للأستاذ غضنفر أحمد

لقد بدأت سير الرجال .. كبار الرجال العرب والمسلمين تنطلق عبر السوق، وتنتصب شواهد على هذه الحقيقة .. ومع ذلك ففي المكتبة العربية الاسلامية مئات من الرجال لم يرفع عنهم غبار النسيان، وفي عبقرياتهم كل لون وكل اختصاص، بينهم الاديب والفقيه والمؤرخ والمهندس والفيلسوف والفلكي والاصولي وغيرهم ممن اشتركوا في رفع بناء الحضارة العربية الاسلامية . هؤلاء كلهم ينتظرون ان يأتي دورهم ليخرجوا الى الوعي العربي بالثوب القشيب والاسلوب القريب والعناية البالغة والاخلاص الذي يجب أن يتوفر لكل محقق وباحث .

لذا انتهزها فرصة سعيدة لاتحدث للقاريء الكريم عما تكاد نفسي أن تتفجر عنه، ولم اجد طريقا اقرب الى المواطن العربي من طريق الكتابة .

اكتب هذه السطور التي تشير الى رجل اجتمعت فيه فضائل الانسان ذي الرسالة الحضارية انسان ظهر فيه القلق الى المعرفة والتوق الى الحقيقة . والقلق عنوان الحياة، عنوان التقدم، وهو الحافز الذي يدفع بصاحبه الى النهوض بمسؤولياته، يحركه عندما يسكن، ويشعله ويشجعه عندما ييأس ويقويه عندما يضعف .

ولا بدع أن يكون الامام الصادق موضعا لهذا القلق ورمزا له ... فقد كان فرعا من شجرة هي اكرم ما عرف النسب العربي ... ورث بها الارادة الفعالة التي لا تعترف بالهزيمة والفشل كما ورث عمق الادراك والحساسية الشديدة .. والخلاصة انه ورث الحافز العجيب الذي لم يجد له الدارسون بعد تفسيرا في حدود ما عرفوه من الحقائق الانسانية وجوانب النفس الخفية . انه الشخص الذي تظهر به عبقرية الامة وتتجلى به طبيعتها الكامنة علما، او نضالا في سبيل الخير، او قيادة عسكرية، او نبلا في الخلق والضمير، وقد هيأت له ظروف حياته أن يكون من هذا كله موضعا للعبقريتين العلمية والخلقية .

عصره ومشاكله :

يمتد عصر الامام الصادق من آخر خلافة عبد عبد الملك بن مروان الى وسط خلافة المنصور اي من سنة 83 الى سنة 148 . فقد ادرك طرفا كبيرا من العصر الاموي وعاصر كثيرا من ملوكهم وشاهد من حكمهم اعنف اشكاله، وقضى حياته الاولى حتى الحادية عشرة من عمره مع جده زين العابدين وحتى الثانية والثلاثين مع ابيه الباقر، ونشأ في ظلهما يتغذى تعاليمه، وتنمو مواهبه، وتربى تربيته الدينية، وتخرج من تلك المدرسة الجامعة، فاختص بعد وفاة ابيه بالزعامة سنة 114 اتسمت مدرسته بنشاط الحركة العلمية في المدينة ومكة والكوفة وغيرها من الاقطار الاسلامية .

كان العصر الذى اختص به الامام الصادق عصر فتن واضطراب فى جميع البلاد الاسلامية وحروب طاحنة ، ونزاع بين رجال الدولة ، وتجاوبت البلاد بلغة الانكار على الامويين .

وكانت ثورة الحسين بن علي رضي الله عنه هي بداية الانطلاق لنشر الوعي الاسلامي ضد الامويين ، ثم تتابعت الثورات فى البلاد العربية .

عاش الصادق وسط ذلك الجو المضطرب بالفوضى والعبث والفساد وهو يحس بآلام الناس اكثر من غيره ، فماذا يصنع وقد طوقه الامويون برقابة شديدة وضربوا حوله دائرة ضيقة ليحصروا نفوذه فيها .

ورغم ذلك كله راح يؤدي رسالته ليعالج اصلاح الوضع من طريق الهداية والارشاد ونشر تعاليم الاسلام .

كانت مدرسة الامام الصادق ثابتة المبدا متصلة الكفاح ووجد الناس فيها ثروة علمية وكانوا يحيون فيها حياة فكرية تهذب النفوس وتسمو بالعقول وترتقي بهم الى اوج المعرفة والكمال . وكان غرضه المباشر هو توجيه الناس الى اسمى درجة فى التفكير وافهام الامة نظم الاسلام على الوجه الصحيح وتطبيقه بين افراد الامة عن طريق العلم وحرية التفكيرليعالج مشاكل ذلك المجتمع بالحكمة والموعظة الحسنة . ويدعو الناس من طريق الهداية والارشاد الى التمسك بتعاليم الدين الحنيف .

وفى عصر الامام ازدهرت المدينة المنورة وزخرت بطلاب العلم ووفود الاقطار الاسلامية وانتظمت فيها حلقات الدرس ، وكان بيته كجامعة اسلامية يزدحم فيه رجال العلم وحملة الحديث من مختلف الطبقات ينتهلون موارد علمه ويقتبسون من ضياء معرفته ، وقد اغتنموا تلك الفرصة فازدحموا عليه يسالونه ايضاح ما اشكل عليهم (فحمل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان وانتشر ذكره فى جميع البلدان)

وازدحم على بابه العلماء واقتبس من مشكاة انواره الاصفياء ، وكان متجها الى العمل بما يرضي الله لا يفتر عن ذكره ولا ينفك عن طاعته .

يحدثنا مالك بن انس وهو تلميذ الامام تردد عليه زمانا طويلا قبل ان تفصل بينهما عوامل الدولة وتحول وجهة نظر مالك عن الامام عندما رفعت من مقامه واعلت من شانه ، ووجهت الانظار اليه طوعا او كرها رهبة او رغبة يقول : « لقد كنت ارى جعفر ابن محمد وكان كثير التبسم فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم اصفر لونه ، وما رايته يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا على طهارة. ولقد اختلفت اليه زمانا فما كنت اراه الا على ثلاثة خصال : اما مصليا ، واما صامتا ، واما يقرا القرآن . ولا يتكلم بما لا يعنيه ، وكان من العلماء والعباد الذين يخشون الله » (1) .

وفى رواية الحافظ النيسابوري : (وكان كثير الحديث طيب المجالسة كثير الفوائد ، فاذا قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخضر مرة واصفر اخرى حتى ينكره من يعرفه ، ولقد حججت معه فلما استوت به راحلته عند الاحرام انقطع الصوت فى حلقه ، وكاد يخر من راحلته » (2) .

من تعاليمه :

كانت الحلقات التى تعقد فى مدرسة الامام الصادق هي الصعيد الذى تنطلق عليه تعاليم الامام وارشاداته ، فكان يزرع الفضيلة فى النفوس ويغرس الخير فيها . وكان حديثه يشمل كل امور الحياة وجوانبها ، فهو يهدف الى تصفية الغرائز ويرسم طريق الصلاح والهداية ويوضح للناس سبل الخير .

وجعل هدفه الاسمى فى توجيه الناس الى الورع عن محارم الله والخوف منه والامتثال لاوامره والشعور بالمسؤولية امام الله تعالى وجعل يوم الحساب ماثلا امام اعينهم مع حثهم على التكسب وطلب الرزق ليرفع من مستوى اخلاقهم والمحافظة على القيم الروحية .

كان رضي الله عنه يدعو الى الاحتفاظ بالاخوة الاسلامية ويدعو الى الالفة والتقارب وينهى عن

(1) ابن تيمية فى كتابه التسول والوسيلة .
(2) الروضة للحافظ .

التباغض والتباعد ويحاول تاليف القلوب بمختلف الطرق ، لان الحب اقوى عامل لسعادة بني الانسان ، وبالحب ينتظم العالم ، وهو القانون الطبيعي لكيان الحياة كما ان الكراهة تبعث الشقاء وتثير الشحناء ، لان عين الكراهة لا تبصر المحاسن بل تتطلع الى العيوب وان لم تجد فتقلب الحسن قبحا ، فلذلك نهى الشارع المقدس عن الامور التى تثير العداء بين المسلمين وتذهب الى ابعد حدود القلق ، فكان من اسس نظام الدين الاسلامي هي الاخوة فلذا آخى النبي صلى الله عليه وسلم بين اصحابه وأمر المسلمين بالمؤاخاة .

وعلى كل كانت حياة الصادق كلها اشعاعا لا ينقطع يصوغ به العلماء ، ويشيع به حب المعرفة ويشارك به فى الاستنتاج المنطقي السليم ، والتأمل الفكري كما كانت حياته اشعاعا لا ينقطع ، يصوغ به الحب ، سخاء فى اليد ، وسعة فى الصدر ونبلا فى النفس ، ونقاء فى الضمير .

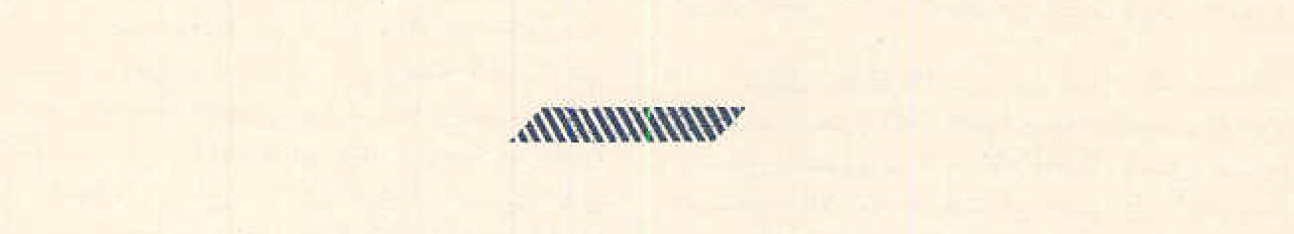
لقد كان متفوقا فى خلقه ، متفوقا فى حسن معاملته للناس ، متفوقا فى تصوير المثل الاعلى الادبي لمن كان يطلب العلم فى مجالسه، او يذهب مذهبه من اتباعه ، او يعجب به من هو على مذهب غيره من العلماء والفقهاء ، كما كان متفوقا فى سعة ادراكه وغوصه على الحقائق العلمية الفلسفية فى عصره ، متفوقا فى مشاركته التامة العميقة فى كل المعارف التى شاعت فى عصره الذهبي .

لم يكن الامام متخصصا فى فرع من العلوم ، او ناهجا منهجا فلسفيا خاصا راغبا عن غيره ، او جاهلا له ، فلم يكن التخصص يومذاك من مذاهب كبار العلماء ، وجهابذتهم .

لقد كان الامام الصادق مكتبة متنقلة تنطوي فى احشائها على كنوز الانسانية فى كل ما ورثته من علوم الاولين ، وما اكتسبته بعد ذلك بتجاربها الخاصة .

ان الامام الصادق ابا عبد الله هو نموذج لانسانية المعرفة فى العصر الاسلامي الذهبي ، بل بداية رائعة له ، هيأت له اسباب هذه الامامة انه بالاضافة الى ذكائه الوقاد وجهوده البالغة فى البحث والتأمل والدراسة كان من اولئك الملهمين الذين لا يجود التاريخ الانساني بهم الا فى فترات متباعدة .

مراكش ــ متفكر احمد





للاستاذ عبد الحق المريني

تحل اليوم ذكرى عظيمة انشق عمود فجرها ينشد نشيد العرش ويتلو آيات الولاء والبيعة للحسن العظيم .

انها ذكرى يوم خالد نفخ في الطليعة المغربية روحا فتحت له آفاق الآمال وعلمته الحزم والعزم والاقدام .

ونحن اذ نحيي هذه الذكرى الخالدة كم يطيب لنا ان نستلهم المعاني السامية لدرر الوصية التي تركها جلالة الملك الراحل تغمده الله برحمته لشبله ووارث سره وخليفته ادام الله عليه نعمة تأييده ونصره .

يقول جلالة الملك المقدس للحسن المعظم : « وارجع بين الفينة والاخرى الى التاريخ يحدثك عن همم اجدادك وعزائم اسلافك وكيف اخلصوا النية على حماية هذا الوطن وحياطته من الاهوال والاخطار فجندوا الجنود وأعدوا العدد لاسترجاع مراسيه وتحصين ثغوره ودرء الطامعين وصد المغيرين . فكن يا ولدي خير خلف لخير سلف » .

وكذلك كان. لقد أخلص الخلف كما أخلص السلف في حماية هذا الوطن ودفع عنه جميع الاهواء والاخطار وجاهد فيه لاعلاء كلمة الله والحق . واعد لذلك ما استطاع من قوة وجهد وارادة . وجعل عرشه ــ كما جعله السلف ــ على ظهر فرسه ليتفقد البلاد واهلها ويحمل اليهم اشعاعا من الايمان يضيء لهم مصيرهم ومستقبلهم ويبين لهم عن طريق المجد والعزة والاستقرار .

ويقول جلالة الملك المقدس لخلفه العظيم :

« اوصيك بالمغرب بلدك الكريم ووطنك العظيم مستقر الجد والوالد ومستودع الطارق والتاليد خميلتك التي ارتاضت بنسائمها رئتاك وتملت من محاسنها مقلتاك وتغنت بأ'حانها شفتاك »

لقد ابر الخلف العظيم بالوصية العظمى : فحافظ على استقلال المغرب ودافع عن وحدته وكيانه ولم يتساهل في شيء من حريته ولم يتنازل عن قلامة ظفر من تربته ولم يقبل المساومة على امنه وسلامة سكانه وسارع الى انقاذه عندما دهمته الاخطار وتهددته الاعداء وسار في طليعة الابطال يحمي حوزته ويقود سفينته الى شاطىء النجاة .

ويقول جلالة الملك المقدس لخلفه العظيم :

« انت تعرف يا بني ان اسلافك الاكرمين ما وصلوا الى الملك قهرا ولا اقتعدوا العرش قسرا وانما كانت تقدمهم الى السلطان ضرورة دعت اليها مصلحة الوطن العليا . آوى منهم الشعب الى ركن ركين ولاذ بحصن حصين ، واجتمعت عليهم كلمته بعد ما وزعتها الاهواء ، وشتتتها الفتن » .

فكان الخلف العظيم متمم رسالة اسلافه المقدسين ومحافظا على الامانة التي من اجلها دعوا الى الملك وتبوؤوا اريكة السلطان . فكان من الشعب والى الشعب يسعه ما يسعه ويضيق عنه ما يضيق عنه ولا يبخل عليه براحة ولا يضنوا عليه بمجهود يوثره على ترابته الخاصة وبطانته المقربة » لانه بمثابة اسرته

الكبرى وعشيرته العظمى ، ويسـوي بين افراده وجماعاته فى الحقوق والواجبات ، ويخلص اليهم فى السر والعلانيـة .

ويفصح الخلف العظيم بنفسه لشعبه الوفي عن ما يكنه له من عطف ورعاية وعناية .

يقول جلالته : « ان الرعاية موقوفة عليـك ، والعناية مصروفة اليك ، والاهتمام مقصور على ما به اسعادك ، فلا اغيب عنك الا وانت معي ، ولا اكون معك الا وانت جليسي وانيسي ، فانت نصب العين حيثمـا كنت ، وتزيه القلب حيثما تصرفت وذهبـت . ان سافرت فمن اجلك ، وان اقمت فما فى الدنيا شـيء يلهيني عن شؤونك ويصرفني عن شجونك ويشغل بالي سوى ما يرضيك ويفيض المسرة فى قلبـك . وان همك امر همني وان حز بك كرب حز بي . وان ارقك شيء سهدني ، وان اعتراك خطب او نزل بساحتـك مكروه اندفعت لتفريج الغم الذي ران عليك وسعيـت لتبديد الظلماء التى خيمت بسمائك . فلا يطيب لي عيش ولا يهدا لي بال ولا يقر لي قرار الا عندما تبتسم الدنيا لك وتحلو الحياة فى عينيك وينتشر التفاؤل فى دخيلتك ، ويتقلص التشاؤم عن سريرتك » .

ويقول جلالة الملك المقدس للخلف العظيم :

« ولا تنسى يا ولدي ان المغـرب من بلـدان الاسلام وانك واحد من المسلميـن، فضع بين عينيـك تلك الاخوة السـامية التي بشر بها الاسلام ودعا اليهـا وبين حقوقها وواجباتها وابذر حبابها فى قلوب معتنقة حتى اصبحوا بنعمته اخوانا ، وان تباعدت انسـابهـم وتنابت ديارهم » .

فحرص الخلف العظيم وهو اميـر المؤمنيـن وحامي حوزة الملة والدين على تثبيت دعائـم هـذه الاخوة وتقوية اواصرها . فكان شديـد الاهتمـام بقضاياهم ينصرهم فى المحافل الدولية ويدافع عنهم فى المجامع الاممية .

تلك ايها القراء الاعزاء هي الوصية العظمى التي تركها الراحل العظيم لخليفته الاسمى ، وتلك هي بنود البيعة الكبرى التي بايع بها افراد الامة المغربية عاهلهم المفدى وقائدهم المظفر ملكا على عرش المملكة المغربية ملكا مؤزرا ومناصـرا ومؤيـدا ومعـززا . ذلك لان جلالته بحكم القانون وبحكم التاريخ هو الممثل الاسمى للامة المغربية ، وهو رمز وحدتها وضامن دوامهـا واستمرارها واستقرارها ، وهو حامي استقلال بلادها وحوزتها فى دائرة حدودها الحقة ، والمدافع الامين والاوحد عنها وعن حقوق وحريات ابنائها .

وتلك هي سنة الله والتاريخ والقانون فى أرض المملكة المغربية ، ولن تجد لسـنة الله تبديلا ! .

عبد الحـق المرينـي



أمولاي في أصحر العرش تشيعة"

لشاعر الوحدة : الأستاذ محمد الكبير العلوي

اليـك المعالـى والمحامـد تنسـب ... وانت بها فـوق الملـوك تلقـب

بعرشك تزدان البـلاد وتزدهـي ... ويصفو لها العيش الهنيء ويعـذب

احبك هذا الشعب من عمق عمقـه ... وانت الى كل الشعـوب محبـب

يحبك دانيـه وقاصيـه مخلصـا ... يعبر فى شتى الظـروف ويعـرب

قلوب طويناهـا على الحب والوفـا ... تحكم فيهـا حبـك المتشـرب

اذا ما سمعناك التظى فى نفوسنـا ... شعور واحساس من الحب يلهـب

ومهما رأينـاك انتشينـا مسـرة ... وبشرا وافراحـا نجـن ونجـذب

طربنا بعيد العرش واعتز شعبنـا ... ولسنـا على تيـه وزهـو نؤنـب

لنا مذهب فى العيد قدمـا وانمـا ... لكل امريء فى فرحة العيد مذهب

اظلت أياديـك البـلاد سعـادة ... وقد فاض فيها سيبـك المتصبـب

عملت على احيائهـا وازدهارهـا ... وما زلت فى تلك المقاصـد تـداب

ارى المغرب الاقصى يعظـم قـدره ... ويغبط محسـودا عليـك ويرغـب

الا يا ملوك الارض خلـوا سبيلـه ... ولا تصحبوه فى الثنـاء ونكبـوا

رويدكمو لا تتعبـوا فى طلابـه ... وفى دركه شانـا فذلـك يصعـب

فما الدهر الا من مجيدي ثنائـه ... يحدث عن ذاك الجنـاب ويسهـب

فشـا ذكـره فى كل قطـر وبلـدة ... وغنى به فى الناس شرق ومغـرب

ايا ملك العلياء يا حسـن الثنـا ... بك الشعب يسمو والمناطق تخصب

وللمكرمات الغـر عـرش ممجـد ... وانـت علي كرسيهـن منصـب

جمعت المعالي وارتقيت ذرى الثنا ... وما زلت عن غر الخصال تنقب

وعن قمة الجوز اسموت ولم تزل ... الى مطلب الامجاد والعز تركب

وينحط عنك الدهر عزما وهمة ... وتندهش الايام منك وتعجب

وكم حزت من مجد وفخر وسؤدد ... ومكرمة باللؤلىء الذوب تكتب

سياستك البيضاء أوضح حجة ... ورايك فى كل المشاكل اصوب

الى الوحدة الكبرى دعوت مناديا ... فلبت جماهير الشعب ترحب

ومؤتمر الاسلام اسدق شاهد ... على انك القطب العظيم المجرب

فنادت قوى الطغيان والشر عصبة ... على حربنا مسعورة تتالب

راوا وحدة الاسلام تسمو فارسلوا ... على صرحها السامي معاول تضرب

فناديت اقطاب العروبة داعيا ... الى الوحدة الكبرى فوافتك يعرب

امولاي فى الصحرا لعرشك شيعة ... وشعب وفي مخلص متوثب

نعم انها الصحراء تسمو مضافة ... الى المغرب الاقصى وبالضم تعرب

الا يا بني الصحراء ذودوا عن الحمي ... وجروا ذيول العز والفخر واسحبوا

وغنوا بماضينا المجيد ورددوا ... اناشيد عيد العرش فى العيد واطربوا

وان صغتموا شعرا فصوغوه ثورة ... تهيج حماسا فى النفوس وتغضب

ونحن اناس لا نريد توسعا ... ولكننا نحمي الحمى يوم يقرب

وما ضاع حق ثابت من ورائه ... جهود وطاقات وشعب ومطلب

امولاي دم للارض شرقا ومغربا ... تجود بك الاقطار يمنا وتخصب

ودم يا ولي العهد فى ظلل الثنا ... وانت امير فى القلوب محبب

الرباط ـ محمد الكبير العلوي



للأستاذ عبد القادر النكادي

بمناسبة حلول هذه الذكرى العزيزة علينا ، ذكرى عيد العرش العلوي المجيد ، ذكرى تربع رائدنا وقائدنا وملهمنا ورمز وحدتنا جلالة الحسن الثاني العظيم على اريكة اجداده المنعمين ـ رحمهم الله ـ يشرفني جدا ويسعدني كثيرا ان اقدم الى المثقف الكريم المهتم بتاريخ هذا البلد الطيب الخصب الكريم هذا البلد المعطاء عبر المدى ، هذا البلد الشاعرة ولكانها مروج من الياسمين والقرنفل والنرجس ، هذا الجزء الاقصى من الوطن العربي الذى كان فى مقدمة الركب الحضاري خلال العصور السالفة ، والذى صار اليوم فى طليعة الدول النامية ـ ان صحت العبارة ـ هذا البحث الموجز المتواضع عن الديمقرطية فى المغرب الاقصى فى عهد جلالة الامبراطور الجليل المجيد العلوي المولى اسماعيل بن المولى الشريف ، والسلطان العظيم صاحب التآليف العديدة المولى محمد بن عبد الله ، والملك الصالح المولى عبد الرحمن ابن المولى هشام ـ قدس الله ارواحهم ـ من خلال اقوال المستشرق الاسباني المؤرخ الشاعر القسيس ميكيل آسين بلاسيوس المزداد عام واحد وسبعين وثمانمائة والف ، والمتوفى عام اربعة واربعين وتسعمائة والف فى محاضرته القيمة التى القاها بمليلية يوم (25 غشت 1933) على جماعة من الرهبان وبعض ضباط جيش الاسبان المهتمين بتاريخ المغرب تحت عنوان : « حصانة المغرب الاقصى فى عهد المولى اسماعيل السجلماسي » والتى استهلها بقوله :

« اسمحوا لي سيداتي سادتي باديء ذي بدء ان استهل كلامي بهذه الكلمة القيمة التى فاه بها محررنا من العبودية اثناء فتح مدينة غرناطة : « **لو كان العرب كلهم مثل المغاربة لما بقي لنا وجود يذكر** » .

وختمها بقوله :

« **هذا هو المغرب ، وهذه هي عقيدة ابنائه فى عهد الدولة العلوية السجلماسية وقبلها** » .

ان دلت هاتان الفقرتان على شيء فانما تدلان على ان التعريف الذي جعله هيردودس للتاريخ والقائل : « هو مرآة تنعكس عليها اخلاق الغابرين وعاداتهم وما صلح منها وما فسد » .

والذى درسه واضع اسس التاريخ الاجتماعي العلامة عبد الرحمن بن خلدون بكل دقة وركز عليه فى كتابه « العبر ... » الذى صار فى مقدمة المراجع التاريخية المكتوبة قبل أواخر القرن الثامن الهجري ، وسيظل حاكما لكل من اراد تشويهه وحتى ولو كان المشوه له قدرة على ذلك فلا يستطيع ابدا.

بعد هذه الكلمة الموجزة التى عرفنا ـ خلالها ـ المصدر الذى نعتمده فى هذا المضمار واسم مؤلفه لم يبق الا ان ندخل فى صلب الموضوع .

قال فى (ص : 5) ما نصه :

« وقد استفدنا من خلال دراستنا لتاريخ المغرب الاقصى ان جل الممالك الذين قادوا زمام حكمه قبل ملوك هذه الدولة (يعني الدولة العلوية المجيدة ادام الله عزها —) كانوا لا يهتمون بشؤون المواطنين اكثر مما يهتمون بانفسهم ، بيد ان ملوك هذه الدولة نراهم يفضلون مواطنيهم اكثر مما يفضلون انفسهم وذويهم . وهذا لا غرابة فيه لان الفرع تابع للاصل، واصلهم كما تعلمون محمد بن عبد المطلب الذي جاء بالديمقراطية كما جاء بها — قبل — ابونا اليسوع »

ثم زاد قائلا بعد كلام طويل استعرض فيه الانتصارات التى حققها المغاربة الاحرار الاشاوس الشجعان الابطال بقيادة ملكهم السلطان المولى اسماعيل — قدس الله روحه — فى كل من العرائش واصيلا وطنجة جاء فيه ما نصه :

« وقد تبين لنا من خلال ما قدمنا ان شعبية هذا الملك وسياسته وديمقراطيته وحبه للكرامة والوطن وابنائه ستظل موضع نقاش ودراسة الى الابد » (ص : 10) .

ونجده ايضا يقول في (ص : 15) عن الديمقراطية فى عهد السلطان المولى محمد بن عبد الله ما نصه :

«وانتم تعلمون ايضا بأن حفيده العلامة السلطان (المولى محمد بن عبد الله قد كان يجمع العلماء ويناظرهم ويخاطبهم بقوله :

« ان من شيمنا العدالة والديمقراطية ومحاربة العبودية كيفما كانت قوتها »

ثم زاد قائلا بعد كلام طويل استعرض فيه سياسة المغرب ما بين سنة 1140 وسنة 1172 هـ جاء فيه ما نصه :

« لقد استطاع هذا الملك العملاق ان يسترجع فى ظرف وجيز تلك المكانة المرموقة السامية التى كانت عند المغرب فى عهد جده الذى هو موضوع محاضرتنا هذه » (ص : 17) .

ونجده ايضا يقول فى (ص : 20) محللا ما تقدم فى شان المولى محمد — طيب الله ثراه — ما يلي :

« يتضح من خلال ما تقدم لنا بعد قليل على أن ديمقراطية هذا الملك السياسي العظيم مستمدة من قول جده محمد الهاشمي القائل فى حديثه :

« امرني ربي بتسع : خشية الله فى السر والعلانية ، وكلمة العدل فى الغضب والرضى ، والقصد فى الفقر والغنى ، وان اصل من قطعني واعطي من حرمني، واعفو عمن ظلمني ، وان يكون صمتي فكرا ونطقي ذكرا ، ونظري عبرة ، وآمر بالمعروف » .

ونجده ايضا يقول فى (ص : 27) عن الديمقراطية فى عهد السلطان الصالح المولى عبد الرحمن بن هشام — رحمه الله — ما نصه :

« وقد وجدت بخزانة تطوان تقييدا بخط احد شرفاء وزان يدعى ابا العباس احمد جاء فيه ما نصه :

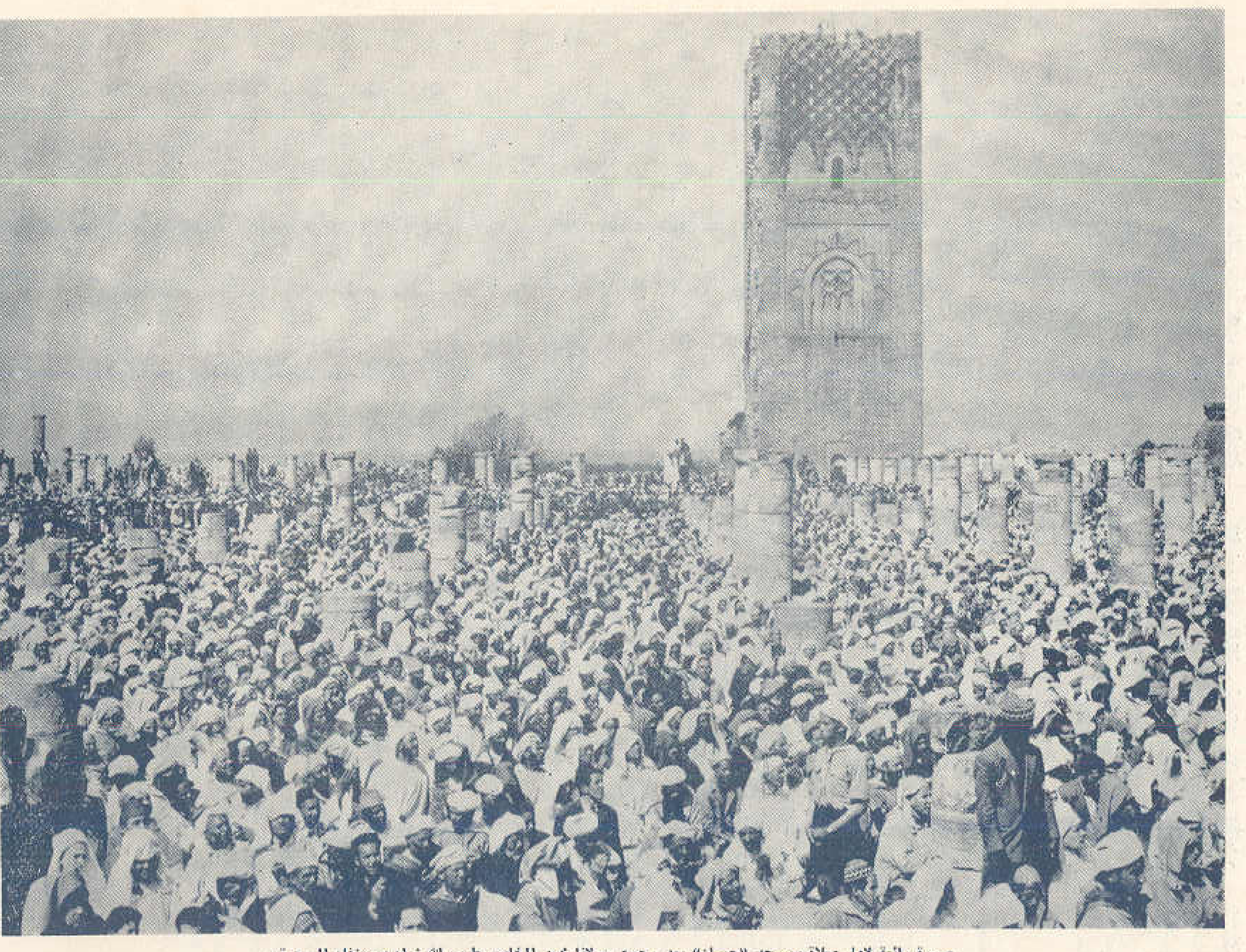
« وقد جمع مولانا عبد الرحمن بن هشام — ادام الله عزه — كلا من الفقيه اكنسوس ، والاديب الشريف محمد بن ادريس العمراوي والمؤرخ الزياني فى يوم عيد الاضحى المبارك فخاطبهم بقوله :

« اريد ان تكتبوه بحلوه ومره »

ويحدثنا ايضا فى (ص : 29) اثناء حديثه عن الحوادث التخريبية التى شهدها جنوب المغرب على يد المهدي الزراري جاء فيه ما نصه:

« على الرغم مما قام به هذا الشخص المذكور من الفوضى والسرقة ، سرقة اموال الدولة من الصويرة ، وسفك الدماء ، دماء الابرياء فان هذا السلطان (يعني المولى عبد الرحمن) لم يحاكمه قط ابدا . ولعل السبب فى ذلك — ايها السادة — راجع الى التحليل القيم الذى كتبه اخونا كرسيا فى هذا المضمار فى محاضرته التى القاها علينا فى الاسبوع الماضي تحت عنوان : « السلطان المولى عبد الرحمن وموقفه ضد احتلال دولة فرنسا للجزائر » والذى نقتطف منه ما يلي :

« ان من حلم هذا الملك الذى شهد المغرب الاقصى فى عهده ازدهارا لا يستهان به . . . التقدير والاحترام لكل من اتصف بالاقدام والجراءة ولو كان خارجا عن طاعته فى يوم ما . ودليلنا على ذلك قوله :



صورة رائعة لاول صلاة بمسجد «حسان» بعد رجوع مولانا محمد الخامس طيب الله ثراه من منفاه السحيق.

« ان ما فات قد مات ، ما نهب فى أيام الفتنة فهو هدر ومن الآن ، من فعل شيئا يخاف على نفسه » .

ثم زاد قائلا بعد كلام طويل استعرض فيه الجولات التى كان يقوم بها من حين لآخر لمعظم الاقاليم قصد الاطلاع بنفسه على سائر الامور جاء فيه ما يلي :

« يتضح لنا من خلال ما تقدم ان من شيم هذا الملك الرفق بالرعية والضعفاء والمساكين والمعوزين مما جعله يلغي الضريبة التى كانت مفروضة على حواضر المغرب فى ابواب المدن والاسواق على السلع والقلل وغيرها ..» (ص : 32) .

ونجده ايضا يقول عن العدالة فى عهده معتمدا فى ذلك على الرسالة التلمسانية ما يلي :

« يبدو من خلال الرسالة التى ستستمعون اليها بعد قليل ان عدالة هذا الملك كانت مستمدة من قول دستورهم : « وامرهم شورى بينهم » الامر الذى جعله يستفتي علماء فاس فى مضمون الرسالة التى اليكم نصها :

« ليعلم سيدنا قطب المجد ومركزه ، ومحل الفخر ومحرزه ، اساس الشرف الباذخ ومنبعه ، وبساط الفضل الشامخ ومجمعه ، السلطان الاعظم ، الامجد ، الافخم ، نجل الملوك العظام ، سيدنا ومولانا عبد الرحمن بن هشام ابقى الله سيدنا للمسلمين ذخرا ومنحه مودة واجرا .. ان فتوى ساداتنا علماء فاس مبنية على غير اساس لانهم اعتقدوا ان فى عنقنا للامام العثماني بيعة ، وهذا لو صح لكان علينا حجة، وليس الامر كذلك وانما له مجدد الاسلام هنالك ، وعامل الجزائر انما كان متغلبا ، وبالدين متلاعبا فأهلكه الله بظلمه وتطاوله على عباد الله وجوره وفسقه. ان الله يمهل الظالم حتى يأخذه ، فاذا اخذه لم يفلته وبدل على تقلبه واستقلاله ، عدم وقوفه عند امر العثماني وامتثاله ، بل لا يكترث به اصلا ولا يتبع له قولا ولا فعلا ، كيف وقد امره ان يعقد مع النصارى صلحا فلم يقبل له قولا ولا نصحا وطلب منه بعض الاموال ليستعين بها على ما حل به مع النصارى من الاهوال ، فامتنع غاية الامتناع ، ولم يمكنه من شبر منها فضلا عن الباع حتى اخذها العدو الكافر وهذا جزاء كل فاسق فاجر جزاء كل مال جمع من حرام سلط الله عليه الاعداء اللئام ، وهذا كله من هذا المتغلب متواتر مشاهد بالعيان ، مستغن عن اقامة الدليل والبرهان ، الناس كلهم عبيد الله واماؤه ، والسلطان واحد منهم ، ملكه الله امرهم ابتلاء وامتحانا ، فان قام فيهم بالعدل والرحمة ، والانصاف والصلاح مثل سيدنا — نصره الله — فهو خليفة الله فى ارضه، وظل الله على عبده، وله الدرجة عند الله تعالى ... »

« لا شك انكم قد فهمتم مغزى هذه الرسالة ، لكن لتفهمها اكثر ، اليكم جواب وزيره الشاعر محمد ابن ادريس العمراوي فى هذا المضمار :

« محبنا وخال سيدنا الارضى السيد ادريس ابن حمان الجراري سلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته عن خير سيدنا ايده الله .

وبعد ، فقد وصلنا كتابك صحبة أعيان تلمسان وقبائل احوازها فوقفنا معهم كل الوقوف وبذلنا المجهود فوق الطاقة وقبلهم مولانا وقابلهم بالاحسان والاكرام كما هو شانه ذهابا وايابا وهاهم وجههم مولانا مكرمين ورشح ابن عمه مولاي عليا للخلافة عليهم لما يعلم من عقله ودرايته وسياسته وانه ذو نفس نزيهة لكون تلك النواحي لا يصلح لها الا من اتصف بهذه الاوصاف ليميزوا حالة الساعة مع ما كانوا فيه . وكما رشح مولانا ابن عمه المذكور رشحك لتكون واسطة بينهم وبينه لكون الاوصاف المذكورة موجودة فيك . فكن عند الظن بك واياك والطمع وازهدوا فيما في ايدي الناس وكل ما تحتاجون اليه مما لا بد منه اخبرونا به يصلكم ، ولا تكتموا عنا شاذة ولا فاذة ، واعلم ان مولانا انتخبك من وسط ابناء جنسك وقربك منه ولا زلت لديه فى الترقي قالله الله ، فكن عند الظن بك ، بارك الله فيك آمين » (ص : 33 — 35) .

يبدو واضحا تمام الوضوح من خلال ما تقدم ان الديمقراطية والشهامة والعدالة والحرية والغيرة عن العقيدة الاسلامية فى عهد المولى عبد الرحمن منبثقة من الكتاب والسنة خلافا لما زعمه بعض الجاهلين الذين يشوهون الحقائق التاريخية التى لا مفر منها بدليل قول الامام الشافعي — « قل الحق ولو كان مرا » .

هذه هي اقوال المستشرق الاسباني عن المغرب والمغاربة وملوكهم الثلاث بالحرف .

الرباط — عبد القادر النكادي

محمد الخامس

مفخرة الدولة العلوية وباعث نهضة المغرب الحديث...

للأستاذ عثمان بن خضراء

ان القوى المعنوية الناجمة عن القوى المادية بصورة تختلف عنها معنى وتتفق معها مبنى لا تقبل الجمع ولا تألف الحصر ... فهي ابدا سابحة باضواء آمالها فى أهواء اللانهاية ... تطوي اشواطا شاسعة فتنبسط امامها اخرى ممهدة العقبات ، مذللة الصعوبات ، محاربة الاحداث والانفعالات الزمنية بهمة عالية وعزيمة ماضية حتى تنشب فيها المنية اظفارها وبصرعها ملاك الموت فتطوى حينذاك مادتها ويخلد الاجيال ذكرها وتردد الاحقاب صداها ويسطر التاريخ صفحة مجيدة من صفحات العبقرية والخلود !

نعم ... تمر السنون والاعوام وذكرى الملوك والسلاطين والغزاة الفاتحين الذين مثلوا ادوار الشجاعة والعظمة والعبقرية بجباه عالية على مسرح الخلود ابدا ماثلة امام الاجيال ... يتناقلها الخلف عن السلف ... كاساطير الاولين محفوفة بالاجلال والاعظام ... ولولا الاقرار بالنبوغ والاعتراف بالعبقرية لما اقيمت الذكريات والمهرجانات وخفقت الاعلام والرايات ونصبت اقواس النصر وعقدت حفلات التكريم او التأبين وهتف بحياة ملك قائد او زعيم خالد ... ووضعت الاكاليل وباقات من الازهار على المدافن والاضرحة ... فالخدمات الجليلة والاعمال المجيدة التي قام بها ملوك الدولة العلوية عبر السنين والاحقاب لها نشرها الطيب وذكرها الخالد واثرها المحمود وجزاؤها الحسن فى الدارين .. ولله در من قال :

« من يصنع العرف لا يعدم جوازيه
لا يذهب العرف بين الله والناس »

لقد ظل حب الحرية وعقيدة التحرر هما الميزة التي تجلل ، عبر القرون ، حركات التاريخ المغربي وتؤجج أنفس المغاربة وملوك المغرب بصفة عامة وسلاطين الدولة العلوية بصفة خاصة ، فى كل ما خاضوه من معارك وما قاموا به من ثورات ضد الاحتلال البرتغالي والاسباني ثم الفرنسي !

ان عرق الحرية ينفض فينا منذ قرون وضمائرنا تنبض بكل حيوية واحساس ووجداننا يرق بكل سمو ونبالة ... ولهذا فنحن احق بحياة يتغنى بها الطير ويشدو بها على الافنان فى الهواء الطلق حول الربوع الخضر فى هذه الارض الطيبة !

فعند ما تبسط القوى المعادية للبشرية سلطانها، يولد أفراد من ذوى الايمان الراسخ والعبقرية النادرة فيدركون ادراكا واعيا حقيقة الخطر القائم على الانسان المواطن ويؤدون واجبهم دون خوف أو تردد ، غير عابئين بما يلحقهم من اذى واهانة .

وخرج مولود الى الحياة فى هذه الديار لينقذ بلاده من فراعنة الاستعمار ، هياه القدر ليحمل نصيبه فى رسالة تحرير هذا المغرب العزيز وكما فعل أجداده من ملوك الدولة العلوية حينما طهروا البلاد من الاحتلال والانحلال .



ام جلالة المغفور له مولانا محمد الخامس رضي الله عنه بالناس صلاة الجمعة ، وخطب فيهم خطبتها
فى المسجد الاعظم بتطوان ، وكان رحمه الله يعمل على تحرير التراب وتهذيب الافكار ..

نعم ... في مستهل هذا القرن كان الاستعمار قد ضرب على المغرب حصارا شديدا وعمل على عزله عن باقي البلاد والقضاء على مقوماته بكل الوسائل : تفرقة الصفوف وزرع البلبلة والانهزامية بين ابناء الأمة الواحدة تمهيدا للاحتلال والاستغلال وذلك هو هدف الاستعمار !

اما رسالة الشعب فهي الصبر والثبات ومقاومة الغاصب المحتل ، والتحام الصفوف والاخذ بأسباب الوحدة ، وتقديم التضحيات الغالية وبذل النفس والنفيس في سبيل العزة والكرامة وفي تجاوب تام مع قيادة حكيمة متبصرة يشرف عليها محمد الخامس .

عرف الشعب المغربي كيف ينهج هذا الطريق القويم بقيادة ملكه الشاب محمد الخامس ، ويواصل العمل نحو التحرر ، ما دام هذا العمل مسايرا للضرورات الاجتماعية التي تنمو تحت ضغط الوعي المتزايد بالاستقلال الذاتي والقومي ، والرغبة الجامحة في الخروج من وضعية يومن الجميع انها متخلفة جدا عن ان تساير طموح الافراد والجماعات .

لم يكن محمد الخامس ليخفي ايمانه عن الناس ففي كل بيت حديث عنه ، عن حماسه ونشاطه ... وراح حديثهم يزداد عنه عندما بدت مواقفه الحازمة من المستعمر تبدو جلية واضحة في أبرز صورها التي ضج منها الاجنبي الدخيل — فحقد عليه واحس انه لم يعد احدا اخطر عليه اكبر من الملك .. وان هذا الطراز من الملوك اكبر سلاح يهدده في حياته وكيانه !

كان عمله طيب الله ثراه هو التاسيس والتجديد والطمانينة والسلام ... يدشن المدارس للبنين والبنات، ويشجع الكليات والجامعات ليتذوق كلا الجنسين طعم الثقافة والعلم وتتهذب عقولهما على الاخلاق والفطنة والذكاء وحب الصالح العام وتهييء الأطر الضرورية لمرحلة قادمة هي الاستقبال ... ثم انه يرى ان لا تمييز بين سكان المدن والقرى اذ رعاياه عربا وبرابر عنده سواسية حيث انهم أبناء وطن واحد تجمعهم القومية والعقيدة الدينية والمبدا التحريري والاستقلال السياسي اللذان يطالبان به ... فالجميع عرب ويطالب بالانضمام الى العرب في جامعة دولهم الفتية .

ثم انه يرى بعد هذا ان لا سبيل الى حسم العراقيل التي تصد هذه الميادين وغيرها من الميادين الاصلاحية سوى الحاجة في المطالبة بالغاء الحماية واعلان استقلال المغرب الكامل طبقا لرغبته ورغبة شعبه في استرجاع كرامة الوطن وحريته !

ثم بدا المستعمر يزرع الاشواك في طريقه ويثير الفتنة والمشاكل ... فكانت بداية الخبط ، حيث أمتدت الايدي الاثيمة الى العرش لتنزل منه بطل الحرية والاستقلال ، والمقاوم الاول جلالة الملك محمد الخامس وذلك بعد ان اعلن الاستعمار على الشعب المغربي والوطنيين المخلصين حربا سافرة كان لا مناص معها من أن يهب هذا الشعب البطل للدفاع عن كرامته بالسلاح ليرد على العنف بمثله ... !

فهذا الملك البطل الذي عرف كيف يهز اقدام المستعمر على ارض المغرب الثائرة ، ليعد واحدا من هؤلاء الذين يصنعون المجد للارض الطيبة التي لن تقبل الاستسلام على الاطلاق ! فما ابتسم محمد الخامس للتاج وهو عار عن الحرية .. وما هش للخلافة وهي خاضعة للاجنبي .. وما افتر للملك ومن حوله خادش لكرامته .. وما فرغ لنفسه ، وامته مضامة ، مغلولة .. فخلق من شخصه أمام معركة وقائد حرب ، وبطل ميدان ، وفاتح معقل ، ومنقذ وطن !

هذا الرباط بين محمد الخامس والشعب المغربي هو رباط الاب بالابناء ، وهو أيضا بمثابة العمود الفقري لكيان الدولة المغربية وسبب تماسكها وقوتها. نعم ... لقد كان مرجل الثورة يغلي داخل البلاد اثناء الازمة فيسحق الغاصبين الذين جاءوا ليخضعوا رقاب المغاربة الى الاستعباد ، ويلفحوا بالسوط الظهور ، ويخنقوا الانفاس ، ويحرقوا بالنار براعم الحرية .. هذه الحرية التي هي قبس وهاج ، ووميض يشرق في النفس حينما يشعر الانسان انه اصبح بلا ارادة ولا اختيار .

سجل التاريخ غضب الشعب للاعتداء على محمد الخامس ملك البلاد وحامي حمى الملة والدين. واستنتج المؤرخون بأن الشعب المغربي لا يصبر على الضيم بفطرته ولا يتحمل اي اضطهاد كيفما كان نوعه ومهما طال امده ! انه تكمن بين جوانبه روح ثورية جامحة ، لا يقبل ان يرى كرامته تداس وحقوقه تهضم وملكه يبعد !

تغلغلت المقاومة في صفوف الشعب ، وابى ان يرضخ للامر الواقع او يذعن لارادة الغاصبين الذين شوهوا وجه المغرب ، وفرضوا عليه من الامر ما لا يطيقه . فشبت الثورة وهب الاعصار العنيف ... وهاج البحر وأزبد ، وتفجر البركان وعربد .. وابرق الكون

وارعد ... ثم تعالت في الاجواء صيحات المبشريـــــن والمنذرين تنبىء بحدوث امر جلـــل .. ورنت اجـــراس النصر في أعالي فضائها ، وزمجرت الوحوش وتحركت في غابها ... وغردت الطيور وزقزقت فوق اغصانهـــــا وعروشها ... وصدحت أجواق الكون بلحنها الازلـــي العذب الرنان لحن التحرر والانعتاق من قيود الاستبداد واغلال العبودية التي حاولت بسط نفوذها على شعب ابي وثاب الى العلا وملك علوي بطل تواق الى المجد

لقد دق حفيد المولى علي الشريف وشعبه الوفي باب الحرية والخلاص دقا عنيفا وبعزيمة قويـــــة فاستجابت لدقاتهما اجراس الحرية ، وملأ رنينهــــا جوانب الدنيا ... فرجع محمد الخامس محرر الوطن وحامل مشعل الحرية ... ووطات قدماه ارض الابطال وابتهج الشعب لمشاهدة محياه الوسيم ووجهــــه الصبوح ... وتجلى لكل ذي عينين ان جلالته ما زال كسالف العهد به ، مشبوب الارادة ، مضطرم النفس، وما كان الابعاد الا ليضاعف من قوة يقينه وصلابته ويزيد روحه صقلا وشحوذا !

ان الملك العلوي الشهم كان يحيا بحياة امتـــه ويسعد بسعادتها ... وهذا هو سر الصلة الوثيقـــة الثابتة التي كانت متمكنة بينه وبين شعبه — لم تضعف هذه الثقة حتى في احرج الاوقات واشدها ولم تزدها الازمات الا قوة ومتانة ... ولقد اعطى الشعب لملكه الدليل العملي على هذا التفاني وهذا الاخلاص اثنـــاء الاحداث المؤلمة التي تسببت في اضطراب حبل السلامة العامة بالبلاد ابتداء من 20 غشت 1953 .

فمحمد الخامس رحمه الله كان ينظر الى الوطنية والكفاح والحرر من منظار يعكس بصدق أمانـــــي الشعب .. فخاض بذلك أعظم واشرف معارك التاريخ في سبيل الاستقلال وحرية ووحدة الشعب ... وان هذا الكفاح لهو رد فعل محتم للاوضاع الاستعماريـــــة المستمرة ... وهو تأكيد ايجابي لكرامة الانسان المغربي خاصة والافريقي عامة وحقوقه الاساسية — وان احد الدوافع الكبرى لهذه الحركة الثورية هو التحـــرق للخروج من العزلة المادية والفكرية التي فرضهـــا الاستعمار وتحقيق رخاء الشعب ، وتوجيه طاقاتـــه الخلاقة ومهارته الفنية .

وقد التف الشعب حول ملكه غداة الاستقـــلال وقلبه يجيش حبا وولاء ليواصل معركة بناء الاستقلال في ثقة وحيوية وايمان بقيادته الحكيمـــة ورعايتـــه السامية — والوطن المغربي ما زال مدينا لشعبية هذا الملك المتفتحة وابوته المتعالية وجهاده البطولي وكفاحه المستمر على يد نجله ووارث سره جلالة الملك الحسن الثاني الذي أخلص الحب لشعبه ووفى بعده في الاخذ بأسباب النهضة الحديثة والجهاد في سبيـــل المجد والحياة الحرة الكريمة !

وبعد لقد قامت الحضارات ونمت بين احضان التاريخ على مجاهيد مجموعة قليلة من الرجال ، آمنت في أعماقها بالرسالة الانسانية الكبرى ، وآمنت ايضا ان طرائق العظمة الانسانية انما هي في ملاشاة النفس في سبيل الخير العام .. وان الخلود الحق يناله الرجل، انما هو في أن تصهر المصالح الضيقة المشبوهة في انسانية طاهرة وتضحية شاملة ...

وهذا الاطار الانساني هو المقياس العادل تقاس فيه البطولات ، وتوزن اعمال العظماء والمجاهديـــن وذوي المواهب والاعمال الانسانية الكبرى ... فهي تعظم وتخلد كلما امتدت الاعمال والمنافع الى آفاق انسانية اكثر وميادين احسانية اعمر وأجدى .

فاذا أخذنا صفحات هذا العرش العلوي المجيد بهذا القياس لنجلو ميزاته الانسانية ونتفهم الى أي مدى اتسعت أعماله الاصلاحية ، وامتدت اطرمجاهيده الكبرى في آفاق انسانية عليا من الصالح الشامـــــل والنفع العام ... نجد البطولة الحق في أروع صورهـــا الانسانية تجلوها كل حركة قادها ملوك هذا العرش من المولى علي الشريف الى محمد الخامس فالحسن الثاني ... ونرى المجد الانساني الباذخ والسمو الروحي الامثل الذي يتعالى في مقاصده عن المدارك والاهواء الضيقة هو الذي يؤلف سلسلة هذا العرش ، وان عظمة هذه الدولة ... وهم بناة تاريخ صفحاتها بمبادىء الانسانية الشريفة وباعمال التفاني والتضحيـــات البارزة للصالح العام ، ليقفون بين تواريخ كثير من الامم موقف التحدي في كثير من صور البطولـــــة والشهامة ، وفي كثير من مناهج العمل والاخلاص... عرفوا كيف يسعدون الامة بمناعمها ، وكيف يرفعون لها اركانا سامقة من سعادة الجسم والروح وطمانينة الضمير والوجدان .

ومن اغرب مظاهر التاريخ انها تتشابه في كثير من أدوارها المتعاقبة ، وتمتد هذه المشابهات أحيانا حتى لا تكاد تتخالف الا في أرقام الزمان ، وحساب الايـــام !

سلا — عثمان بن خضراء



بك زدنا بين الانام فخارا ،   واقمنا فوق الثريا منارا
ملك لا كالملوك ، قد فاقهم عز   ما ، وحزما ، وحكمة واقتدارا :
من كمثل المليك في حلمه المحـ   ـمود حقا ، يهديء الاعصارا ؟
احسن العفو ما يجيء عن البأ   س ، وقد كنت محسنا غفارا
من كمثل المليك في الصالح الاسـ   ـمى ، حبانا من خلقه الإيثارا ؟
من كمثل الامام للدين والدنـ   ـيا ، يوازيه يقظة واصطبارا ؟
بيعة الشعب للامانة برها   ن ، وعهد يوطد الآصارا
وحد الصف في البلاد ، فما خا   ب نزيل به احتمى واستجارا
انه لوحة من الحب تزدا   د جمالا ، وقيمة ، واعتبارا
صورة ننتمي دواما اليها ،   بجلال امست تواتي الاطارا
والحكايا في الاطلس الحر نرويـ   ـها، فتحكي من مجدنا الاخبارا
حسنات في اثرها حسنات ،   والمعالي تواكب الاحرارا
نحن نمضي في دربنا، نسرع الخطـ   ـو ، ونبني تقدما وازدهارا
ما رضينا بالذل لحظا ، فقد كـ   ـنا كراما ، ولم نزل اطهارا ،
وفصول التاريخ عنا سجل   حافل يكتب العلا اسطارا .
حفظته الاجيال ذكرا حميدا ،   وثناء ، طول المدى معطارا :
(طارق)، اثره (ابن تاشفين) للحـ   ـق يقودان جيشنا الجرارا ،

و بـ (وادي المخازن) انخدل الغد ر ، فهلا تستعبر استعبارا ؟

فهنا موطـن الملاحـم ، مـا انفـــك به المجـد طافحـا زخـارا ،

والنسـور الصقور فوق الرواسي في اباء تشيـد الاوكـارا .

منذ كنا ، ونحن تهـوى حقوقـا كاملات ، ونرفض الأشطـارا !

قد حيينا فى العز والمجـد دوما ونبذنـا مذلـة وصغـارا ،

نحن نسعى الى الامـام وفـودا ونطيع المليـك فيمـا اشـارا .

ومشاريعـه هـدى ، ونمـاء ، تستحق الاعجـاب والاكبـارا !

*

(حسن) انت مثل جدك من قـد كان ليثـا ، وفارسـا مغـوارا

وسليل (ابن يوسف) اليوم اضحى فى السلوك القويم ليس يجـارى

امة وحده مـدى الدهـر يحيـا ويوالـي فى المكرمـات المـدارا

ان تسل عنه فى الروائع نـورا فهو يغشى الشموس والاقمـارا

بز فى نعمة العطـاء بحـارا ، وسحابـا طـول المدى مـدرارا

انه الجوهر الذي يعشـق الغـو ص، فسل عنه فى المحيط المحارا!

عرشنا فوقـه ملـوك عظـام حفظوا عهدنا ، وصانوا الذمـارا

منذ (ادريس) والملـوك هنا قد قهروا خصمنا ، وفكوا الحصارا

ان آل الرسـول اجـدر بالمجـــد مقامـا ومحتـدا ونجـارا

شرفـاء نجلهـم علويـو ن ، اقالوا من البلاد العثـارا

من صفاء (الينبوع) ينسكب الد ر ، فيكـو اكليلـه النـوارا

ذلك النور ما خبـا ، اذ توالـى فى ملوك قد زينـوا الاعصـارا

فى سبيل الاوطان عانوا بـلاء ، وجراحا ، واسترخصوا الاعمارا

والظروف السوداء كانت لاهل الـعزم صبرا على الأذى، واختبارا

خسيء الاشقياء، فالحق اقوى، وعليـه قد اجبـروا اجبـارا

والاسـود الليوث ، من بأسها الاعـــداء ، فروا ، وولوا الادبـارا !

كل ركـن مـن البـلاد بنـوا فيـــه مهادا ، وشيـدوا تذكـارا

ولهـم فـى (كليـة القروييـــن) شموس بها الوجود استنارا

عرشنا منذ (اسماعيل) الشهـــم ، ببأس قد دوخ الاقطـارا

جيشـه طهر الثغـور ، واصلى طغمة الكفر والتسلط نـارا

شهدت (طنجـة) المنيعـة منه وقفة العز ، حين خاض الغمارا

خطبت وده الشعوب ، وكان الـمغرب الحر للتـودد ، دارا

تلك آثارنا ، وتلك سجايا نتباهى بها ، ونشدو جهارا
نحن قوم نرعى العهود ، كما نر عى مواثيقنا ، ونرعى الجوارا
ما نسينا عرشا لنا علويا في مضاء وهمة لا يبارى :
في يمين الفداء ، قد كان دوما صادق الوعد ، صارما بتارا
انه سطوة الاله تجلت تقمع الظلم ، فهي ليست تدارى
قاد صف الكفاح للنصر ، اذ لم نبق أسرى فى بأسنا وحيارى
ليس منا من قد تقاعس عن حق سليب ، او من تأى وتوارى
فوجوه النماء شتى تجلت : فتاءل ، ومتع الانظارا :
ها هنا الموكب العظيم نراه ماضي العزم ، ساهرا سيارا
كيف لا ، والمليك يرعى خطانا ، ويحث المسير ليل نهارا ؟!
ها هنا، فى الحقول، فى الجنة الفيحاء ، تلقى زبرجدا ونضارا
والصغار الذين فى المعهد ارتا دوا علوما ، لكي يصيروا كبارا ،
ها هنا من كوائر النور عبوا كل خير ، فاصبحوا خيارا !
فتح العلم من بصائرهم افقا فسيحا ، وفتح الابصارا !
ان تجهيزنا السياحي فيه ، روعة العرض تعجب الزوارا

*

عرشنا كان للأمان ضمانا فلكم خاض فى الكفاح غمارا !
حرسته عناية الله دوما : تلك فينا حقيقة لا تمارى !
في (الصخيرات) صانه الله ، اذ نـجاه والقدر يستبيح (المطارا)
هم ارادوا ، والله حي غيور ، كان فى الامر عادلا قهارا !
فهنا القائد المظفر يستنفر منا ضميرنا استنفارا
يعرف الداء والدواء ، ويمضي فى المشاريع ، يسبر الأغوارا
ان (تصميمنا الخماسي) فيه للمعالي يواصل التيارا
ويصون استقرارنا كل حين، وهو يرعى لمجدنا استمرارا
لو ينادي منا القلوب لهبت مسرعات ، تطوعا واختيارا
كلما هزها اشتياق وعشق ، كانت البشريات فيها كبارا
خفقات تستظهر الحب للعر ش المفدى، طول المدى استظهارا
ان نياتنا كما يامر الاخلاص ، تغشى الاظهار والاضمارا
قد مضى ليلنا ، واشرقت الشمس ، وعشنا نعانق الانوارا
نحن لا نشترى اذا ما سوانا عبدوا فى التهور الدينارا

بل حملنا غصن السلام حيادا ... وتركنا للخائضين الكبارا
وضممنا (افريقيا) فى حنان ... واعتنقنا جهادها الجبارا
اسرة (المغرب الكبير) اظلت ... عربا فى بلادهم احرارا
و (تلمسان) اخت (ايفران) زادت ... (موريطانيا) فى الاسرة استقرارا
ومضت (تونس) الشقيقة تؤوي ... فى رباها الاعمام والاصهارا
لا علينا ، فيمن تخلف عنا ، ... وتوارى غيظا ، وابدى النفارا
تتوالى فينا المكاسب ، لكن ... نحن دوما لها نشد الازارا
نحن لله ، والبلاد ، وللعر ... ش ، اتخذنا من الوفاء شعارا
تلك راياتنا بانجمها الخضراء ، تحكي من الدماء احمرارا
قد نسجنا خيوطها من فداء ، ... ورفعنا مقامها اكبارا
حنكة المالكين ، كانت دواما ... للرعايا توضح الاسرارا
كل حين ، فى ظلك الشعب يزدا ... د على منهج الهدى استبشارا
انما هذه اياديك فيه ... تتوالى تالقا وانتشارا
فهنا ، فى السدود تبني نماء ... ونصون الوديان والانهارا
وهنا فى المصانع اليوم باس ... يقذف العزم شعلة وشرارا
وهنا فى مدارج البحث شعب ... هب للبشريات يبغي البدارا
ندرك الركب ، فالتخلف امسى ... عقدة العصر ، اذ نراه شنارا
فاذا ما غرست ، مولاي ، فينا ... كل خير ، فانت تجني الثمارا
وربوع الصحراء فيها تجلت ... وحدة للتراب ليست تمارى !
قمة نحن فى المناعة والنبل ، اباة لا نرتضي الانحدارا
ولنا عملة على الصدق قامت ، ... فاقتطفنا من الثراء ادخارا
نحن نهفو الى التفتح فى كل ... صعيد ، ولا نريد احتكارا
ولنا فى التجارة الربح يركو ... حيث نزداد فى الشعوب افتخارا
ارضنا ما تزال بكرا ، فقمنا ... كي نرى فى خيراتها استثمارا
ولنا من معادننا كنز حفرنا من اجله الآبارا
اننا بالسواعد اليوم نسعى ... لاكتفاء ، ولا نطيق افتقارا
والجهود الكبار فيها ثراء ، ... فلنضاعف جهادنا الجبارا
نحن نحصي لكي نخطط انما ... ء ، وندري للحاجة المقدارا
وربوع البلاد ، فى كل شبر ، ... تتوخى المقياس والمعيارا
تتمنى التقليل من زخرف القو ... ل ، ونرجو من سعينا الاكثارا

انها الحاجة الملحة تدعو نا ، ففينا قد انشبت اظفارا
في المعالي، لا يستوي صاحب الجد ، ومن كان فارغا مهذارا
انما الحر من يناضل فى صمت ، فما كان قاعدا ثرثارا
عصرنا يرفض التخاذل والعجز ، تراه لا يقبل الاعذارا
عصرنا ، فيه اصبحت لغة الار قام ، تعني الهكتار والقنطارا
والقطار السريع ، عززه الاسطول ، يختال سابحا طيارا .
اتقن القوم كل شيء حسابا حيث عدوا الامتار والاشبارا
فتراهم قد جاوزوا (القمر) العا لي ، وراموا (المريخ) نزلا ودارا
في ميادين حكمة وابتكار ، يتبارون كالعتاق المهارا
من يرد مطمحا بعيدا ، فما كا ن ابغض بالفتات اغترارا
نحن نهوى استقامة في سلوك، لا انحرافا في النهج وازورارا
انما العاجزون عاشوا سكارى في هواهم ، وعاكسوا الاقدارا
لا تنال الغايات الا بسعي ، وارى العجز سبة وبوارا .
والكسالى، الى الحضيض تهاووا في ابتئاس ، وجمعوا الاصفارا
قد مضى عهد من طغوا واستبدوا، فاعتنقنا تفتحا وحوارا
وبفضل الدستور انا بلاد ، تتحدى بعزمها الاخطارا
وتريد الحياة عزا وامنا ، وهناء يتوج الامصارا
نحن والعرش وحدة زادها اللـه ثباتا ، وقوة ، وانصهارا !
حسبنا اننا بفضلك شعب بك يزدان سمعة واشتهارا

❊

عرشنا كان للعروبة والاسلام صرحا ، ومنعة ، ومزارا
وحمى الضاد هاهنا من دخيل، وحباها عناية واعتبارا
في الكتاب الحكيم ، والسنة الغراء ، انا قد اذكرنا ادكارا
نحن نسعى الى الاصالة ، لا نر ضى دخيلا مزورا مستعارا
انما نحن اسرة ، ومداها يتحدى الحدود والاسوارا
من محيط الاحرار، يفضي خليج الـعرب ، للانس يجذب السمارا ،
وصدى الحب في ربوع الاشقا ء ، عميق ، يشرف الابرارا !
ومهاد الوحي السماوي فيه قام داود ينطق المزمارا !
والزنيم العتل (صهيون) ابدى في (فلسطين) نقمة وسعارا
انه الغاصب العنيد تمادى في المخازي ، ولم يزل غدارا

ان يكن ماكرا ، فربك ادهى ،   لا يجير المستهزيء المكارا
والاعاد تجول فى (المسجد الاقصى) ، وتبني كيانها المنهارا
احرقوه ، فأحرقوا مهجة الاسلام، والشر فى الوجود استطارا!
اوقدوا فتنة ، وجاءوا باخرى ،   ثم زادوا جو السلام اعتكارا
لست انسى (سير بورغ) اذ اتقنوا فيها اختلاسا، والفلك يطوي البحارا
واذا ما دعوا الى الحق لجوا — فى ضلال ، واسدلوا الاستارا
وتعاموا عن القوانين والاعراف بغيا ، واستهتروا استهتارا
وارادوا من (الفرات الى النيل) امتدادا ، وصدقوا الاحبارا
تلك احلامهم ـ لاقدر الله ـ كانت   فى البرايا خرافة وبخارا
لن ينالوا خيرا اذا ما اصروا   فى أساليب بهتهم اصرارا
انما عصبة الاعادي توالي   فى الجنون الاثيم شؤما وعارا
وفلول الاشرار تمضي الى الحتف ، وترتاد فتنة وانتحارا
صدق الله وعده ، اذ الهم   باريء الكون وجهه الانذارا
و (فلسطين) سوف ترجع، والاعداء ذاقوا هزيمة واندحارا
ان (صهيون) معتد ، زاده الله خسارا فى خزيه وتبارا
تتوالى معايب الغدر فيه ،   اذ مآسيه تملأ الاسفارا
نبذته (افريقيا) ، فضحته ،   وازاحت عن محتواه الستارا
انه السم فى دسم ، يبدي المزايا ، ويكتم الاضرارا
تلك ايامه افول ، فها نحن نراها قد ادبرت ادبارا
انما ذلك التقلص قد كا   ن من الله للعدى اشعارا
وضمير الاحرار فى كل قطر   كان احرى على الحمى ان يغارا!
لست انسى للحق مؤتمرات ،   بقي الخصم عندها محتارا
فى (رباط الفتح) استقامت صفوف   حيث دقت فى نعشه مسمارا
ان فيها للمغرب الحر صوتا   ينصر الحق ، مرعدا هدارا !

— * —

لهف نفسي على (فلسطين) اذ صا   رت تعاني مذلة وانكسارا !
لهف نفسي على الخيام، ومن فيها جياع ، توسدوا الاحجارا !
لهف نفسي على اليتامى الثكالى،   يستدرون مقلتي استدرارا !
فى شرود ومحنة ، واغتراب ،   يلبسون الهزال والاطمارا !
شرعة الغاب هكذا ، تترك الحق صريعا ، وتستلذ الدمارا !

وشعوب الاسلام فى كل صقع حملت فى جراحها الاوزارا !
والكتاب الحكيم يشهد بالـو د لمن فيه « قالوا انا نصارى »
انما الدين لله قد قا م، واهل البهتان بنسوا قرارا !
عظم الخطب ، فالسلام يتيم ، فى الزرايا، يدعو: الفرارا، الفرارا،
يا شقيقي ، مهلا ، فموعدك الصبح ، لخصم يستكبر استكبارا
ان تطل محنة ، فللحق اشرا ق مبين ، لا يعدم الانصارا
حقنا واضح ، ولو اظهر القد ر جحودا للحق او انكارا
ديننا دين نخوة واعتزاز ، ليس يرضى للمؤمنين احتقارا
وحشود الاحرار فى اي قطر كلهم يمقتون الاستعمارا
وكذا الضغط قد غدا يملأ الكو ن حروبا مشهودة وانفجارا
خسر الواهمون للربح ، من هم بحقوق الشعوب راموا اتجارا
فالغلاة المستعمرون يعانو ن بكل الورى اسى واحتضارا !
موطن الخير ها هنا ينشر النو ر ، وما كان يقبل الاشرارا
يجد المخلصون فيه نعيما ، وذوو الغدر اقبروا اقبارا

*

لا تلمني على هواي اذا ما كنت فيه لقد خلعت العذارا
انا كالعود فى المباخر قد فا ح عبيرا ، وعطر المضمارا
والهوى كان للقلب والعقل دليلا ، وناهيا امارا
لا نمل الحديث عنك ، فانا قد عشقنا من ذكرك التكرارا
من كوجه الحبيب يطفح بشرا فتراه فى القلب يطفي الجمارا ؟
نحن لا نرتوي ، ففي الحب نهوى عطشا دائما ، ونذكي الاوارا !
كل قلب من الرعية عرش بات يرعى حبيبه المختارا
انت فى المجد عنواننا الممتاز ، عمقا، وجوهرا، واختصارا
انت عما يفيدنا ، باعتناء وتفان ، تستفسر استفسارا
وستبقى لك الروائع تفشى كل ناد ، وتملأ الاسفارا ،
فتراها تستحضر (الحسن) الفذ ، مثالا لروحها استحضارا !
يا مليكي انت النشيد الذى را ق السجايا ، والهم القيثارا
فهنا جوقة العواطف غنت ، فاسمع اليوم بلبلا وهزارا
والحساسين فى الرياض تبارت والشحارير بالعبير سكارى
سل عن الحور والحسان بعيد العرش، واسأل حورا وغيدا عذارى

انه فلتة من الدهر فاحت　　بشذاها ، وهزت الاوتارا

والورود التى بروضك تنمو ،　　كنت فيها طراوة وافترارا

هذه باقة الولاء ، جاء　　منك ، صارت تشابه الجلنارا

تتبارى فيك المعاني سموا ،　　وافتتانا ، وتشتهي ان تثارا ،

وتراها فى غيرة وسباق ،　　بعضها آخذ من البعض ثارا ،

فهي در اذا اردت انتظاما ،　　وهي ورد اذا اردت انتثارا !

اين (زرياب) و(الغريض)؟ فذاك الصوت يطوي ويقبر الأعصارا

والمغاني لديك يا باعث الفن تناجيك خردا ابكارا

انت فينا الربيع قد لمس الربع ، فاحيا الاغراس والازهارا

(مارس) عاد فينا ، فعادت　　ذكريات الجلاء تحيي انتصارا

(مارس) باستقلالنا كان بشرى،　　فهو بالنصر مخبر اخبارا !

كنت فينا ايام منفاك فى القلب مقيما ، فما سئمنا انتظارا

فاذا خضت فى العظائم مضما　　را ، فسحنا للطاعة المضمارا

والتصاميم قد تكون كبارا　　وطوالا ان شئتها او قصارا

انما انت فى المسيرة عنوا　　ن التصافي ، تخطط الأطوارا

والضمير اليقظان ينتقد الذا　　ت ، ويحبوك هيبة ووقارا

انت تعطي لشعبك المثل الاعلا ، فمرحى اذ تقهر الاوعارا !

انت فينا النقاء ، والجوهر المكنون ، تجلو وتنزع الاكدارا

انت تجتث كل شر وخيم ،　　وارتشاء يستنكر استنكارا

فلتدع من تمردوا واستباحوا　　حرمات ، فاصبحوا اقذارا

انت احرى فى كل امر عظيم ،　　ان ترى ما ترى ، وان تستشارا

انت جددت فى ادارة تنظيما مفيدا ، ازال عنها الغبارا

انت اكليلنا ، ومفخرة الجيل ، وعهد يخلد الآثارا

انت من خمرة الندى تترع الكا　　س ، فتروي ، وتنطق الاطيارا ،

بهرت فى مذاقها كل ذوق ،　　واتاهت عن خمره الخمارا !

والرحيق الحلال انت، ومحض الحب، تسقي قلب المحب العقارا:

عربد الشعر ، فالقوافي نشاوى　　حاسرات ، تبدي لديك اعتذارا

والمعاني امام عرشك تسمو ،　　بك تزداد روعة وابتكارا

وشهود الولاء فى كل حي ،　　كنت فيها الاعلان والاسرارا

— * —

انت ديوان مهجتي ، وانـا لـو … لاك ما كنت ابـدع الاشعـــارا

ان احلى القريـض ما يتمنـــى … مسمع الدهـر ان يعاد مـرارا

انت وحيي، وعبقري، ونشيدي، … بفـؤادي تـتـاثـر استنشـــارا

(بحتريـا) قد صـرت، او (متنبـــيا) ــ(زهيرا)ــ(فرزدقا)ــ(مهيارا)

و(الشريف الرضي)، من رق سبكا … واميرا على العواطـف صـارا ،

وتراني (ابا فـراس) ابيـــا … و(ابن هاني) ــ (معريا) ــ (بشارا)

او تراني مثل (البهاء زهير) ، … اوتراني (حسانك) المغـوارا ،

و(ابن زيدون)، وابن‌سهل) ففي‌الانـــدلس الفرقـدان حقـا انـارا ،

و (ابا القاسم) الذي منه زادت … (تونس) الانس روعة واخضرارا،

وشقيقي (ابن الفارض) الفذ غنى … برموز من الهيـام اضطـرارا ،

فتراني محلقـا مثلــه فـــي … خطوتـي ، اواصـل الاسفـارا

والاصيل العريق فى العشق مثلي … لا يـرى شقـوة ولا اكفهـرارا

اين(شوقي)؟ (وحافظ)؟ و(خليل)؟ … اين من مثلهم مع الشعر طارا ؟

ما احاطت بك القصائد مدحـا ، … لا ولا بلغـت ولـو معشـــارا

انت للشعـر ملهـم ثـورة الخيـــر ، فمرحى اذ تلهم الثـوارا !

فتقبل مني عرائـس روحـي ، … وتعهـد بحمـــدك الافكـــارا !

— * —

عرشنـا كـان عبقريـا ، عصامـــيا ، طموحا على التخلف ثـارا

وهو ربانـنا الخبيـر المجلـى … وبنا نحـو شاطيء الأمـن سارا

حفـظ اللـه شعبنـا وحمـاه … مـن حسـود يبيـت الادوارا !

ان للبيـت ربـه ، يعلـم الســـر ، فما كان ممهـلا من اغارا ،

انـه اذ يجيـر عرشا مجيـدا ، … لا يجير الذى على العرش جارا !

فهـو سبحانـــه نصيـر محبيــــه دواما ، ليكبـت الفجـارا .

وهو سبحانـه حكيـم قديـر ، … يجمع الشمل، ليس يبقي انكدارا

سدد الله فى السلام خطانـا ، … وعلينـا كـاس الهنــاء اذارا

ورعـى بيتنـا المليــك المفـدى … يملأ الشعب نعمـة ويسـارا ،

و (ولي العهـد) الذي كان فينـا … فال خيـر يحقـق الأوطـارا !

الرباط ــ محمد بن محمد العلمي

إحتفال الأمة المغربية بذكرى الهجرة النبوية...

كانت الهجرة صورة كريمة مجسمة ، رسمتها الاهوال والمشقات للانسان المسلم الذى يضحي بكل شيء فى سبيل حريته ـ حرية العقيدة التى يومن بها ، حرية التعبير عن رايه بالكيفية التى يريدها له دينه ، وتفرضها عليه عقيدته ... حريته فى الجهر بالحق الذى عرفه ، وآمن به ، واحس السعادة تغمره بهذه المعرفة ، وهذا الايمان ..

كما كانت الهجرة ثورة على الضعف والكبت ، وانتفاضة على تحكم الباطل فى رقاب الحق ، وتضحية بكل ما فى يد الانسان ... وكان فيها الارادة القوية التى انتصرت على كل شهوات النفس وملذاتها ... فوضعوا بذلك كله الحجر الاساسي لانتصار الدعوة الاسلامية .

وفى هذا المجال شهد المغرب من اقصاه الى اقصاه احتفالات رائعة براس السنة الهجرية الجديدة وذكرى هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة المكرمة الى المدينة المنورة .

واقامت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية والثقافة مهرجانات دينية فى جميع اقاليم المملكة فى المساجد ، تليت فيها آيات من الذكر الحكيم ، والامداح النبوية والقيت محاضرات فى تاريخ الدعوة الاسلامية والهجرة النبوية .

كما نظمت وزارات الشغل والشؤون الاجتماعية والشبيبة والرياضة والداخلية ، والانعاش الوطني حفلات متنوعة بهذه المناسبة .

واشرف السادة العمال على رئاسة الكثير من المهرجانات الدينية ووزعت الملابس والمواد الغذائية على المعوزين .

وتتبع المواطنون جميع المحاضرات والندوات التى نظمت بهذه المناسبة ، واقبلوا عليها اقبالا شديدا ونظمت مسابقات رياضية واقيمت مظاهر الزينة فوق الصوامع والمباني العمومية وواجهات المتاجر والمؤسسات الحكومية والصناعية .

وكان اقبال الشباب اساسيا وكبيرا ، وقد امتلات نوادي الشباب بالوافدين عليها من الشباب ، كما توجه عدد كبير منهم الى المساجد ، وساهم الكثير منهم فى المناقشات التى دارت فى مختلف المراكز التى شهدت ندوات بهذه المناسبة .

وامتازت الاحتفالات كذلك بتوزيع الملابس ، واشياء اخرى على الفقراء والمعوزين ، وتجلى بهذه المناسبة ، وفى انصع صورة واجلاها التفاف الامة وتعلقها بامير المؤمنين جلالة الحسن الثاني نصره الله، باعث الوعي الاسلامي ، وحامي حمى الملة والدين .

وفى جميع المساجد بالمملكة ، وفى خشوع رفع المواطنون اكف الضراعة الى العلي القدير ان

يحفظ امير المؤمنين رائد البعث الاسلامي وان يسدد الله خطاه ويشمله بوافر رعايته ويحقق امانيه في شعبه الوفي ، وان يكلأ بالرعاية ولي عهده سمو الامير سيدي محمد وجميع افراد الاسرة الملكية الشريفة .

وفي هذا الصدد ادلى الشيخ محمد المكي الناصري وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية والثقافة بتصريح قال فيه :

تنفيذا لتوجيهات صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني امير المؤمنين تعتزم وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية والثقافة بمناسبة حلول السنة الهجرية الجديدة ان تبرز معالم هذا الحدث الاسلامي العظيم، وان تلفت اليه انظار كافة المغاربة المسلمين ، حتى يستعيدوا ذكرى هذا الحادث الكبير وحتى يقوموا بواجب احيائه والاحتفال به على اوسع نطاق .

وقد وضعت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية والثقافة برنامجا لاحياء هذه الذكرى الاسلامية المجيدة فدعت كافة نظار الاحباس في المملكة وكافة الخطباء والوعاظ والمرشدين والعلماء الى ان يتنهزوا هذه الفرصة الثمينة فرصة حلول السنة الهجرية الجديدة ليبرزوا معالم هذا الحدث الاسلامي وليوضحوا للشعب المغربي المسلم مغزى هذا الحادث ، وما ينبغي ان نستفيده منه من عبر ، ومن توجيهات جديدة تدفعنا كمسلمين الى المزيد من الصمود والنضال في سبيل الاسلام .

وقد اتصلت هذه الوزارة بالوزارات الاخرى المعنية بهذا الامر ، فوجدت منها كامل المعونة والتشجيع لابراز معالم التاريخ الاسلامي والسنة الاسلامية الجديدة ، وهكذا قدمت وزارة الداخلية الى كافة الاقاليم والعمالات والمجالس البلدية لتحضها على القيام بواجبها نحو هذه الذكرى ، وتفضلت كذلك وزارة التربية الوطنية فتعهدت بأن تجعل في مدارسها وفي اقسامها المختلفة وفي كليات جامعة القرويين ان تجعل في جميع هذه المراكز احاديث دينية ومحاضرات اسلامية توضح لتلامذتها وطلابها مغزى التاريخ الهجري والعبرة من الهجرة المحمدية الشريفة وكذلك وجدنا استعدادا طيبا من وزارة الشغل والشؤون الاجتماعية والشبيبة والرياضة فتعهدت من طرفها كذلك باحياء هذه الذكرى على اوسع نطاق في جميع دور الشباب والمراكز التابعة لها .

وهكذا سيشهد المغرب في هذه السنة سنة 1393 سنة البعث الاسلامي سيشهد حركة خاصة وحركة بارزة توضح الطابع الاسلامي للدولة المغربية وللشعب المغربي ، وسيجد المواطنون المسلمون يوم فاتح محرم بيوت الله مفتوحة في وجوههم فيستطيعون ان يستمعوا فيها الى الاحاديث والى المحاضرات المناسبة المتعلقة بهذه المناسبة التاريخية الكبرى .

وقد قررت وزارة الشؤون الادارية من طرفها ان يكون يوم راس السنة الهجرية يوم عطلة رسمية لكافة المغاربة المسلمين مساهمة منها في اضفاء حلة كريمة على هذا المشهد الاسلامي العظيم ولذلك تنتهز وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية والثقافة هذه الفرصة لتحث كافة المواطنين المسلمين على أن يؤدوا لهذا التاريخ الاسلامي حقه من الاحترام والتقديس وان يعملوا كل في دائرته على احياء هذه الذكرى وعلى مقابلتها واستقبالها بما تستحقه من عناية وتقدير وتقديس .

ونسأل الله تعالى أن يحفظ امير المؤمنين حامي حمى الوطن والدين الذي هو المحرك الاكبر والاول لهذه النهضة الاسلامية الجديدة .

ونسأل الله تعالى ان يوفق شعب المغرب وشباب المغرب الى ان يقتدوا به في الحفاظ على المقدسات الدينية والوطنية والى أن يسيروا وراءه في كل حين بصفته امير المؤمنين.

واقيم احتفال ديني رائع بمسجد السنة بالرباط حضره السيد الداي ولد سيدي بابا المدير العام للديوان الملكي والشيخ محمد المكي الناصري وزير الاوقاف والثقافة وبعض السادة الوزراء وعامل الرباط وسلا الاستاذ السيد ابراهيم فرج وكبار القوم وعلية سكان العدوتين ، وقد تليت في هذا المهرجان الحافل امداح نبوية ، والقى بعض العلماء محاضرات في موضوع الهجرة المحمدية وكان مسك الختام الدرس القيم الذي وجهه الشيخ محمد المكي الناصري بواسطة الاذاعة والتلفزة .

كما القى الشيخ المكي الناصري وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية والثقافة بنادي الضباط بالرباط محاضرة حول الهجرة المحمدية وأثرها في تاريخ البشرية .

وقد حضر هذه المحاضرة الجنرال ادريس بنعيسى والجنرال عبد السلام الصفريوي وكبار



صورة من الحفل الديني الكبير الذي نظمته وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية والثقافة بالرباط بمسجد السنة بمناسبة عيد الهجرة

ضباط القيادة العامة للقوات المسلحة الملكية وعدد من الضباط

وقد حلل الشيخ المكي الناصري في بداية الحديث اسباب الهجرة النبوية التي كانت منطلقا لبدء التاريخ الاسلامي . وقال ان الديانات الاخرى كالمسيحية والبوذية واليهودية وغيرها ارتبط تاريخها بالميلاد خلافا للديانة الاسلامية التي اختارت حدث الهجرة وجعلته منطلقا لتاريخها .

وبعد ذلك انتقل السيد الوزير ليبرز اهم الاحداث والوقائع الدينية التي كانت لها انعكاسات عن سير التاريخ الاسلامي كميلاد الرسول الذي كان قبل الهجرة بثلاث وخمسين سنة وفتح مكة الذي كان في السنة الثامنة بعد الهجرة ووفاة الرسول الذي كان في السنة العاشرة بعد الهجرة وقال ان المسلمين قد تخطوا هذه الاحداث ولم يجعلوا منها منطلقا لتاريخهم واختاروا عوضا عنها حدث الهجرة من مكة المكرمة الى المدينة المنورة .

ولاحظ الشيخ المكي الناصري ان الاسلام لم يربط تاريخه بأشخاص بقدر ما ربطه بالعقيدة ولذلك استطاع في ظرف قصير من الزمن ان تنتشر دعوته في كثير من بقاع الدنيا .

وتعرض السيد الوزير اثر ذلك لاسباب هجرة الرسول ، وقال ان مكة بحكم موقعها الجغرافي في الجزيرة العربية كانت مركزا تجاريا وعاصمة للوثنية اذ وجدت الدعوة الاسلامية في البداية بها معارضة من القوى السياسية التي كانت تهيمن على القبائل ولذلك اذن الله لرسوله الاكرم الهجرة الى المدينة التي كانت تسمى قبل ذلك بيثرب ونظرا لخصائص هذه المدينة كمجتمع زراعي خال من الطبقات لم تحكمه اية سلطة استطاع اهل المدينة تقبل الدين الجديد وقال ان اول عمل قام به سيدنا محمد اثر وصوله الى المدينة هو بناء مسجد جعل مقرا للتوجيه الروحي والديني للامة الاسلامية .

وتحدث الشيخ المكي الناصري بعد ذلك عن فكرة الهجرة التي تولدت عنها انشاء الدولة الاسلامية ونشأة السلطة المركزية السياسية وقال ان الرسول الاكرم قد وضع بعد الهجرة مباشرة اول دستور عرفه العالم آنذاك يضم احدى وسبعين مادة تنظم علاقات المسلمين مع المساكنين الغير المسلمين وتوضح حقوقهم وواجباتهم .

كما تحدث السيد الوزير عن العقيدة التي جاء بها الاسلام والتي تشتمل في وحدة الجنس البشري والديمقراطية الحقة والعدل والاخاء الانساني .



افتتح صباح يوم السبت 29 ذي الحجة عام 139 2 هـ موافق 3 بيراير 1973 فى الرباط معرض الكتاب الاسلامي الذي نظمته وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية والثقافة بمناسبة العام الهجري الجديد، ويضم المعرض أربع مائة كتاب تتحدث عن مختلف العلوم الاسلامية فى الحضارة والفلسفة والتشريع والسيرة النبوية والتراجم وتاريخ الاسلام والتفسير والفقه والمعاجم وعلوم الحديث ، وقد استمر المعرض مفتوحا مدة أربعة أيام بقاعة مديرية الثقافة .

وبهذه المناسبة القى الشيخ محمد المكي الناصري وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية والثقافة الذي تراس حفلة تدشين المعرض كلمة تحدث فى بد اينها عن اهمية هذا المعرض الذي ينظم بمناسبة ذكرى الهجرة النبوية ، وأبرز السيد الوزير مغزى هذه الذكرى التي ترتبط بكفاح الامة الاسلامية وقال : ان الهجرة التي كانت مفتاحا للتاريخ والتي تتمثل فيها روح التكافل والتضامن والاخاء والعدل.

قال الاستاذ الشيخ المكي الناصري فى خطابه:

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرات المواطنين الاعزاء

حضرات المواطنات العزيزات

هناك امران اثنان ، احدهما يعتبر فضيلة من اكبر الفضائل ، وثانيهما يعتبر رذيلة من افبح الرذائل

الامر الاول هو نكران الذات :

بمعنى ان الشخص ينسى نفسه ومنفعته ، وجميع علاقاته الشخصية ليندمج فى خدمة المجتمع وليكرس حياته للصالح العام وليجعل المصلحة العامة هي المصلحة العليا ، والاولى والاخيرة فى كل مجال من المجالات .

هذا الامر هو نكران الذات يتجلى فى الايثار والتضحية والتفاني فى خدمة الغير والاحسان الى كافة الناس .

هذا الامر فضيلة من أكبر الفضائل .

الامر الثاني الذي يعد من افحش الرذائل هو نسيان الذات بمعنى أن الشخص يندمج فى جسم غريب عنه ، يتضاءل امام بقية الناس ينسى كيانه ويتنازل عن وجوده الخاص ، ويصبح عبارة عن ذنب من الاذناب لا طابع له ، ولا شخصية ولا تاريخ .

وهذا المعنى هو الذي يشير اليه قوله تعالى : « نسوا الله فأنساهم أنفسهم » .

نسيان الذات جريمة من الجرائم الفردية والقومية لانه اخطر شيء على الانسان على الفرد وعلى المجتمع اذ يتعرض به الشخص للفناء والاندماج ، ويصبح عبارة عن حشرة طفيلية تمر بهذه الحياة دون ان تترك فيها اثرا ، ودون ان يدوق لها الناس طعما ، وللقضاء على هذه الرذيلة ـ نسيان الذات ـ كان من الواجب العمل

على احياء المعالم الشخصية المغربية ، وابراز الكيــان الاسلامي الخاص بهذا الشعب المسلم حتى يعود الى ان يذكر نفسه وان يتعرف عن هويته وان لا يبقى كائنــا بهيميا يسير من وراء التيارات دون هدف واضح ولا شخصية واضحة ، والعمل على احياء التاريخ الهجري في بلد مسلم كبلدنا يدخل في هذا النطاق .

فالدولة المغربية المسلمة التــي يشــرف على مصيرها ويسير مقاليد الامر فيها امير المؤمنين حامي حمى الوطن والدين الحسن الثاني حفظه الله وايــد نصره ، هذه الدولة تحس الان أكثر من كل وقت مضى بضرورة الحرص على احياء الكيان الاسلامي في هذا البلد وعلى ابراز الشخصية المغربية التي يجب ان تبقى سليمة من العلل محفوظة من كل المعوقات واسبــاب الفنــاء .

احياء التاريخ الهجري احياء ذكــرى الهجــرة المحمدية هو فاتحة العمل المنظم الذي ستقوم به وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية والثقافة لتحقيق هــذا الغرض السامي ولتذكير كل مغربي ومغربية بانه مسلم مغربي قبل كل شيء وان الانتماء الى الاسلام والقومية المغربية شرف لا يعادله شرف آخر ، وان الاعتــزاز بتاريخ الاسلام لا يماثله بأن بطولات أخرى في تواريخ الامم الثانية ، واذا ذكرنا الهجرة فنحن لا نذكرها بمجرد الذكرى ، نحن نذكرها لان كفاحنا في العصر الحاضر يرتبط بها كل الارتباط . منها نستوحي توجيهاتنا ، ومنها نستوحي صمودنا الجديد ، ومنها نستوحي كل النماذج القومية التي يجب أن تطبع حياتنا في العصر الحديــث .

الهجرة المحمدية جعلها سلفنا الصالح مفتاحــا لتاريخ الاسلام لانها تمثل في نظر كل مسلم السبــب والعلة الاولى لوجود الاسلام في هذه الارض .

الهجرة المحمدية بفضلها تكــون لاول مــرة في الوجود المجمع الاسلامي الذي تتمثل فيه روح الاسلام وروح التكافل والتضامن والاتحاد والايثار ، (ويوثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة) .

بفضل الهجرة المحمدية ظهرت للوجود المدينة المثالية المدينة الفاضلة التي طالما حن اليها الحكماء ، وطالما حلق في الاجواء للوصول اليها خيالهم الثاقب دون ان يصلوا اليها، فجاء الاسلام ونقاها واوجدهــا فكانت المدينة المثالية التي يبرز فيها البر والتقــوى والتي تسودها الطيبات والفضائل وتختفــي فيهــا الفواحش والرذائل .

الهجرة المحمدية كانت نقطة انطلاق لوجود شيء جديد في العالم لم يعرفه الناس من قبل ولم يتجاهلوه من بعد ذلك هو وجود ونشأة الدولة الاسلامية ، الدولة التي لا تعرف لها حدودا ولا تعرف لها اقاليــم ولا جنسيات ولا طبقيات ولا عنصريات ، الدولة التــي تلتقي حول توحيد الله ، وتمجيده ووحــدة الانسان ووحدة النوع البشري ووحدة الدين الاله الحــق ، الدين الصحيح .

(ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه) .

الدولة الاسلامية التي قامت لاول مرة في الوجود على اساس العــدل والمســاواة والاخــاء والتكاتــف والتعاون في جميع المجاالات ، فتكون في ظلها اول مجتمع دولي يعتبر شبه شركة مغفلة الاسم يتعــاون كافة اعضائها على خدمة هدف واحد ، ويشتركون في ابتكار حضارة واحدة ويعملون من اجل مجد مشترك بين الجميع ، لا يفضل فيه عنصر عنصرا ولا فضل فيه لعربي على عجمي ، هذه الدولة المثالية التي ابتدات في جزيرة العرب عقب الهجرة وامتد ظلها الى القــارات القديمة التي كانت معروفة في ذلك الوقت ، فلم يمض قرنا على ظهور الاسلام حتى كان قد دخل في ظلها أكثر من مائة مليون نسمة .

الهجرة ايها السادة والسيدات تمثل الصمــود والكفاح في سبيل عقيدة فاضلة مثلى .

الهجرة تمثل ايمان الانسان بأن له رسالــة في الحياة ، ودعوة فاضلة يجب ان يبلغها لكافة النــاس ليهديهم ويرشدهم الى طريق الخير .

الهجرة ايها السادة والسيــدات هي السبــب والمنطلق لتكوين تلك الامة المثالية التي تلتقي حول : (لا اله الا الله محمد رسول الله) والتي يلتقي فيهــا العجمي والعربي ، والاصفر والاسود والابيض وكلهم يعتزون بانسانيتهم وبكرامتهم وبأنهم اخوة في الله .

الهجرة هي المنطلق للمجتمع الاسلامي المثالي وللدولة الاسلامية المثالية ، واذا كان لنا ان نأخــذ العبر من هذا الحادث فما احقنا با نستمد منه افضل العبر واحسن المثالات .

هذه العبر والمثالات هي : ان نطبع مجتمعنا في العصر الحاضر بطابع المجتمع الاسلامي الاول ، طابع

التكافل والتعاون والايثار وخدمة الصالح العام ، وان نطبع الدولة في عهدنا الجديد بطابع الدولة الاسلامية الاولى ، طابع العدل المطلق والمساوات التامة والاحسان المستمر في كافة الميادين ، ان نطبع المدينة التي نعيش فيها اليوم والمجتمع الذي نعيش فيه اليوم بطابع الطهر والبراءة والسلامة من الافات والتنزه عن الفواحش والموبقات .

هذه ايها السادة والسيدات ، هي اهم العبر التي ينبغي ان ناخذها من تاريخنا المجيد ، تاريخ الهجرة الاسلامية ، ومن حادث الهجرة المحمدية ، واذا استفدنا هذا الدرس العملي من ذكرى الهجرة واتخذنا منه منطلقا لتجديد حياتنا في هذه السنة المباركة ، سنة البعث الاسلامي ، فاننا سنكون قد اوفينا على الفرض وحققنا المطلوب من هذه الذكرى المجيدة ..

حضرات المواطنين والمواطنات العزيزات ، لنبتهل الى الله تعالى ان يحفظ امير المؤمنين رائد النهضة الاسلامية وولي عهده امل الشباب المغربي المسلم ، ولنبتهل الى الله تعالى أن يجعل هذه السنة المباركة سنة فتح جديد بالنسبة للعالم الاسلامي ولكافة المسلمين في أطراف الارض رؤساء ومرؤوسين خاصة وعامة ولنتبادل بهذه المناسبة السعيدة التهاني الحارة سائلين من الله تعالى أن يجعل هذا العام المبارك عاما حاسما في تاريخ الاسلام ترد فيه الامور الى نصابها وتعود فيه الحقوق الى اهلها وترفع عن اخواننا المظلومين المستضعفين كافة اسباب الظلم والطغيان .

والله تعالى يوفق شبابنا ويوفق امتنا ويؤيد ملكنا وحكومتنا ، وياخذ بيدنا الى سواء السبيل انه على ذلك قدير وبالاجابة جدير .

والسلام عليكم ورحمة الله



سنة طافحة بجلائل الأعمال البناءة

1392 هـ
1972 م

في نضال ملك .. وشعب من أجل حياة أفضل

توجيهات ملكية سديدة وإرشادات رائعة يطبعها الصدق والاخلاص والتفاني في خدمة الأوطان

من اختيار الاستاذ محمد محمد العلمي

برنامــج بنــاء ... وافكــار هادفــة ...

- كلمة الشعب بيعة فى عنقنا .
- لا نريد الاستئثار بالسلطــة .
- الملك والشعب هما الحكم بين السلط .
- على الشعب أن يقول كلمته بكل حرية .
- العلويون يفتخرون بانهم من سلالة النبي « صلعم »
- وأمرهم شورى بينهم ... ليس الأمر أمر أشخاص أو حكومة ، ولكنه أمر مؤسسات ونوايا وضمائر .
- البرنامج : تقويم الادارة ـ توزيع الخيرات المغربية طبق روح الاشتراكيــة الاسلامية ـ العدالة النزيهة ـ تبسيط ما يمكن أن يشكـل من الناحيــة الاداريــة .
- الافكار : لا يمكن تفويت ولا تفويض الحكم ، لان الحكـم كلمــة الشعب ، وكلمة الشعب هي البيعة ، وبيعة الشعب فى عنقنا .
- السلطــة : توزيع السلطة توزيعا يضمن التوازن حتى لا تطغــى سلطة على سلطة ، وحتى لا توقف السلطة التشريعية ، سير السلطة التنفيذية ، وحتى لا تسير السلطة التنفيذية فى طريق دون السلطة التشريعية .

اهم النقط فى الخطاب التاريخي الذي القــاه جلالة الملك الحسن الثاني ـ ايده الله ـ مســاء يوم الخميس فاتح محــرم عام 1392 هـ (17 فبراير 1972) .

— * —

جلالة الملك يؤكد للرئيس فرنجية ، تضامن المغرب ، مع الشعب اللبناني الشقيق :

على اثر العدوان الصهيوني الذى تعرضت له لبنان الشقيقة ، بعث جلالة الملك ، بالبرقية الآتية الى فخامة الاستاذ سليمان فرنجية ، رئيس الجمهورية اللبنانيـــة :

« لقد تلقينا بمزيد من الاستياء والقلق ، انباء العدوان الجديد المبيت الذي شنته القوات الصهيونية على جنوب لبنان ، متحدية بذلك مرة أخرى هيبة المنظمات الدولية ، والضمير العالمي . واننا اذ نندد بكل قوة بهذا العمل الوحشي الذى يشكل استمرارا فاضحا للمخطط التوسعي الاسرائيلي ، المتجلي فى الغزو المستمر ، وازهاق الارواح البريئة ، نعبر لفخامتكم عن كامل تضامننا مع الشعب اللبناني الشقيق ، وتأييدنا للكفاح البطولي الذى يخوضه الجيش اللبناني الباسل ، ورفاقه من رجال المقاومة الفلسطينية الشجعان .

وتقبلوا فخامة الرئيس ، صادق تضامننا ، وخالص مشاركتنا للشعب اللبناني الشقيـــق » .

كما بعث جلالة الملك برقية الى السيد كورت فالدهيم ، السكرتير العام للامم المتحدة ، يقول فيها :

« ان الاعتـداءات المتكـررة التى ارتكبتهـا القـوات المسلحـة الصهيونيـة ضد الجزء الجنوبي من لبنان ، آثارت فى نفس شعبنا والامة العربيـة جمعـاء ، استنكارا عميقا .

واننا اذ نعبر عن تضامننا مع شعب لبنان الشقيق ، وعن مساندتنا التامة للقضية الفلسطينية ، نوجه نداء حارا لمنظمة الامم المتحدة ، ولجميع البلدان المحبة للسلام والعـدل ، لوضع حد لهذا العمل الاجرامـي الذى يهدد الوحدة الترابية والسيادة لبلد عضو فى المنظمة الدولية ، والذى يعتبر خرقا فاضحا لمبادىء ميثاق الامـم المتحـدة .

فى يوم الاربعاء 14 محرم 1392 هـ
(فاتح مارس 1972 م)

— * —

خطـوط العمـل الوطنـي :

- **عن مرحلة العمل الوطني القادمة : حكومة جديدة فى الفترة الانتقالية أساسها : السير على نقط البرنامج الموضوع اساسا للحكومة السابقة ومهمتها : تنظيم المرحلة النيابيـة ، والسهر على اجراء الانتخابات ، مـن الجماعة ، الى مجلس النواب .**
- **أملي ان تكون الحكومة الجديدة ، حكومة تصالح ومسالمة بين جميع اطراف الحياة السياسية بالمغرب .**

◆ الدستور يشكل الاساس الذى ينطلق منه كل توقيت ، ويوضح على دعائمه كـل برنامـــج .

◆ فى ظل الدستور ، تنتظم الحياة الوطنية ، وترتبط الاعمـال ، انطلاقـا من سلطاتـــه .

◆ التصويت بالاغلبية الساحقة ، كان تعبيرا عن المشاركة ، والرغبة فى تحمل المسؤولية والنضج والتفهم .

◆ الدستور هو الاطار القانوني الكفيل بالتئام الشمل ، واجتماع الكلمة .

◆ سنواصل السعي فى اطار الدستور ، لضمان تقدم الشعب وحماية حرماته ومقدساتـه .

من خطاب العرش ، يوم 16 محرم 1392 هـ
(3 مارس 1972)

— ※ —

مبادىء رابع غشت ، وبرنامج شامل ، وخطة عمل لتحقيق الاهداف :

« ان الحكومة تحملت المسؤولية فى ظروف صعبة ، وعرفت كيف تواجههـا بالانسجام ، والجد والمثابرة طوال هذه المـدة . الشيء الذى اتاح لها ان تسفـر أعمالها عن نتائج محمودة .

وحصيلة الحساب فى المستقبل ، ستكشف بدون ريب عن مدى اهميـة ما قامت به هذه الحكومة ، وما اسفرت عنه أعمالها من ثمار ، ستحمدهـا الاجيـال القادمـــة » .

من الخطاب الذى ارتجله جلالة الملك الحسن الثاني — ايده الله — امام اعضاء الحكومة ، يتقدمهم الوزير الاول محمد كريم العمراني ، يوم الخميس 18 صفر الخير عام 1392 هـ (6 ابريل 1972) .

— ※ —

التـزام الصراحـة والنزاهـة والشعـور بالمسؤوليـــة :

« اننا نرحب بكم ، ولا نعتبركم غرباء عن العمل الحكومي .

ونوجه اليكم الخطاب ، مؤكدين بالخصوص ، على وجوب التحلـي بيقظـة الضمير ، وحيوية القلب ، وحدة الشعور بالمسؤولية فى جميع الظروف ، مع أخذ الامور بالحزم والجدية ، وعدم التهاون باي وجه من الوجوه فيما من شانه أن يمس بالحرمة اللازمة ، او يقلق امن المواطنين ، او يبث البلبة فى صفوفهم .

ونوصيكم جميعا بان تخلصوا النصيحة ، وان تلتزموا بالصراحــة سواء مع جلالتنا ، او مع بعضكم البعض ، كاعضاء فى حكومة واحدة ، تتحملون مسؤولية مشتركة ، الى جانب المسؤوليات التى يتحملها كل واحد منكم فى القطاع الـذى عهد اليه به)) .

من الخطاب الملكي الذى رحب فيه جلالة الملـك الحسن الثاني ـ ايده الله ـ باعضاء الحكومـة الجديدة ، خلال اول اجتمـاع وزاري لهـا ، تحت رئاسـته ، صباح يوم الخميس 25 صفر الخير عام 1392 هـ الموافق 13 ابريل 1972.

— ✻ —

رسالـة للرئيسيـن التونسـي والجزائـري :

لقاؤكما لن تنحصر جدواه فى المغرب العربي، وانما تمتد الى قارتنا الافريقية باسرها

بمناسبة الزيارة الرسمية التى يقوم بها فخامة الرئيس الجزائري السيد هواري بومدين ، الى القطر التونسي ، بعث صاحب الجلالة ، الملك الحسن الثاني ـ نصره الله ـ بالبرقية التالية الى صاحب الفخامة السيدين الحبيب بورقيبة ، وهواري بومدين ، هذا فحواها :

من الحسن الثاني ملك المغـرب ، الى صاحبـي الفخامـة الرئيسين الصديقيـن الاكبريـن ، والشقيقين الاعزيـن الاكرمين ، السيدين الحبيب بورقيبة رئيس الجمهوريـة التونسية ، وهواري بومدين ، رئيس الجمهورية الجزائرية الشعبية والديمقراطية

تـونـــس

فى هذا اليوم التاريخي الاغر الميمون الذى تلتقيان فيه لاول مرة ، فوق تراب القطر التونسي العزيز ، يطيب لاخيكما الحسن الثاني الذى يعتز اعظم اعتـزاز بانتمائه كمواطن الى المغرب العربي ، ان يعرب لفخامتكما عن فرحه الشديد بهذا اللقاء ، ويزف اليكما تهانئه الحارة ، ويدعو لكما باطراد الرفعة والعز ، واتصال السؤدد والمجـد .

واذا كان هذا اللقاء المبارك معقد الرجاء ، ومناط الآمال ، فان اليقين وثيق ووطيد بان عوائده الحسنة ، ستعود بالخيـر الجزيل ، على المغـرب العـربي ، وشعوبـه كافـــة .

وان اليقين لمكين بالاضافة الى هذا ، بان آثاره الطيبة ، لن تنحصر جدواها فى أقطار المغرب العربي ، وانما ستتجـاوز هذه الاقطـار ، وتمتـد الى قارتنـا الافريقية باسرها .

وانما اذ نسال الله ان يكلل جهودكما فى لقائكما هذا ، باكاليل الفوز والنجاح ، لنساله ـ موقنين بجميل صنعه ـ ان يكتب لمساعي قادة المغرب العربي ، حسنى الاعمال الحميدة التى تستهدف الوئام والتعاون بين الشعوب ، وتتوخـى الامن والسلام والرخاء والازدهار .

الامضاء : الحسن الثاني ملك المغرب
فى يوم الجمعة 7 ربيـع الاول عـام 1392 هـ
(21 ابريل 1972)

— * —

◆ الدين الاسلامي يقبل كل عصر ، وكل تطور

◆ الديـن المعامـــلات

((بمناسبة هذا العيد الذى يحتفل فيه العالم الاسلامي اجمع ، والذى نحتفل فيه بازدياد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، يطيب لنا ان نقدم لكم تهانئنا الحارة، راجين من الله سبحانه وتعالى ، أن يعيد هذا العيد ، وأمثال أمثاله على الامـة الاسلامية ، والاسرة العربية ، وعلى الاسرة العالمية كلها ، والعالم والبشريـة يرفلان فى العز والكرامة والهناء والسلام .

لقد قيل الكثير ، وكتب الكثير عن الرسالة النبوية .

ولست فى حاجة الى تاكيد ما قد تأكد . ولكني أريد فى هذا اليوم ان الفت النظر الى نقطة خاصة ، الا وهي الدين الاسلامي جاء ، سواء فى زمانه أو فى مفهومه، دينا وسطا. جاء بعد تدهور الديانة المسيحية ، فجاء دينا وسطا ، ليعطي لله مـا هو لله ، وليعطي للبشر ، ويكرم الانسان ما يجب أن يكرم به الانسان . وهكذا نجد أن من دعائم الدين ، الحديث النبوي الشريف الذي قال فيه ، صلى الله عليه وآله وسلم : ((الدين المعاملات)) .

فاذا نحن درسنا هذا الحديث ، وحاولنا أن نستخرج منه المعاني ، نجد ان الدين هو التعامل بين البشر ، جماعة كانوا ، أو أفراد مجموعات مع حكومة ، او حكومة مع مجموعة ، أو مجموعات بشرية بعضها مع بعض .

واذا كان هذا التعامل، وهذه المعاملة هي أساس الدين ، نجد من ثم انطلاقا الى أن نقول بان الاسلام دين يمكنه أن يمتزج ، بل أن ينطبق عل كل الحضارات . فعلينا نحن المناط بنا الارشاد والوعظ ، ان نلفت نظر شبابنا الى هذا الجانب ، الى أن الدين الاسلامي ليس دينا جامدا . الدين الاسلامي يقبل كل عصر ،

وكل تطور ، بل يحتضن كل حضارة ، فيمزجها بروحه وفلسفته ، وتصبح حضارة اسلامية عالمية ، قابلة لكل شيء ، ويقبلها كل واحد » .

من الخطاب الذي القاه صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني ايده الله ، اثناء الحفلة التي تقبل اثناءها بالقصر الملكي بفاس ، التهاني بعيد المولد النبوي الشريف ، من السادة الوزراء ، وكبار الضباط ، والهيئات القضائية وممثلي الهيئات السياسية ، والمنظمات الوطنية ، ومختلف الوفود، واعضاء السلك الديبلوماسي، بحضور صاحب السمو الملكي ولي العهد سيدي محمد ، وصاحب السمو الملكي مولاي عبد الله ، وذلك صباح يوم الاربعاء 12 ربيع الاول عام 1392 هـ الموافق 26 ابريل 1972 م.

— ✻ —

فـي عيـد الشغـل :

- **المغاربة لا يفرون من المعركة**
- **تاجيل الانتخابات النيابية الى ما بعد اكتوبر ... قررنا ان نعيد النظر فى اللوائح الانتخابية ... على الجميع ان يقوم بتسجيل نفسه فى اللوائح .**
- **اذا حق لامة ان تحتفل بعيد الشغل ، وتبجله وتعظمه وتكرمه فهي الامة الاسلامية .**
- **لا يمكننا ان نعيش ، ولا يمكننا ان نساير العصر فى سنة 2.000 الا اذا نحن جندنا طاقاتنا وقواتنا كلها الآن ، لنبني مستقبلنا على سواعدنا اولا، وخيراتنا ثانيا .**
- **فوصلنا الى النتيجة الحتمية ، ان تنظيم الطبقة العاملة وتجنيدها سوف يكون عاملا آخر قويا صحيحا متينا فى تحرير المغرب ، وارجاع سيادته وكرامته ، وكذلك كان ، ولله الحمد .**

من الخطاب السامي الذي وجهه جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله ، الى شعبه الوفي لتهنئة الطبقة العاملة بعيدها السنوي . يوم الاثنين 17 ربيع الاول عام 1392 هـ ، الموافق فاتح ماي 1972 م .

ومن نفس الخطاب كذلك :

- لا يمكنني أن أتصور مغربيا كيفما كانت نزعته السياسية أو انتماؤه الفكري ، سيتهرب من هذا التسجيل ، لان المغاربة لا يفرون من المعركة ، بل المعهود فيهم انهم يخوضونها بما هو مشروع من الاسلحة . فعلى الجميع اذن أن يقوم بتسجيل نفسه من جديد ، في بلده ، أو قريته أو مدينته .
- ولم يكتف الاسلام بتبجيل وتعظيم الشغل ، بل جاء باحترام الشغالين ، وبدفع أجور تناسب الكرامة البشرية ، وتناسب حاجاتهم ، وتناسب الذي يدفع لهم أجورهم .

— * —

هذه الدولة ما زالت تتوفر على ابناء يعملون من أجل الصالح العام :

« ... انك ضمن الاشخاص الذين يتمتعون بنزاهة واستقامة ، وخاصة انعدام الانانية الضيقة في سبيل خدمة الصالح العام الواسعة ، وجميع المواطنين ، ولقد عملت في مناصب عدة ، حيث كنت وزيرا ، وكاتبا للدولة في الداخلية ، ثم عاملا ، ثم اشتغلت بوزارة الداخلية ، ومهما كانت المناصب التي تقلدتها ، كنت تمتاز دائما بالاخلاص للمبادىء الوطنية التي ضحى من أجلها الكثير . وان تعيينك في هذا المنصب الجديد ، وقبولك اياه عن طواعية وحماس ، ان دل على شيء ، فانما يدل على أن هذه الدولة ، وهذه الامة ، ما زالت تتوفر على أبناء يعملون من أجل الصالح العام » .

من الكلمة التوجيهية التي خاطب بها جلالة الملك الحسن الثاني — أيده الله — عامل اقليم مراكش ، السيد البشير بلعباس التعارجي ، اثناء تسليمه ظهير تعيينه ، بالقصر الملكي العامر بفاس ، يوم الثلاثاء 18 ربيع الاول عام 1392 هـ ، الموافق 2 ماي 1972 م .

— * —

جلالة الملك يجتمع بوفد منظمة « فتح » :

- « المغرب يقف الى جانب الشعب الفلسطيني ، والثورة الفلسطينية . وموقفه ينطلق من ايمان عميق ، بضرورة دعم ومساندة الثورة الفلسطينية » .

من حديث صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني — نصره الله — أثناء استقباله لوفد منظمة « فتح » الفلسطينية ، الممثل في السادة خالد الحسن ، وابو يوسف ، وابو مروان ، وذلك بالقصر الملكي بفاس ، مساء يوم الاربعاء 19 ربيع الاول عام 1392 هـ ، الموافق 3 ماي 1972 م .

— * —

في اقليـــم خريبكـــة :

◆ انكم حقيقة تمثلون الروح المغربية الحقة .. وما من أحد منكم الا ووقـف وقفته الوطنية الخالصة لدينه ، ولوطنه ، ولملكه ، ولماضيه ، ولمستقبله ».

من الخطاب الهام الذى القاه جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله ، فى مدينة خريبكة ، حيث استعرض فيه القضايا الفلاحية ، والصناعية ، والادارية ، التى يعاني منها الاقليم ، وذلك يوم الاحد 23 ربيع الاول عام 1392 هـ ، الموافـق 7 ماي 1972 م .

— ❋ —

... وانتصـرت ارادة الخيـر ...

« الحمد لله الذى هدانا فبنينا السدود ، جاعلين بذلـك بيننا وبيـن الفقـر حدودا . الحمد لله الذي هدانا لاجتياز الصعـاب ، حتـى لا يبقـى علينـا مـن التاريخ اي عتاب . الحمد لله الذى هدانا فأحسنا الاختيار.

شعبي العزيز ، ها هو سد آخر من نعم الله سبحانه وتعالى ، ومن مجهوداتنا المشتركة ، تلك المجهودات والتضحيات التى صهرت فيها جميع طبقات هذا الشعب، سواء الغني او الفقير ، الحضري او المدنـي .

شعبي العزيز ، هاهي خطوة أخرى نحو البناء والتشييد ، نحـو الرفاهيـة والنعمة ، خطوة أخرى فى جهادنا الطويل ، ونضالنا المرير ، ضد الجوع والفقو .

شعبي العزيز ، ها أنت سترى بعد سنيـن قلائـل هذه الدنيـا التى كانت صحراء ، سوف تراها يانعة خضراء .

شعبي العزيز ، سوف ترى سكان هذا الاقليم الذين كانوا يعيشون دائما فى خوف من الجفاف او الفيضانات ، سوف تراهم يعيشون فى أمن وأمان ، حامدين الله وشاكرين اياه، على ما اسدى لهم من نعم ، والآن لم يبق لنا الا أن نعطي الانطلاقة، حتى نرى الماء الذى قال فيه الله سبحانه وتعالى : « وجعلنا من الماء كل شيء حي » ، نراه مثل الدم يجري فى الشرايين ، ويجري فى القلب ، حتى يتحرك هذا الاقليم العزيز علينا، ومن مملكتنا، حتى يتحـرك بالحيـاة والخيـر واليمـن والبركـــة ... »

من الكلمة التى دشن بها جلالة الملـك الحسـن الثاني — نصره الله — انطلاقة مياه سد المنصور الذهبـي ، وذلـك يـوم الجمعـة 28 ربيـع الاول عام 1392 هـ ، الموافق 12 ماي 1972م.

— ❋ —

الجيش اعطى الدليل الساطـع ، انـه من الشعـب واليه

- امر ملكي بادماج اعمال الجيش فى اطار التصميم الخماسي المقبل .
- اظهرتم فى كل مناسبة الطاعة والاستعداد والاخلاص وروح التضحية .
- القوات المسلحة الملكية جد متشبثة بالمؤسسات المغربية .
- ان ايمانكم بشعاركم « الله ، الوطن ، الملك » يعبر عن واجباتكم ، ويهديكم فى مسيرتكم الى الامام.

من الامر الملكي الذى اصدره القائد الاعلى ، ورئيس الاركان العامة ، جلالة الملك الحسن الثاني ــ نصره الله ــ الى ضباطه ، وافـراد الجيش المغربي ، بمناسبة الذكرى السادسة عشرة لتأسيس القوات المسلحة الملكية ، وذلك يوم الاحد متم ربيع الاول عام 1392 ، الموافق 14 ماي 1972 م .

— ٭ —

بعد ثلاث سنوات ، جلالة الملك يدخل ايفني دخول الابطال .

ايفني تدين لجلالته برجوعها الى حظيرة الوطن .

هبة ملكية ، لانجاز عدد من المشاريع فى ايفني .

« انا نريد ان تبلغوا سكان ايفني ، وسكان آيت باعمران كلهم ، تاثرنا العميق، وان الذاكرة لترجع بنا الى روح والدنا المقدس ــ طيب الله ثراه ــ محمد الخامس ، محرر هذا الوطن . ذلك ، اننا كنا مؤمنين بان روحه الطيبة ، وروح جميع المناضلين الشهداء الذين استشهدوا على هذه الارض ، تبتهج معنا ، وتفرح معنا ، وتسعـد معنا ، وتبتسم الى الغد المشرق البسام . نعم ان هناك المشاكل للادماج . علينا ان لا ننسى أنه طيلة قرن، أو ما يقرب من قرب ، بقينا معزولين . فلا يمكن بين عشية وضحاها أن تنمحي تلك الصعاب ، ولا تلك العقبات ، ولكن يكفينا ان نكون واعين بها ، حتى لا يكبر أولادنا وهم يعيشون فى هذه العزلة المختلفة .

فعلينا اذن أن نهيمن باسم الله ، وان ندخل البيت الجديد قائلين : باسم الله والقدم اليمنى تفاؤلا ، واقتباسا لما كان يعمله ويصنعه جدنا محمد عليـه الصـلاة والسلام . واخيرا ارجو منكم أن تبلغوا تحياتنا الى سكان الاقليم ، وبهذه المناسبة ، ابلغ سكان المغرب قاطبة ، افتخاري واعتزازي ، وحمدي لله ، وتواضعي أمام جلاله، لكونه انعم علي بان اكون ثاني الفاتحين لهذه البقعة . اعاننا الله جميعا ، وسدد خطانا الهمكم التوفيق والرشاد . والسلام عليكم » .

من الكلمة التى القاها جلالة الملك الحسن الثاني ــ نصره الله ــ اثناء اجتماعه باعضاء المجلس البلدي ايفني ، حيث سلمهم هبة سامية ، وذلك يوم الخميس 4 ربيع الثاني عام 1392 هـ ، الموافق 18 ماي 1972 م

جلالة الملك يخاطب سكان تفراوت وسوس :

« استقبال المغرب حقيقة متساوي ، غير ان الاستقبال ، ليس مضمونه هو كل شيء ، اذ اني اعرف التهييء الذى هياه أهل سوس ، واعرف المشاق التى خاضوها ، واعرف انه يوم عرف رجال تفراوت بالخصوص ، وهم جادون فى التباري ، قصد اظهار ولائهم وتعلقهم واخلاصهم . واعرف ايضا أن بعض المواطنين جاءوا عن طيب خاطر ، الى تفراوت من الخارج ، وتحملوا مشاق مادية ، حتى يصلوها ، وأعرف أيضا ان كل المواطنين قد تنافسوا فى اظهار حسن الضيافة . وهذا يدل على أن النواحي التى تظل متشبثة بكلمة الله ، وكتاب الله ، وسنة رسوله ، والاخلاق الاسلامية ، لا يمكن ان لا تنبثق منها مثل هذه العواطف ، ومثل هذا التسابق الى الخير ... فالله يجازيكم خيرا ... وكلكم تعلمون ما نكنه لأهل سوس ، وناحية سوس من محبة صادقة ، وما نعلق على ناحيتها من آمال جسام ... لو كنتم تعلمون هذا (لي اليقين انه يمكن) لطرتم أنتم وأولادكم فرحا. وأملي فى الله، ان يعينني ويزيد فى قوتنا جميعا حتى ارى ناحيتكم كما اريدها ، واني لأريدها احسن مما تريدونها . وسلامي الى الجميع ، ورضائي الى الجميع ».

فى زوال يوم الاحد 7 ربيع الثاني عام 1392 هـ، الموافق 21 ماي 1972 م .

— * —

من الخطاب التاريخي لصاحب الجلالة ، فى نهاية رحلته الموفقة لاقاليم الجنوب :

حامي حمى الوطن يقول لسكان صحرائنا المغتصبة :

- لستم نسيا منسيا ، ولستم بعيدين عن قلبنا وأفكارنا
- سنربط الصلة من جديد ، مع رعايانا فى الصحراء المغتصبة حلقات للنمو الاقتصادي الشامل فلاحيا ، صناعيا ، سياحيا :
- مندوب سامي لمشروع سوس ، والتنمية الاقتصادية لجهة الجنوب .
- بناء سد للادخار
- خضراء ... من ورزازات الى البحر ، ومشاريع كفيلة بالتقدم الشامل ، والانتاج الوفير .
- اتصور اكادير غنية دائبة الى الامام .
- الزيادة فى بعض المشاريع ، وخاصة بالنسبة لاقليم طرفاية .

تلك هي اهم النقط من الخطاب الملكي السامي ، فى نهاية رحلته التاريخية الى اقاليم بني ملال ، خريبكة ، ورزازات ، اكادير ، ايفني ، وذلك فى اجتماع ترأسه حفظه الله فى اكادير ، يوم الثلاثاء 9 ربيع الثاني عام 1392 هـ ، الموافق 23 ماي 1972 م .

اقسمنا أن نحرر بلادنا فحررناها ،

واقسمنا ان نوحد أطرافها ، وها نحن سائرون فى طريق التوحيد .

« ... وأملنا أن يبقى الائتلاف بين الارواح ، وهذا التلاقي بين القلوب ، حتى نبني على اسسها مستقبلا زاهرا ، وحتى نبني قلعة من الكرامة والمناعة والخير والاستقرار ، نرد بواسطتها كيد الكائدين . قال النبي « صلعم » : ان لله رجالا لو أقسموا على الله لأبرهم . فانا اقول : ان لله شعوبا ، لو أقسموا على الله لأبرهم . لقد اقسمنا على الله أن نحرر بلادنا فحررناها ، وأقسمنا على الله أن نوحد أطرافها ، وها نحن سائرون فى طريق التوحيد . كما أقسمنا على الله أن نعطي لهذا البلد ، ولهذا الشعب اطارا مبنيا على القانون والمشروعية والمساواة في الحقوق والواجبات ... وقد أقسمنا على الله وعلى أنفسنا أن نبقى سائرين فى هذا الطريق ، وان الله سبحانه لا يخيب أملنا ، بل سوف يحقق رجاءنا ان شاء الله ».

من الخطاب الذى القاه جلالة الملك الحسن الثاني ـ نصره الله ـ قبل ان يغادر مدينة اكادير ، امام ممثلي الاقاليم ورجال السلطة ، شكرهم فيه على حسن الاستقبال ، وأوصاهم بالمواطنين خيرا ، والاعتناء بالسكان عناية خاصة ، كما طلب منهم جلالته ، تبليغ رضاه الى جميع سكان الاقليم ، وذلك فى يوم الاحد 14 ربيع الثاني عام 1392 هـ الموافق 28 ماي 1972 م .

— * —

فى كلمة صاحب الجلالة لوزير التربية العراقي :

ان المغرب بجانبكم فى المعركة التحريرية التى تخوضونها ، واننا لنشعر انها معركة طويلة المدى ، عميقة الجذور .

العاهل الكريم يخاطب السفير المصري :

انكم تمثلون شعبا عربيا يقاسي من الظلم والاحتلال ، كما انكم تمثلون بلدا صامدا ، رئيسه صديق حميم .

الاربعاء 17 ربيع الثاني 1392 هـ ، الموافق 31 مايو 1972 م .

— * —

صاحب الجلالة الحسن الثاني يبعث ببرقية تهنئة الى صاحب الفخامة المجاهد الاكبر ، الحبيب بورقيبة بمناسبة عيد النصر التونسي :

« بمناسبة ذكرى العيد الوطني للجمهورية التونسية الشقيقة ، يطيب لنا ان نعبر لفخامتكم باسمنا الخاص وباسم الحكومة والشعب المغربي ، عن اصدق التهاني ، وأطيب التمنيات ، مبتهلين الى الرحمان القدير أن يسدد خطانا ، ويوفق مساعينا وينجح أعمالنا فيما نبتغيه لشعوب المغرب العربي ، والامة العربية والاسلامية ، من اتحاد واعتصام بحبل الله ، حتى تعيد سالف عظمتها ، وتسهم بهديها فى اسعاد البشرية قاطبة ، مجددين لكم صالح دعائنا بدوام العافية والتوفيق والسعادة ولشعبكم العزيز بالمزيد من الرخاء والازدهار والرفاهية .

وتفضلوا فخامتكم بقبول عبارات تقديرنا .

الخميس 18 ربيع الثاني 1392 هـ ، الموافق
فاتح يونيه 1972 م .

— ❊ —

جلالة الملك يفتتح اجتماع مجلس وزراء منظمة الوحدة الافريقية ، ويقول :

- قضية تحرير الاراضي الافريقية اولا .
- فى مثل هذا اليوم منذ خمس سنوات ، تعرض قطر افريقي للاعتداء ، وامره متروك لضمائركم .
- أود بكل اخلاص أن يكون رئيس الجمهورية الليبية حاضرا بيننا .

السيد ديالو تيلي يصرح :

- المغرب فضل كبير فى اعداد الظروف الملائمة لانجاح المؤتمر .
- لاول مرة فى تاريخ منظمة الوحدة الافريقية ، يعقد مؤتمر على مستوى القمة، دون أن يكون هناك خلاف خطير بين دولتين افريقيتين .
- مؤتمر الرباط سيعكف على دراسة عدد من النقط ، وفى مقدمتها قضايا التحرير والتنمية الاقتصادية .
- اجتماعات الرباط تتميز بتحول جديد فى تاريخ منظمة الوحدة الافريقية .
- احسن مكافأة نقدمها لجلالة الحسن الثاني وشعبه ، هي العمل الهادف .

الوفود الافريقية تؤكد بالاجماع :

- تضحيات جلالة الملك ، والشعب المغربي ، ضمانة لنجاح مؤتمر الرباط .
- تدعيم الجبهة الافريقية وتوحيدها فى المحافل الدولية .

22 – 23 – 24 – 25 – 26 ربيع الثاني
1392 هـ الموافق 5 – 6 – 7 – 8 يونيه 1972م

مجلس وزراء منظمة الوحدة الافريقية يواصل اشغاله ـ لجنة التحرير تسجل بارتياح كبيـر اتفاق حركـات التحريـر الكونغولية ـ وضع وحدات من الجيوش الافريقية للرد على أي اعتداء خارجي ـ 100 الف دولار مسـاعـدة من المنظمـة الى جنوب السودان ـ المؤتمر يقرر اسهام حركات التحرير فى اتخاذ القرارات المتعلقة بالاقطار المستعمرة .

السبت 27 ربيع الثاني 1392 هـ ـ 10 يونيه 1972 م .

— ✻ —

زعمـــاء افريقيـــا فى الربـــاط

- المصادقة على عدد من التوصيات والقرارات الهامة .
- تحرير الاراضي الافريقية لا يمكن ان يكون موضع تنازلات ومساومات
- جدول أعمال الرؤساء يحتوي على 15 نقطة .
- الزعماء الافارقة يترحمون على روح القائد الافريقي الخالد محمد الخامس.
- برقية تعاطف من شوان لاي الى المؤتمر .
- جلسة الافتتاح تذاع مباشرة ، من قاعة المؤتمرات بفندق هيلتـون ، عـلى أمواج عدد من الاذاعات الافريقية والعالمية ، كما تنقل عبر شبكة الاوروفيزيون والمغربوفزيـــون .

فى الخطاب التاريخي لجلالة الملك :

- افريقيا تساوي الوحدة والحرية
- نطلب من منظمة الوحدة الافريقية أن تسحب نهائيا من ملفاتها ، نزاعنا مع الجزائـــر .

بالاجماع جلالـة الملـك رئيســا للمؤتمـر
نجاح شامل لمؤتمـر وزراء الخارجيـة الافارقـة

- اربعة وزراء تحدثوا فى جلسة الاختتام ، واعلنوا الشكر والامتنان للمغرب ملكـا وشعبـا .
- السيد عبد العزيز بوتفليقة يقدم ملتمسا للمؤتمر يصادق عليه بالاجماع ويشيد بحفاوة جلالة الملك ورعايته وتوجيهاتـه ، ويعرب عن تاثره البالـغ بالمساهمة الملكية السامية فى اعمال المؤتمر .

يوم الاثنيـن 29 ربيـع الثانـي 1392 هـ ، الموافق 12 يونيه 1972 م .

— ✻ —

◆ **اجتماع مغلق فى قصر الضيافة دام ثلاث ساعات**

◆ **الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة يلتحق بالمؤتمر**

الثلاثاء 30 ربيع الثاني 1392 هـ الموافق 13 يونيه 1972 م .

— ✻ —

فى لقـــاء الربــاط التاريخـــي :

◆ **مليون دولار من المغرب لحركـات التحريـر**

◆ **الجلسة الاختتامية للمؤتمر اليوم .. قرارات تاريخية حاسمة .**

الخميس 2 جمادى اولى 1392 هـ الموافق 15 يونيه 1972 م

— ✻ —

يوم تاريخـــي مشهـــود فى الربـــاط :

جلالة الملك الحسن الثاني يقول :

الحدود يجب أن لا تكون أسوارا مشيدة ، ولكن صداقات متينة ــ لنعطي للدول الافريقية الشقيقة مثالا للتعامل الجهوي ــ افريقيا فى مستـــوى التعقـل والتفكير العالمي ــ عندما تريد افريقيا تستطيع أن تحقق ما تريد ــ تمت المعادلة : المصالحة ، الحرية ، فالوحدة .

الرئيس بومدين يقول :

كنا خلال التاريخ دولة واحدة ــ سطرنا الحـــدود لمحو الحـدود ــ نعلـن تضامننا المطلق مع المغرب الشقيق ، حتى يسترجع سيادته على اراضيه الوطنية. فى التصريح المغربي ــ الجزائري المشترك : رغبة البلدين الشقيقين فى تقوية روح التفاهـم والتضامـــن

◆ **نؤكد عزمنا الوطيد على تثبيت دعائم السلم الدائم الممتد عبر العصور والقرون، واحلال عهد يتسم بالوئام ، ويقوم على التعاون لصالح الاجيال المقبلة .**

الخميس 2 جمادى الاولى 1392 هـ ، الموافق 15 يونيه 1972 م

— ✻ —

جلالة الملك يوجه نداء الى الضمير العالمي والدول الكبرى ، ويقول :

- **من التناقض ، التصريح ضد الاستعار ، وتشجيع الاستعمار .**
- **أعيانا الانتقاد والتانيب . نريد ان نعانق العالم كله بحماس .**

من الندوة الصحفية التى عقدهـا جلالة الملك الحسن الثاني – نصره الله – يوم الجمعة 3 ج. 1 عام1392 هـ الموافق 16يونيه 1972م،على الساعة السادسة والربع عشية بقصر الضيافة بالرباط ، حيث تحدث عن نتائج مؤتمر القمة الافريقي ، ورد على عدد من أسئلة الصحفيين الذين قدموا من مختلف جهات العالم ، لتتبع اشغال مؤتمر القمة الافريقي . وقد اكد القادة الافارقة عند مغادرتهم الربـاط ، ان مؤتمـر الرباط يشكل مرحلة ضرورية فى حياة المنظمة الافريقية ، وان المؤتمر تميز « بروح الرباط ».

— ✻ —

في الندوة التى عقدهـا جلالـة الملـك يـوم الجمعـة :

- **البرلمان ينعقد فى ابريل القـادم .**
- **المغربي يريد ان يعيش فى جو مطبوع بالجد والانتاج والعمل .**
- **الجزائر ليست طرفا فى المطالبة باسترجاع الصحراء المغربية .**

سكان المناطق الصحراوية المغربية يؤكدون التأييد المطلق لسياسة جلالة الملك، ويستنكرون اي تدخل أجنبي مهما كان فى القضية الوطنية الصرفة .

الاحد 5 جمادى الاولى 1392 هـ ، الموافق 18 يونيه 1972 م

— ✻ —

صاحب الجلالة يعين سمو الامير مولاي عبد الله ، ممثلا شخصيا لجلالته :

صهرنا فى مدرسة واحدة ، وامام رجل واحد ، علمنا ان نفضل الصالح العام ، على الصالح الخاص .

فى يوم الاثنين 6 جمـادى الاولى 1392 هـ ، الموافق 19 يونيه 1972 م .

جـلالـة الملـك :

- على المغرب أن يقوم بدوره الطبيعي والطلائعي فى تحرير افريقيا .
- اتفاق المغرب والجزائر ، يمهد الاسباب لمعالجة قضية تحرير الصحراء المغربية

الوزيــــر الاول ،

- يحق لنا جميعا ان نعتز بالدور الاساسي والفعال الذى قام به جلالـة الملـك لنجاح مؤتمر القمة الافريقي .
- اتفاقيتنا مع الجزائر خدمة كبيرة للصالح العام ، ولصالح الاجيال الصاعدة .

فى المجلس الوزاري المنعقد مساء يوم الاثنين 6 جمادى الاولى عام 1392 هـ ، الموافق 19 يونيه 1972 م

— ※ —

امام الوضع الخطير الذى تجتازه امتنا العربيـة ، جلالـة الملك يدعو لعقد اجتماع عاجل على مستوى رؤساء الحكومات او وزراء الخارجية .

برقية الى السـيد محمود رياض الامين العام لجامعة الدول العربية :

ان الاعتداءات المتكررة التى يتعـرض لها لبنان الشقيـق من طرف العـدو الاسرائيلي ، سيكون لها أبعاد خطيرة على العالم العربي . وان الغاية من هذه الخطة الاسرائيلية ، هي محاولة بذر الشقاق بين المقاومة الفلسطينية ولبنان ، وفسخ التضامن بين الدول العربية .

كما أن تلك المحاولة ، تعتبر ظاهرة من ظواهر الاهداف التوسعية الاسرائيلية ، لاغتصاب قطعة من لبنان الذى يقوم بواجبه ، ويعطي برهان تضامنه .

ونظرا لهذا الوضـع الخطير الذى تجتـازه امتنـا العربية ، فاننا نرى من الضروري ، الدعوة الى عقد اجتماع عاجل على مستوى رؤساء الحكومات العربية ، او وزراء خارجيتهـا ، قصد بحث الموضوع ، واتخـاذ قرار موحد لمواجهة الوضع القائم ، وتقدير مضاعفاته .

واننا اذ نطلب منكم القيام باتصالات مع اخواننا اصحاب الجلالـة والفخامـة ملوك ورؤساء الدول العربية الشقيقة لعرض هذا الاقتراح ، لنامل أن يكـون ردهم ايجابيا حتى نتمكن من تلافي الاخطار التى تبيتها لنا اسرائيل .

يوم الاثنين 12 جمادى الاولى عام 1392 هـ ، الموافق 26 يونيه 1972 م .

— ※ —

جلالة الملك يوجه برقيتين الى الامين العام للامم المتحدة ، ورئيس مجلس الامن :

- **المغرب يتضامن مع لبنان ، ويدين العدوان الاسرائيلي .**
- **الدعوة الملكية تترك اثرا طيبا فى العواصم العربية .**
- **استشارات بين العواصم العربية حول الوضع فى لبنان .**
- **وزير الشؤون الخارجية يستقبل سفراء الدول العربية المعتمدين فى الرباط .**

الثلاثاء 13 جمادى الاولى عام 1392 هـ ، الموافق 27 يونيه 1972 م

— * —

بعد الاقتراح الملكي :

— محمود رياض يبدأ جولته فى العواصم العربية .

— اتفاق بين لبنان والمقاومة الفلسطينية .

— فالدهايم يشاطر جلالة الملك انشغاله بالوضع فى لبنان .

الاربعاء 4 جمادى الاولى عام 1392 هـ ، الموافق 28 يونيه 1972 م .

— * —

العدوان الاسرائيلي على لبنان :

— لبنان يدرس اقتراحات جلالة الملك ◆ اهتمام متزايد باقتراح المغرب لاتخاذ موقف موحد ◆ لبنان يشكر المغرب على تضامنه ، وينوه بدعوة جلالة الملك لعقد مؤتمر عربي .

30 – 6 – 72

— * —

جلالة الملك الرائد يتحدث عن اجيال المستقبل :

- **التنمية الخلقية هي العمود الفقري للمجتمع .**
- **هذه السنة ، سنة بعث اسلامي .**
- **الاسلام دين الحرية ، وحقوق الانسان . الديانة الاسلامية كرمت بني آدم .**

من الخطاب الذى وجهه جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله ، الى شعبه الوفي بمناسبة الذكرى الثالثة والاربعين لميلاد جلالته ، والتي توافق ذكرى عيد الشباب .
الاحد 27 جمادى الاولى عام 1392 هـ ،
الموافق 9 يوليوز 1972 .

— * —

— المغرب فى يوم عيد ◆ الجماهير تهتف لجلالة الملك فى الملعب الشرفي : مرحبا .. مرحبا بالمليك الحسن ◆ جلالة الملك يقيم حفلة استقبال فى قصر الصخيرات ◆ دقيقة صمت وترحم فى الصخيرات ، لضحايا مؤامرة الغدر والخيانة .

يوم الاثنين 28 جمادى الاولى 1392 هـ ،
الموافق 10 يوليوز 1972 م .

— * —

جلالة الملك يودع الرئيس الموريطاني ولد دادة ، بعد زيارة استغرقت 16 ساعة :

- **المغرب وموريطانيا يعملان من اجل بناء المغرب الكبير**

جلالة الملك يخاطب رجال الامن :

- **املي ان تكونوا واعين لمسؤولياتكم .**
- **هذه البذلة اعطتكم سلطة ، وتعطيكم واجبات .**

يوم السبت 3 جمادى الثانية 1392 هـ ،
الموافق 15 يوليوز 1972 م

— * —

جلالة الملك يستقبل افواج الضباط المتخرجين من المدارس العسكرية :

- **حماية الحقوق والانظمة الدستورية فى عنق كل مغربي .**
- **املي ان لا نترك فى سجل تاريخنا الا ما من شانه ان يجعلنا فخورين بانتمائنا الى شعبنا ووطننا المغرب .**

◆ **عليكم أن تعلموا ان فى جميع الجيوش المنظمة ، فان احسن رجالاتها من ضباط ، وضباط الصف ، وجنود ، هي التى تكون الدرك . فعليكم أن تعلموا هذا ، وتعملوا به ، حتى يمكن أن يقال عن الدرك الملكي انه مكون بما فيه من ضباط ، من أحسن ماهو موجود فى القوات المسلحة الملكية ، مسؤولياتكم مسؤوليات عظمى ، وواجباتكم جلى . أملي فى الله أن تقوموا بها على أحسن وجه .**

الثلاثاء 13 جمادى الثانية 1392 هـ ، الموافق 25 يوليوز 1972 م .

— ❋ —

جلالة الملك يغادر المغرب الى فرنسا ، فى زيارة خاصة ، وقبل أن يمتطي جلالته القطار من محطة الرباط بعد زوال يوم الاربعاء 15 جمادى الثانية 1392 هـ ، الموافق 26 يوليوز 1972 ، تقدم للسلام عليه أعضاء الحكومة ، وعلى رأسهم الوزير الاول محمد كريم العمراني، الذى خاطب مولانا المنصور بالله ، قائلا :

مولاي صاحب الجلالة ،

باسمي ، وباسم جميع اعضاء الحكومة ، اتقدم الى مقامكم العالي بالله ، بتمنياتنا الطيبة بمناسبة سفركم الميمون ، طالبين من الله تبارك وتعالى ، أن يكتب لكم السلام فى الحل والترحال ، وأن يجعل التوفيق حليفكم ، فى كل ما تأتون وما تذرون ، وأن يقر عينكم بولي عهدكم المحبوب ، الامير سيدي محمد ، واخوته الامراء الكرام.

واسمحوا لي يا مولاي ، ان أؤكد لكم أن الحكومة ستظل مدة غيابكم على ما اخذتموه عليها ، والفتموه منها ، من الاخلاص والجدية والتفاني فى العمل ، واضعة نصب عينيها باستمرار ، المبادىء التى سطرتموها لها ، والتوجيهات والارشادات السامية التى ما فتئتم تزودونها بها فى كل وقت وحين .

— ❋ —

صاحب الجلالة يهنىء الرئيس بورقيبة بعيد ميلاده :

بعث صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني برقية تهنئة الى فخامة الرئيس الحبيب بورقيبة ، رئيس الجمهورية التونسية هذا نصها :

« بمناسبة الذكرى 66 لميلادكم ، يطيب لنا أن نعرب لفخامتكم باسمنا الخاص، وباسم حكومتنا وشعبنا ، عن اصدق التهاني ، واطيب المتمنيات ، مبتهلين الى الرحمان ان يسدد خطانا ويوفق مساعينا ، وينجح اعمالنا ، فيما نبتغيه لشعوب المغرب العربي ، والامة العربية والاسلامية من اتحاد واعتصام بحبل الله ، حتى

تعيد سالف عظمتها ، وتسهم بهديها في اسعاد البشرية قاطبة ، مجددين لكم صالح دعائنا ، بدوام العافية والتوفيق والسعادة ، ولشعبكم الشقيق المزيد من الرخاء والازدهار والرفاهية . وتفضلوا فخامتكم بقبول عبارات تقديرنا » .

الجمعة 23 جمادى الثانية عام 1392 هـ ،
الموافق 4 غشت 1972 م

— * —

ولي العهد الامير سيدي محمد ، يتوجه الى مدينة ايفران .
أسبوع الطفولة يقام تحت شعار : الاسلام والطفولة .
سمو الامير سيدي محمد يستقبل ابناء العمال المغاربة العاملين في الخارج ، ويقيم حفلة كبرى لجميع اطفال المخيمات الصيفية في الاطلس المتوسط .

الاحد 25 جمادى الثانية 1392 هـ ، الموافق 6 غشت 1972 م .

— * —

برقيـة جلالة الملك الى مؤتمر دول عـدم الانحيـاز :

- **افريقيا ابدت استعدادها دائما للمساهمة في خلق توازن دولي .**
- **اتجاهات التقارب في علاقات الدول العظمى ، تعطي للسياسة الدولية توجيها جديـــدا .**
- **ان المؤتمر الثالث للتجارة والتنمية التابع للامم المتحدة ، الذى انعقد اخيرا في سانتياغو ، شكل بالنسبة لبلادنا تجربة يجب أن نستخلص منها العبر العملية . وعلينا الآن أكثر من أي وقت مضى ، أن ندعم صفوفنـا اكثـر ، لنواجه الاقتصاد المسيطر على جميع المرافق في عصرنا الحاضر .**

الاربعاء 28 جمادى الثانية 1392 هـ ، الموافق 9 غشت 1972 م .

— * —

نتائـج مؤتمـر وزراء دول عـدم الانحيـاز :

— في الشرق الاوسط : الانسحـاب الفـوري وغير المشـروط للقـوات الاسرائيليـــة .
— في افريقيا : توفير المال والسلاح لحركات التحرير الافريقية .
— في الهند الصينية : انسحاب القوات الامريكية من الفيتنام .
— اقتراح عقد مؤتمر للقمة في السنة القادمة .

السبت 2 رجـب 1392 هـ ، الموافـق 12 غشت 1972 م .

سمو الامير مولاي عبد الله ، يدلي لاذاعة « فرانس آنتير » بتفاصيل عن عملية القرصنة الاجرامية ، والهجوم الذى تعرض له مطار الرباط سلا :

سؤال : يمكن ان نتساءل ، كيف بعد 13 شهرا من ماساة الصخيرات ، تندلع حركة عصيان جديدة فى صفوف القوات المسلحة الملكية ؟

جواب : لا يوجد الا قليل من الناس ، ومن البلدان لهم مصلحة فى توجيه ضربة من هذا القبيل، بصفة خاصة الى سلاح الطيران ، ذلك انني اتصور ستة او سبعة من الضباط الصغار المنتمين ، يقومون بانقلاب ، مهملين بقية الجيش والضباط السامين ، المتشبثين بولائهم لجلالة الملك .

سؤال : من الواضح ان هذا الحادث المؤسف جدا ، يشكل عملا منفردا ؟

جواب : اعتقد جازما ان هذه الضربة هي بالفعل عمل منفرد

سؤال : هل تعتقدون ان القوات المسلحة الملكية تشكل اسرة طاهرة ؟

جواب : يمكن ان اؤكد لكم ذلك . انها طاهرة جدا . واسمح لنفسي أن اجيب على اسئلتكم ، لاطمئن الجالية المغربية فى فرنسا . ويجب ان تعلم هذه الجالية، ان جلالة الملك، لا زال حيا ، وانه يوجد بخير وعلى خير ، واؤكد لكم انه ماسك بزمام الامور .

سؤال : انكم قد اخترقتم منذ قليل مدينة الرباط ، فما هو الجو السائد فى العاصمة ؟

جواب : ان السيارات تجوب الشوارع بصورة عادية ، وكل شيء هادىء .

الاربعاء 6 رجب 1392 هـ ، الموافق 16 غشت 1972 .

— ❋ —

فى ندوة صحفية لوزير الداخلية :

- منذ الصخيرات ، كانت هناك شبهات حول اوفقير ، تأكدت بعد الحوادث الاخيرة .
- حينما علم اوفقير بفشل العملية ، اطلق الرصاص على نفسه .
- لا توجد يد اجنبية فى المؤامرة .
- اعتراف قائد الطائرة ، يضع اوفقير امام الامر الواقع .
- قال اوفقير قبل ان يطلق الرصاص على نفسه :
  اني أعرف ماذا ينتظرني الآن .

الجمعة 8 رجب 1392 هـ الموافق 18 غشت 1972 م .

جلالة الملك يتحدث الى ضباط القوات المسلحة الملكية :

- الحقيقة عن مؤامرة اوفقير انه كان يريد التسلط على الشعب باسم الملكية .
- الغاء وزارة الدفاع ، والماجور العام ، والمساعد .
- كويرة يعترف : تلقيت الامر من الجنرال اوفقير .
- جيش الشعب ... وجيش الحسن الثاني .
- 20 غشت 53 ـ 20 غشت 72 : ثورة الملك والشعب مستمرة .

السبت 9 رجب 1392 هـ ، الموافق 19 غشت 1972 م .

— * —

20 غشت 1972 : خطاب الانبعاث :

- الشعب ظل مسلما ثابتا ملكيا رغم جميع الزوابع .
- علينا جميعا ان نراجع مقاييسنا .
- طريق الحكم مفتوح أمام الجميع ، بالوسائل المشروعة .
- الجبهة الوطنية تعرضت لعوامل الانهيار والتمزق ، فوجد كل مشاغب المجال ليتلاعب بالمقدسات .
- كل من حاول المس بالكيان المغربي ، سيكون هو أول الضحايا .

الاحد 10 رجب 1392 هـ ، الموافق 20 غشت 1972 م .

— * —

فى الندوة الصحفية لجلالة الملك :

- بدأ اوفقير يخطط للمؤامرة منذ 14 يوليوز 1971 .
- الجيش سيظل فى مستوى عظمة المغرب وامنه
- سأظل حرا بالنسبة للدول الكبرى .
- لا بديل للمشروعية فى المغرب .
- الانسان يتغير .. والافكار لا تتغير .

يوم الاثنين 11 رجب 1392 هـ ، الموافق 21 غشت 1972 م .

— * —

بمبادرة من المغرب : جلالة الملك يوجه رسالة الى ملوك ورؤساء الدول الافريقية :

ستقاطع العاب ميونيخ ، اذا شارك وفد النظام العنصري فى روديسيا .

« تتشرف باحاطة جلالتكم وفخامتكم علما ان المـازق الذى وصلـت اليه افريقيا مع اللجنة الدولية الاولمبية ، حول قضية مشاركة روديسيا ، قد اتسـع نطاقه ، الى درجة ان حل هذا المشكل بالوسائل القانونية ، أصبح متعذرا . وقد سارعنا بايفاد السكرتير العام لوزارة شؤوننا الخارجية ، لدى رئيس اللجنة الدولية الاولمبية ، لكن موقف رئيس اللجنة كان متشددا ، وذلك بسبب القـرار الذى اتخذته الهيئات العليا للجنة الدولية الاولمبية ، والذى لا يمكن التراجـع عنـه ، حسبما ذكره رئيس اللجنة . والآن فان كرامـة افريقيـا هي التى أصبحت فى الميـــــزان .

واذا تمسكت اللجنة الدولية الاولمبية بقرارها ، فانه سيكـون من واجـب البلدان الافريقية ، أن تبرهن عن تضامنها الكامل . ومن المرغوب فيه جدا ، ان تتجنب البلـدان الافريقيـة اتخاذ مواقف منفردة . كما أنه من الضروري تجاه الرأي العام العالمـي ، أن يكون موقف افريقيا موقفا جماعيـا يشمل جميع اعضـاء منظمة الوحدة الافريقية .

واننا فى نفس هذا اليوم ، سنبعث بصفتنا الرئيس الحالي لمنظمة الوحـدة الافريقية ، برسالة الى رئيس اللجنة الدولية الاولمبية ، لنشرح له أسباب موقف قارتنـا ، ونية افريقيـا فى عدم المشاركة فى العاب ميونيخ ، اذا تمسكت اللجنة الدولية الاولمبية بقرارها، على الرغم من جميع الاستنكارات والادانات الصادرة عن منظمة الامم المتحدة ، ضد النظام الروديسي اللا شرعي .

واننا لنرجو من جلالتكم وفخامتكـم ، ان تتقبلوا فائق اعتبارنـا ، وعظيـم مودتنا . »

افريقيـا تفكـر جديـا فى انسحـاب :

كما بعث جلالة الملك ببرقية الى السيد افري برونداج ، رئيس اللجنة الدولية الاولمبية ، هذا نصها :

« سيادة الرئيس ، لقد سبق ان انتدبنا لديكم منذ بضعة أيـام ، السكرتيـر العام لوزارة شؤوننا الخارجية ، بغية أن يشرح لكم اعتبـارات منظمـة الوحـدة الافيقية ، تجاه مشاركة روديسيا فى الالعاب الاولمبية بميونيخ ، وذلك قبيـل بضعة أيام فقط ، من افتتاح تلك الالعاب .

وعلى الرغم من رغبة 41 بلدا افريقيا فى المشاركة بروح رياضية صادقة فى الالعاب الاولمبية ، فاننا نجد أنفسنا ملزمين ، ومع كل الاسف ، بأن نبلغكم بموقف البلدان الافريقية ، فى التفكير فى انسحابها من العاب ميونيخ ، وذلك اذا ما تمسكت اللجنة الدولية الاولمبية بموقفها فى اشراك روديسيا ، فى تلك الالعاب ، على الرغم من الادانات المتكررة لتي اصدرتها منظمة الامم المتحدة ، تجاه النظام الروديســي

غير المشروع . ومع اسفنا فى اضطرار افريقيا الى اتخاذ هذا القـرار ، فانه لا يسعنا الا ان نلفت نظركم الى المسؤولية التى ستتحملها اللجنة الدولية الاولمبية ، تجاه الصبغة العالمية للالعاب الاولمبية ، اذا تم انسحاب افريقيا من الالعاب الاولمبية، هذا بالاضافة الى ان منظمة الوحدة الافريقية ، قد تلقت التزام بعض البلدان غير الافريقية ، بالتضامن مع قارتنا فى حالة اذا لم تشارك هذه الاخيرة فى الالعاب الاولمبية بميونيخ .

وتقبلوا سيادة الرئيس كامل تقديرنا ».

الثلاثاء 12 رجـب 1392 هـ ، الموافـق 22 غشت 1972 م

— * —

فى حديث لجلالة الملـك ، لاذاعة أوروبـا 1 :

- **الديمقراطية هي حكم الشعب ، لفائدة الشعب ، من طرف نخبة من الشعب.**

الخميس 14 رجـب 1392 هـ ، الموافـق 24 غشت 1972 م .

— * —

فى حديث لجلالة الملك لوكالة الانباء الفرنسية :

خص جلالة الملك الحسن الثاني ، المبعوث الخاص لوكالة الانباء الفرنسيـة جان موربك ، بحديث صحفي تضمن ايضاحات بشأن العمل الذى يعتزم الاقدام عليه ، وايضاحات اخرى ، عن احداث 16 غشت 1972 ، وفيما يلي اهم النقط من هذا الحديث :

- **الانتخابات ستجري بصورة أكثر عدالة وانصافا .**
- **ساعتمد على الذين ظلوا مغاربة ووطنيين واعين بواقعيتهم الوطنية .**
- **أمقران اتصل بالبصري كوسيط بينه وبين اوفقير .**

الجمعة 15 رجب 1392 هـ ، الموافـق 25 غشت 1972 م .

— * —

جلالة الملك يدلي بحديث صحفي لاذاعة وتلفزيون اللوكسمبورغ :

أدلى جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله ، بحديث صحفي للمبعوث الخاص لاذاعة وتلفزة اللوكسمبورغ ، جورج بانشيني ، أذاعته الاذاعة والتلفزة فى اللوكسمبورغ ، ونشرته وكالات الانباء الدولية ، وفيما يلي اهم فقرات ذلك الحديث :

- **الانفتاح : على الذين يريدون الديمقراطية والحرية ، أن يساعدونا فى عملنا .**
- **16 غشت : لو نجح اوفقير فى عمله ، فسيعمل بوحي من الرجعية الدولية ، ولن يعود هناك أي حزب سياسي فى المغرب .**
- **الانتخابات : سأبذل كل ما فى وسعي لحمل المعارضة على المشاركة .**
- **المؤسسات الدستورية : هناك بعض القيم التى لا يمكن المساس او التلاعب بها .**
- **المغربي : الرجل المغربي لن يقبل ابدا أن يوضع الحبل فى رقبته .**
- **السلطة : حينما يعود البرلمان الى الانعقاد ، سأسلم له السلطة الخاصة به .**

الاحد 17 رجب 1392 هـ ، الموافق 27 غشت 1972 م.

— ※ —

- **علاقاتنا الخارجية ، ستنبني على المصلحة المشتركة ، وروح الصداقة الحقيقية ، وتبادل حسن النية .**
- **لن تسمح الدولة بأي عمل يسيء الى ميدان التعليم ، او يعرقل سيره الطبيعي .**

— **انشاء لجنة وزارية باشتراك رؤساء المجالس العلمية ، لاعداد مخطط للتعليم الاصلي ، لنهوضه وازدهاره .**

— **ولجنة وطنية للبرامج والكتب المدرسية للمتعلمين فى الابتدائي والثانوي .**

من تأكيدات جلالة الملك الحسن الثاني – نصره الله – فى الاجتماع الوزاري الهام الذى ترأسه ، بعد ظهر يوم الثلاثاء 26 رجب عام 1392 هـ ، الموافق 5 شتنبر 1972 م .

— ※ —

جلالة الملك يوجه برقية الى رئيس جمهورية تانزانيا ، حيث ينعقد فى عاصمتها (دار السلام) مؤتمر أقطاب دول افريقيا الوسطى والشرقية .

بعث صاحب الجلالة الحسن الثاني بهذه المناسبة ، وبصفته الرئيس الحالي لمنظمة الوحدة الافريقية ، الى رئيس جمهورية طانزانيا السيد جوليوس نيريري ، برقية هذا نصها :

« يطيب لنا فى الوقت الذى يبدأ فيه بدار السلام ، المؤتمر الثامن لرؤساء دول افريقيا الشرقية والوسطى ، ان نقدم لكم بصفتنا الرئيس الحالي لمنظمة الوحدة الافريقية ، متمنياتنا الصادقة بكامل النجاح لاشغال المؤتمر الهامة .

ان المشاكل الخطيرة التى تضعها لبلداننا فى هذه المرحلة الحاسمة من تاريخ قارتنا ، أعمال المقاومة فى أراض افريقية شاسعة ، ضد الاستعمار والميز العنصري، ستحتل الصدارة بطبيعة الحال فى مناقشاتكم .

واني لعلى يقين من ان قراراتكم ستدعم عزم منظمة الوحدة الافريقية ، وافريقيا كلها ، على العمل من أجل انتصار مبادىء العدل والحرية والاستقلال فى كل الاراضي الافريقية ، لخير شعوبنا ، ولتحقيق عظمة وكرامة قارتنا طبقا لصالح السلام والامن فى العالم .

واننا لنعبر كذلك عن متمنياتنا الخالصة بأن يجعل هذا اللقاء للدول المشاركة فيه ، تقترب أكثر من الاهداف النبيلة التى تهدف الى تحقيقها منذ انعقاد مؤتمركم الاول ، من أجل تنمية التعاون والوفاق وحسن الجوار ، على المستوى الاقليمي والقاري ، طبقا لمبادىء منظمتنا الافريقية . وتقبلوا فائق تقديري » .

فى يوم الخميس 29 رجب عام 1392 هـ ،
الموافق 8 شتنبر 1972 م .

— * —

جلالة الملك يبعث ببرقيتي مواساة الى الرئيسين اللبناني والسوري

جلالة الملك يعلن تضامن المغرب المطلق مع الشعبين اللبناني والسوري ، ويستنكر الاعتداءات الاسرائيلية

على اثر الاعتداءات الصهيونية الغاشمة التى تعرضت لها يوم الجمعة 29 رجب 1392 هـ ، الموافق 8 شتنبر 1972 م ، الاراضي اللبنانية والسورية ، الآهلة بالمدنيين ، بعث جلالة الملك الحسن الثاني برقيتي مواساة الى الرئيس اللبناني سليمان فرنجية ، والرئيس السوري حافظ الاسد .

نـص البرقيـة الاولـى :

صاحب الفخامة السيد سليمان فرنجية ، رئيس الجمهورية اللبنانية ـ بيروت

تلقينا بمزيد السخط والاسى انباء الاعتداء الصهيوني الوحشي الجديد ، على القرى اللبنانية ، وما خلفه من خسائر مادية ، وضحايا بين السكان العزل الابرياء ، من لبنانيين ، ولاجئين فلسطينيين .

اننا في هذه الساعات الحرجة ، من تاريخ امتنا العربية ، نعلـن لكم باسم حكومتنا عن تضامن المغرب المطلق مع الشعب اللبناني ، واستنكارنا لهذه الاعتداءات الاثيمة المنافية للاخلاق الانسانية والقوانين الدولية .

ونؤكد لكم مساندتنا الكاملة لكل مسعى تقومون به على الصعيد العربي ، والمحافل الدولية ، لادانـة الاعمـال الصهيونـية الاجراميـة ، وتامين الاراضي اللبنانية ، وحماية سكانها .

كما نرجو منكم ان تعبروا باسمنا الشخصـي ، وباسم شعبنـا ، لاسـر الضحايا لبنانيين وفلسطينيين عن مشاعر عطفنا ومواساتنا .

نـص البرقيـة الثانيـة :

صاحب الفخامة السيد حافظ الاسد ، رئيـس الجمهوريـة العربيـة السورية ـ دمشـق

تلقينا بمزيد السخط والأسى ، أنباء الاعتداء الصهيوني الوحشي على القرى السورية ، وما خلفه من خسائر مادية وضحايا بين السكان العزل الابريـاء من سوريين ولاجئين فلسطينيين .

انا في هذه الساعات الحرجة من تاريخ امتنا العربية ، نعلن لكم باسـم شعبنا وحكومتنا عن تضامن المغرب المطلق مع الشعب السوري ، واستنكارنا لهذه الاعتداءات الاثيمة المنافية للاخلاق الانسانية والقوانين الدولية .

ونؤكد لكم مساندتنا الكاملة ، لكل مسعى تقومون به على الصعيد العربي والمحافل الدولية لادانة الاعمال الصهيونية الاجرامية ، وتامين الاراضي السورية وحماية سكانها .

كما نرجو منكم أن تعبروا باسمنا الشخصي ، وباسم شعبنا ، لاسر الضحايا، سوريين وفلسطينيين ، عن مشاعر عطفنا ومواساتنا .

الرباط ـ في يوم السبت متم رجب عام 1392 هـ ، الموافق 9 شتنبر 1972 م .

— * —

توزيــع جميــع الاراضــي المسترجعــة :

- قضايا التعاونيات الفلاحية ، وتوزيع ما بقي من الاراضي المسترجعة علـى على صغار الفلاحين .
- 90.857 هكتارا من الاراضي توزع على الفلاحين هذه السنة .
- 3.802 أسرة تستفيد من التوزيع .
- تنظيم أسبوعين تحت شعار « التعاون الفلاحي » .
- تاكيد وجوب العناية بالفلاح ومساعدته على الاستفادة من نتائج كده .

من التوصيات السامية لجلالة الملك الحسن الثاني ـ نصره الله ـ خلال المجلس الوزاري الذى تراسه فى قصر الصخيرات ، بعد ظهر يوم الاثنين 2 شعبان عام 1392 هـ ، الموافق 11 شتنبر 1972 م .

— * —

جلالة الملك يوجه رسالة الى المؤتمر الجهوي ، لتنمية الطاقات البشرية فى افريقيا ، المنعقد بقصر مرشان، بمدينة طنجة .

- جلالته ، بصفته رئيس منظمة الوحدة الافريقية ، يحيي هذا اللقاء ، ويبرز اهميته ويؤكد على مضاعفة الجهود على جميع المستويات ، لما فيه خيـر افريقيـا وقوتهـا ووحدتهـا .

« ... يطيب لنا أن نعرب لكم جميعا ، عن عظيم اغتباطنا وسرورنا ، لتقابلكم فى بلدكم أرض المغرب ، ونعبر لكم أيضا عن متمنياتنا الحارة ، بنجاح هذا اللقاء ، الذى يكتسي أهمية خاصة، وفائدة قصوى . واذا كان المركز الافريقـي للتكويـن والبحث الاداري من أجل التنمية أنشيء ليضمن لقارتنا عضدا أيمن لاطر الادارة والتسيير ، وليستجيب لمتطلبات الاستقلال ، والتنمية المنسجمة ، فهو فى نفس الوقت ، اطار للقاءات التى ستسمح لنا بانعاش أكبر الآمال . وان الاهتمام البالغ الذي أوليناه دائما لهذا المركز ، بصفتنا مواطنا افريقيا ، مهتما بمشاهدة القارة الافريقية ، تسير فى طريق التقدم والرقي ، قد تضاعف بصفة خاصة ، بسبب المسؤوليات التى أبى الاخوان رؤساء الدول الافريقية الا ان يلقوها على عاتقي . وبهذه الصفة المزدوجة ، نعلق أكبر الآمال على الخدمات والاعمال التى ستجري فى حظيرة هذه المنظمة والنتائج التى ستصلون اليها .

ان الموضوع المختار من طرف المؤتمر ، لينصب على تنمية الموارد البشريـة بافريقيا ، وان هذا المظهر الهام ، لهدف حيوي تسعى اليه جميع دول قارتنا ، حيث ان تنمية الطاقات البشرية بافريقيا ، تستحق الكثير من اهتمامنا ويقظتنا

الشاملة ، واذا كان من المهم تذليل الصعاب ، وتيسير المسالك ، فان التنمية التى وطدنا العزم على القيام بها لتكون موضوع اهتمامنا اليومي ، بينما كان هدفنا الذى نسعى اليه فى الماضي يتلخص فى تحرير أقطارنا التى بليت بالاستعمار . واذا كنا قد حصلنا على حرية بلداننا ، بفضل عظيم الجهود ، وجسيم التضحيات، فقد فتح امام ناظرينا واراداتنا الصلبة ، باب التنمية ، وبناء الاستقلال . ويلزمنا بالنسبة للمستقبل أن نعرف جيدا كيف يتحقق هذا الهدف الجديد بعزيمة ، حتى نجعل من أصعب المخططات ، واقعا ملموسا ، وحقيقة ماثلة للعيان . واذا كان هذا الهدف واضحا، فان عملية التنمية تبقى دائما عملية معقدة ، تتطلب اختيارات صعبة ، وتحتم علينا القيام بمهام شاقة ، والتسلح بمعارف وافية ، وتقنيات وتكوين خاص .

وبقبولنا عن طيب خاطر لهذا الالتزام الذى يفرضه علينا مستقبل اقطارنا ، فقد وطدنا العزم ، وارادتنا القوية ، للوصول الى أهدافنا بتجنيد جميع الثروات ، واستغلال كل الطاقات . ونحن متأكدون من أن النتائج التى ستفضي اليها أعمال هذا المؤتمر ، ستؤدي بفضل التفكير الخصب ، والتجربة المكتسبة بصبرنا ، الى مساندة وتوحيد مجهودات الشعوب الافريقية فى كفاحها ، ومعركتها الحاسمة ..»

فى يوم الاثنين 9 شعبان عام 1392 هـ ، الموافق 18 شتنبر 1972 م . ومعلوم ان جلالة الملك ، الرئيس الحالي لمنظمة الوحدة الافريقية ، يتابع من جهة اخرى ، باهتمام بالغ ، أخبار الحوادث التى تجري على الحدود بين اوغندا وطانزانيا ، وطلب جلالته من الامين العام لمنظمة الوحدة الافريقية . اطلاع جلالته باستمرار وبدقة على تفاصيل الاحداث للقيام بكل عمل يتطلبه الموقف .

وبمناسبة الاعلان عن تسوية النزاع بين غينيا الاستوائية والغابون ، حول الحدود ، وجه جلالة الملك نصره الله برقية الى الجنرال موبوتو ، بمناسبة الاجتماع المنعقد بكينشاسا، يعبر فيها عن الامل فى تسوية سريعة للنزاع ، بروح من الاخوة والتصالح التى سادت مؤتمر القمة الافريقي المنعقد بالرباط .

— * —

ابتداء الثورة الفلاحية :

- الشروع ابتداء من اليوم فى توزيع 90 الف هكتار على الفلاحين فى اقاليم : تازة ، فاس ، مكناس ، القنيطرة ، البيضاء ، سطات ، الجديدة ، بني ملال ، آسفي ، مراكش ، الغرب ، دكالة ، الحوز .

- سيكون من نصيب كل مستفيد 24 هكتارا ، وفى اطار تعاونيات فلاحية تبلغ 140 تعاونية ، وعدد المستفيدين 3.802 .
- هذه الاراضي التى ستوزع أغلبها الآن سقوي، والباقي لا يمكن اعتباره أراضي بور ، لانها سيشملها السقي من عدة سدود تبنى حاليا .
- توزيع هذه الاراضي ، ليس سوى خطوة من الخطوات ، وسيتبعها توزيع 200 الف هكتار فى المستقبل ، فى اطار تصميم محكم .
- استرجاع جميع الاراضي من المعمرين .
- كناش الالتزامات ، يلزم الادارة والمستفيدين .
- الحبوب فى وقتها المناسب ، والقروض حق لكل مستثمر .

تلك هي اهم النقط فى الخطاب التاريخي الذى وجهه قائد الامة ، الى شعبه الوفي مساء يوم الثلاثاء 10 شعبان عام 1392 هـ ، الموافق 19 شتنبر 1972 م .

— * —

جلالة الملك يتسلم اوراق اعتماد اربعة سفراء جدد ، ويخاطبهم :

- لسفير قطر : العلاقات بين المغرب وقطر ، ليست وليدة اليوم .
- لسفير السينغال : المودة والاخوة سايرتا الشعبين دائما عبر التاريخ .
- لسفير بلغاريا : علاقاتنا تميزت بسياسة التعاون البناء .
- لسفير اسبانيا : ليست هناك مشاكل ، انما هناك صعوبات .

فى مساء يوم الاثنين 23 شعبان عام 1392 هـ، الموافق 2 اكتوبر 1972 م .

— * —

الرسالة الملكية للاحزاب السياسية :

- رغبة ملكية فى تحقيق الرفاهية ، وخدمة الصالح العام .. تعبئة جميع الكفاءات داخل الحكومة الوحدة الوطنية
- تحقيق الاهداف المخططة ، أو الاهداف التى ستكون ثمرة البحث والدراسة ، وتقارب بين وجهات النظر ، ودعوة كريمة الى التفكير السليم .

« ... اننا نبرز الاهداف التى وضعناها ، لاجل تحقيق مطامح الامة القريبة منها والبعيدة . لذا يتعين على جميع القوات الحية، الاسهام فى العمل الجبار ،

من اجل التجديد الوطني ... ونحن نوجه نداءنا مثلما فعلنا من قبل عدة مرات ، الى الذين تحذوهم الرغبة الصادقة ، والنية الحسنة ، والى الذين يعون الحقائق، وحاجيات البلاد ، ويظلون مخلصين الى الامة ، والى مبادئها المقدسة ، من اجل ضم جهودهم الى انطلاقة الوحدة ، لضمان الرفاهية والامن الدائمين للشعب المغربي .. »

يوم الجمعة 27 شعبان عام 1392 هـ ، الموافق 6 اكتوبر 1972 م .

— ✻ —

في خطاب جلالة الملك الى أسرة القضاء :

- **وكلنا وزيرنا في العدل ، ان يعمل على تلافي النقص وتدارك الخلل ، كلما استبانت الاعراض**
- **مراجعة المسطرات والمدونات بالدرس والتعديل ، لصيانة المكاسب الوطنية. وضمان حقوق الافراد والهيئات .**
- **اسهام العناصر الوطنية في العمل الشامل .**

يوم السبت 28 شعبان عام 1392 هـ ، الموافق 7 اكتوبر 1972 م.

— ✻ —

برقية تهنئة من جلالة الملك الى الرئيس عيدي أمين ،

بمناسبة العيد الوطني الاوغندي :

« بمناسبة العيد الوطني الاوغندي ، يطيب لنا ان نبعث لكم باسمنا الخاص ، ونيابة عن حكومتنا وشعبنا ، باحر التهاني ، راجين لشخصكم دوام الصحة والعافية ، وللشعب الاوغندي ، كامل التقدم والازدهار تحت قيادتكم الرشيدة .

واننا لمقتنعون من ان علاقات الاخوة والتعاون القائمة بين كافة الاقطار الافريقية ، تزداد متانة وقوة ، لما فيه خير شعوبنا . واننا اذ نرجو من العلي القدير، ان يعينكم على تادية مهمتكم السامية ، نغتنم هذه الفرصة ، لنجدد لفخامتكم أصدق عبارات التقدير » .

في يوم الثلاثاء فاتح رمضان المعظم عام 1392 هـ ، الموافق 10 اكتوبر 1972 م

— ✻ —

◆ **جلالة الملك يتبرع بالارض من ملكه الخاص ، على صغار الفلاحين في امزميز :**

تبلغ مساحة الاراضي التى تبرع بها جلالة الملك ، والتى قام بتوزيعها السيد وزير الفلاحة : 4.865 هكتارا ، استفاد منها 185 فلاحا ، تتكون اسرهم من 1.099 نفـــرا .

وتوجد بهده الارض 30 الفا من اشجار الزيتون ، و12 الفا من اشجار اللوز ، و 4 آلاف من اشجار المشمش ، و 170 من اشجار الجوز . كما تشتمل هذه الارض على 1.700 هكتار للرعي .

والجدير بالذكر ان هذه التجزئة الارضية التى تضم 4.865 هكتارا ، لا تدخل فى نطاق 90 الف هكتار ، التى وزعت على صغار الفلاحين ، وانما هي ملك خاص ، لجلالة الملك الحسن الثاني ، تبرع بها على صغار الفلاحين بهذه المنطقة .

وسيكون الفلاحون المستفيدون من هذه الاراضي ، ثلاث تعاونيات لاستغلال انتاج 40 الف شجرة من اشجار الزيتون وفواكه مختلفة اخرى . كما سيستغل الفلاحون المستفيدون جماعيا 3.093 هكتارا تخصص للرعي .

في يوم الثلاثاء فاتح رمضان المعظم 1392 هـ ،
الموافق 10 اكتوبر 1972 م .

— ✻ —

جلالة الملك يدعو العلماء لمناقشة الـدروس الدينيـة :

« ... اننا قررنا أن نفتح المجال للمناقشــة ، لكل من أراد أن ينـاقش فى الدروس التى القيت ، وذلك ابتداء من يوم 23 رمضان الى يوم 26 ... فالمرجـو من السادة العلماء ، سواء الذين درسوا أو لم يدرسوا ، آن يسجلوا اسماءهم لكل من اراد ان يناقش ، وأن يتذاكر ، وان يتجـاذب الحديث مع علمـاء مثلـه ، أو طلبـة جـدد .

وستخصص لكل من يريـد ان يناقـش أو يـدارس ، عشـرون دقيقـة . وسيخصص كل يوم لثلاثة من العلماء . وهكذا ان شاء الله ، سنختم شهر رمضان ، بعد ان درسنا وسمعنا ، ودرسنا وتدارسنا وتناقشنا . وأعانكم اللـه سبحانـه وتعـالى » .

فى يوم الاثنين 14 رمضان المعظم عام 1392 هـ ،
الموافق 23 اكتوبر 1972 م .

— ✻ —

◆ جلالة الملك يكلف السيد احمد عصمان بالاتصال بالهيئات السياسية ، لتشكيل الحكومة الجديدة .

◆ حكومة العمراني ادت واجبها بنزاهة وامانة واخلاص .

((انني انوه بالحكومة الحالية ، وعلى راسها الوزير الاول السيد محمد كريم العمراني ، فقد ادت واجبها بنزاهة وأمانة واخلاص ، مستهدفة فى ذلك خدمة الصالح العام ، وعاملة باستماتة فى تنفيذ السياسة التى رسمناها .

واننا اذ نوشح صدر السيد محمد كريم العمراني بوسام العرش من درجة ضابط كبير ، فاننا نوشح فى شخصه الحكومة كلها .

ونعلن عن ترشيح السيد احمد عصمان لمنصب الوزير الاول فى الحكومة المقبلة ، ونكلفه بالقيام ، ابتداء من يوم الجمعة ، بالاتصالات اللازمة مع مختلف الهيئات ، على ضوء أجوبتها على الرسالة الملكية ، بغية الوصول الى تكوين التشكيلة الحكومية الجديدة .

ونحن لم نراع فى تكليف السيد عصمان بهذه المهمة ، جانب القرابة ولا جانب الرفقة فى الدراسة ، ولا اي شيء آخر من هذا القبيل ، وانما راعينا فى ذلك صلاحيته وكفاءته وتجربته الطويلة ، بعد أن تمرس بمسؤوليات مختلفة ، بجانب جلالتنا ، فكان دائما مثال الرجل الذى يضع المصلحة العامة فوق جميع الاعتبارات، ويؤدي مهامه بوفاء وامانة واخلاص)) .

من الكلمة التى وجهها جلالة الملك الحسن الثاني ــ أيده الله ــ الى أعضاء الحكومة ، أثناء المجلس الوزاري الذى ترأسه بالديوان الملكي ، مساء يوم الخميس 24 رمضان المعظم عام 1392 هـ ، الموافق 2 نوفمبر 1972 م .

— * —

النصحية لله ... ولأئمة المسلمين ... وعامتهم :

((.. ان عملية فتح الافكار، وتنوير الاذهان، يجب ان تكون بكيفية مستمرة، سواء فى الثانويات أو فى الكليات ، كما نريد من الآن ، أن نعطي توجيهاتنا السامية ، الى جميع العلماء الذين سيشاركون خلال السنة ، او فى شهر رمضان المقبل ــ أعاده الله جميعا علينا باليمن والبركات ــ أن يتجهوا اتجاها جديدا فى دروسهم ومحاضراتهم ، ذلك انه لا يمكن أن تنتشر كلمة الحق ، وان تسري دعوة الاسلام ، وأن تصل هدايته وانواره الى الاذهان والقلوب ، الا عن طريق الفزو ،

والغزو حتى يمكن أن يكون له مدلوله ، عليه أن يكون مطابقا لروح العصر ، عليه أن يكون مطابقا للاسلحة التى يستعملها خصوم الاسلام ، وخصوم الاخلاق بكيفية عامة ، فاملي منكم أن تتدبروا الحديث النبوي الشريف الذى كنت أريد أن أركز عليه دروسي هذه السنة ، لو قمت بدرس أو بمحاضرة ، ذلك أن النبي ــ صلعم ــ قال لعلي حينما اعطاه الراية « ولان يهدي الله بك رجلا واحدا ، خير لك مما طلعت عليه الشمس » .

فاذا نحن وزنا هذا الحديث ، وما له من انعكاسات فى المعتقدات والمعاملات والاخلاق ، اخلاق الآباء والامهات ، ازاء أبنائهم ، ورباط الاولاد والابناء ازاء آبائهم وامهاتهم ، وحسن سلوك المدرسين والمعلمين والاساتذة .. اذا نحن طبقنا هذا الحديث ، وما وما وعد به الله سبحانه وتعالى على لسان رسوله ، كل من قام بهذه الهداية، كنا السباقين ، كل منا فى دائرته ، لنهدي ولو رجلا واحدا ، حتى يعطينا الله أحسن مما طلعت عليه الشمس ، ويثيبنا احسن الثواب .

والهداية فى الاسلام ، هداية متفرقة الاطراف ، ومتنوعة الاهداف . فليست الهداية الى الصلاة فقط ، ولا الى الصيام فقط ، ولا الى الزكاة فقط ، ولا الى الحج فقط ، ولكن قبل كل شيء ، موجهة بانها هي أم الاسلام ، الى الشهادة ، هي لا اله الا الله، محمد رسول الله . فمن قالها من قلبه خالصا مخلصا ، استقام . فكما قال النبي ــ صلعم ــ لاحد الاعراب . قال : قل لا اله الا الله ، ثم استقم . فالهداية فى الاسلام ، لا تاتي على حد السيف ، ولا تاتي كرها ، ولا تاتي غصبا . انما سبيلها هو الحجة ، هو الاقناع ، هو الاخذ بالتي هي أحسن ، فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم .

فالهداية فى الاسلام ليست وقفا ولا حبوسا موقوتا على طائفة من المسلمين، ولا على نوع من المواطنين ، بل هي واجب ، واوجب الواجبات على كل من يقول : لا اله الا الله ، محمد رسول الله .

فعلى الأب أن يهدي أبناءه الى سواء السبيل ، وعلى الاستاذ أن يهديهم ، وعلى المدرسين أن يهدوهم ، وعلى كل من أراد أن يطبق حديث النبي ــ صلعم ــ حينما قال : الدين النصيحة . قلنا لمن يا رسول الله ؟ قال : لأئمة المسلمين وعامتهم ... »

من الكلمة التوجيهية السامية، التى القاها جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله ، فى نهاية الحفل الديني الكبير بمسجد حسان بالرباط، احياء لليلة القدر المباركة ، وذلك يوم السبت 26 رمضان 1392 هـ ، الموافق 4 نوفمبر 1972 م .

— ❋ —

البرنامج والآفاق والمعارك ضد الجهل والتخلف .

الموقف العبي الى جانب الاشقاء الفلسطينيين قلبا وقالبا .

تضامن المغرب القوي مع جميع الشعوب الافريقية المستضعفة حتى تنال استقلالها.

« .. ولا يمكننا ان نذكر مناسبة داخلية كانت او تمت على الصعيد الخارجي، دون ان نتوجه بافئدتنا وافكارنا ، وبكل ما فى قوانا ، الى اولئك الاحباب الاشقاء ، الذين ما زالوا يعانون من الاستعمار والاضطهاد ، وأعني بذلك أخواننا عرب فلسطين الذين نريد ان يعلموا اليوم ، كما علموا بالامس ، اننا بجانبهم قلبا وقالبا ، معهم نخوض معركتهم . واننا مسعدون لان يخلط الدم المغربي كما كان من قبل بالدم المشرقي ، لتحرير تلك البقعة العزيزة علينا كعرب أولا ، وكمسلمين آخرا .

اننا بصفتنا افريقيين ، وبصفتنا الرئيس للدورة الحالية لمنظمة الوحدة الافريقية ، لا نريد ان تفوت هذه الفرصة ، دون ان نؤكد تضامننا القوي المتين ، مع جميع الشعوب الافريقية المستضعفة ، حتى تنال استقلالها وحريتها ، فى قارة افريقية ، عزيزة ، كريمة ، سعيدة » .

من الخطاب الذى القاه جلالة الملك الحسن الثاني ــ حفظه الله ــ فى المهنئين بعيد الفطر المبارك ، صباح يوم الخميس 2 شوال عام 1392 هـ الموافق 9 نوفمبر 1972 م

— * —

في برقية لجلالة الملك الى الرئيس نيكسون :

« اننا على يقين انكم ستواصلون فى الشرق الاوسط مجهوداتكم التى لا تعرف الكلل » .

بعث صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني ، برقية تهنئة الى السيد ريتشارد نيكسون ، بمناسبة اعادة انتخابه رئيسا للولايات المتحدة ، هذا نصها :

« لقد تلقيت بابتهاج كبير ، وسرور صادق ، خبر الثقة المتجددة التى وضعها فيكم الشعب الامريكي الصديق ، الذى انتخبكم مرة أخرى ، باغلبية ساحقة ، رئيسا للدولة . وبهذه المناسبة السعيدة ، يطيب لنا أن نعبر لكم باسمنا ، وباسم حكومتنا وشعبنا ، عن احر تهانئنا ، واصدق متمنياتنا لكم بالصحة والسعادة .

واننا لعلى يقين من أن الولايات المتحدة الامريكية ، ستواصل تحت قيادتكم مسيرتها نحو التقدم والازدهار ، وأنكم ستواصلون بصفة خاصة ، فى الشرق الاوسط ، تلك المجهودات التي لا تعرف الكلل . التى تقومون بها ، والتى ساهمت

فى اقامة السلام ، والانفراج فى كثير من مناطق العالم . واننا ما زلنا مقتنعين بأن العلاقات المثمرة الودية، القائمة بين بلدينا ، ستزداد متانة فى المستقبل لصالح شعبينـــا .

واننا اذ نلتمس من العلي القدير أن يساعدكم على القيام برسالتكم النبيلة ، لننتهزها فرصة لنجدد لفخامتكم عبارات تقديرنا الفائق .

يوم الجمعة 3 شوال عام 1392 هـ ، الموافـق
10 نوفمبر سنة 1972 م

— * —

فى الامر اليومي للقوات المسلحـة الملكيـة :

« لقد قررنا أن نعد أفراد القوات المسلحة الملكية اعدادا يتيح لهم ان يجدوا نماذج العدل المدني فى سائر القطاعات ، متفتحة الابواب والنوافذ » .

« أيها الضباط ، وضباط الصف ، وجنود القوات المسلحة الملكية . لقـد اعترت حياة البلاد أزمتان فى ظرف من الزمن ، لا يتجـاوز عاما ونصف عـام . وليس بخاف عنكم ، أن مرد هاتين الازمتين ، راجع الى تصرف طائش ، وسلوك شنيع ، ركب سبيلهما أشخاص استفزهم الغرور ، وعصفت باحلامهم المطامـع الهوجـــاء » .

« واننا اذ نحمد الله حمدا كثيرا ، على ما أضفى من جميل الرعاية ، وأسبغ من جميل الوقاية ، لنشكره جزيل الشكر على أن هدى قواتنـا المسلحـة الملكيـة التى ظلت وفية لشعارها الخالد ، الى صراطه المستقيم ، وعرفهـا أسباب الحفاظ على مقومات البـلاد ، وسبل صيانة الامن والانتصار ، ولو كان مصحوبا بالتكاليـف والتضحيات ، للمقدسات والقيم المثلى ، والمثل العليا » .

فى يوم السبـت 11 شـوال عام 1392 هـ ،
الموافق 18 نوفمبر 1972 م

— * —

المبادىء والطريق ، وآفاق المستقبل السعيد :

- محمد الخامس ـ رضوان الله عليه ـ لم يات فى عربة حزب من الاحزاب ، والملكية الدستورية ، ضرورة حتمية ، لنعيش فى السلم .
- ان المغاربة شعب حر ، لا يريد أن يسير ، ولكنه يريد ان يخير .
- لا محل للحزب الوحيد ، ولا محل للديكتاتورية فى المغرب .

- اذا ضاعت فرصة اخرى ، فيجب أن نتجنب الفشل فى المشاورات ، اذا أردنا حقيقة بلوغ هدفنا .. وان كل جدل حول الاجوبة ، سيكون عقيما .
- انني أريد انتخابات نزيهة .. نزيهة ، تبين ما هو الاتجاه ، ومن هم الربابنة الذين سيسيرون معي سفينة المغرب .
- لا يمكنني أن أفوت السيادة المغربية .
- تضطلع الحكومة بتطوير الادارة ، حتى تكون فى مستوى السرعة ، وتهييء الجو لاجراء انتخابات نزيهة .
- تركت كراسي فارغة فى الحكومة ، لمن اراد أن يلتحق بالركب .
- المغرب يخوض رهانا مع السرعة .. انه رهان خطير .

من الخطاب التاريخي لجلالة الملك الحسن الثاني ــ نصره الله ــ فى يوم الاحد 12 شوال عام 1392 هـ ، الموافق 19 نوفمبر سنة 1972م

— * —

جلالة الملك يعين السيد داي ولد سيدي بابا ، مديرا للديوان الملكي :

((ان الديوان الملكي منذ أن أنشاه والدنا سنة 1950 ، يعتبر مدرسة تتكون فيها الاطارات)) .

فى يوم الاثنين 13 شوال عام 1392 هـ ، الموافق 20 نوفمبر 1972 م .

— * —

جلالة الملك يعين 13 عاملا جديدا ، ويخاطبهم بقوله :

((سنجد فى شبابكم ، ووطنيتكم ، واستقامتكم ، ما يتوخاه الجميع ، الا وهو أن يعيش المغاربة كلهم تحت ظل العدل والرفاهية)) .

فى يوم الثلاثاء 14 شوال عام 1392 هـ الموافق 21 نوفمبر 1972 م .

— * —

جلالة الملك يؤكد تضامن المغرب مع سوريا الشقيقة :

بعد الاعتداءات الغاشمة التى تعرضت لها سوريا الشقيقة من طرف الصهاينة، بعث صاحب الجلالة نصره الله ، بالبرقية التالية ، الى فخامة الفريق حافظ الأسد، رئيس الجمهورية العربية السورية ، هذا نصها :

« ان اعتداءات الصهيونية الغاشمة التى وجهت اخيرا ضد بلدكم الشقيق الصامد ، تقتضي وقوف العالم المتمدن ، فى وجه الغدر والعدوان . واننا اذ نشاطر بلدكم العزيز ما حل به من آلام ، لنعرب لفخامتكم باسمنا ، وباسم شعبنا عن تضامننا الاخوي الشامل . وفقكم الله لما فيه خير سوريا الشقيقة ، وكتب لامتنا العربية ، النصر فى معركتها المصيرية .

اخوكم : الحسن الثانى ملك المغرب
فى يوم الجمعة 17 شوال عام 1392 ، الموافق
24 نوفمبر سنة 1972 م

— * —

ان الدور الذى سيكون على افريقيا أن تلعبه على الصعيد الدولي ، هو دور رفض تزكيــة العــدوان

على اثر القرار الذى اتخذه فخامة السيد فرنسوا طومبالباي بقطع العلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل ، بعث صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني ، بالبرقية الآتية ، الى رئيس جمهورية التشاد :

« لقد تلقينا بارتياح عميق ، القرار الهام الذى اتخذتموه بقطع العلاقات الدبلوماسية بين التشاد واسرائيل .

ان هذا القرار المتعقل ليعكس بدون نزاع ، ذلك الشعور العميق بالمسؤولية ، الذى تصطبغ به سياسة الحكمة التى تتبعها تحت قيادتكم السامية ، جمهورية التشاد ، ازاء المشاكل الخطيرة التى تعرفها القارة الافريقية ، والتى اتخذت فى شأنها منظمة الوحدة الافريقية قرارات سديدة .

لقد ارادت فخامتكم ايضا أن تسير بهذا القرار التاريخي ، الى تعلق بلادكم بالمباديء المثلى للسلام والعدل والحق ، لان سياسة العدوان والتوسع التى اتبعتها دولة اسرائيل خلال الخمس والعشرين سنة الماضية ، هي كما تعرفون تحد حقيقي لهذه المباديء المثلى .

واننا لنعتبر بان الدور الذى سيكون على افريقيا أن تلعبه على الصعيد الدولي ، هو دور رفض تزكية العدوان ، تحت أي شكل من الاشكال ، ومن أي جهة أتى ، خصوصا عندما تكون الضحايا دول افريقية شقيقة .

واننا لنرجو منكم يا فخامة رئيس الجمهورية أن تتقبلوا بهذه المناسبة عبارات عواطفنا بالامتنان ، وصادق تقديرنا السامي » .

فى يوم الاثنين 27 شوال عام 1392 هـ ،
الموافق 4 دجنبر 1972 م .

— * —

جلالة الملك يوجه برقية الى رئيس الجمهورية الايطالية حول فيلم « الروح السوداء » دفاعا عن كرامة الانسان الافريقي ، جلالة الملك يندد بعرض فيلم يسيء الى سمعة الافارقة

بعث صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني ، الى فخامة السيد جيوفاني ليوني ، رئيس الجمهورية الايطالية بالبرقية التالية :

« بصفتنا الرئيس الحالي لمنظمة الوحدة الافريقية ، يشرفنا ان نثير انتباهكم السامي الى موضوع عرض فيلم « الروح السوداء » الذى يقدم حاليا فى القاعات السينمائية بايطاليا .

وبما اننا اشعرنا بالطبيعة الشريرة لهذا الفيلم ، وبالتأثير المؤسف الذى يمكن ان يحدثه نتيجة لذلك ، على الشعوب الافريقية ، وعلى الرأي العام الايطالي ، راينا من المرغوب فيه جدا، لمصلحة ذلك الانسجام وذلك التفاهم الذى نرغب فى المحافظة عليه دون مساس ، والذى يوجد من حسن الحظ ، بين ايطاليا ، والدول الافريقية ، أن يقع تجنب ترك هذا العنصر السلبي المجسم فى هذا الانتاج ، يتدخل فى العلاقات الافريقية الايطالية ، وهو انتاج لشركة ـ أفلام الصحراء ـ التى اتخذت مبادرة سيئة لانجاز هذا الفيلم الذى يبدو ان الممثلين فيه ، تقودهم الرغبة فى الاساءة الى الانسان الافريقي .

واننا اذ نعتمد على سهر المسؤولين الايطاليين على المحافظة على روابط الصداقة التى تربط بلادهم بافريقيا ، وعلى حرصهم على تجنب كل ما من شأنه أن يسيء الى هذه العلاقات نبعث لكم يا فخامة رئيس الجمهورية ، بعبارات عواطف الصداقة الخالصة ، والتأكد على تقديرنا السامي .

الحسن الثاني
ملك المغرب
رئيس منظمة الوحدة الافريقية
فى يوم الاثنين 27 شوال عام 1392 هـ ، الموافق 4 دجنبر 1972 م

— ✻ —

بمناسبة ذكرى 8 ديسمبر 1952 ، جلالة الملك يؤكد للرئيس التونسي : ان الدماء الزكية التى امتزج بها كفاح شعبينا ، ستظل شاهدا على تجمعنا عبر التاريخ .

بعث جلالة الملك الحسن الثاني برقية الى الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة ، يقول فيها :

« يطيب لنا بمناسبة ذكرى حلول اغتيال الشهيد فرحات حشاد ، ان نجدد لفخامتكم وللشعب التونسي الشقيق ، اخوة وتضامن الشعب المغربي . وان الدماء الزكية التى امتزج بها كفاح شعبينا فى معركة العزة والشرف ، يوم ثامن دجنبر 1952 ، ستظل شاهدا خالدا على ما يجمعنا عبر التاريخ ، من وحدة المصير والآلام والآمال . وان حلول مثل هذه الذكرى ، ليشد مشاعرنا مرة اخرى ، الى اولئك المجاهدين الابرار الذين سجلوا بكفاحهم البطولي ملحمة التحرير لشعوبنا. ولنا اليقين بأن أرواحهم الطاهرة تنام الآن راضية مطمئنة على وفائنا للمثل العليا التى ضحوا من اجلها ، ولكل ما انجزوه فى سبيل بناء صرح مغربنا الكبير ، ونحن اذ ننحني من جديد أمام أرواح اولئك الشهداء الابرار ، لنبتهل للعلي القدير أن يسدد خطانا لما فيه اسعاد شعبينا وخير لامتنا العربية والاسلامية .

وتقبلوا فخامة الرئيس ، اسمى عبارات الاخوة والتقدير » .

فى يوم الاحد 3 ذي القعدة 1392 هـ ، الموافق 10 دجنبر 1972 م .

— ✻ —

جلالة الملك يوجه برقية الى رئيس دولة زايير :

وجه جلالة الملك الحسن الثاني ، رئيس منظمة الوحدة الافريقية ، برقية الى رئيس زايير ، نائب رئيس المنظمة الافريقية ، هذا نصها :

« فى الوقت الذى ينعقد فيه بكينشاسا مؤتمر يضم قادة الحركة الشعبية لتحرير انغولا ، والحكومة الثورية فى المنفى ، وتطبيقا للمقرر المصادق عليه من طرف مؤتمر القمة الافريقي الاخير بالرباط ، يشرفنا ان نثير انتباهكم السامي الى الاهمية القصوى التى نوليها للدور الكبير والايجابي الذى فى وسع سيادتكم القيام به ، لكي تكلل جهود منظمة الوحدة الافريقية فى التصالح الصادق والنهائي بين الحركتين المتنافستين بالنجاح ، وأيضا لكي يوضع حد حاسم لكل الخلافات التى عرقلت فى السنوات الاخيرة ، كفاح شعب انغولا ، من أجل تحريره واستقلاله .

وبصفتكم نائبا لرئيس منظمة الوحدة الافريقية ، فاننا متيقنون انكم ستستعملون كل النفوذ الذى تخوله لكم فى ذات الوقت ، صفتكم كقائد كبير لدولة افريقية : لمساعدة شعب انغولا ، خادمين في هذا المجال ، القضية الافريقية العادلة .

وتقبلوا سيادة الرئيس عبارات خالص مودتنا وكبير تقديرنا .

الاربعاء 6 ذي القعدة 1392 هـ ، الموافق 13 دجنبر 1972 م .

— ✻ —

في الرسالة الملكية للسيد احمد عصمان :

- الشروع فى تجربة ثورية رائدة لتكوين الشباب
- لجنة وزارية لمساعدة الوزير الاول فى تنفيذ الخطة .
- وضع الاساليب ، وتحديد الوسائل ، والشروع فى التنفيذ على مرحلتين .

السبت ذي القعدة 1392 هـ ، الموافق 16 دجنبر 1972 م .

— ✻ —

جلالة الملك يقول لاول فوج من حجاجنا الياميين :

- يا حجاج بيت الله ، سيروا على بركة الله ، تحفكم عناية الله .
- زودوا بالدعاء الصالح بلدكم وملككم وأهلكم .
- انكم سفراء بلدكم ، الى مؤتمر المسلمين الاكبر ، فالتزموا فى حلكم وترحالكم، ما عرف به شعبكم من مكارم الاخلاق والعادات .
- كونوا مضرب المثل بين اخوانكم المسلمين ، فى حسن المعاملة .

يوم الاثنين 11 ذي القعدة 1392 هـ، الموافق 18 دجنبر 1972 م .

— ✻ —

جلالة الملك يهنيء قادة الاتحاد السوفياتي :

انا مقتنعون بان شعوب الاتحاد السوفياتي ستواصل خدمة السلام والوئام بين شعوب العالم

بمناسبة الذكرى الخمسين لتاسيس اتحاد الجمهوريات الاشتراكية بعث جلالة الملك الحسن الثاني برقية تهنئة الى كل من رئيس مجلس السوفيات الاعلى ، السيد نيكولاي بودغورني . ورئيس لجنة الدولة لمجلس الوزراء السوفياتي، السيد اليكسي كوسيجين . والسيد ليونيد بريجنيف ، السكرتير العام للحزب الشيوعي السوفياتي .

ومما جاء فى برقية جلالة الملك :

« بمناسبة الذكرى الخمسين لتاسيس اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية ، يطيب لنا ان نبعث لفخامتكم باسمنا الخاص ، واسم حكومتنا

والشعب المغربي ، باصدق تهانينا ، واحر متمنياتنا بالسعادة والرفاهية ، لشعوب الاتحاد السوفياتي . واننا ننتهز هذه الفرصة العظيمة لنشيد بالصداقة التقليدية والتعاون المثمر بين بلدينا ، هذا التعاون الذى شمل خلال السنوات الاخيرة عدة ميادين بفضل ما يسود العلاقات بين بلدينا ، من حكمة وتبصر وروح التفاهم .

كما ننتهز هذه الفرصة ، لنشير الى الدور الهام الذى لعبته بلادكم ، والذي ما فتئت تلعبه لفائدة الانفراج والتعايش السلمي بين الشعوب ، والتأييد المستمر الذى تقدمه للشعوب التى تكافح فى سبيل تحريرها من السيطرة الاستعمارية ، والميز العنصري بجميع أشكاله ، وكذا السياسة التى ما فتئت بلادكم تنهجها لاحترام الاستقلال الوطني للدول التى تحررت من الوصاية الاجنبية. واننا مقتنعون بان شعوب الاتحاد السوفياتي التى قدمت التضحيات لكي تعيش المجموعة الدولية فى ظل السلام والعدل والحرية ، والتى حققت فى مجال العلم والتقنية ، المنجزات الرائعة والبارزة ، ستواصل الطريق الذى رسمته لنفسها ، لتنمية طاقاتها الخلاقة ، ومواصلة خدمة السلام والتقدم والوئام بين شعوب العالم .

فى يوم الخميس 14 ذي القعدة 1392 هـ ،
الموافق 21 دجنبر 1972 م .

— ❋ —

جلالة الملك يقول فى حديث لجريدة « صوت الشمال » الفرنسية :

- انا متاكد ان القطار سيسير ، وأتمنى ان يركبه أكبر عدد من الناس .
- تغيير جذري مرحلي فى العقول والجماعات والادارة نفسها .
- فى حدود ما اذا مرت الحملة الانتخابية فى أطار المؤسسات الدستورية ، فاني اناصر فتح المناقشات في الاذاعة والتلفزة .
- انني لست من أولئك الذين يريدون اعطاء وسيلة التعبير للبعض دون الآخر.

السبت 16 ذي القعدة 1392 هـ ، الموافق 23
دجنبر 1972 م .

— ❋ —

جلالة الملك يقول لحجاج طرفاية :

« قولوا لاخوانكم سكان الاجزاء المغتصبة ، انهم ليسوا غائبين عن قلوبنا ، ولا عن ضمائرنا » .

السبت 23 ذي القعدة 1392 هـ الموافق 30
دجنبر 1972 م

◆ ان الهداية اذا حلت قلبا ، سعدت الاعضاء والاجسام .

◆ انتم سفراء لاسرتكم أسرة القوات المسلحة الملكية

استقبل جلالة الملك الحسن الثاني ، صباح يوم الثلاثاء 26 ذي القعدة عام 1392 هـ (2 يناير 1973 م) ، وفدا عن القوات المسلحة الملكية ، بالقصر الملكي العامر ، وذلك بمناسبة سفره الى الديار المقدسة لاداء فريضة الحج . ويتكون الوفد ، من 53 ضابطا و 144 ضابط صف ، و 123 جنديا وتسعة مدنيين ، من ادارة الدفاع الوطني .

وقد القى جلالة الملك بهذه المناسبة ، خطابا نقتطف منه ما يلي :

« ... اننا مسرورون بتوديعكم قبل أن تلتحقوا بالديار المقدسة ، منبع القرآن والسنة والاسلام . واننا لمسرورون جدا حينما نرى انه زيادة على التفاوت فى الرتب العسكرية بينكم ، نرى كذلك تفاوتا فى السن . ومنكم الشاب ، ومنكم الكهل . وهذا يدل دلالة عظيمة على أن الهداية اذا حلت قلبا سعدت الاعضاء والاجسام ، دون اعتبار السن أو الرتبة ، وحينما تكونون مقيمين بالديار المقدسة ، لستم فحسب سفراء لبلادكم ، ولكن انتم كذلك سفراء لاسرتكم ، أسرتنا جميعا ، أسرة القوات المسلحة الملكية . فاملنا أن تكون سيرتكم حسنة ، ورجاؤنا فى الله سبحانه وتعالى ، ان تعودوا الى بلادكم والى أهليكم ، بعد أن تلتم الثواب الجزيل ، والفضل الكبير ، وبعد أن تكنتم قد اديتم حجا نرجو الله سبحانه وتعالى أن يجعله حجا مبرورا ، وفاتحة لكم جميعا لعهد جديد ...»

« ... ورجائي منكم حينما تكونون واقفين بعرفات ، وتطوفون بالكعبة ، وتصلون بالمسجد النبوي ، أن لا تنسونا ، وأن لا تنسوا مواطنيكم بالدعاء الجليل ، والنوايا الحسنة ، لان الدعوات فى ذلك المقام ، دعوات مقبولة .

الله أسأل ، سبحانه وتعالى ، أن يصحبكم فى سفركم ذهابا وايابا ، وأن يلهمكم وايانا جميعا السداد والتوفيق . والسلام عليكم ورحمة الله . »

— ✻ —

جلالة الملك يعين السيد احمد بناني عزيزي على رأس المكتب الشريف للسكني العسكرية ، ويقول ـ حفظه الله ـ :

◆ **لقد أعطت القوات المسلحة الملكية الكثير من ثكناتها لوزارة التعليم ، يقينا منها أن أحسن تجهيز ، هو التجهيز البشري .**

الخميس 28 ذي القعدة 1392 هـ ، الموافق 4 يناير 1973 م .

— ✻ —

السيد الطيبي بنهيمة يحمل رسالة ملكية الى الرئيس الحبيب بورقيبة : توحيد الموقف على الصعيد الدولي العربي والافريقي فى لقاء وزير شؤوننا الخارجية بنظيره التونسي :

السيد احمد الطيبي بنهيمة يؤكد فى تونس :

- لقد جعلنا بناء المغرب العربي هدفنا نصل اليه بالتضحيات والتخطيط الطويل .
- تونس والمغرب يحركان اقتصادهما فى اطار فلسفة اقتصادية متكاملة .
- اننا نضع طاقاتنا ووسائلنا المادية رهن اشارة اخواننا فى المشرق .
- اننا وراء سوريا لمدها بما تحتاج اليه من قوة وعتاد ومساندة .

السيد محمد المصمودي وزير خارجية تونس يقول :

- سنحدد لمغربنا اطارا تضمحل فيه الحزازات
- اننا نعمل بوحي من قادتنا ، ونستلهم من أرواح شهدائنا

يوم الاثنين 3 ذي الحجة 1392 هـ ، الموافق 8 يناير 1973 م .

— ✻ —

جلالة الملك يترأس جلسة عمل ، حول برامج التعليم الاصيل ، ويؤكد :

- التعليم الاصيل هو التعليم الاساسي .
- ستعتنق شبيبة العالم الدين الاسلامي ، عندما تدرسه وتفهمه .

الاربعاء 5 ذي الحجة 1392 ، 10 يناير 1973 م

— ✻ —

- **البلاغ المشترك التونسي المغربي يؤكد :**

- توسيع سبل التعاون فى كافة المجالات .
- المغرب العربي حلقة من سلسلة الوحدة العربية الشاملة .
- الاهتمام الخاص بالوضع فى الشرق الاوسط ، والتضامن الكامل مع الدول الشقيقة فى كفاحها العادل .
- دعم المقاومة الفلسطينية .
- ارتياح المغرب وتونس لموقف الدول الافريقية بقطع العلاقات مع اسرائيل .

الجمعة 7 ذي الحجة 1392 هـ الموافق 12 يناير 1973 م .

— ✻ —

السيد شارل حلو يزور ضريح محمد الخامس ، ويقول :

ان اسم محمد الخامس، اصبح رمزا لهذا البلد الذي عرف كيف يقدر قيم البطولة والوطنية .

الجمعة 7 ذي الحجة 1392 هـ ، الموافق 12 يناير 1973 م .

— * —

جلالة الملك يقول فى حديث لاذاعـة فرانـس انتيـر :

- **أعارض ما هو غير منطقي ، ولا أعارض الافكار .**
- **من الضروري العمل على ضبط توازن السفينة ، والسير بها الى الامام .**
- **قمنا باعادة تنظيم الجيش ، ووضعنا قانون الماليـة ، ودرسنـا المخطـط الخماســـي .**
- **نحن الآن منهمكون فى تدعيم الادارة .**
- **ان الثورة عملية بطيئة ، كما أنها قبل كل شيء ، موقف فكـري وعاطفي . ولذلك يجب أن يكون الانسان ثوريا عاطفيا .**
- **ان الثورة تحسين مستمر ، وان كان الاعتقاد السائد ، هو انه من المستحيل بلوغ الكمـــال .**

الاحد 9 ذي الحجة 1392 هـ ، الموافق 14 يناير 1973 م .

— * —

جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله يتقبل تهانيء عيد الاضحى المبارك ، ويقول :

اطلب الله سبحانه وتعالى ان تشرق شمس السعادة والهناء والطمانينة ، على كل بيت من بيوت شعب مغربنا العزيز ، وأن يوحد كلمة المسلمين ، وينصر اخواننا الفلسطينيين .

الثلاثاء 11 ذي الحجة 1392 هـ ، الموافق 16 يناير 1973 م .

— * —

تـم بحمـد الله وكمـال توفيقـه .

الرباط ــ من اختيار وتنسيق : **محمد بن محمد العلمي**

الاعلام الاسلامي

في مواجهة الجاهلية المعاصرة

للأستاذ عبد القادر الادريسي

يمكن الاستنتاج من خلال المقالات السابقة (1) ، ان هناك غزوا اعلاميا زاحفا تبدو آثاره وانعكاساته على مختلف مرافق الحياة في دنيا المسلمين ، كما انه اتضحت ، ولا شك بعض ملامح **نظرية اعلامية اسلامية** ، يمكن ان تتخذ اساسا لانطلاق اعلامي اسلامي في مواجهة الجاهلية المعاصرة التي تكيل الضربات القاصمة لمعاقل الاسلام في اصرار عجيب. وتلك هي رسالة **الاعلام الاسلامي** في ظروف العالم الاسلامي الراهنة .

ولا شك ان الجاهلية المعاصرة تعتمد على الاعلام كأداة ووسيلة للغزو والتخريب . وقد رأينا كيف ان جميع المذاهب والايديولوجيات الحديثة تتسرب الى بلاد المسلمين عبر قنوات الاعلام بوسيلة او بأخرى ، وتكون النتيجة دائما مخيبة لظن العاملين في حقل الدعوة الاسلامية بوسائل غير متكافئة ، وليست في مستوى تحديات الجاهلية ، ويذهب بهم حسن الظن الى احتمال نجاح جهودهم ، ورد كيد الاعداء في نحورهم ، بمثل هذه الوسائل ، فيصطدمون في الاخير باستفحال الشر واستشرائه ، وانتشار الكفر والالحاد والفسوق على اوسع نطاق .

وليس الامر اعتباطا ، وانما هو خاضع لتخطيط علمي دقيق واسع الآفاق . « **وتكفي نظرة واحدة الى الصحف والمجلات والكتب والنشرات التى تصدر يوميا في مجموع دول العالم الاسلامي ، لتحيط الباحث علما بطغيان وسائل الاعلام الشيوعي (قمة التحدي المعاصر للاسلام) على غيرها من وسائل الاعلام الاخرى ـ وخاصة الاسلامية منها ـ كما وكيفا ... ويبدو ذلك بوجه خاص في تلك البقعة العربية من الوطن الاسلامي حيث يقف الشيوعيون اليوم خلف حوالي 60 ٪ من انتاج الكتب ، وحوالي 55 ٪ من انتاج المجلات ، وخاصة المجلات ذات الصبغة العلمية ، و 44 ٪ من انتاج الصحف اليومية ... يضاف الى ذلك تأثيرهم غير المباشر في أجهزة الاعلام الحكومية ، ونصف الحكومة (!) من خلال عدد من الاقلام الرقيقة والصديقة ، التى باعت مدادها بالانتماء أو التعاطف** » (2) .

وهكذا تبدو ضخامة الخطر الذى يواجه الاعلام الاسلامي المعاصر ، وتتحدد بالطبع جسامة مسئولية هذا الاعلام ، وتتضح مجالات نشاطه . ولعلنا في غنى عن طرح سؤال حول أهداف هذا التغلغل المخيف للاعلام الجاهلي في بلاد المسلمين ، مع ما يتقاضى ذلك من جواب واستطراد ، لان الامر واضح جدا ، والحقيقة ناصعة جلية . والاهم من كل ذلك ، هو الحديث عن **مسؤولية الاعلام الاسلامي** في مواجهة

(1) الاعداد : 2 ، 3 ، 4 ، 5 ـ 6 : السنة الخامسة عشرة .
(2) من محاضرة قيمة للدكتور ابراهيم دسوقي اباظة تحت عنوان : « الاعلام الشيوعي في دول العالم الاسلامي » .

هذا التغلغل الذي يشكل واجهة من واجهات الجاهلية المعاصرة .

واعتمادا على هذا الواقع الذي لا سبيل الى انكاره مهما حاولنا ذلك ، نجد أن ما قاله « شيخ المبشرين » « **ولسن كاش** » فى مطالع القرن الحالي ، حقيقة قائمة شاهدة على ضخامة النفوذ الاعلامي الذي كان دعما قويا للاستعمار والتبشير والاستشراق فى العالم الاسلامي . يقول هذا المبشر :

« ان الصحافة لا توجه الرأي العام فقط ، أو تهيئه لقبول ما ينشر عليه ، بل هي تخلق الرأي العام (تامل هذه العبارة جيدا) . وقد استغل المبشرون الصحافة المصرية (كذا) على الاخص ، للتعبير عن الآراء المسيحية أكثر مما استطاعوا فى أي بلد اسلامي آخر (تأمل هذا ايضا) ... » (3) .

والحق ان الاعلام الجاهلي هو المحرك الديناميكي للجاهلية المعاصرة . وهذا يقتضي بداهة الاحاطة الشاملة الواسعة بمخططات هذا الاعلام ، لان ذلك وحده ، هو الاساس المكين لاية مواجهة واعية ، وفى المستوى المطلوب ، لما يحيط بنا من مظاهر الفسوق والارتداد والانجراف مع تيارات الحادية مدعمة بالسلاحين المادي والمعنوي .

واذا كانت مواجهة الجاهلية الحديثة ، هي المهمة الرئيسية للفكر الاسلامي المعاصر ، وهي رسالة الدعاة الاسلاميين ، ومسؤولية حملة الاقلام المؤمنة فى أي بلد اسلامي ، فان العبء الاكبر يقع على الاعلام الاسلامي ، بكل أجهزته ، وبكل مؤسساته ، وبكل نفوذه وتأثيراته فى صياغة الراي العام الاسلامي الذي يتجاوب مع العالم ، وينفعل لاحداث العالم الاسلامي ، وينتفض لرد الهجوم ، والوقوف فى وجه الزحف الكاسح ، وينتصر للحق الضائع ، ويهتم بامر المسلمين المستضعفين فى الارض . ولا شك ان أولى الخطوات على درب الاعلام الاسلامي هي انشاء راي عام اسلامي ، وصياغته وفقه المنهج الاسلامي ومقتضياته . ومن هنا تبرز لنا حتمية الارتباط بين الاعلام والدعوة ، باعتبار الاعلام اداة ووسيلة للدعوة ، وباعتبار العمل لانشاء راي عام اسلامي ، وهو جزء متمم للعمل لنشر الدعوة الاسلامية وتعميمها فى الآفاق . ذلك أن وجود راي عام اسلامي ، يعني بالضرورة استقامة الحياة ، فى بلد ما ، على المنهج الاسلامي . وتتضح هذه البديهية الاعلامية اكثر بالاطلاع على أحدث التعريفات لمصطلح الراي العام » . يقول الدكتور محمد عبد القادر حاتم فى كتاب له قيم بعنوان : « الراي العام : كيف يقاس وكيف يساس .. » فى الصفحة 53 :

« الراي العام هو جماع الآراء التى هي مواقف يتخذها الراي العام هو التعميم الحر « للراي الخاص » على شريطة أن يكون هذا الراي ناتجا عن اختيار وطواعية واقتناع .. » (4)

واذا اخذنا بعين الاعتبار ان الراي العام لا يفترض، بل يشترط لقيامه ان يكون واضحا ظاهرا ، هي ان الراي العام الاسلامي هو وليد تفاعل الافراد على حد تعبير د. حاتم ، تكون امام نتيجة واضحة ، بالفكر الاسلامي ، وحسن تقبلهم للحياة الاسلامية ، فيكون الفرد ، فى مجتمع من هذا القبيل ، تجسيما حيا ، لهذا الفكر ، ولهذه الحياة الكريمة . ومن حصيلة آراء الافراد المتميزين بهذه الخصلة الفريدة ، ينشأ بالضرورة راي عام اسلامي قادر على مواجهة الجاهلية المعاصرة ، مواجهة واعية ، مستنيرة ، فى المستوى المطلوب .

ان الهدف الرئيسي الذي يرمي اليه مخططو الغزو الاعلامي فى العالم الاسلامي هو خلق رأي عام يتقبل بسهولة معطيات الحضارة الغربية الصليبية ، أو الشرقية الشيوعية . ومن ورائهما جميعا تقف اليهودية العالمية بنفوذها الرهيب وتأثيرها المباشر أو (غير المباشر !) على اتجاهات الفكر والثقافة والاعلام ، كما هو الشأن فى المجالات السياسية والاقتصادية . وحينما يصبح الانسان المسلم ، فى بلد ما ، يتقبل اشعاع الفكر الاستعماري الغازي ، ولا يجد حرجا فى ذلك ، حتى وان بقي على عقيدته الاصيلة ، يكون الاعلام الجاهلي قد اصاب نجاحا باهرا فيما كان يرمي اليه ، بما يعني ذلك من صياغة الراي العام فى البلد المعني بالامر صياغة تبشيرية

(3) « اباطيل واسمار » — محمود محمد شاكر . ص 255 .
(4) « الراي العام : كيف يقاس وكيف يساس ؟ كيف يتكون وكيف يتنبأ ، كيف يتطور ؟ » . تأليف الدكتور محمد عبد القادر حاتم . مكتبة الانجلو المصرية .

صليبية او ماركسية شيوعية . وتكون النتيجة فى هذه الحالة ضياع شباب الامة ، وهم عدتها ، وانحرافا فكريا يدفع الى السقوط الحضاري دفعا . وفى هذه الحالة ، ايضا ، يقتضي قانون رد التحدي والمواجهة استخدام نفس الاسلوب ، بأن يعمل على انشاء الراي العام البديل ، الذى لا يمكن ان يكون غير راي عام اسلامي .

ومواجهة الجاهلية المعاصرة بسلاح الاعلام الاسلامي ليست ـ على كل حال ـ هي الصيغة المطلوبة لرد التحدي الحضاري الهائل والغزو الفكري الكاسح اللذين تواجههما شعوب العالم الاسلامي فى اللحظة التاريخية الراهنة . وينبغي أن تقرر هذه الحقيقة ابتداء ، حتى لا يساء فهم الامور . لان طبيعة الجاهلية المعاصرة أنها تقوم على اساس مادي صرف ، وانها تسلك سبلا اخرى غير الفكر ـ فى بعض الاحيان ـ لتمارس عدوانها على الفطرة الانسانية السوية ، ولتفرض على الانسان المسلم جبروتها لتصرفه عن دينه . ولكن مهما كانت اسس الجاهلية المعاصرة مادية ، فانها بمفهوم آخر لا تعدو ان تكون مادة انشأها الفكر . او بعبارة اخرى وجودا زكاه الفكر المعتمد أساسا ـ هو الآخر ـ على غزو اعلامي مكثف وشامل ومخطط له بدقة بالغة .

نحن نقرا هذا فى « بروتوكولات حكماء صهيون » ، ونشاهده عيانا فيما يدور حولنا من صراعات دولية ، تكون مفتعلة فى غالب الاحيان لصرف الشعوب الاسلامية عن واقعها التعس . وبحكم التجربة المعاشة بمرارة ـ بالنسبة للانسان المسلم ـ اتضح بجلاء ان القوى الدولية المسيطرة ، القابضة على ازمة الامور فى العالم ، انما تعتمد أساسا على الاعلام ، حتى وان لم يكن يبدو ذلك ظاهرا للوهلة الاولى . لان التعقيد هو طابع الصراع الكبير فى عالم الناس هذا ، وكثيرا ما يخطىء الانسان التقدير من النظرة الاولى .

فالاعلام ـ اذن ـ قوة . والاعلام الاسلامي قوة ودعم لاية حركة اسلامية . والدعوة الى الله ، الى منهج الله فى الارض ، انما تؤتي اكلها باعتماد اعلام اسلامي قوي .

بيد ان طبيعة المواجهة الضارية التى تفرضها الجاهلية المعاصرة تقتضي ـ من جهة اخرى ـ بعض التروي والتأني ، حتى لا تزل القدم . ولعل أهم النقط التى تستوقف الباحث فى هذا الصدد هي تحديد الملامح الرئيسية للاعلام الاسلامي ، حتى يكون مميزا . ولقد حاولت ، مستعينا بالله، فى المقالين الاخيرين بخاصة ، ان اركز الحديث حول ما اسميته « نظرية اعلامية اسلامية » . واحسبني ، بتوفيق من الله ، فقد وفقت ، الى حد ما ، فى ايضاح الخطوط العريضة لهذه النظرية . ولكن السؤال الذى لم اجب عنه بعد هو مدى التطبيق العملي للنظرية . وهي قضية تدخل فى اطار ازمة الفكر الاسلامي المعاصر المتمثلة فى تغليب الجانب النظري على الجانب العملي فى كل المجالات .

ان الجاهلية المعاصرة بتزكية اجهزة الاعلام لها ، تواجه الشعوب الاسلامية مواجهة مكشوفة قائمة على تخطيط دقيق اجتاز مرحلة التنظير الى مرحلة التطبيق العملي . وستكون المواجهة ، مواجهة الاعلام الاسلامي غير متكافئة بالمرة ان لم يقم فعلا جهاز ضخم يتبنى النظرية الاعلامية الاسلامية ، فيصبح لها كيان يحسب له حسابه . وقضية التطبيقة تفضي بنا حتما الى مسائل متشعبة لا زال الفكر الاسلامي المعاصر يخوض فيها دون أن ينتهي الى نقطة الحسم . وقد كثرت الدراسات فى هذا المجال الى ان طفت على جميع المجلات والصحف الاسلامية على ندرتها .

ان الاسلام دين واقعي واخص خصائص منهجه هي الواقعية والجدية . وليس من الجد فى شيء ان نشغل انفسنا بالبحوث النظرية ، العقيمة احيانا ، والجاهلية من حولنا تتربص بنا الدوائر ، وتزداد ضرباتها لمعاقل الاسلام وحصونه يوما بعد يوم .

عبد القادر الادريسي

فهرس العدد الخاص بعيد العرش

صفحة

مطبعة فضالة

